غير مرخصة للطباعة

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُف القَرَضَاوِي

نسخة مجانية

المجلد الثامن والتسعون

QaradawiBooks.com

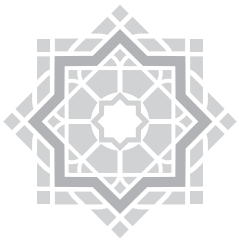
حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى
١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م

الدار الشامية
للطباعة والنشر والتوزيع

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُف القَرَضَاوِي



غير مرخصة للطباعة

المحور الثاني عشر

المحاضرات

١٩١ محاضرات الإمام القرضاوي

٣

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة



نسخة مجانية

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

غير مرخصة للطباعة

المحـور الثاني عشر

المحـاضـرات

١٩١

محـاضرات الإمام القرضاوي

٣

الإمـام يوسف القرضاوي

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي



الدعوة إلى الله



غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

من الدستور الإلهي للبشرية

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣].

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية

من مشكاة النبوة الخاتمة

عن أبـــي هُرَيْرة رضي الله عنه ، أنَّ رســـولَ الله ﷺ ، قال: «**من دعا إلى هدًى، كان له من الأجر مثل أجورِ من تَبِعَه، لا يَنْقُصُ ذلك من أجورهم شيئًا**». رواه مسلم.

عن سهل بن سعد رضي الله عنه ، ســـمع النبيَّ ﷺ يقول: «**لأنْ يُهْدَى بك رجل واحد خير لك من حُمْر النَّعم**». متَّفق عليه.



غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

١

منهج الدعوة إلى الله كما رسمه القرآن الكريم(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الَّذي بنعمته تتمُّ الصَّالحات، والَّذي هدانا لهذا وما كنَّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأزكى صلوات الله وتسليمه على مُعَلِّم النَّاس وهادي البشريَّة إلى الرشد، ومخرج النَّاس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد، سيِّدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا مُحَمَّد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه الَّذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه واتَّبعوا النُّور الَّذي أنزل معه أولئك هم المفلحون، ورضي الله عمَّن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدِّين.

خير ما أحيِّيكم به أيُّها الإخوة والأخوات، وأيُّها الأبناء والبنات، تحيَّةُ الإسلام، وتحيَّة الإسلام السلام، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وإنَّها لفرصة طيِّبة أنْ ألتقي بأبناء هذا البلد الطيِّب العربي المسلم، وبأبناء هذه الكُلِّيَّة الَّتي قامت للدعوة إلى الله ﷻ، وجمعت بين أبناء المسلمين من بقاعٍ شتّى كجامعة إسلاميَّة وهيئة أمم أو شعوب إسلاميَّة،

(١) ألقيت في كلية الدعوة الإسلامية، ليبيا، ٢٨ ديسمبر ٢٠٠٢م.

QaradawiBooks.com

في هذه القاعة، الَّتي أُتيح لي أنْ أُخاطبها، وهي ثمرة طيِّبة من ثمرات ـ جمعيَّة الدعوة الإسلاميَّة العالميَّة ـ الَّتي أنشئت في هذا البلد الكريم لتقوم بواجب قصَّرت فيه الأُمَّة الإسلاميّة، واجب الدَّعوة الإسلاميَّة إلى العالم، ودعوة العالم إلى الإسلام، وكانت هذه الكليَّة من ثمرات هذه الجمعيَّة الَّتي أسأل الله ﷻ أنْ يبارك في جهودها وأنْ يُسدِّد خطاها.

وقد سعدنا بلقاء أمينها العامِّ الأخ الدكتور محمد أحمد الشريف والعاملين معه في هذا النطاق الطيِّب المثمر والمبارك إنْ شاء الله، وأسأل الله ﷻ أنْ يكون يوم الجمعيَّة خيرًا من أمسها، ويكون غدها خيرًا من يومها.

أيُّها الإخوة الأحبَّة، حديثي إليكم عن منهج الدعوة إلى الله كما رسمه القرآن الكريم، وقد اخترت هذا العنوان لأمرين:

الأمر الأوَّل: أهمِّيَّة الدعوة إلى الله ﷻ، فهي وظيفة النَّبيِّين ومهنة المرسلين ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

والأمر الثاني: أنَّني الآن في كلِّيَّة الدَّعوة، ومن حقِّ الداعية أنْ يراعي المناسبة، فلكلِّ مقامٍ مقال، والبلاغة كما عرَّفها علماء العربيَّة: «مطابقة الكلام الفصيح لمقتضى الحال»، ولهذا كان مقتضى الحال أن نتحدَّث عن الدعوة ما دُمنا في إطار كُلِّيَّة الدعوة.

فما هو المنهج الَّذي رسمه القرآن الكريم للدعوة؟

الحقيقة أيُّها الإخوة أنَّ الحقَّ تبارك وتعالى رسم هذا المنهج في آية واحدة من آيات كتابه من القرآن المَكِّيِّ، وهذا من إعجاز هذا القرآن العظيم، أنَّه يجمع المعاني الكبيرة والكثيرة في كلمات قليلة

QaradawiBooks.com

﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]. وهذه الآية هي الَّتي يقول تبارك وتعالى فيها في سورة النحل: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

هذه الآية جمعت منهج الدعوة إلى الله، وأوَّل ما تفيده هذه الآية «وجوب الدعوة» و«شمول الدعوة»؛ لأنَّ كلمة ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ هي خطاب إلى النبيِّ ﷺ ولكلِّ من يتأتَّى خطابه من الأمَّة من بعده، فليس هناك دليل على الخصوصيَّة، الأُمَّة مبعوثة بما بُعث به رسولُها النبيُّ عليه الصلاة والسلام الَّذي قال في حديث رواه البخاري: «**إنَّما بُعِثتُم مُيسِّرين ولم تُبعثوا مُعسِّرين**»[1]. «بُعِثْتم»، الأمَّة مبعوثة، وربعيُّ بن عامر أحد الصحابة الَّذين قاتلوا في جيش المسلمين، وأوفدهم سعد بن أبي وقَّاص إلى رستم قائد قوَّاد الفُرْس، سأله رُسْتم: من أنتم؟ وما الَّذي أخرجكم من دياركم؟ قال له: «نحن قومٌ ابتعثنا اللهُ لنُخْرِج النَّاس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده»، نُحرِّر البشريَّة، نخرج النَّاس جميعًا، وليس العرب ولا العجم، نخرج النَّاس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، «ومن ضيق الدُّنيا إلى سَعَتها، ومن جَوْر الأديان إلى عدل الإسلام»[2].

هكذا لخَّص هذا الصحابي الَّذي لم يدخل مدرسة، ولم يقرأ كتابًا، كان أُمِّيًّا، لخَّص فلسفة الإسلام، أهداف الإسلام الكبرى في هذه الكلمات: إخراج النَّاس من عبادة العباد ـ من عبادة البشر ـ إلى عبادة ربِّ البشر، ومن ضيق الدُّنْيا إلى سعتها، الإسلام جاء يُوَسِّع للنَّاس

(١) رواه البخاري في الوضوء (٢٢٠)، عن أبي هريرة.

(٢) تاريخ الطبري (٥٢٠/٣)، نشر دار التراث، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الحياة، ومن جور الأديان: انحرافاتها المختلفة، وجورها على البشر وعلى الفطرة وعلى العقل، إلى عدل الإسلام.

الأمَّة مبعوثة إذنْ، ولذلك فهذا الخطاب هو خطاب موجَّه لكلِّ مسلم، أن يدعو إلى سبيل الله، والله تعالى خاطب رسوله ﷺ فقال: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨]. أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتَّبعني، فكلّ من اتَّبع رسول الله ﷺ فهو داعٍ إلى الله، وداعٍ على بصيرة، ليس فقط مشايخ الأزهر هم المطالَبين بالدعوة إلى الله، وليس خرِّيجو الكلِّيّات وحدهم، بل كلُّ مسلم داعية، كل مسلم سواءٌ أكان في قرية أم في مدينة أم في بادية أم في حَضَر، ينبغي أن يكون داعية إلى الله، كل ما في الأمر أنَّ القدرات تتفاوت، والمواهب تختلف، والوسائل ليست واحدة، كلُّ إنسان مُطَالَب بالدعوة على قدر إمكانيَّاته واستطاعته، فهناك إنسان آتاه الله الموهبة والقدرة والعلم، ويستطيع أن يُؤَلِّف كتبًا، وأنْ يكتب رسائل، وأنْ يخاطب النَّاس من خلال المحاضرات والخطب إلخ، وهناك من يستطيع أنْ يكون أقلَّ من ذلك فيعطي درسًا لمجموعة صغيرة من النَّاس، وهناك إنسان يستطيع أنْ يدعو إلى الله بالكلمة الطَّيِّبة، وبالصُّحبة الصَّالحة، وبالأسوة الحسنة، هكذا كان شأن المسلمين في العصور الأولى.

الإسلام أيُّها الإخوة لم ينتشر بالسَّيف كما يقول المُنَصِّرون والمُسْتَشْرقون، الإسلام انتشر بالكلمات الطَّيِّبة، والأخلاق الطَّيِّبة من المسلمين غير المحترفين في الدعوة، ما الَّذي نشر الإسلام في إندونيسيا وفي ماليزيا وفي الفِلِبِّين وفي بلاد الشَّرق وفي معظم إفريقيا؟ لم تدخل جيوش إلى هذه البلاد، والسَّيف لا يمكن أنْ يفتح قلبًا، السَّيْف يمكن أنْ يفتح أرضًا، ولكن فتح القلوب والعقول هذا متوقِّف على معاملة النَّاس،

QaradawiBooks.com

ذهب إخواننا من جنوب اليمن ومن حضرموت وغيرها من تلك البلاد إلى ماليزيا وإندونيسيا للتِّجارة في التَّوابل وغيرها، ورآهم النَّاس وشاهَدوا فيهم الصِّدق في القول والإخلاص في المعاملة، وحبَّ الخير للنَّاس، والحرص على عبادة الله، فأحبَّهم النَّاس، وقالوا لهم: من أنتم؟ قالوا: نحن مسلمون، أي نحن ديننا الإسلام. فسألوهم: وما الإسلام؟ فشرحوا لهم الإسلام كما يشرحه الرَّجل البسيط، إن كان عالمًا أو داعية لأطال عليهم الشَّرح، ربَّما أنَّ النتائج لم تكن بمثل تلك الَّتي حدثت، شرحوا لهم الإسلام بأسلوبهم البسيط، الَّذي فهمه النَّاس عنهم، وجاءت مرحلة قالوا لهم: كيف ندخل دينكم؟ قالوا لهم: إنَّ ديننا سهل، قُلْ: أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأنَّ محمّدًا رسول الله. ثم تعلَّم الإسلام في الأيَّام المُقبلة، تعلَّم كيف تتوضَّأ، وكيف تُصَلِّي، إلخ، وهكذا دخل النَّاس في دين الله أفواجًا بهذه الطريقة.

وأنا أقول هذا أخذًا من قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾ [النحل: ١٢٥]. وكلمة ﴿ ٱدْعُ ﴾ خطابٌ مُوَجَّه لكلِّ مسلم، فمن هذه الدعوة يجب أخذ شمول الدعوة للمسلمين في كافَّة أنحاء الأرض، ووجوب الدعوة تقع على المسلمين أفرادًا وجماعات؛ لأنَّه إضافة إلى الفرد يجب على الأمَّة أن تقوم بشيء، وذلك واضح أيضًا في قوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وسواء فسَّرنا ما ورد في الآية بأن ﴿مِن﴾ تَبْعيضيَّة كما يقول النحويُّون، أي جزء منكم، أمَّة منكم، فعلى كلِّ حال الأمَّة هي الَّتي عليها أن تكوِّن هذه المجموعة المُتَخَصِّصة، أم قلنا إنَّ ﴿مِن﴾ بيانيَّة أو تجريديَّة كما تقول لصاحبك: «ليكنْ لي منك الصديق الوفيُّ» بمعنى كُن أنت الصديق الوفيَّ، ليكن منك الجنديُّ المجاهد، ليكن منك الأسدُ الهصور،

QaradawiBooks.com

أي كُن أنت الأســدَ، فيكون معنى ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾: كونوا أمَّة تدعون إلى الخير وتأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر. ولعلَّ ممَّا يُرجِّح هذا التفســير قوله تعالى في نهاية الآية ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]. ويُسَمِّيها العلماء «صيغة حَصْر» يعني: هم المفلحون، لا يفلح غيرهم، إذنْ طلب الفَلاح لا بدَّ منه، إذنْ لا بــدَّ أن يَدْعُوا حتَّى يكونوا من المفلحين، وهذا ما تفيده الآية التالية بعد عدَّة آيات من نفس السورة: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. قدَّم الحقُّ تبارك وتعالى الأمر بالمعروف والنَّهْي عن المنكر على الإيمان بــالله، مع أنَّ الإيمان بالله هو الأســاس، ولكن خشــية أنْ يُســتهان بالأمــر بالمعروف والنهــي عن المنكــر الفريضــة الغائبة عن المســلمين، فقدَّم هذا الأمر للتنويه به، ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾. هناك أمم تنبت هكذا دون هدف، كما نقول نحن العرب عن نبات ينبت في الصحراء وفــي البَرِّيَّة، نقول عنــه: نبات شــيطانيٌّ، بمعنى أنَّه ينبت وحده، وهناك أمَّة ينبتها مُنبت، ويزرعهــا زارع، ويُخرجها مخرج، الأمَّة الإســلاميَّة أمَّة أُخْرِجَتْ، أخرَجَها مُخرِج، مَنْ أخرجها؟ مَنْ زرعها؟ مَنْ صنعها؟ إنَّه الله ﷻ، وهي بذلك أمَّــة ربَّانيَّة، والله تعالى يقول: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقــرة: ١٤٣]. أمَّة مجعولة، وليست أُمَّة نبتت لوحدها هكذا من دون شــيء، بل أُمَّة لها هدف وأخرجهــا مُخْرجها لهدف، هذا الهدف أنَّها ليست أُمَّة لنفسها، وليست أُمَّة متقوقعة على ذاتها، ليست أُمَّة تعيش لمصالحها الخاصَّة، بل هي أُمَّــة أُخرجت للناس، خرجت لهداية الناس، لتنوير النّاس، لنفع الناس، لإسعاد الناس، وكلمة النَّاس، أيًّا كان هؤلاء النَّاس عربًا أو عجمًا، في الشــرق أو في الغــرب، بيضًا كانوا أو ســودًا، أغنياء أو فقراء، بغــضِّ النَّظر عن اختلاف الأعــراق، واختلاف

QaradawiBooks.com

الألوان، واختلاف الأقاليم، واختلاف الطبقات، هذه الأُمَّة أخرجت للنَّاس كلِّ النّاس، كما قال الله تعالى لرسوله: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١]. ومن هنا كانت الدعوة إلى الله تبارك وتعالى واجبة على كلِّ مسلم، وواجب الأمَّة المسلمة، وهذا ما استفدناه من قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾. فأوَّل معالم المنهج القرآنيِّ في الدعوة إلى الله هو شمول الدَّعوة.

والدَّعوة كما يرسمها القرآن هي دعوة ربَّانيَّة، ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ [النحل: ١٢٥]. وسواء كان الخطاب مُوجَّهًا إلى مُحمَّد ﷺ، أو لكلِّ مسلم، فهو لا يدعو إلى نفسه، ولا يدعو إلى قومه، ولا يدعو إلى مصلحته، ما بعث الله محمدًا ليدعو النَّاس إلى نفسه، وقد قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩]. ما كان لبشر، ولا لأحد أنْ يبعثه الله ثمَّ يقول للنَّاس: كونوا عبادًا لي من دون الله، لا، بل كان قولهم: كونوا عبادًا لله وحده، كونوا ربَّانيِّين، لم يُبعث رسول يدعو النَّاس إلى عبادته، بل إلى عبادة الله: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾ [نوح: ١ ـ ٣]. العبادة لله، والتقوى لله، والطاعة للرسول بصفته مبلّغًا عن الله، ومن يطع الرسول فقد أطاع الله، كلّ الأنبياء جاؤوا بدعوة واحدة، كان النِّداء الأول في كلِّ رسالة: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [هود: ٥٠]. هكذا قال نوح، وهكذا قال هود، وهكذا قال صالح، وهكذا قال شعيب، ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾. والله تعالى يقول لرسوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥] لم يدع رسول

QaradawiBooks.com

إلى نفسه أو يقول: أنا، لا، ذابت الأنانيَّات البشريَّة لتبقى «أنا» واحدة، كما قال الله لموسى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: ١٤]. كلُّ الأنبياء جاؤوا بهذا، ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]. فهذه هي الربَّانيَّة، الأنبياء جميعًا، والمسلمون هم وَرَثَة الأنبياء.

الإسلام ورث تركة كلِّ رسل الله، والقرآن تركَّزت فيه كلُّ كتب السماء، مُحَمَّد ﷺ جاء ليجمع كلَّ ما في الشَّرائع الأخرى، ما لم يعد يصلح للبشريَّة في مرحلة نضجها وبلوغ رشدها (ولَّى) وبقي ما يصلح للبشريَّة، ولذلك كان عنوان رسالة النبيِّ ﷺ في التوراة والإنجيل: أنَّه يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المُنكر، ويحلُّ لهم الطَّيِّبات، ويُحَرِّم عليهم الخبائث، ويضع عنهم إصْرَهم والأغلال الَّتي كانت عليهم، يُحَرِّرهم من التَّكاليف الثقيلة والأغلال والآثار. لذلك نحن في دعائنا نقول: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]. فجاء هذا النبيُّ ليُقَرِّر هذه القواعد ويُؤَسِّس هذا المنهج في الدعوة إلى الله تبارك وتعالى، ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾. هي إذنْ دعوة إلى سبيل الله، أو طريق الله، أو كما نقول في تعبيرنا العصريِّ: منهج الله، المنهج الإلهيُّ، المنهج الربَّانيُّ، محمد ليس له منه إلَّا التبليغ، هذا منهج الله ﷻ، وجبريل عليه السلام نقل إلى مُحمَّد ﷺ: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ۝ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ﴾ [الشعراء: ١٩٣ ـ ١٩٥]، ﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأعلى: ٦، ٧]، ﴿بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٦٧]. هذا هو المنهج الربَّانيُّ، ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ [النحل: ١٢٥].

أحيانًا القرآن الكريم يطلق السَّبيل وهو يعني الطريق أو الصِّراط، وأحيانًا يُعَبِّر عنه بالصراط الموصِّل إلى الهدف والغاية، وأحيانًا يضاف

QaradawiBooks.com

إلى الله تبارك وتعالى عندما قال في هذه الآية: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾ [النحل: ١٢٥]، وأحيانًا يُضاف إلى مُحَمَّد ﷺ: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ ﴾ [يوسف: ١٠٨]. باعتباره الداعية إلى هذا المنهج، وهو منهج الله بوَصْفَيْن:

الوصف الأوَّل: أنَّ الله هو الَّذي شرع، وهو الَّذي أصدر الأوامر، والنواهي والتوجيهات، وحدَّد الأمور تحديدًا واضحًا للأصول.

والوصف الثاني: أنّ الله هو الغاية، بمعنى أنَّ غاية هذا الطريق هو الوصول إلى الله، وإلى رضوان الله تبارك وتعالى، ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ [النجم: ٤٢].

فمن أجل هذا نقول «إلى سبيل ربِّكَ» و«منهج الله»، كما قال النبيُّ ﷺ، وقد علَّمه ربُّه في أواخر سورة الأنعام: ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۞ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦١ ـ ١٦٣]. فصلاته ونسكه ومحياه ومماته كلُّها لله، فالغاية هي الله تبارك وتعالى، ومن أجل هذا نقول: إنَّه منهج الله. ونستطيع أن نقول: منهج رسول الله؛ لأنَّه هو الدَّاعي إلى هذا المنهج والهادي إليه، ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ ﴾ [يوسف: ١٠٨]. ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۞ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الشورى: ٥٢، ٥٣]. وهذا الصراط هو الَّذي يجب على الأمَّة أن تسلكه وتتبعه ولا تتَّبع السُّبُل ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾، بينما السُّبل الأخرى على رأس كلٍّ منها شيطانٌ يدعو إليه، كما روى ابن مسعود عن النّبيِّ ﷺ، قال: «خَطَّ لنا رسولُ الله ﷺ»، وكان النبيُّ ﷺ يُعلِّم أصحابه بما نُسَمِّيه في علم التَّربية الآن «وسائل الإيضاح»، حيث لم يكن هناك في ذلك الزَّمن لا لوح ولا سبُّورة

QaradawiBooks.com

ولا أدوات العرض، إنَّما كان يخُطّ على الرَّمل، خطَّ رسول الله خطًّا مستقيمًا وقال: «**هذا صراط الله**»، ثم خطَّ عن يمينه وعن شماله خطوطًا مُتعَرِّجة ملتوية، وقال: «**هذه سُبلٌ، على رأس كلٍّ منها شيطانٌ يدعو إليه**»، ثمَّ تلا قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣][1]. السُّبل المُنْحَنِية والمُلتوية هذه اتركوها؛ لأنَّ على رأس كلٍّ منها شيطانًا يدعو إليه، فهذا الصِّراط هو الَّذي يجمع الأمَّة ولا يُفرِّقها، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. هذا السَّبيل أو هذا الصِّراط أو هذا الطريق، يجب أنْ يتميَّز عن السُّبل الأخرى، وهذا سبيل الله، وسبيل محمَّد ﷺ، أو منهج مُحَمَّد، ويمكن أنْ يضاف إلى السَّالكين أنفسهم، إلى المؤمنين، ولذلك نحن نقول كما جاء في سورة الفاتحة: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الآيتان: ٦، ٧]. الَّذين أنعمت عليهم، الَّذين هداهم الله إلى هذا الصِّراط، أو هذا السبيل، أو هذا المنهج، ولذلك يقول: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ﴾ [لقمان: ١٥]. وفي سورة النساء: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ﴾ [النساء: ١١٥]. هناك سبيل المؤمنين، وفي مقابلها سبيل المجرمين، ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٥]. لا بدَّ أن يكون طريق الضَّلال واضحًا أمام المؤمنين، خصوصًا المؤمن الَّذي يدعو إلى الله، ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾. ومن هنا لكي يدعو الداعية إلى الله على

(١) رواه أحمد (٤١٤٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. والنسائي في الكبرى في التفسير (١١١٧٤)، وابن حبان في المقدمة (٦)، وقال الأرناؤوط: إسناده حسن. والحاكم في التفسير (٢/٢٣٩)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي.

QaradawiBooks.com

بصيرة، يجب على الداعيــة أنْ يتفقَّه في دِينه حتَّــى تكون دعوته على بصيرة، وعلى بَيِّنة، وعلى نــورٍ، وعلى وضوح، «**من يــرد الله به خيرًا يُفَقِّهْه في الدِّين**»[١].

مشــكلة الكثير من الدُّعاة أنَّهم لم يتفقَّهوا في دِينهــم، ولم يعرفوا ما يجب أنْ يتثقَّف به الدَّاعية حتَّى يدعوَ إلى الله على بصيرة.

كنتُ أتحدَّث مع الإخوة الدكتور محمد أحمد الشريف وإخوانه قبل أنْ آتي إليكــم، وقلت لهــم: إنَّني ألَّفــت كتابًا منذ زمن اســمه «ثقافة الداعية»، قلتُ فيه: إنَّ على الداعية أنْ يتســلَّح بستَّة أنواع من الثقافات: الثقافة الدينيَّة، والثقافــة اللغويَّة والأدبيَّة، والثقافــة التاريخيَّة، والثقافة الإنســانيَّة (العلوم الإنســانيَّة)، والثقافة العلميَّة، والثقافة الواقعيَّة (ثقافة الواقع).. ينبغي أن يعرف الواقع، فهناك كثير من الدُّعاة لا يعرف الواقع، ولا يعرف واقعَ مَنْ يدعوهم، فكيف تدعو النَّاس وأنت لا تعرف ما الَّذي يحتاجون إليه، هذا أمر مهمٌّ جدًّا.

وقد رسم القرآن المنهج أو المَعْلَم الثالثَ من معالم المنهج، فقال: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥]. بالحكمة، والحكمة أنْ تضع الشــيء في موضعه المناسب، وفي زمانه المناسب، وفي موضوعه المناسب. وقد أثنى الله على لقمان بقوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ [لقمان: ١٢]. والقرآن هنا عندما قــال: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ ﴾ لــم يصف الحكمة بشــيء، بينما الموعظة وصفهــا بأنَّها ﴿وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾، وهو لــم يصف الحكمة بأنَّها حســنة، ولا الحكمة الجيِّدة، لم يصفها، يكفي أن تكون الحكمة

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في العلم (٧١)، ومسلم في الزكاة (١٠٣٧) (٩٨)، عن معاوية.

QaradawiBooks.com

﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]. ولذلك ربُّنا أنزل على مُحَمَّد ﷺ الكتاب والحكمة وجعل من وظيفته أنَّه يُعَلِّم النَّاس الكتاب والحكمة، ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢]. وهذا مذكور في أربع آياتٍ من القرآن الكريم، تعليم الكتاب والحكمة، ولذلك الدَّاعية ينبغي أنْ تكون دعوته بالحكمة، لا بدَّ أن يختار موضوعه بعناية بحيث يكون مناسبًا للمخاطبين، ولا يخاطب النَّاس بما لا يفهمون. سيِّدنا عليٌّ رضي الله عنه يقول: «حدِّثوا النَّاس بما يعرفون، ودَعوا ما يُنكرون، أتريدونَ أنْ يُكَذَّب الله ورسوله؟»[(١)]. وسيِّدنا عبد الله بن مسعود يقول: «ما أنت بمُحَدِّث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم، إلَّا كان لبعضهم فتنة»[(٢)]. والله تعالى يقول: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤].

الحقيقة أنّني أفهم من هذه الآية أكثر وأبعد وأعمق ممَّا يُفهم من ظاهرها، فظاهرها أنَّك تُكَلِّم الإنجليز بالإنجليزيَّة، والرُّوس بالرُّوسيَّة، والصينيِّين بالصينيَّة، هذا صحيح، ولكن الآية تقول: حَدِّث كلَّ قومٍ بلسانهم، حدِّث العوامَّ بلسان العوامِّ، وحدِّث الخواصَّ بلسان الخواصِّ، وحدِّث الحَضَر بلسان أهل الحَضَر، وحدِّث البدوَ بلسان أهل البَدْو، حدِّث النَّاس في الغرب بلسان أهل الغرب، وحدِّثهم في الشرق بلسان أهل الشرق، حدِّث النَّاس في القرن الحادي والعشرين بلسان القرن الحادي والعشرين، ولا تُحَدِّثهم بلسان قرون مضت، هذا معنى بلسان قومه ليُبَيِّن لهم، إنَّما تذهب لتُكَلِّم النَّاس في المدينة عن مشاكل القرية،

(١) رواه البخاري في العلم (١٢٧)، عن علي بن أبي طالب موقوفًا.

(٢) رواه مسلم في المقدمة (١١/١).

QaradawiBooks.com

أو العكس، فهذا ليس من الحكمة في شيء، أو أن تُحدِّث النَّاس في بلاد الغرب عن أشياء وتقول لهم مثلًا: إنَّ الإسلام جاء بالحُرِّيَّة والدِّيمقراطيَّة، وهم عندهم الحُرِّيَّة والديمقراطيَّة، ونحن مشكلتنا أنَّه ليس لدينا الحُرِّيَّة والديمقراطيَّة، فعندنا الرؤساء الَّذين يحصلون في الانتخابات على (٩٩٪) و(٩٩,٩٩٪) ـ الأربع تسعات ـ المعروفة، أعني أنَّ مثل هذا الحديث ليس مناسبًا، ابحث عمَّا يحتاج النَّاس إليه، بعضهم ذهب إلى أمريكا وألقى محاضرة حمل فيها حملة شعواءَ على الَّذين يبنون الأضرحة للأولياء، ويزورون هذه الأضرحة وينذرون لها ويطوفون حولها!

يا إخواني، أمريكا ليس فيها أضرحة ولا أولياء إلَّا إذا كان بوش وأمثاله هم أولياء الله الصالحين!

أعني أنَّه لا بدَّ أن يراعي الداعية من يُخاطب، الرسول ﷺ أرسل معاذ بن جبل إلى اليمن فقال له: «**يا معاذ، إنَّكَ تأتي قومًا أهل كتاب، فليكن أوَّل ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إلٰه إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله، فإذا هم عرفوا الله، فأَعْلِمْهم أنَّ الله افترضَ عليهم خمسَ صلوات في اليومِ والليلة، فإنْ هم أجابوك لذلك فأخْبِرْهم أنَّ الله افترضَ عليهم في أموالهم صدقةً تؤخذُ من أغنيائهم لتُرَدَّ على فقرائهم**»[1]. هكذا كانت الطرق الصحيحة للدعوة.

أوَّلًا: نبَّهَه فقال له: «**إنَّك تأتي قومًا أهل كتاب**»، بمعنى: انتبه، فهؤلاء ليسوا كالعرب الأُمِّيِّين، بل هم قوم ورثوا كتبًا وعندهم علم، فلا تُكَلِّمهم بما تُكَلِّم به العرب الأُمِيِّين، ثمَّ ابدأ بالتدريج، فأوَّل شيء أسَّس أساس البناء «العقيدة». وهناك الكثير من العلماء يناقشون النَّاس في الفروع وهم

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الزكاة (١٤٩٦)، ومسلم في الإيمان (١٩)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

لم يُثَبِّتوا بعدُ الأصول، فهذا كلام لا قيمة له ولا وزن له، ابدأ بالتأسيس، تأسيس الأصول والقواعد، الرَّكائز الَّتي سيقوم عليها البناء أوَّلًا، فليكن أوَّل ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إلٰه إلا الله، فإنْ هم عرفوا الله، فبذلك يكونون قد استجابوا لهذه العقيدة ودخلوا في الإسلام، ثمَّ ابدأْ في تعليمهم الفرائض، وأوَّل فريضة تُعَلِّمهم إيَّاها الصلاة؛ لأنَّ هذه عبادة يوميَّة، ثُمَّ عَلِّمْهم الزكاة بعد سَنَة، أو بعد حَوْل، أو بعد أن يأتي الحصاد أو نحو ذلك، فتلك فرائض ليست مستعجلة، إنَّما الصلاة هي المستعجلة، علِّمهم الصلاة، وهذا المنهج في الدعوة يَدُلُّنا على شيءٍ اسمه «فقه الأوْلويَّات»، الَّذي يعني أنَّك تعطي لكلِّ شيءٍ مرتبته في الشرع، فالشَّرع أعطى درجات (إن جاز هذا التَّعبير) لكلِّ عمل، يعني أنَّ الأعمال ليست في مرتبةٍ واحدة، والنبيُّ ﷺ قال: «**الإيمان بضعٌ وسبعون شعبةً، أعلاها: لا إلٰه إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبةٌ من الإيمان**»[1]. فهناك «أعلى»، وهناك «أدنى»، وهناك «وسط»، فلا يجوز أن نجعل الأعلى أدنى، والأدنى أعلى، (نقلب الشجرة)، نجعل الفرع أصلًا، أو جذعًا.. لا، الله ﷻ يقول: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١٩]. فابدأ بالأصول، ثم بالفروع، بالكليَّات ثمّ بالجزئيَّات، بالعقائد ثمَّ بالفرائض، والفرائض ابدأ بالفرائض الرُّكنيَّة، وبالرُّكنيَّة ابدأ بالصلاة، ثم بعد ذلك بالواجبات، ثمَّ بعد ذلك بالسُّنَن، وبعد ذلك بالمستحبَّات، وكذلك في المنهيَّات، هناك بعض النَّاس أوَّل ما يبدؤون يبدؤون بالشيء المُخْتَلَف فيه، وليس بالمُتَّفَق عليه، مثل بعض الإخوة الَّذين ذهبوا إلى البوسنة وكوسوفو وألبانيا، وكان أوَّل شيء يبدؤون به هو طلبهم من المرأة أنْ

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (٩) مختصرًا، ومسلم (٣٥)، كلاهما في الإيمان، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

تنتقب، بينما العالم كلُّه يعرف أنَّ المرأة هناك كانت تحت حكم الشيوعيَّة، وكانت لا تكاد تُغَطِّي نفسها، وكان واحد من هؤلاء الإخوة قد أخذ معه (٥٠٠٠) نقاب، يعني أنَّه كان مستعدًّا منذ البداية، ثم طلب من الرجال أنْ يُطْلِقوا لحاهم وألَّا يأخذوا منها شيئًا، وأن يُقَصِّروا الثَّوب، وتجاهلوا أنَّ هؤلاء قومٌ لا يعرفون ألفَ باء الإسلام بعدُ، جُهِّلوا بالإسلام تحت وطأة الحكم الشيوعي حوالي (٥٠) سنة أو يزيد، فنحن مفروضٌ أن نأخذهم بالرِّفق، والرفق أيضًا من الحكمة، والله تعالى يقول لرسوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. فانظروا، الرسول المؤيَّد بالوحي والمعجزات، يقول له: لو كنت فظًّا غليظ القلب لانفضَّ النَّاس من حولك، النَّاس لا تطيق الفظَّ ولو كان من رسول الله، ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾. يقول النبيُّ ﷺ: «**ما دخل الرِّفْقُ في شيءٍ إلَّا زَانَه، ولا نُزِعَ من شيءٍ إلَّا شانَه**»(١). ويقول: «**إنَّ الله يحبُّ الرِّفْق في الأمر كُلِّه**»(٢). وقال هذا لأمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها حينما دخل عليه جماعة من اليهود وقالوا: «السَّام عليكَ يا محمد».. حرَّفوا ألسنتهم، بدلًا من أنْ يقولوا: السلام عليك، قالوا: «السَّام عليك». والسَّام يعني الهلاك والموت، فقال النبيُّ ﷺ: «**وعليكم**». فقالت عائشة: «وعليكم السام واللعنة يا أعداء الله». فقال لها: «**يا عائشة، إنَّ الله يحبُّ الرِّفْقَ في الأمر كُلِّه**». فقالت: ألَمْ تسمع ما قالوا يا رسول الله؟ قال: «**بلى سمعتُ، فقلت لهم: وعليكم**». قالوا: عليك السام: الموت والهلاك، قلت: عليَّ وعليكم، ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]. حلَّ ﷺ المشكلة بسهولة: «الرفق»، وهذا أيضًا من الحكمة.

---

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٩٤)، وأحمد (٢٤٣٠٧)، عن عائشة.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠٢٤)، ومسلم في السلام (٢١٦٥)، عن عائشة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ومن الحكمة أنْ تعرف ما يحتاج إليه المخاطبون، وأنْ تتدرَّج معهم شيئًا فشيئًا، فالإسلام لم يتمَّ في سنةٍ واحدة، القرآن نزل في (٢٣) سنة: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ۝ وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٢، ٣٣]. ليردَّ على التّساؤلات ويتمشَّى مع الأمَّة مرحلة مع مرحلة، ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا﴾ [الإسراء: ١٠٦]. التدرُّج هو سنَّة من سنن الله، وكذلك الفرائض لم تفرض مرَّةً واحدة، فأوَّل شيء كان بدءَ التأسيس العقائديِّ، إرساء عقيدة التوحيد والإيمان بالله واليوم الآخر، في القرآن المَكِّي حوالي ثمانين سورة، حاول أوَّلًا تأسيسَ هذه الركائز، ثمَّ بدأ بالفرائض، بعد عشر سنين، وفي رحلة الإسراء والمعراج فُرضت الصلاة، وبعد ذلك فُرضت الفرائض، يعني شيئًا فشيئًا، حتَّى الصلاة قالوا: إنَّها فُرضت ركعتَيْن ركعتَيْن، فأُقِرَّت في السَّفر وزِيْدَتْ في الحَضَر، والصيام شُرِع في الأوَّل على التَّخيير ثم أُلزم به، والمُحَرَّمات، حُرِّمت بالتدريج، وهكذا، فلا بدَّ أن نأخذ النَّاس بالتدريج؛ لأنَّ التدرج سُنَّة كونيَّة، وسُنَّة شرعيَّة، سُنَّة كونيَّة لأنَّ الله لم يخلقنا مرَّة واحدة، بل خلقنا من نطفة: ﴿ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]. وبعد ذلك نزل رضيعًا، ففطيمًا، فغلامًا، فيافعًا، فشابًّا، فكهلًا، وكذلك الحياة، البذرة تنبت، ثمَّ النبتة تُورق، ثمَّ الورقة تُزْهر، ثمَّ الزهرة تُثْمر، ثمَّ الثمرة تنضج، ثمَّ بعد أنْ تنضج تُقطف، هكذا هي سنَّة كونيَّة وسنَّة شرعيَّة، ولذلك من حكمة الداعية أنْ يأخذ النَّاس بالتدرُّج، وأنْ يأخذهم بالرِّفق وباللِّين.

دخل رجل على المأمون فقال له: يا ظالم.. يا فاجر.. يا كذا.. أَمَا تتَّقي الله؟ كان المأمون على علم، فقال له: يا هذا، إنَّ الله بعث من هو

QaradawiBooks.com

خيرٌ منكَ إلى من هو شرٌّ مِنِّي، وأمَرَه بالرفق. قال: بعث من؟ قال: بعث موسى وهارون وهما خيرٌ منك إلى فرعون وهو شرٌّ منّي، قال: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۞ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طـه: ٤٣، ٤٤]. ولذلـك سَيِّدنا موسى عندما ذهب إلى فرعون قال له: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۞ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ [النازعات: ١٨، ١٩]. انظر طريقة العرض، أخذه بهذا الأسلوب، وهذا كلُّه مـن الحكمة الواجبة فـي الدعوة إلى الله، فأوَّل أسـلوبٍ هو الحكمة، والحكمة هي الأسـلوب الَّذي يخاطب العقول لتفهم وتقتنع، ومن خصائص الحكمة أنّها مخاطبة للعقول، وتخاطب أولي الألباب.

والقرآن ليس كتابًـا مُهمَّته فقط اسـتثارة عواطف النـاس، بل هو وبالدرجة الأولى يخاطب عقـول الناس، ويقنع النـاس، وهو الكتاب الوحيد من الكتب الدينيَّة المعروفـة الَّذي نوّه بالعقل وبالفكر وبالحجَّة وبالبرهان، اقرأ التـوراة أو الإنجيل لن تجد فيهما هـذه الألفاظ، وهي بالعشرات والمئات في كتاب الله، وأنا لي كتاب اسمه «العقل والعلم في القرآن الكريم» ذكرت فيه نصوصًا لا تُحْصَى فـي هذا المجال، ويقول القرآن: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [النمل: ٦٤].

قد تجد في المسـيحيَّة من يقول لك: «اعتقـدْ وأنت أعمى»، أو «آمِنْ ثم اعْلَمْ»، و«أغمِضْ عينَيْـكَ ثم اتْبَعْني»، وعندنا المُحَقِّقون من علماء المسلمين يقولون: إيمان المُقَلِّد غير مقبول. وقد كنَّا في الأزهر ندرس في كتاب اسـمه «الجوهـرة في التوحيد»، وهـو منظومة في التَّوحيد، وفيه كنَّا نقرأ:

وكُلُّ مـن قَلَّد فـي التَّوْحِيدِ إيمانُه لم يَخْلُ مـن تَرْدِيدِ[1]

(١) حاشية البيجوري على الجوهرة صـ٧٦، نشر دار السلام للطباعة والنشر، ط١، ٢٠٠٢م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فلا بدَّ أن تؤمن بالبرهان الإجمالي، فالقرآن يأمر بالدعوة إلى الله بالحكمة الَّتي تخاطب العقول وهو الأسلوب الأوَّل.

والأسلوب الثاني في الدعوة هو الموعظة الحسنة: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥]. الموعظة الحسنة الَّتي تُحرِّك القلوب وتهزُّ العواطف، لا بدَّ أن نخاطب الكِيان الإنسانيَّ؛ فالإنسان ليس عقلًا فقط، بل هو عقل وعاطفة، عقل ذكيٌّ وقلب نقيٌّ، هكذا يريد الإسلام من الإنسان، فخاطب الإنسان بكينونته كلِّها بالموعظة الحسنة، استمال قلوب النَّاس وحرَّك عواطفهم نحو الإسلام، والقرآن وصف الموعظة هنا بالحسنة، أمَّا الحكمة فلم يُضِفْ إليها شيئًا، قال بالحكمة فقط، أمَّا الموعظة فقال: ﴿وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ﴾. حثَّ على الموعظة الحسنة؛ لأنَّه ربَّما بعض النَّاس يَعِظون بموعظة سيِّئة تضرُّ أكثر ممَّا تنفع، وتهدم أكثر ممَّا تبني، وتُميت أكثر ممَّا تُحيي، لأنَّ الموعظة ليس أنْ تقول كلامًا يناقض العقول، أو يناقض العلم، أو يناقض الواقع، هذه ليست موعظة، إنّما لا بدَّ أن تكون موعظة حسنة، وبعض النَّاس يقرؤون كلمة ﴿وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ﴾، وكأنَّ نظرهم ضعيف فيرونها: «والموعظة السَّيِّئة»، فهو لا يعرف حُسْنَ الموعظة، فيخاطبون النَّاس (بجلافة)، وبما يستفزُّهم ويستثيرهم ضدَّه، وما هكذا يكون الداعية!

الداعية مهمَّته أنْ يجذب قلوب الناس، ولذلك فإنَّ ﴿وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ﴾، حُسْنُها قد يكون في أسلوبها، أو في اختيار موضوعها، أو في أنَّها موعظة مُؤَثِّرة، أو أن يراعي الدَّاعية الملابسات من حوله، الحُسْن ليس له صفة معيَّنة، نقول: الموعظة الحَسَنة هي كذا، هذا يرجع لفطرة الداعية ولموهبته وقدرته على معرفة النَّاس الَّذين يخاطبهم، فيخاطبهم بالموعظة

QaradawiBooks.com

الحسنة، كما قال الله تعالى لرسوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا﴾ [النساء: ٦٣]. هذا القول البليغ في أنفسهم يصل لأعماق النفس، وهذه هي الموعظة الحسنة.

يأمره أن يتعامل معهم بأسلوبين:

الأسلوب الأوَّل: «**الحكمة الَّتي تخاطب العقول**».

والأسلوب الثاني: «**الموعظة الَّتي تخاطب القلوب**»، وبهذا يتكامل الأسلوبان بعضهما مع بعض، فهناك من ينبغي أنْ تُغَلِّب أسلوب الحكمة في مخاطبتهم، مثل الخواصِّ، وهناك غيرهم يجب أنْ تُغَلِّب أسلوب الموعظة في مخاطبتهم مثل العوامِّ، لا تتعمَّق معهم وتدخل في مواضيع لا يفهمها النَّاس (تتفلسف عليهم)، لا.. بل خاطبهم بالقدر الَّذي يفهمونه، لا تسْتَعْلِ عليهم، يعني أنَّ هناك من يحبُّ أنْ يُظْهر نفسه على أنَّه مُثَقَّف ثقافة واسعة وعميقة، وعنده معارف عميقة فيستعرض عضلاته على هؤلاء الناس، لا.. ارفق بهم، ﴿وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا﴾، حكمة بالموعظة الحسنة.

والأسلوب الثالث: «**الجدال بالَّتي هي أحسن**» **الموعظة الحسنة والجدال** بالَّتي هي أحسن، لم يقل: الجدال الحَسَن، بل قال: «الجدال بالَّتي هي أحسن». لماذا؟ لأنَّ الموعظة تكون مع الموافقين، والجدال مع المخالفين، ولذلك يجب أنْ تترفَّق بالمخالفين وتخاطبهم بالطريقة الَّتي هي أحسن، لو كانت هناك طريقتان، طريقة حسنة وجيِّدة، وطريقة أحسن منها وأجود، فعليك أنْ تخاطب هؤلاء بالطريقة الَّتي هي أحسن وأجود، اختيار الموضوع، والمعاني، والألفاظ، والوقت، بالَّتي هي أحسن وليس بالَّتي هي أخشن، ولذلك القرآن يعطينا نماذج من المحاورات، في سورة

QaradawiBooks.com

سبأ يقول للمشركين: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤]. والرسول يريد أنْ يرخي لهم العِنَان وأن يُقَرِّبهم إليه: ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [سبأ: ٢٥]. كان مقتضى المقابلة أنْ يقول: قل لا تسألون عمَّا أجرمنا ولا نسأل عمَّا تُجرمون. لكن السياق القرآني لم يشأ أن ينسب إليهم الإجرام وأنْ يصفهم بهذا الإجرام.

انظر إلى أيِّ مدًى يبلغ الإحساس بالآخر، ما ينبغي أنْ تُخاصمه، أو تغلبه، وتفحمه، وتهزمه، لا.. أنت مطالب بمراعاة نفسيَّته، فالنَّفس الإنسانيَّة لها كبرياؤها، وهي لا تستسلم بسهولة، وعندما تحاول أنْ تهزم هذا الكبرياء ستعاندك، لكن خذها بالرِّفْق: ﴿لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [سبأ: ٢٥]. ولذلك القرآن يقول: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦]. ومعنى هذا أنَّنا يجب أنْ نذكر في مقام الحوار والجدال هذه الجوامع المشتركة، ولا نُرَكِّز على نقاط التَّمَايُز والاختلاف.

وعندما نخاطب النَّصارى مثلًا لا نقول: لماذا تقولون: إنَّ المسيح ابن الله، أو إنَّ المسيح إلٰه، أو إنَّه كذا؟ فنحن نعرف هذا، بل يجب أنْ نذكر الأشياء الَّتي نتَّفق معهم فيها.

حدث أنَّني كنتُ مَدْعُوًّا للمشاركة في مؤتمر أسْمَوْه «**مؤتمر القمَّة الإسلاميَّة المسيحيَّة**» في روما في شهر أكتوبر من العام الماضي، وقلت لهم: إنَّ لدينا ثلاثة مجالات من الممكن أنْ نتعاون فيها، وهذه المجالات هي:

المجال الأوّل: مقاومة المادِّيَّة والإلحاد والجحود بالله تبارك وتعالى، فهناك أناس لا يؤمنون بالله ولا بالدَّار الآخرة ولا بالنُّبُوَّات، والفكرة

QaradawiBooks.com

المادِّيَّة والفلسفة المادِّيَّة الَّتي تقول ليس صوابًا أنَّ الله خلق الإنسان، ولكن الصواب أنَّ الإنسان هو الَّذي خلق الله، فقلت لهم: تعالوا نتعاون ضدَّ هذه الأفكار المادِّيَّة الإلحاديَّة.

المجال الثاني: التَّعاون والتَّفاهم بيننا لمكافحة الإباحيَّة، التَّحلُّل من الأخلاق والقيم الَّتي جاءت بها كلُّ النُّبوَّات وكلُّ الرسالات، وللأسف فالحضارة الغربيَّة تتبنَّى هذه الإباحيَّة، وتتبنَّى العُرْي، وهذه ليست حضارة مسيحيَّة، ذلك أنَّ المسيح يقول في الإنجيل: «قد كان من قبلكم يقولون: لا تزنِ، وأنا أقول لكم: من نظر بعينه فقد زنى»[١]. وهي نفس الفكرة الَّتي ينطلق منها الحديث الشريف: «**العَينان تزنيان وزناهما النظر، واليدان تزنيان وزناهما اللمس، والرِّجْلان تزنيان وزناهما المشي، والفرج يُصَدِّق ذلك أو يُكَذِّبه**»[٢]، من نظر بعينه فقد زنى، فالمسيحيَّة لا تقرُّ كلَّ هذه الإباحيَّة، ولا تقرُّ هذا العُري، الَّذي وصل إلى عُرْيٍ مطلق له نوادٍ وشواطئ خاصَّة به، إضافة للشُّذوذ الجنسي، وزواج الرجال بالرجال والنساء بالنساء، وهذا ينبغي أنْ تقف الأديان ضدَّه وضدَّ هذه الإباحيَّة. وقد وقفت الكنيسة الكاثوليكيَّة، ومندوب الفاتيكان مع مندوب الأزهر، ومندوب رابطة العالم الإسلاميِّ، والثَّورة الإسلاميَّة في إيران، ومندوبي الجمعيَّات الإسلاميَّة، وقفوا في مؤتمر السُّكَّان بالقاهرة في صيف (١٩٩٤م)، كلُّهم وقفوا جنبًا إلى جنب مع الكنيسة في مقاومة الإجهاض، ضدَّ إباحة الإجهاض والإباحيَّة الجنسيَّة.

والمجال الثالث هو: مجال حقوق الإنسان، والمظالم الإنسانيَّة، فيجب أن نقف ضدَّ الظلم، ضدَّ البغي، ضدَّ الطغيان، ضدَّ هؤلاء المستكبرين في

---

(١) إنجيل متى (٥/٢٨، ٢٩).

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الاستئذان (٦٢٤٣)، ومسلم في القدر (٢٦٥٧)، عن أبي هريرة.

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

الأرض بغير الحقِّ، يجب أنْ نقول لهم «لا»، فما يجري في فلسطين من مآسٍ ومن مذابح ومصائب تقشعرُّ منها الأبدان، وتشيب من هولها الولدان، ينبغي أنْ يُنكر، أهل الدِّين ينبغي أنْ ينكروا هذه المظالم.

هناك ـ إذنْ ـ أشياء يمكن أن نشترك فيها، وهنا نعود إلى قول القرآن الكريم: ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾ [العنكبوت: ٤٦]. هناك أشياء مشتركة يجب أنْ نُرَكِّز عليها.

وكُنَّا منذ أشهر في أحد المؤتمرات وقام أحد المحاضرين وقال: نحن ليس بيننا وبين أحدٍ حوار، إنّما هي الدعوة، نحن ندعوهم إلى الله، ولا نحاورهم، وليس هناك دينٌ غير دين الإسلام، فلا هناك أديان سماويَّة ولا دين كتابيٌّ، هناك دين واحد فقط مستندًا على قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]. فقلت لرئيس المؤتمر وكان يجلس بجواري: هذا كلامٌ خطير لا ينبغي أنْ يقال، فهذا الكلام يُصَوَّر ويُنْقل إلى العالم كلِّه، ونحن في عالمٍ أصبح فيه الَّذي يتكلَّم في قرية في إندونيسيا أو نيجيريا أو السودان أو صعيد مصر، نجد صحف العالم ومرئيَّاته تنقل كلامه، ونحن نعيش في عالم تقارَبَ وتقارَبَ حتَّى أصبح العالم يطلق عليه «قرية كبرى»، وهو قرية صغرى، لأنَّ القرية الكبرى لا يعلم النَّاس ما يحدث في شرقها أو غربها إلَّا بعد يوم أو يومين، ونحن أصبحنا نعرف الأحداث بعد لحظات من وقوعها وقد نتابعها وهي تحدث أمامنا في نفس الوقت، ثمَّ من قال: إنَّه ليس هناك أديان أخرى؟ فالله تعالى يقول للمشركين الوَثَنِيِّين: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦]، وقال لأهل الكتاب: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ﴾ [المائدة: ٧٧]. ثم كيف ليس هناك حوار والله تعالى يقول: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]؟ فنحن مأمورون بالحوار، وليس لنا الخِيَرة في ذلك، بل المطلوب أن نتجادل، قد يقول أحدٌ: إنَّ الجدال غير

QaradawiBooks.com

الحوار، وأنا أقول: إنَّ الجدال هو الحوار، ألَمْ تقرأْ قول الله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ [المجادلة: ١]؟ فالجدال هو الحوار، فلا بدَّ أن نحاور الآخرين وأنْ يكون حوارنا بالَّتي هي أحسن، هذا هو الخطاب الدِّيني كما يُسمُّونه الآن في عصرنا الحاضر، ويجب أن نلتزم بهذه المنهجيَّة القرآنيَّة الرَّبَّانيَّة، وهذا هو الخطاب الَّذي نستطيع أن نخاطب به العالم في عصرنا.

بعض النّاس يقولون: إنَّ الخطاب الديني في عصر العولمة يجب أنْ يَتَغَيَّر، والحقيقة هي أنَّه يحب أن يلتزم، وليس يتغيَّر، يلتزم بالمنهج المستقيم السليم، فهذا المنهج صالح لما بعد العولمة وما قبلها، لو أنَّنا فهمنا هذا المنهج حقَّ الفهم، نستطيع أن نخاطب به الأمريكان ونخاطب به الرُّوس والصِّينيِّين والعالمَ كلَّه، ولكن مشكلتنا في مثل هؤلاء النَّاس أنَّهم لم يفهموا دينهم ولم يفهموا عصرهم، على الإنسان أنْ يفهم الإسلام كما ينبغي، ويفهم العصر والواقع، ينظر إلى الإسلام وتراثه بعين، وينظر إلى الواقع والعصر بعينٍ أخرى.

كان السَّلف رحمهم الله يقولون: «رَحِم الله امرأً عرف زمانه واستقامت طريقته»[1]. ويقولون: «ينبغي أنْ يكون المؤمن عارفًا بزمانه، حافظًا للسانه، مقبلًا على شأنه، إلخ»[2]. فلا بدَّ أنْ يعرف الإنسان زمانه، حتَّى إنَّ الفقهاء قالوا: إنَّ الفتوى تتغيَّر بتغيُّر الزمان والمكان والعرف والعوائد والحال، إلخ. وأسلوب الدعوة ينبغي أنْ يتغيَّر، أنْ يعرف الإنسان عصره، ويعرف موقعه، ويخاطب النَّاس بما يحتاجون إليه وبما يفهمون، وليس معنى أنْ

(١) انظر: فيض القدير للمناوي (٢٩/٤)، نشر المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١، ١٣٥٦هـ.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في الصمت (٣١)، عن وهب بن منبه.

QaradawiBooks.com

نُغَيِّر الخطاب الديني أنَّنا نبحث عمَّا تريده أمريكا منَّا، فإذا كانت تريد منَّا أنْ نحذف آيات الجهاد من القرآن الكريم، وأحاديث الجهاد من البخاريِّ ومن كتب الفقه، فهذا أمرٌ مرفوض، وإذا كانت تريد مِنَّا أن نحذف الغزوات من سِيرة الرسول ﷺ وخصوصًا غزوات بني قَيْنُقاع وبني قُرَيْظة وبني النَّضِير وخيبر وغيرها، فهذا أمرٌ مرفوض، وإذا كان المقصود حذف خالد بن الوليد وطارق بن زياد وصلاح الدين الأيُّوبيِّ وقُطُز وعمر المختار وعزِّ الدين القسَّام من تاريخنا، فهذا مرفوض، ليس مُهِمَّتنا أن نُكَيِّف إسلامنا، ونُكَيِّف ثقافتنا على هوى أمريكا، نحن لنا دِينُنا ولها دِينُها، لها قِيَمُها ولنا قيمنا، نحن نقف على أرض صلبة ونعتمد على كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، مصادرنا محفوظة ومصونة، لم يتطرَّق إليها تغييرٌ ولا تبديل، فعلينا أن نعتزَّ بهذا، وأن نعرف عصرنا ونعرف واقعنا، والداعية المُوَفَّق والعالم هو الَّذي يمازج بين الواجب والواقع، فلا يعيش فيما يجب ألَّا يكون دون أن يعرف ما هو كائن، لا بدَّ من هذا.

هذا هو أيُّها الإخوة المنهج الرَّبَّاني باختصار كما رسمته هذه الآية الكريمة، وعلى الداعية المعاصر أن يدرس هذا المنهج ويلتزم به، ويكون كما أراد الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]. وكما خاطب الله تعالى رسوله بقوله: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

أقول قولي هذا وأستغفر اللهَ لي ولكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

إجابة الدكتور القرضاوي على أسئلة المحاضرة

غير مرخصة للطباعة

سؤال حمزة ميغا:

سؤال من الطَّالب «حمزة ميغا»، وهو طالب في الدراسات العليا يقوم بإعداد أطروحة «ماجستير» في «منهج الدعوة الإسلاميَّة في العالم المعاصر» واتَّخذ من الشيخ **أحمد ديدات** نموذجًا.

الطالب حمزة ميغا: أبدأ بتقديم واجب الشكر لضيفنا الكبير الدكتور يوسف القرضاوي، كما أتقدَّم بالشكر إلى جمعيَّة الدَّعوة الإسلاميَّة العالميَّة الَّتي أتاحت لنا فرصة هذا اللقاء، كما أشكر كذلك كُلِّيَّتنا الموقَّرة الكريمة على هذه البرامج وهذه النشاطات الَّتي نحن في أمَسِّ الحاجة إليها.

الحقيقة أنَّ المحاضرة كانت مفيدةً للغاية، وقد كنتُ بصددِ إعدادي للرِّسالة مهمومًا بقضيَّة الحوار الإسلامي المسيحي، ومنهج الشيخ أحمد ديدات خاصَّة، وأظنُّ أنَّني كتبتُ إليكم عبر البريد الإلكتروني أسأل عن رأيكم في هذا المنهج؛ لأنَّني حاولت أنْ أدرس المنهج من شتَّى جوانبه، فلفت انتباهي أنَّه من الأهمِّيَّة بمكانٍ أنْ أسأل المُتَخَصِّصين وكبار دعاة العالم الإسلاميِّ في هذا الشَّأن، وفي هذا الخصوص وجَّهت بعض الرسائل وجاءتني بعض الأجوبة، ولكنِّي انتظرتُ طويلًا ردَّكم الَّذي ربَّما كان سبب تأخُّره انشغالاتِكم ومهامَّكم العديدة والكثيرة، الأمر الَّذي لم يسمح لكم بالرَّدِّ على سؤالي.

والأمر الَّذي أريد أنْ أعرفه منكم فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي: بعد أنْ قرأتُ كتابكم «**أولويَّات الحركة الإسلاميَّة في المرحلة القادمة**» لمستُ أنَّ هناك نوعًا من الفرق عندكم بين المناورة وبين الحوار أو

QaradawiBooks.com

الجدال نوعًا ما؛ لأنَّني فيما فهمتُ فإنَّ المناظرة تقوم على نوعٍ من الخشونة ونوعٍ من الانفعال نوعًا ما قد لا يتماشى مع المنهج الإسلامي الصحيح فيما فهمته، إنْ صحَّ هذا الفهم، وقلتُ في نفسي استنتاجًا: ربَّما شيخنا ممَّن لا يستريحون لهذا المنهج الَّذي سلكه الشيخ أحمد ديدات ـ عجَّل الله بشفائه ـ فيما يخصُّ هذا الجانب.

والأمر الآخر الَّذي أريد أنْ أسألك عنه ينطلق من الآية الَّتي أسَّستم عليها هذه المحاضرة، والَّتي رسمت المنهج الدعويَّ في القرآن الكريم، حيث بدأت الآية بقوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾ [النحل: ١٢٥]، كنتُ أتوقَّع أنَّ الأمر سيستمرُّ فيقول والجدال بالأحسن، ولكنّه قال: ﴿وَجَٰدِلۡهُم ﴾ [النحل: ١٢٥]، فما هي الحكمة في هذا الأمر؟ وجزاكم الله خيرًا.

الشيخ القرضاوي:

بسم الله الرحمن الرحيم

أجيب عن الجزء الأخير من السّؤال: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾، كأنَّهما منهجان، أو أنَّ المنهج قسمان، شطر منه لمخاطبة الموافقين، وشطر منه لمخاطبة المخالفين، فالموافقون يدعوهم إلى سبيل رَبِّكَ ﴿بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾، والمخالفون يقول فيهم: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥].

أمَّا ما سألت عنه عن منهج الشيخ أحمد ديدات عافاه الله وشفاه، فأنا لا أذكر أنَّه وصلني منك شيء، وربَّما ضاع بسبب كثرة الرسائل الَّتي تصلني بأعدادٍ كثيرة جدًّا، كما أنَّ كثرة الأشياء يُنسي بعضها بعضًا.

QaradawiBooks.com

وأنا أقول بصراحة: لستُ ممَّن يوافق على منهج الأخ الداعية أحمد ديدات، وأرى أنَّ أسلوب المناظرة هو أسلوبٌ مستفزٌّ، يُثير الخصوم ولا يُقَرِّبهم، فلا أعتقد أنَّ أحدًا يمكن أنْ يدخل الإسلام بأسلوب المناظرة، المناظرة لها أهمِّيَّة، وهي أنَّها تفرحنا نحن، أعني أنَّه عندما ينتصر المسلم في مناظرة على غيره، فنحن ننبسط ونفرح لأنَّ حُجَّتَنا قويَّة، ولكن ذلك ليس هو الأسلوب الأمثل في الدعوة، فالحوار هو غير المناظرة، والمناظرة عندما نجد أنفسنا قد أُلجئنا إليها، فما حيلة المُضْطَرِّ إلَّا ركوبها، غير أنَّه لا يجب أنْ نتَّخذَها أساسًا في الدعوة إلى الله، إنَّما إذا حدثت مناظرة كتلك الَّتي حدثت بين الشيخ الهنديِّ رحمة الله مع الرجل البروتستانتي والَّتي كان نتيجتها كتاب «إظهار الحقِّ»، فهو قد اضطرَّ للمناظرة فناظر، وإنَّما هي ليست أسلوبًا ينبغي أنْ يُعتمد في الدعوة لغير المسلمين.

سؤال الأستاذ الأمين خليفة كانون:

أوَّلًا، إنَّها فرصة طيِّبة أنْ نلتقي بالدكتور الشيخ يوسف القرضاوي، واسمح لنا أن نستفسر للاستفادة، وسؤالي هو غير مباشر للدَّاعية حتَّى يستفيد ونستفيد جميعًا من خلال ذلك.

فكما تعلمون فضيلة الشيخ فإنَّ هذا العصر القرن الواحد والعشرين هو قرن المادَّة، وإنَّ كلَّ الأمور تُحَرَّك بالمادِّيَّات، والتنصير المسيحيُّ يوفِّر الأرصدة الكبيرة والهائلة للتنصير والعمل ضدَّ الدعوة الإسلامية في جميع أنحاء العالم، والحقيقة فهناك سؤال مهمٌّ وهو: بالنِّسبة للأموال والفوائد المصرفيَّة، فلأنَّنا في هذا العصر فقد تنتهي في يوم من الأيام إلى طريقة التعامل بالمال السائل، وقد يصبح التعامل بالكامل بالبطاقات

QaradawiBooks.com

في المصارف، فما هي الطريقة السليمة للاستخدام الأمثل للفائدة، وأنا أعرف أنَّ لكم فتاوى في هذا الموضوع، والفتاوى كما أشرت الآن تتطوَّر حسَب الظروف المادِّيَّة وحسَب ظروف العالم، فأرجو أنْ نسمع منكم مباشرة رأيَكم في الفوائد وكيفيَّة استغلالها، وكيفيَّة أخذها، وشكرًا.

الشيخ القرضاوي:

أنا لي كتابٌ كنتُ قد أصدرته منذ مدَّة عنوانه: «فوائد البنوك هي الرِّبا الحرام»، وأنا أخذت هذا العنوان من فتوى مجمع البحوث الإسلاميَّة بالأزهر، الَّذي أصدر قرارًا سنة (١٩٦٥م) قال فيه: الفوائد هي الرِّبا الحرام. وكان في هذا المؤتمر مُمَثِّلون من خمسٍ وثلاثين دولةً إسلاميَّة، وكان منهم فطاحل العلماء أمثال الشيخ محمد أبو زهرة، والشيخ عليّ الخفيف، والشيخ محمد السايس، والشيخ فرج السَّنهوري، والشيخ حسن مأمون.

والإسلام ـ في الحقيقة ـ نظريَّتُه أنَّ النقود لا تلد النقود، والمال لا يلد المال، المال يلد المال إمَّا بالجهد أو بالمخاطرة، أو على الأقل أنْ تشارك غيرك فتتحمَّل المخاطر معه، والإسلام حريصٌ هنا على العدالة المُحكمة، بمعنى أنَّ اثنين يشتركان في تجارة مثلًا، فإذا ما رَبِحا رَبِحَا معًا، وإذا خَسِرَا خَسِرَا معًا، إذا رَبِحَا كثيرًا اشتركا في هذا الكثير بالنسبة المُتَّفق عليها، وإذا ربحا قليلًا اشتركا في هذا القليل، وإذا لم يَرْبَحا شيئًا يخسر صاحب المال ماله أو جزءًا منه ويخسر صاحب العمل جهده.

فهذه هي العدالة الَّتي يفرضها الإسلام، والمفروض أنَّنا ـ نحن المسلمين ـ نحاول تطبيق النظام الإسلامي كما جاء به الإسلام، نظام المشاركة، ونظام المُضاربة والتجارة الإسلاميَّة، بيع السَّلَم، وبيوع المرابحات، والبيوع الأخرى، والحمد لله فقد وُجِدَتْ في البلاد الإسلامية

QaradawiBooks.com

منذ حوالي ربع قرن من الآن المصارف الإسلاميَّة الَّتي نشأت من شعور المسلمين بالإثم من خلال التعامل مع «البنوك» الربويَّة، وهي «بنوك» لم نصنعها نحن، بل ورثناها من عهد الاستعمار، وهي جزءٌ من النظام الرَّأسمالي القائم على الرِّبا، فورثناها كما هي، فالنَّاس تأثَّروا بهذا وحاولوا أنْ يتخلَّصوا من ذلك، فكانت الحملة لإنشاء مصارف بلا ربا، وكانت هذه المصارف فكرة نظريَّة كتب فيها كُتَّاب كثيرون، مصارف بلا فائدة، وكان الاعتقاد أنَّه من غير الممكن أنْ تقوم مصارف بلا فائدة، ثم تعاون رجال المال مع رجال الاقتصاد مع رجال الشرع وقامت مصارف إسلاميّة، ويوجد منها حوالي مائة مصرف في العالم الإسلامي الآن، وهي تتَّسع، وكلُّ هذا يتيح الفرصة للمسلم، وإذا لم يجد المسلم غير ما هو موجود في المصارف حاليًا، فالضَّرورات تبيح المحظورات أحيانًا. وأنا سبق لي أنْ نصحتُ مسلمين يقيمون في أوربا والغرب ولهم أموال نتجت عن فوائد لودائعهم بعدم ترك تلك الفوائد، فهذه الفوائد لا يجوز أنْ تُتْرَك لتلك المصارف؛ لأنَّهم في الغالب يأخذون تلك الفوائد ويُعطونها للجمعيات الخيريَّة، وهي في غالب الأمر تكون جمعيَّات كَنَسِيَّة تنْصيريَّة، أو جمعيَّات يهوديَّة، هو مال المسلمين غير أنَّه يذهب في النهاية لخدمة أعداء المسلمين، ويمكن بتلك الأموال يأتون لتنصير بلاد المسلمين نفسها.

فالمال الحرام مَصْرفه الخير والفقراء والمصالح الإسلاميَّة، فأنا أنصح من له فوائد في مثل هذه البلاد بأنْ يأخذها ويُنفقها في هذه الجهات.

طلب توضيح الدكتور الزيادي:

لعلَّ ما يشغل الكثيرين يا فضيلة الشيخ هو الفتوى الأخيرة الَّتي أصدرها مجمع البحوث الإسلاميَّة في القاهرة والَّتي يُبيح فيها نوعًا من

QaradawiBooks.com

أنواع الفائدة، وعلى الرغم من أنَّني أعرف موقف فضيلة الشيخ من هذا الأمر إلَّا أنَّنا في حاجة للمزيد من التوضيح إنْ أمكن.

الدكتور يوسف القرضاوي:

الحقيقة أنَّ مجمع البحوث الإسلاميَّة هو مَجْمع مكوَّن من أعضاء أغلبهم من غير الفقهاء، أعني أنَّه ليس مَجْمعًا فقهيًّا، فهو مجمع للبحوث، وفيه أساتذة التاريخ والأدب واللغة والنحو والقانون وأطبَّاء ومهندسون، وفيه الدكتور إبراهيم بدران وهو طبيب مشهور، وفيه الدكتور كمال أبو المجد وهو قانوني مشهور، وفيه أساتذة الفلسفة والعقيدة، بينما الفقهاء فيه ربَّما أربعة أو خمسة فقط، ومنهم اثنان لم يوافقوا على تلك الفتوى، ثمَّ إنَّ القرار من الناحية الإجرائيَّة لم يُعْرَض على اللجنة الفقهيَّة الَّتي كان من المفروض أنْ يُحالَ إليها، وهناك قرار نسخ قرار المجمع السابق الَّذي كان قد صدر في العام (١٩٦٥م)، ولكي تنسخ قرارًا قديمًا فلا بدَّ أنْ تُقدّم دراسات، وتطلب من المُخْتَصِّين أنْ يكتبوا في هذا الأمر، مثل المَجْمع الفقهي التابع لمُنَظَّمة المؤتمر الإسلامي، وهو مَجْمع فقهي تابع لرابطة العالم الإسلامي، وكان المفروض أنْ يطلبوا من المُخْتَصِّين أنْ يُقَدِّموا بحوثًا، ثمَّ إنَّ مثل هذه الأمور قد يمرُّ عليها سنوات وسنوات قبل أنْ نصل فيها إلى رأيٍ محدَّد، ونحن في المجلس الأوربي للبحوث والإفتاء وأنا رئيسه، نقوم بتأجيل بعض الأمور مرَّتَيْن وثلاثًا حتَّى تنضج وتكتمل الرُّؤْية تجاهها من حيث البحوث والدراسات، وفي أمرٍ خطيرٍ كهذا لم يكن من المفروض أنْ يصدر قرار بمثل الَّذي صدر، بصفة مُتَسَرِّعة وبدون دراسةٍ أو بحوث، وهذا أمر لا يُقْبَل.

QaradawiBooks.com

سؤال آخر:

بسم الله الرحمن الرحيم

أشكر فضيلة الأستاذ الدكتور الشيخ يوسف القرضاوي على هذه المحاضرة القيِّمة والنادرة في مثل هذه الأوقات النَّادرة الَّتي نتمنَّى أنْ تتكرّر وفي مثل هذه الكلية ـ كلية الدعوة الإسلاميّة ـ القلعة العلمية الَّتي أسَّسها بعد عون الله ﷻ قائد القيادة الشعبية الإسلاميّة العقيد معمر القذَّافي.

سؤالي هو: نحن نعلم بأنَّ الدفاع عن النفس أمر ضروريٌّ لكلِّ البشر وبخاصَّة المسلم الَّذي يُهاجَم بين الحين والآخر من الصليبيِّين والإرهابيِّين الَّذين يتَّهمون الإسلام ويدَّعون أنَّه دين إرهابيٌّ والمسلمون إرهابيُّون، حتَّى وضعوهم في قفص الاتِّهام، لكنَّ المسلمين اليوم يختلفون في الرَّأي حول العمليَّات الدفاعيَّة الَّتي يقوم بها المسلمون، يختلفون في وصف هذه العمليَّة الدفاعيَّة، فمنهم من يقول: إنَّ هذه العمليَّات هي عمليَّات انتحاريَّة؛ لأنَّ هؤلاء النَّاس يستخدمون السِّيَّارات المفخَّخة لتفجير أنفسهم في وسط العدوِّ، ومنهم من يقول: إنَّها عمليَّات استشهاديَّة، فما رأيكم في هذا الأمر؟

الشيخ يوسف القرضاوي:

لعلَّ الأخ الكريم لم يقرأ فتواي في هذا الصدد، وهي منشورة في الكتب وفي الإنترنت، وأذيعت في برنامج «الشريعة والحياة»، وفي عدد من القنوات الفضائيَّة العربيَّة، وهي فتوى وضعتني في صفِّ الإرهابيِّين عند الصَّهاينة والأمريكيِّين، ثُمَّ إنَّ المُستشهد في سبيل الله هو إنسان لم يفعل ذلك لأنَّه يائس من الحياة، أو هو إنسان خسرت تجارته، أو تركته حبيبته، أو رسب في الامتحان، بل هو إنسان وضع رأسه على كفِّه وأراد أنْ يقاتل أعداءه بأنْ يُقَنْبل نفسه، يعمل من نفسه قنبلة بشريَّة، وهذا شيء

QaradawiBooks.com

جعله الله في أيدي الضعفاء أمام المُستكبرين المُتَجَبِّرين الَّذين يمتلكون قنابل نوويّة وقنابل عنقوديَّة، إلخ، ولكن ليس لديهم قنابل بشريَّة، عندهم قنابل «ذَرِّيَّة» ونحن عندنا قنابل «الذُّرِّيَّة» الذُّرِّيّة المؤمنة الَّتي يُقَرِّر الواحد منهم بإرادته وبكامل عقله ووعيه أنْ يجعل من نفسه قنبلة ويذهب ليُفَجِّر نفسه في وجه الأعداء، وهذا ينطبق عليه قول الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

ثُمَّ إنَّ هذا الأمر كان يحدث منذ أيَّام الصحابة رضي الله عنهم، حيث نعرف الكثير من القصص المماثلة، وهي قمّة المخاطرة في سبيل ابتغاء مرضاة الله، وهذه العمليَّات هي من أعظم أنواع الجهاد في سبيل الله، وقد كُنَّا مُؤَخَّرًا في الكويت حيث أجمع أكثر من (٣٠٠) عالم من علماء العالم الإسلاميِّ على أنَّ هذه العمليَّات هي عمليَّات جهاديَّة استشهاديَّة.

وأنا أقول: إنَّ هذه آية من آيات الله في أنْ يجعل للضعفاء هذا السلاح الَّذي لا يملكه الأقوياء، هم لا يملكون هذا، ونحن نملك التضحية بأنفسنا في سبيل الله، ومثل هؤلاء الشباب ينبغي أنْ نُحيّيهم وأنْ نَدْعُوَ الله ليتقبَّلهم برحمته، وأنْ يزيد من مثل هذه العمليات الَّتي أرعبت الصهاينة، وهم الآن كل ما يسعون إليه ويحرصون عليه أنْ تتوقَّف مثل هذه العمليَّات الاستشهاديَّة؛ لأنَّها جعلتهم لا ينامون الليل، وجعلتهم يعيشون في رعب دائم.

وللتدليل على هذا الرّعب الَّذي يعيشه الصهاينة في فلسطين المُحتلَّة يمكن الإشارة إلى المقابلة الَّتي أجراها التلفزيون الألماني مع «جنرال» في جيش الصهاينة عاد مُؤَخَّرًا مع أسرته إلى ألمانيا هربًا من «إسرائيل»، فسأله مُقَدِّم المقابلة عن سبب تركه «إسرائيل» وهو «الجنرال» في الجيش، وقال له: ما الَّذي أعادك إلى ألمانيا؟ فقال: لقد تركتُ ألمانيا وذهبت إلى هذا البلد على أمل أنْ أجد هناك الأمن والاستقرار والطمأنينة، فلم أجد

QaradawiBooks.com

أمنًا منذ أنْ وصلت إلى هناك رغم مرور عديد من السِّنين، والَّذي وجدته كان عكس ذلك تمامًا، حيث كنتُ أزداد هنـــاك كلَّ يوم رعبًا. وقال: إنَّني كلَّما كنتُ أركب الحافلة أقوم بالصلاة خشية أنْ تتعرَّض للتفجير.

وهذه الصورة توضح بجـــلاء أنَّ الكيان الصهيونـــي يعيش حقًّا في رعبٍ وهلعٍ بســـبب هذه العمليَّات الاستشـــهاديَّة، وهم لذلك ـ أمريكا والصهيونيَّة العالميَّة ـ يَسْـــعَونَ سعيهم، ويُعدُّون جهدهم من أجل إيقاف هذه العمليَّات حتَّى يوفِّروا للإســـرائيليِّين النـــوم مُطمَئِنِّين، ويُزال عنهم شيء من هذا الرعب، ولكن وبإذن الله ســـيقذف الله في قلوبهم الرعب بهذه العمليَّات الاستشهاديَّة المستمرَّة، والحمد لله.

وللأســـف هناك بعض العرب يريدون أنْ يتآمروا عليهم لوقف هذه العمليَّات، ولكنَّها ستستمرُّ ما دام هناك شـــبابٌ مؤمنٌ ومجاهدٌ ومستعدٌّ للتضحية والبذل في سبيل الله.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٢

معالم وضوابط في الدعوة إلى الله[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيِّدنا وإمامنا وحبيبنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه. خير ما أُحيِّيكم به أيُّها الإخوة والأبناء تحيَّة الإسلام، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(وبعد)

فموضوعنا اليوم عن الدعوة والداعية، تحدَّثنا عن القرآن وتفسيره، وعن السُّنَّة وفضلها، وعن الفقه والفتوى والاجتهاد وضوابطها ومعالمها، وتحدثنا في اليوم الأول عن التربية الإسلاميَّة، واليوم نتحدَّث عن موضوع مهم هو موضوع الدعوة، الدعوة الَّتي تقام لها الآن أقسام في الكليَّات والجامعات الدينيَّة، بل تقام لها كليَّات خاصَّة، وتقام لها معاهد عُلْيا كالمعهد العالي هنا للدعوة والفكر الإسلامي، وما ذلك إلَّا لأهميَّة هذا الأمر، في الحياة عامة وفي الإسلام خاصَّة، فالأُمَّة الإسلاميَّة أُمَّة دعوة، كل مسلم داعية لدينه، كل مسلم مخاطب بقول الله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾ [النحل: ١٢٥]، فكل من اتَّبع رسول الله ﷺ فهو داعٍ إلى الله وعلى بصيرة.

(١) ألقيت في جامعة دار العلوم، ندوة العلماء، الهند، بتاريخ ٢١ أكتوبر١٩٩٦م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

من مجالات الدعوة:

وإن كانت هناك مستويات للدعوة: هناك من يدعو بتأليف كتاب أو برسالة يكتبها، هناك من يدعو بإلقاء محاضرة أو خطبة أو درس أو حديث؛ وهناك من يدعو بالكلمة الطيبة، بالمعاشرة الكريمة، بالصحبة النافعة، بالأسوة الحسنة، بالأخلاق، يؤثر فيما حوله ومن حوله، فكل مسلم داعية لدينه، ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

والله تعالى يقول: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]. وللعلماء في هذه الآية رأيان، ما معنى «مِن» في قوله: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ﴾؟ هل «مِن» تبعيضيَّة؟ بمعنى أنَّه يجب أنْ تتخصص منكم أُمَّة للدعوة والأمر والنهي، أو «مِن» بيانيَّة وتجريديَّة، كما تقول: ليكُنْ لي منك الصديقُ المُخْلِصُ. أي: كن أنت لي الصديقَ المخلصَ. ومعنى ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ﴾: ولتكونوا أُمَّة تدعون إلى الخير، وتأمرون بالمعرف، وتنهون عن المنكر. ويدلُّ على هذا: حصر الفلَاح في هؤلاء بهذه الصيغة: ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾، أي ولا فلاح لغيرهم. وإذا كان لا فلاح لغيرهم فيجب أنْ تكون الأُمَّة كلُّها داعية آمرة ناهية حتَّى تستحق الفلاح.

داعية عام وداعية مُتَخَصِّص:

على كلِّ حال، لا بدَّ من داعية عامٍّ، وداعية مُتَخَصِّص، لا بدَّ أن يكون في الأُمَّة الدعاة المُتَخَصِّصون، وهذا من ثمرة العلم؛ فالله تعالى يقول في سورة التوبة: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]. بعد أنْ

QaradawiBooks.com

تفقَّهوا يُفقِّهوا، بعد أنْ تعلَّموا يُعلِّموا، بعد أنْ حصَّلوا من العلم ما حصَّلوا لا بدَّ أنْ يدعوا غيرهم، ﴿وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ﴾.

الداعية غير المفتي:

وبذلك نجد الداعية غير المفتي؛ المفتي يُلقي الحكم ويقول: هذا حلال أو هذا حرام، ولا يبالي بإنذار قومه أو بحذرهم، أمَّا الداعية فهو الَّذي يُنذر قومه.

قد يكون المفتي داعية، حتَّى إذا أفتى يجعل من الفتوى سبيلًا للدعوة، يريد أنْ يجتنب النَّاس الحرام، وأنْ يتحرَّوا الحلال، وأنْ يحرصوا على العبادة وأنْ يُصحِّحوها، فالداعية هو المُنذر، هو بشيرٌ ونذيرٌ؛ لأنَّه يقوم مقام الأنبياء الَّذين أرسلهم الله مُبَشِّرين ومُنْذِرين.

قد يقال مُنذر لأنَّ النَّاس في حاجة إلى النُّذُر، لكثرة الشهوات وغلبة الغفلة عليهم احتاجوا إلى الإنذار، فلذلك قال الله تعالى: ﴿إِنۡ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٞ﴾ [فاطر: ٢٣]. هو نذير وبشير، ولكن لحاجة النَّاس إلى الإنذار أكثر، نصَّ الله عليه في قوله: ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ﴾.

المفتي يذهب إليه النَّاس ليستفتوه ويسمعوا منه الفتوى، لكن الداعية هو الَّذي يذهب إلى الناس، لا ينتظر النَّاس حتَّى يأتوا إليه، يذهب إليهم في مساجدهم، في قُراهم، في مُدنهم، في أعمالهم، حيث ما كان النَّاس مهمته أنْ يصل إليهم وأنْ يُبلِّغهم رسالته.

المفتي يصدر الحكم ولا يهمه امتثال المُفْتَى له أم لم يمتثل، والمفتي ينتقل إليه النَّاس والداعية ينتقل هو إلى الناس.

QaradawiBooks.com

الداعية غير الخطيب:

ثم إنَّ الداعية غير الخطيب، كما قال شيخنا البهي الخولي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه القيم «تذكرة الدعاة»، الَّذي قدَّم له الإمام الشهيد حسن البنا، وهو من أوائل كتب الدعوة، قال: الداعية غير الخطيب، الخطيب يلقي خطبته وينتهي، ولكن الداعية صاحبُ رسالة، حاملُ هَمٍّ، إنَّه يحمل الإسلام فكرة واضحة في رأسه، وعقيدة راسخة في قلبه، ورسالة نَذَرَ لها حياته، الداعية ليس مُجَرَّد خطيب.

إنَّ الخطيب يتكلَّم بلسانه رسالة شفهيَّة، الداعية قد يتكلَّم بلسانه وقد يتكلَّم بقلمه ـ والقلم أحد اللسانين ـ وقد يدعو بالخطبة، وقد يدعو بالدرس، وقد يدعو بالمحاضرة، وقد يدعو بالمقالة، وقد يدعو بالكتاب، ويستخدم ما هيَّأ الله له من أدوات لإيصال الرسالة إلى الناس[1].

أهميَّة إعداد الداعية:

ثم إنَّ الداعية لا بدَّ أن يُعَدَّ إعدادًا خاصًّا. حينما التقينا في المؤتمر العالمي الأول لإعداد الدعوة والدعاة في المدينة المنورة، وكان سماحة الشيخ أبو الحسن النَدْوي معنا ـ على ما أذكر ـ طُلِبَ مني أنْ أحضر درسًا عن تثقيف الداعية أو ثقافة الداعية، فألَّفت كتابًا في ذلك سمَّيته «ثقافة الداعية».

إعداد الداعية ثقافيًّا وعلميًّا:

قلت في المؤتمر: لا بدَّ أن نُعِدَّ الداعية ثقافيًّا وعلميًّا. وذكرت ستة أنواع من الثقافات:

---

(١) تذكرة الدعاة للشيخ البهي الخولي صـ٦، نشر مكتبة الفلاح، الكويت، ط٦، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

QaradawiBooks.com

أولًا: هذه الثقافة الدينيَّة:

بما فيها: القرآن وعلومه، والحديث وعلومه، والسيرة والتاريخ، والفكر الإسلامي، وأصول الفقه، هذه العلوم لا بدَّ أنْ يُعَدَّ فيها إعدادًا قويًّا حتَّى تكون قدمه راسخة، ويقف على أرض صلبة.

هذا الإعداد من الناحية الدينيَّة، الثقافة الدينيَّة.

ثانيًا: ثمَّ هناك الثقافة اللغويَّة والأدبيَّة:

لا بدَّ للداعية أنْ يكون عنده ثقافة لغويَّة وأدبيَّة، في اللغة العربيَّة خاصَّة، وفي لغة قومه وأدب قومه إن كان يتحدَّث بغير العربيَّة، لا يمكن أنْ يصل إلى النَّاس إلَّا الكلام الجيِّد، والتعبير الجميل المؤثِّر، ومن أجل هذا أنزل الله علينا كتابًا سمَّاه الكتاب المُبين: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤]. كما قال أديب العربيَّة والإسلام الرافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: هو كلام من النور، أو نور من الكلام[1].

لا بدَّ للداعية أنْ يتزوَّد من اللغة والأدب، لا يمكن أنْ يفهم القرآن فهمًا صحيحًا إذا لم يتعلَّم اللغة العربيَّة، ولا يمكن أنْ يؤثِّر في النَّاس إذا لم يتزوَّد بالأدب العربي ويتذوَّقه، ويصل فيه إلى أنْ تتكون له ملكة أدبيَّة، هذا هو الداعية الناجح، النابغ، المؤثِّر في الحياة مِن حوله.

أنزل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إلينا القرآن الكريم معجزة بيانيَّة، بل هو المعجزة البيانيَّة والأدبيَّة الكبرى، لذلك قلت للإخوة في «حيدر آباد» وقد طَلب إليَّ قسم اللغة العربيَّة أنْ أحاضرهم، قلت لهم: إنَّ ترجمة القرآن

(١) وحي القلم (٣/٢)، نشر دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

QaradawiBooks.com

مستحيلة، لأنَّ الكلام الأدبي الرائع تستحيل ترجمته، مَنْ يستطيع أنْ يُترجِم قول امرئ القيس:

مِكــرٍّ مِفرٍّ مُقْبِلٍ مدبــرٍ معًا[1]

هذه العبارة شــطر من بيت، جمــع فيه معاني عديــدة، لو أراد أنْ يترجمها أحد سيترجمها في عدَّة ســطور، وتفقد مع ذلك قيمتها، كما قال الشيخ بالأمس عن روائع إقبال: صعب أنْ تُترجم من لغة إلى لغة إلَّا أنْ يكون المترجِم في مستوى المُتَرْجَم عنه، ومع هذا قال: ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ [البقرة: ٢٦٥].

فالقرآن يستحيل أنْ يُترجم، حتَّى الترجمات الَّتي تكتب عليها عبارة: ترجمة «معاني» القــرآن، هي ترجمة «بعض» معانــي القرآن؛ لأنَّ «كل» معاني القرآن لا يســتطيع أحــد أنْ يترجمها، هي ترجمــة بعض معاني القرآن كما فهمها المُترجِم.

والقرآن ليس معانــي فقط، القرآن معاني وألفــاظ وإيقاع ولحن، كل سورة لها لحنها وإيقاعها وتأثيرها، كيف تستطيع أن تُفرِّق في الترجمة بين ســورة الطــور: ﴿وَٱلطُّورِ ۞ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۞ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۞ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ۞ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ﴾ [الطور: ١ ـ ٥]. إلى آخره، وبعدها سورة: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۞ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۞ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۞ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجــم: ١ ـ ٥]. السورة لها لحن مُعَيَّن وإيقاع، وبعدها سورة القمر: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۞ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ١، ٢].

(١) ديوان امرئ القيس صـ٥٤، عناية عبد الرحمن المصطاوي، نشر دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

QaradawiBooks.com

وبعدها سورة الرحمن: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١ ـ ٤]. كيف يستطيع المترجم أنْ يترجم هذا اللحن، هذا الإيقاع؟ مستحيل هذا، ستكون كل هذه السور في الترجمة بعضها مثل بعض، هذا ليس هو القرآن إذنْ، الأدب الرائع يستحيل أن يترجمه إنسان، وإذا كان الإنسان في مستوى المترجَم عنه فيمكن أنْ يصل إلى مستواه، إنَّما مَنْ يستطيع أن يصل إلى مستوى الإعجاز القرآني، مستوى كلام الله ﷻ؟ هذا مستحيل، لا بدَّ للداعية أن يتضلَّع من الأدب ويتذوَّقه، فهذه ثقافة لا بدَّ منها.

ثالثا: وهناك ثقافة أخرى هي الثقافة التاريخيَّة:

لا يمكن أنْ يستغني الداعية عن التاريخ، فالتاريخ ذاكرة الأُمَّة وسِجِلُّ حياتها وديوان عِبَرِها، التاريخ ليس مجرد أحداث تسرد، ولكن التاريخ فيه الدروس والعبر، وأعتقد أنَّ شيخنا أبا الحسن هو أحد الأفذاذ في هذا الميدان، وهو أحد رجال التاريخ، ولا عجب، فهو ابن مؤرخ الهند الأعظم الشيخ شريف عبد الحي الحسن، الشيخ له حس تاريخي، ليس معرفة تاريخيَّة فقط، ولكن حس تاريخي بالأحداث، الوقوف عند الأحداث والاستنباط منها، نحن أوَّل ما سمعنا منه قصة ربعي ابن عامر الَّذي وقف أمام رستم قائد الفرس، وقال له: من أنتم، قال: نحن قوم ابتعثنا الله لنخرج النَّاس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جَوْر الأديان إلى عدل الإسلام[1]. كان النَّاس يقرؤون هذه القصة في الطبري، وفي ابن الأثير، وغيرهما، ولا يبالون بها، حتَّى أبرزها الشيخ بحِسِّه، فالمؤرخ ذو الحس المرهف يستطيع أنْ يستخرج الكنوز ويستخدمها في دعوته، هذا هو الداعية البصير، فالثقافة التاريخيَّة مطلوبة للداعية.

(١) سبق تخريجه صـ١١.

QaradawiBooks.com

رابعًا: وكذلك الثقافة الإنسانية:

لا بدَّ للداعية البصير أنْ يدرس شيئًا من العلوم الإنسانية، شيئًا من علم النفس، وشيئًا من علم الاجتماع، لا يأخذ هذه الأشياء على أنَّها قضايا مُسَلَّمة، خاصَّة ما كتبه الغربيون منها، أو ما تُرجِم عنهم، لأنَّها تتأثر ببيئتهم، وحضارتهم، وفلسفتهم ونظرتهم إلى الكون والحياة والإنسان، وإلى الألوهية والبشرية، ولكننا نستفيد من هذه العلوم حتَّى نستطيع أن نؤثر في مخاطبينا.

خامسًا: هناك أيضًا الثقافة العلمية:

لا بدَّ أنْ يكون لدى الداعية قدر من العلم، العلم الكوني، العلم الطبيعي، العلم الرياضي، ولأهميَّة هذه الثقافة أدخل الأزهر الشريف ـ في جيلي والجيل الَّذي قبلي ـ ما سُمِّي بالعلوم الحديثة، مثل علم الفيزياء، وعلم الكيمياء، وعلم الأحياء، وعلم النبات، وعلم الرياضيات، سموها «علومًا حديثة» مع أنَّها كانت علوم المسلمين في الواقع، وأخذها الغربيون عنهم، بشهادة كثير من رجالهم، مثل: بريفولت، وجوستاف لوبون ودرايفر، وجورج سارتون، من مؤرخي العلم، شهدوا أنَّ المنهج الاستقرائي التجريبي أُخذ عن المسلمين، المسلمون نقدوا المنهج الاستقرائي نظريًّا كما تبدى ذلك في كتابيْ شيخ الإسلام ابن تيمية في نقد المنطق، كتاب كبير وآخر صغير، ومن الناحية العملية كان منهجهم استقرائيًّا تجريبيًّا، على هذا نبغوا في الطب، وفي الكيمياء، وفي التشريح، وفي الفلك، وفي غيرها من العلوم.

لا بدَّ للداعية أنْ يُحَصِّلَ قدرًا لا بدَّ منه من هذه العلوم، حتَّى يستطيع أنْ يتعايش مع أبناء عصره، حد أدنى لا بدَّ منه، فهذه الثقافة العلمية.

QaradawiBooks.com

وبهذه الثقافة استطاع بعض إخواننا أنْ يغيروا كثيرًا من ألوان الإعجاز العلمي في القرآن، أخونا الشيخ عبد المجيد الزنداني في اليمن ألَّف أو أنشأ في ظل رابطة العالم الإسلامي هيئةً للإعجاز العلمي في القرآن وأصدرت عددًا من الرسائل والكتب، وأقامت عددًا من المؤتمرات في باكستان، وفي القاهرة، وفي غيرهما من البلدان تتحدث عن الإعجاز العلمي، فإنه لا يستطيع أنْ يتحدث عن الإعجاز العلمي ـ بل لا يستطيع أنْ يفهمه مجرد فهم ـ من كان بمعزل عن هذه العلوم الكونية.

سادسًا: هناك بعد ذلك الثقافة الواقعيَّة:

لا بدَّ للداعية من معرفة الواقع الَّذي يعيش فيه، واقع المسلمين وواقع غير المسلمين، بلا تهويل ولا تهوين، نعرفه بما له وما عليه. بعض النَّاس يهوِّلون من الأمور ويبالغون فيها، ويجعل من الحبَّة قُبَّة، ومن القطِّ جملًا، كما يقول المصريون، وبعض النَّاس يهون من الأمور، لا، نحن نريد أنْ نعرف الواقع بلا تهويل ولا تهوين، واقعنا وواقع غيرنا.

من هنا ينبغي للداعية أنْ يعرف الواقع الغربي، يعرف الحضارة الغربيَّة، والثقافة الغربيَّة، والفلسفات الغربيَّة المؤثِّرة؛ فمن لا يعرف شيئًا عن فلسفة الغرب، وما يؤثر في حضارته من مؤثِّرات، فكريَّة ومعنويَّة ومادِّيَّة؛ ومن لم يسمع عن ديكارت، ولا عن سبنسر، ولا عن رافل، ولا عن هؤلاء، كيف يستطيع أنْ يفهم الغرب، وكيف يستطيع أنْ يحكم على حضارته؟!

لكي نستطيع أن نعيش عصرنا لا بدَّ أن نعرف واقع أعدائنا: واقعهم الأدبي وواقعهم المادي، واقعهم الثقافي وواقعهم الاجتماعي، وواقعهم العسكري بقدر الإمكان، وبقدر ما يتاح لنا.

QaradawiBooks.com

الثقافة الواقعيَّة مطلوبة، لا بدَّ أن تعرف المجتمع الَّذي تعيش فيه، مجتمعك الخاص، والمجتمع الإسلامي العام، الأمة الإسلاميَّة، أرى الشيخ الندوي حفظه الله دائمًا يتحدث عن الأُمَّة الإسلاميَّة، لا يريد أنْ يظل المسلم متعلقًا بمجتمعه المحلي ولا شأن له بالعالم، لا، لا تستطيع أنْ تعيش وحدك، أنت جزء من أُمَّة، أنت لست أمة وحدك، أنا ضد كلمة «الأمم الإسلاميَّة»؛ هي ليست أممًا، هي أُمَّة إسلاميَّة ذات شعوب إسلاميَّة، ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ﴾ [الحجرات: ١٣]، شعوبًا لأُمَّة واحدة، الله تعالى يقول: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الأنبياء: ٩٢]. فلا بدَّ أن تعرف واقع مجتمعك أولًا، بعمق وتفصيل بقدر الإمكان، وتعرف الحدَّ الأدنى من واقع أُمَّتك، والحد الأدنى من واقع أعدائنا، حتَّى نعرف كيف نُفْهِمُهُم، وكيف نردُّ عليهم، وكيف نخاطبهم، هذا هو شأن الداعية.

والداعية ليس مطلوبًا إمداده بالثقافة فقط، لا، فالثقافة ليست هي كل شيء، الثقافة إعداد للعقل، والإنسان ليس عقلًا فقط.

أهميَّة إعداد الداعية إيمانيًّا وروحيًّا:

ولذلك لا بدَّ من إعداد روح الداعية وقلب الداعية، فالداعية عقل وقلب، عقل ذكي وقلب نقي، وهو لا يستطيع أنْ يؤثر في النَّاس بعقله ما لم يكن لديه قلب حيٌّ، القلوب الحيَّة هي الَّتي تؤثِّر في الناس، القلوب المَيِّتة لا تستطيع أنْ تُؤَثِّر، والداعية إذا لم يكن ذا قلب، فلن يستطيع أنْ يؤثر في غيره.

سمعت الشيخ حسن البنَّا مرَّة وهو يتحدَّث مع بعض الوعاظ وقال لهم: إنَّنا في حاجة أو المسلمون في حاجة إلى رجلٍ ذي قلب، يفيض

QaradawiBooks.com

من قلبه على قلوب من حوله فتتحرَّك القلوب وتتحرَّك العزائم، إنسان ذي قلب يؤثر فيمن حوله من تلاميذه، وتلاميذه يؤثرون في تلاميذهم، وهكذا، لا بدَّ من القلب الحيِّ.

ومن هنا كان لا بدَّ للداعية من قدر من الرُّوحانيَّة الإيمانيَّة وهو ما تحدَّثنا عنه في أوَّل محاضرة ألقيتها في المسجد عن الربَّانيَّة، باعتبارها الخصيصة الأولى من خصائص التربية الإسلاميَّة، فلا بدَّ أنْ يُعَدَّ الداعية إيمانيًّا إلى جانب إعداده ثقافيًّا وفكريًّا.

أهميَّة إعداد الداعية خُلُقيًّا:

ثم لا بدَّ من إعداده خُلُقيًّا، لا بدَّ أنْ يكون إنسانًا على خُلُق، فالله ﷻ حينما أثنى على رسوله ﷺ، أثنى عليه بهذه الآية الكريمة: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]

وحينما أراد النبيُّ ﷺ أنْ يحدثنا عن رسالته حصرها بهذه الصيغة وقال: «**إنَّما بُعِثت لأُتمِّمَ مكارمَ الأخلاق**»[(١)]. وإذا كان كل النَّاس مطلوبًا منهم أنْ يكونوا على مكارم الأخلاق، فالداعية أولى بذلك من غيره، لأنَّه أسوة للناس، وهم يتعلمون منه، ويقتدون به، فلا بدَّ أنْ يكون أكثر حرصًا من غيره على الالتزام بمكارم الأخلاق، أنْ يكون قرآنًا حيًّا يسعى بين النَّاس على قدميه، ينظر النَّاس إليه فيقولوا: ما أجمل أخلاق الإسلام، ما أجمل آداب الإسلام، ما أجمل قِيَم الإسلام. فهو قِيَمٌ مُتحركة، يؤثر بأخلاقه أكثر مما يؤثر بكلامه، ولذلك قالوا قديمًا: حال

(١) رواه أحمد (٨٩٥٢)، وقال مخرِّجوه: صحيح. والبخاري في الأدب المفرد في حسن الخلق (٢٧٣)، والحاكم في تواريخ المتقدمين (٦١٣/٢)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٤٥)، عن أبي هريرة.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مرخصة
QaradawiBooks.com

رجل في ألف رجل أبلغ من مقال ألف رجل في رجل. حال الإنسان، سلوكه، أخلاقه، تؤثر في الآخرين أكثر من كلامه، من هنا كان لا بدَّ من هذه الحال أو من هذا الخلق.

وأهم ما ينبغي للداعية من أخلاق: خُلُق الحلم، وخُلُق الصبر، وخُلُق الرفق، كما قال النبيُّ ﷺ: «**إنَّ الرفقَ لا يكون في شيءٍ إلَّا زانه، ولا يُنْزَع من شيءٍ إلَّا شانه**»[1]، وقال لعائشة رضي الله عنها حينما دخل عليه بعض اليهود وقالوا: السام عليك يا محمد. وكلمة «السَّام» تعني الهلاك والموت، فقالت: بل عليكم السام واللعنة يا أعداء الله، يا كذا يا كذا، فقال النبي ﷺ حينما سمعهم: «**وعليكم**». وقال لها: «**يا عائشة، إنَّ الله يحبُّ الرِّفْقَ في الأمر كُلِّه**». قالت: أَمَا سمعتَ ما قالوا يا رسولَ الله؟ قال: «**لقد قلتُ: وعليكم**». هم قالوا: عليك الهلاك والموت. قلت لهم: الموت علينا وعليكم[2]. انظروا إلى هذه اللطافة والرقة، إنَّ الله يحب الرفق في الأمر كله، ولهذا قال الله تعالى له: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. النَّاس لا تطيق الفظاظة ولا الغلظة ولو كانت من رسول الله ﷺ، فكيف بغيره؟ فلا يمكن أنْ تؤثر في النَّاس بالفظاظة والغلظة، إنَّما تؤثر في النَّاس بالحلم والرفق واللين، هكذا كان عليه الصلاة والسلام، ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]. فينبغي أنْ يتأسى الداعية برسول الله ﷺ.

هذه هي مؤهلات الداعية في أي عصرٍ كان، في عصرنا ينبغي أنْ يكون الداعية داعية معاصرًا، إذا كنا نقول في الفقه: إنَّ الفتوى تتغير

(١) سبق تخريجه صـ ٢٣.

(٢) سبق تخريجه صـ ٢٣.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

بتغير الزمان والمكان والحال والعرف، فالدعوة أولى، لا بدَّ أن تخاطب النَّاس بما يلائم عصرهم، بما يلائم زمانهم ومكانهم، يتغير أسلوب الداعية بما يلائم ذلك، فالله تعالى يقول: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾ [إبراهيم: ٤].

وأنا لا أفهم اللسان في هذه الآية فهمًا سطحيًّا، بمعنى أن تُكلِّم الإنجليز بالإنجليزية، والألمان بالألمانية، والروس بالروسية، وانتهى الأمر، لا، وإنَّما تُكلِّم الخواص بلسان الخواص، والعوام بلسان العوام، تُكلِّم أهل القرية بلسان أهل القرية، وأهل المدينة بلسان أهل المدينة، تُكلِّم الغربيين بما يتفق وعقليتهم، وتُكلِّم الشرقيين بما يتفق ومزاجهم، هذا معنى اللسان، لكل قوم لسان، كما قال لنا الشافعي: ما جهل النَّاس ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب، وميلهم إلى لسان أرسطاطاليس[١]. يقصد أن عقليتنا غير عقلية اليونان، فتكلم كل قوم بلسانهم.

وأيضًا تخاطب كل عصر بلسانه، لا ينبغي أنْ تخطب في النَّاس كما يفعل بعض النَّاس في البلاد العربيَّة، يقرأ في خُطَبِه من ديوان ابن نُباتة، وقد كان يعيش ابن نباتة في العصور الماضية، أو بعضهم يقرأ من ديوان قديم ويدعو للسلطان عبد الحميد، والسلطان عبد الحميد انتهى، وجاءت بعده الدول العلمانية، والدول القُطرية، فلا بدَّ أنْ تعيش عصرك، وأنْ تكلم النَّاس بما يفهمون، كما روى البخاري عن عليّ ﷺ موقوفًا: «حدِّثوا النَّاس بما يعرفون أتُحِبُّونَ أنْ يُكَذَّب الله ورسوله؟»[٢] وكما قال ابن مسعود ﷺ فيما رواه مسلم في مقدمته:

(١) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٧٤/١٠)، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

(٢) رواه البخاري في العلم (١٢٧).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

«ما أنت بمُحَدِّث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلَّا كان لبعضهم فتنة»[١].

ينبغي أنْ تُحَدِّث النَّاس في القرن الخامس عشر الهجري، أو العشرين الميلادي بما يناسب أهله الَّذين يعيشون فيه، لا ينبغي أنْ تُحدِّث النَّاس بلغة قرون مضت.

ينبغي أنْ يتطوَّر الداعية، يُطوِّر أسلوبه، ويُطوِّر موضوعاته بما يتفق مع مخاطبيه. بعض إخواننا من الدعاة الَّذي ينتمون إلى بعض التيارات الإسلاميَّة، ذهبوا إلى أوربا وأمريكا، وحملوا على الأضرحة والقبور وعلى الَّذين يزورون أضرحة الأولياء وقبورهم، أين هذا في أوربا وأمريكا؟! هو حفظ كلامًا يقوله في بلاده، فذهب يقوله في البلاد الأخرى، لا بدَّ أنْ يراعي الإنسان مقتضى الحال، أهل البلاغة يقولون: البلاغة هي: مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته[٢]. هكذا عرَّفوها لنا حينما درسناها في الأزهر، يطابق الكلام مقتضى الحال، ليس من مقتضى الحال أنْ تُحدِّثَ النَّاس في أمريكا عن مشكلات ليست موجودة عندهم، بعض الَّذين ذهبوا إلى أوربا وأمريكا من البلاد الشرقية حملوا معهم للأسف أفكارهم القديمة، ومفاهيمهم القديمة الَّتي تناسب مشكلات بلدانهم، مع أنَّه لا حاجة إليها في تلك البلاد.

نحن نريد الداعية المعاصر، ومعنى الداعية المعاصر الَّذي ينظر إلى الإسلام وأصوله ومصادره بعين، وينظر إلى العصر وتياراته وفلسفاته ومشكلاته بالعين الأخرى، وبهذا يجمع كما يقولون بين الأصالة والمعاصرة، وقد جاء في الأقوال المأثورة: «رحم اللهُ من حفظ لسانَه،

(١) رواه مسلم في المقدمة (١١/١).

(٢) انظر: الكليات لأبي البقاء الكفوي صـ٢٣٧، تحقيق د. عدنان درويش ومحمد المصري، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

QaradawiBooks.com

وعرف زمانَه، واستقامت طريقتُه»[١]. وقال الحكماء: لا تُكْرِهوا أولادكم على آثاركم؛ فإنَّهم مخلوقون لزمان غير زمانكم[٢]. يعني لا تفرض على أولادك زمنك أنت، أعدَّهم للمستقبل.

الدعاة والنظرة المستقبليَّة:

والإعداد للمستقبل، والنظرة المستقبليَّة أساسيَّة في الإسلام، وليس كما يظن بعض النَّاس أنَّ الإسلاميِّين ـ أو دعاة الإسلام ـ يعيشون في الماضي بمعزل عن الحاضر، ولا يستشرفون المستقبل، لا، لا بدَّ أن نستلهم الماضي وأنْ نعايش الحاضر، وأنْ نستشرف المستقبل، ونُهيِّئ له ونُعِدَّ له العُدَّة.

الداعية وتحديات العصر:

الداعية الحقُّ هو الَّذي يعايش عصره كما ينبغي، يعرف مشكلات عصره ويعرف تحدياته، وأنتم أيُّها الإخوة المسلمون في هذا البلد الكبير، تعيشون في عصر له تحديات، تحديات الزمان والمكان، فلا بدَّ أنْ تدركوا تحديات زمانكم ومكانكم، تحديات بيئتكم وعصركم، هناك تحديات كبرى، نحن نريد أنْ نصحح فهم المسلمين للإسلام، فقد ساء فهم كثير من المسلمين لهذا الدين، حذفوا من الدين ما لا ينبغي أنْ يحذف، وزادوا فيه ما لا ينبغي أنْ يزاد، وشوَّهوا بعض تعاليمه، وقلبوا الموازين

(١) عزاه المتقي الهندي في كنز العمال (٦٨٩٤)، للحاكم في تاريخ نيسابور. وفي سنده كذاب كما قال العلماء، وحسبه أنَّه يرقى إلى صحابي أو تابعي. وهو يعبِّر عمَّا يسمُّونه الجمع بين الأصالة والمعاصرة.

(٢) انظر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن قيم الجوزية (٢٦٥/٢)، تحقيق محمد حامد الفقي، نشر مكتبة المعارف، الرياض.

QaradawiBooks.com

والمعادلات، قدموا ما يستحق التأخير وأخَّروا ما يستحق التقديم، وعظَّموا الهين وهوَّنوا العظيم، كل هذه الأمور تحتاج إلى تصحيح في عقول المسلمين، نريد أن نعلمهم الإسلام العظيم كما أنزله الله تعالى في كتابه، وكما دعا إليه رسوله ﷺ، وكما فهمه الصحابة وطبَّقه الراشدون، وكما سار عليه خير قرون هذه الأُمَّة فهمًا وعملًا وتطبيقًا، لا بدَّ أنْ نعيد إلى الإسلام فطريته وشموله وتوازنه، بحيث لا يطغى جانب على جانب آخر، الإسلام روح ومادة، إيمان وعمل، عقيدة وشريعة، دين ودولة.

رعاية فقه الأولويَّات:

يجب أن نفهم الإسلام بشموليَّته كما جاء في القرآن والسُّنَّة، هناك مسلمون قدَّموا أمورًا في الإسلام، وأقاموا من أجلها معارك لا داعي لها، هناك ما أُسمِّيه «فقه الأولويَّات»، كثير من المسلمين يفتقدون فقه الأولويات، الله تعالى يقول: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التوبة: ١٩]. ليسوا سواء، والنبي ﷺ يقول في الحديث المتَّفق عليه: «**الإيمانُ بضعٌ وستُّون** ـ أو بضع وسبعون ـ **شُعْبة، أفضلُها لا إلٰه إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**»[1]، هناك أعلى وهناك أدنى، لا يجوز أنْ تقلب الشجرة وتجعل الجذع فرعًا والفرع جذعًا، لا يجوز أنْ تقلب البناء، لا يجوز أن تجعل الأعلى أدنى والأدنى أعلى، أوَّل شيء هو العقيدة وتصحيح العقيدة، أعلاها لا إلٰه إلا الله، ثمَّ تأتي العبادات الركنية، ثمَّ تأتي الفرائض غير الركنية، ثمَّ تأتي الواجبات، ثمَّ تأتي السنن المؤكدة، ثمَّ تأتي المستحبات.

(١) سبق تخريجه صـ٢٢.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ينبغي أنْ نعرف هذه الأمور، هناك فرض العين مُقدَّمٌ على فرض الكفاية، وفرض الكفاية الَّذي لم يقم به أحد، مُقدَّمٌ على فرض الكفاية الَّذي قام به بعض الناس، ولذلك عاب الإمام الغزالي على أهل زمانه أن في البلدة الواحدة يوجد نحو خمسين فقيهًا، بينما لا يوجد إلا طبيب من أهل الذِّمَّة. ألم يكن يكفي أربعون فقيهًا بدل الخمسين، ويتفرغ للطب عشرة؟ بدل أنْ يحتاج النَّاس إلى يهودي أو نصراني، ليعالج الرجال والنساء، هذا مع أننا نحتاج إلى الطب أحيانًا في بعض الأحكام الشرعية، فلا بدَّ أن نقدم فرض العين على فرض الكفاية، وفرض الكفاية الَّذي لم يقم به أحد على فرض الكفاية الَّذي قام به البعض، وفرض الكفاية المتعلق بحق الأمة على فرض الكفاية المتعلق بحق الأفراد، أو فرد العين المتعلق بالأمة على فرض العين المُتَعَلِّق بالفرد[1].

ولذلك في الإسلام جاء رجل إلى النبي ﷺ فاستأذنه في الجهاد، فقال: «**أحَيٌّ والداك؟**» قال: نعم. قال: «**ففيهما فجاهدْ**»[2]. لأنَّ البرَّ هنا فرض عين والجهاد فرض كفاية، وفرض العين مقدم على فرض الكفاية، ولكن إذا غزا العدو بلدًا من بلاد الإسلام يصبح الجهاد فرض عين، فهو متعلق بجموع الأمة، مقدم على حقوق الأفراد، ولهذا قال الفقهاء في هذا: ينفر أو يخرج الولد بغير إذن أبيه، والعبد بغير إذن سيده، والمرأة بغير إذن زوجها، لأنَّه حالة نفير عام، الأمة تدافع عن وجودها وكيانها، لا بدَّ أن نعرف أيُّها الإخوة هذه الأولويات.

(١) راجع: إحياء علوم الدين للغزالي (٢١/١)، نشر دار المعرفة، بيروت.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد (٣٠٠٤)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٤٩)، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

وفي جانب المنهيات: هناك الشـرك والكفر الأكبر والعياذ بالله، ثمَّ هناك الشـرك الأصغر، ثمَّ هناك الكبائر، والكبائر نفسها تتفاوت، فهناك أكبر الكبائر، وهناك كبائر مطلقة. ثمَّ هناك المحرمات المسـتيقن منها، وهناك المختلف فيها، وهناك الشـبهات الَّتي اختُلِفَ في حلها وحرمتها ليست كالحرام المتَّفق عليه، ثمَّ هناك المكروه.

أذكر أنَّ الإمام الشـهيد حسـن البنا، ذهب إلى قرية من قرى مصر وكان ذلك في شـهر رمضان، وكانت القرية مختلفة على نفسها، جماعة يقولون: صلاة التراويح عشرون ركعة، هكذا وجدنا آباءنا وأجدادنا ومن عهد سـيدنا عمر، وجماعة يقولون: لا، لا بدَّ أنْ تصلوها ثماني ركعات هكذا صلاها النبي ﷺ ولا يجوز صلاة العشـرين، وذهب الشـيخ البنا وأهـل القرية ينتظرون حكمـه، فحينما جاء قال لهم: أريد أنْ أسـألكم سؤالًا. قالوا: سل. قال: صلاة التراويح ما حكمها في الشرع الإسلامي؟ قالوا: سُنَّة. قال: وأُخوَّة المسلمين ووحدتهم، ما حكمها؟ قالوا: فريضة. قال: أمِنْ أجل سُـنَّة تضيعون فريضـة، يعادي بعضكـم بعضًا ويجافي بعضكم بعضًا وتـكادون تقتتلون؟ لـو تركتم هذه السُّـنَّة وصليتم في بيوتكم لكان هذا أولى لكم من هذا الخصام وهذا النزاع.

بعض إخواننا من السـلفيين حينما ذكرت له هذه الحكاية قال: هذا فرار من قول الحق. قلت له: لا، ليس فرارًا من قول الحق، هذا هو الحق نفسه، وكلام شيخك شيخ الإسـلام ابن تيمية[١] وابن القيم[٢]. قالوا هذا في الأمور الاجتهادية: يمكن أنْ يفعل النَّاس هذا، ويفعل النَّاس هذا. في

(١) انظر: الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٩٦/٦)، نشر دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.

(٢) انظر: إعلام الموقعين لابن القيم (٢٢٣/٣، ٢٢٤)، تحقيق محمد عبد السلام إبراهيم، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

QaradawiBooks.com

الأذان مثلًا بعض النَّاس يقول: الله أكبر، الله أكبر. مرتين كما عند المالكية، وبعض النَّاس يقول: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر. أربعا. هذا يجوز، وهذا يجوز، ناس تصلي الوتر بقنوت ابن مسعود[١] وناس بقنوت الحسن بن علي: اللهم اهدنا فيمن هديت وعافنا فيمن عافيت[٢]. هذا جائز وهذا جائز. فنريد الداعية البسيط الَّذي يجمع ولا يفرق، ويبني ولا يهدم، هكذا ينبغي للداعية المسلم.

محاربة البدع:

نحن نريد أن نُفْهِم المسلمين حقيقة الإسلام، دون تشويه لتعاليمه، دون الزيادة فيه، أو النقص منه، يجب أن نردَّ البدع، فكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار. في الزمن الماضي كان بعض النَّاس يزيدون في الإسلام، وفي عصرنا يريد بعض النَّاس الانتقاص من الإسلام، يريدونه إسلامًا بلا جهاد، يريدونه زواجًا بلا طلاق، يريدونه عقيدةً بلا شريعة، يريدونه دينًا بلا دولة، يريدونه عبادةً بلا جهاد. لا، الإسلام مجموع هذا كله.

هناك أناس يَجْهَدون ويُجْهِدون أنفسهم ليحذفوا من الإسلام ما هو من صلبه، ينبغي أن نحتفظ بالإسلام كله، الإسلام الأول، الإسلام الَّذي ندعو إليه هو الإسلام الأول، إسلام القرآن والسُّنَّة، إسلام الصحابة والتابعين، ليس إسلام فلان ولا علان، الإسلام هو الإسلام، دون نسبة إلى أحد. فنحن نريد من الداعية أنْ يصحح فهم النَّاس للإسلام، ولا يمكن أنْ يصحح فهم النَّاس للإسلام إذا لم يكن هو صحيح الفهم للإسلام.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في الصلاة (٦٩٦٥). ولفظه: «اللهمَّ إنَّا نستعينك ونستغفرك، ونثني عليك الخير، ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك، اللهم إياك نعبد، ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونحفد، نرجو رحمتك ونخشى عذابك، إنَّ عذابك الجِدَّ بالكفار مُلْحِق».

(٢) رواه ابن حبان في الرقائق (٧٢٢)، وقال الأرناؤوط: حديث صحيح.

QaradawiBooks.com

الالتزام العملي بالإسلام:

ثمَّ لا ينبغي فقط أن نُفْهِم النَّاس الإسلام وندعهم، نحن نريد أن نحث النَّاس على السلوك الإسلامي، أنْ يعيشوا مسلمين ويموتوا مسلمين، نريد أنْ نرغبهم في طاعة الله وأنْ نحذرهم من معصية الله، نريد لهم أنْ يقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، ويصوموا رمضان، ويحجُّوا البيت إن استطاعوا إليه سبيلًا، ويَبرُّوا آباءهم وأمهاتهم، ويصلوا أرحامهم، ويُحسنوا إلى جيرانهم، ويُكرموا ضيوفهم، وينزلوا على حكم الإسلام في كل أمر من أمور الحياة، فلا يمكن أنْ يتم الإيمان بغير هذا، الإيمان أنْ تلتزم بالإسلام قولًا وعملًا، فكرًا وتطبيقًا، فلا بدَّ للداعية أنْ يعمل على حث النَّاس على الالتزام بهذا الدين، لا يكفي أنْ يُخَرِّج علماء فقط في فهم الإسلام، ولكن أعمالهم حجة عليهم، أعمالهم تكذب أقوالهم، لا، نريد أناسًا تُصَدِّقُ أعمالُهم أقوالَهم، تُصَدِّقُ علانيتُهم سرائرَهم، على الداعية أنْ يعمل على هذا.

محاربة الدعوات الهدَّامة:

نريد أيضًا من الداعية المعاصر أنْ يقاوم الموجات الإلحاديَّة والانحلاليَّة الَّتي سادت في هذه الأمَّة، نتيجة اختلاط المسلمين بأبناء الحضارة الغربيَّة المادِّيَّة الإباحية، فالاستعمار في البلاد الإسلاميَّة المختلفة ترك وراءه آثارًا بالغة السوء، ترك وراءه من أبناء المسلمين أنفسهم من يتبنى نهجه وفلسفته، وآدابه وقيمه، يفكرون كما يفكر الغرب، ويعيشون حياتهم كما يعيش الغرب، يحملون أسماء إسلاميَّة ولكن أعمالهم غير إسلاميَّة، أعمالهم أوربية أو أمريكية.

ينبغي أن نقف ضد هذه الموجات، موجات الإلحاد والانحلال والإباحية، سواء جاءتنا من الغرب الليبرالي، أو من الشرق الشيوعي،

QaradawiBooks.com

ونحمد الله أنْ أذهب الشيوعية، ونسأله أنْ يُذهِب المادِّيَّة من الغرب والشرق جميعًا.

لا بدَّ للمسلم ـ وخصوصا الداعية ـ أنْ يقف في وجه هذه الموجات. هناك تحد آخر وهو العلمانية الَّتي غزت ديار المسلمين.

العلمانيَّة مشكلة المسلمين في هذا العصر:

للأسف مشكلة المسلمين الأولى في هذا العصر، هي مشكلة حكامها وزعمائها وقادتها. الشعوب والله ـ كما رأيتها في بلاد الإسلام عامة ـ بخير وإلى خير، خاصَّة بعد عصر الصحوة الإسلاميَّة. والله كنت أرى النَّاس في الجزائر تمتلئ بهم المساجد في الصلوات الخمس كأنهم في صلاة الجمعة، ولا زلت أذكر صلاة المغرب في مدينة قسنطينة في الجزائر، حين ذهبتُ للصلاة، أذن المؤذن ـ وكان المسجد على ربوة ـ وإذا بالناس يأتون من فوق ومن تحت، ومن يمين وشمال، ومشرق ومغرب، وامتلأ المسجد بهم حتَّى لكأنها والله صلاة جمعة، وطُلب مني أنْ أتكلم كلمة، فقلت كلمة وأنا أبكي متأثرا بهذا المنظر، البلد الَّذي عاش مئةً وثلاثين عامًا تحت وطأة الاستعمار الفرنسي، وأراد فَرْنَسَةَ هذا البلد دينًا ولغةً، أراد أنْ يُذْهِب دينَه ولغتَه، لكن الدعاة الإسلاميين حاربوا ذلك: الشيخ عبد الحميد ابن باديس، والشيخ البشير الإبراهيمي، والشيخ العربي التبسّي، وغيرهم، هؤلاء العلماء هم الَّذين حفظوا هوية هذا البلد، فالصحوة الإسلاميَّة فعلت هذه الأفاعيل.

في أوَّل الأمر كان التحجب بين النساء قليلًا، ولكن أصبحتُ أذهب إلى الجامعات فأجد الآلاف المؤلفة من الطالبات قد التزمن بالحجاب،

QaradawiBooks.com

كنت أخطب الجمعة في بعض الأحيان فيصلي خلفي مئة ألف، أو مئة وخمسون ألفًا، أو مائتا ألف، المسجد ثلاثة طوابق وحوله ساحات، وتُوَصِّلُ إليه طرقات وميادين، تمتلئ هذه كلها، وتتعطل المواصلات، هذا في الجزائر الَّتي عاشت تحت الاحتلال الفرنسي.

الشعوب الإسلاميَّة بخير، الفطرة الإسلاميَّة لا زالت هي المؤثرة في هذه الشعوب، لا زالت هذه الشعوب بفطرتها السليمة مع الإسلام، ما كفرت هذه الشعوب الإسلاميَّة بربها ولا بقرآنها ولا بمحمدها ﷺ.

فلذلك أقول: المشكلة هي مشكلة هؤلاء الحكام الَّذين اختاروا العلمانية أساسًا لحكمهم، وعزلوا الإسلام عن الحياة، وبعد أنْ كان الإسلام هو القائد للمجتمع، وهو الموجه للحياة، والمؤثر في التشريع والسلوك، أصبح الإسلام معزولا، أصبح محصورًا في المسجد، وليس في المسجد فقط، بل حتَّى المساجد صارت مُوجَّهة، ليس للخطيب أنْ يقول ما يشاء، وإنَّما يقول ما تقوله الحكومة، وفي بعض البلاد عُزل الخطباء الأهليون الشعبيون، وأصبح هناك خطباء من الدولة، من السلطة، من وزارة الأوقاف، يقولون ما تريد الحكومة أن تقوله.

لا بدَّ للداعية أنْ يقف أمام هذه الموجة العلمانية الَّتي جاءتنا من الغرب، الَّتي تقول: أعط ما لقيصر لقيصر، وما لله لله. ونحن المسلمين ليس عندنا هذا الأمر، عندنا أن قيصر وما لقيصر لله الواحد القهار.

فعلى الداعية المسلم أنْ يواجه هذه الموجة، أنْ يواجه الخرافة الَّتي تعشش في عقول كثير من المسلمين، وخصوصًا في القرى والريف، وعند الأميين من الناس، لا بدَّ أن نصحح عقيدة هؤلاء، بحيث نطهرها من الشركيات، ونطهر العبادة من المبتدعات، ونطهر السلوك من

QaradawiBooks.com

الانحرافات، ونحاول أن ننشئ الشخصية الإسلاميَّة، لا بدَّ أنْ يبذل الداعية جهده في هذا الميدان.

يواجه المجتمع الهندي هنا أيضًا أخطارًا محدقة، لا يجوز للداعية أنْ يعيش بمعزل عنها، لا بدَّ أنْ يعي الداعية مشكلات مجتمعه، وخصوصًا المشكلات الكبرى في هذا المجتمع الَّذي عاش المسلمون فيه قرونًا، وتركوا فيه آثارًا وبصمات في الحياة كلها، اجتماعية وثقافية وعمرانية ودينيَّة، ولا زالت آثارهم تشهد لهم.

تِلْكَ آثارُنا تدُلُّ علينا فانظروا بَعْدَنا إلى الآثار[1]

هذا المجتمع المسلم مُهَدَّد بالزوال، مُهَدَّد بالفناء أمام تلك المُخَطَّطات الرهيبة الَّتي يعرفها المسلمون، المخططات الهنديَّة الَّتي تريد القضاء على المسلمين، إبادتهم معنويًّا ثمَّ إبادتهم ماديًّا، إبادتهم ثقافيًّا وحضاريًّا ثمَّ إبادتهم ماديًّا، بحيث يزولون من هذا المجتمع، ويقولون: من أراد أنْ يعيش بالإسلام فليذهب إلى باكستان. كأن المسلمين غرباء أو دخلاء على هذا المجتمع وليسوا جزءًا أساسيًّا منه، القوم قد مكروا مكرًا كُبارًا وكادوا كيدًا عظيمًا، حددوا الأهداف، ووضعوا الخطط، وهيؤوا السُبل، وقدَّروا المراحل وربطوا الأسباب بالمسببات. وقد بدأت هذه المساعي تظهر آثارها.

لا بدَّ إذنْ أن نقاوم، نحن لسنا ضعفاء، المسلمون يضعفون حينما يتفرقون، يضعفون حينما تلهيهم الدنيا فينشغل كل امرئ بخاصة نفسه، وتنشغل كل جماعة ببناء نفسها ولو بهدم غيرها، وهذا لا يجوز.

---

(١) ذكره من غير عزو الثعالبي في اللطائف والظرائف صـ٨٠، نشر دار المناهل، بيروت.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ينبغي للدعاة الأصلاء أنْ يعملوا على توحيد هذه الأمة وإشعارها بالخطر المُحدِق المُهدِد، كما قلت للإخوة في «دِيْوبَنْد» حينما جئت هنا إلى دار الندوة، ذهبنا مع سماحة الشيخ أبي الحسن إلى «ديوبند» في ذلك الجمع العظيم الَّذي لم أرَ في حياتي مثله، حوالي مليونين من المسلمين، ذهبوا إلى «ديوبند»، قلت لهم في كلمتي: إنَّ المسلمين يعتبرون أقلية في هذا البلد، ولكن هذه الأقلية تُعتبر التجمعَ الثاني للمسلمين في العالم، بعد إندونيسيا يأتي تجمع المسلمين في الهند، هم أكبر من باكستان، وأكبر من بنجلاديش، فلا بدَّ أنْ يكون لهذا التجمع أثره في الحياة، وإنَّما يكون له أثره بأن نتجمع، يتجمع بعضنا مع بعض، ويضع كل منا يده في يد أخيه، ونتناسى الخلافات الجزئيَّة، والمعارك الجانبيَّة ونذكر المعركة الكبرى، هذا هو المطلوب منا في هذه القضيَّة، كن ديوبنديًّا، كن ندْويًّا، كن إصلاحيًّا، كن من أهل الحديث، كن من الجماعة الإسلاميَّة، ألستَ مسلمًا، ألستَ تشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله، لا بدَّ أن نجتمع على ما يصير به المسلم مسلمًا، نحن في حاجة إلى أن نُوَحِّد هذه الأُمَّة في مواجهة الأخطار، وهذا عمل الدعاة، الداعية الأصيل هو الَّذي يدرك هذه المهمة وهذه الخطورة، ويعيش بها، ويعيش لها، ويحاول أنْ يوصل هذه الرسالة إلى الأُمَّة.

لا بدَّ للداعية أنْ يشارك مجتمعه، في همومه ومشكلاته، ويعيش مشكلات المسلمين في هذا البلد، ويعمل على رفع مستواهم الثقافي والمادي، يجب أنْ تقوم حملة يقودها هذا الشيخ الجليل لمحو الأمية من المسلمين، لا يمكن أنْ يكون للمسلمين شأن وهم أميون، لا بدَّ أن نُعَلِّمَ المسلمين، لا بدَّ أن نَنْصُر خريجي المدارس الدينيَّة والشباب

QaradawiBooks.com

المتدين من خريجي الجامعات العصرية والمدارس الثانوية، نطلقهم في القرى والأرياف ليُعلِّموا النَّاس القراءة والكتابة، ليمحوا أمية الناس، نريد أنْ نرفع من مستوى المسلمين في هذا البلد.

تبليغ الدعوة لكل الفئات:

يا أيُّها الإخوة لا أريد أنْ أطيل في هذه القضيَّة، المهم أريد من الداعية الَّذي يعيش في هذا العصر أنْ يدرك هذه التحديات، ولا أريد أكثر من ذلك، وأنْ يعمل على مخاطبة كل الفئات، يصل إليها بالدعوة، يبلغ إليها الرسالة، إلى الرجل والمرأة، فالمرأة نصف المجتمع، ولا يطير المجتمع بأحد جناحيه، لا بدَّ أنْ يطير بجناحي الرجال والنساء.

إنَّ أوَّل صوت ارتفع بتأييد رسول الله ﷺ كان صوت امرأة، هي خديجة بنت خويلد، حين قالت: والله ما يخزيك الله أبدًا[1]. وأول دم أريق في الإسلام كان دم امرأة هي سمية أم عمار، طعنها أبو جهل فاستشهدت، كانت أوَّل شهيدة في الإسلام[2]. لا بدَّ أن نخاطب الرجال والنساء، بل لا بدَّ أن نعمل على تخريج الداعيات المسلمات، العالمات، اللائي يقمن بدورهن في تثقيف المسلمات ودعوتهن، ودعوة غير المسلمات أيضًا، هذا مما لا بدَّ منه.

---

(١) جزء من حديث متَّفق عليه: رواه البخاري في بدء الوحي (٣)، ومسلم في الإيمان (١٦٠)، عن عائشة.

(٢) رواه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٧٦٨٩)، تحقيق عادل بن يوسف العزازي، نشر دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م، وقال ابن الأثير: سمية أم عمار بن ياسر هي سمية بنت خباط كانت أمة لأبي حذيفة بن المغيرة المخزومي، وكان ياسر حليفًا لأبي حذيفة، فزوجه سمية، فولدت له عمارا، فأعتقه أبو حذيفة. انظر: أسد الغابة (١٥٢/٦)، نشر دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

QaradawiBooks.com

لا بدَّ أن نخاطب الرجل والمرأة، ونخاطب الشيخ والطفل، من أوائل ما كتب الشيخ أبو الحسن حفظه الله[١] «قصص النبيِّين للأطفال»، و«كتب التاريخ للأطفال»، و«السيرة النبويَّة للأطفال»، لا بدَّ أن نخاطب هذا الإنسان الَّذي نُعِدُّه ليكون رجل الغد، كما لا ننسى أن نخاطب الفلاح وصاحب الأرض، لا بدَّ أن نخاطب العامل ورب العمل، لا بدَّ أن نخاطب الطالب والأستاذ، كل الفئات يجب أنْ تصل إليها دعوة الإسلام، الداعية المُوَفَّق الناجح هو الَّذي يخاطب كل هذه الفئات.

التدرج في تبليغ الدعوة:

ويخاطب كل فئة بما يصلح لها، كما كان يفعل النبي ﷺ، وكما قال لمعاذ بن جبل: «**إنَّكَ تأتي قومًا من أهل الكتاب** ـ يعني ليسوا وثنيِّين ـ **فادْعُهم إلى شهادة أن لا إلٰه إلا الله وأنِّي رسولُ الله، فإنْ هم أطاعوا لذلك، فأَعلِمْهم أنَّ الله افترض عليهم خمسَ صلواتٍ في كلِّ يومٍ وليلة، فإنْ هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أنَّ الله افترض عليهم صدقةً تؤخذ من أغنيائهم فتردُّ في فقرائهم**»[٢]. أي اتبع معهم أسلوب التدرج، والتدرج سُنَّة كونية، وسُنَّة شرعية، لا يمكن أن نحصُل على الأشياء دَفعة واحدة، وإنَّما نصل إليها بالتدرُّج، كما قال عمر بن عبد العزيز لابنه التَّقي المُتَحمس عبد الملك، وقد جاء إليه وقال له: يا أبت، مالك لا تنفذ في الأمور، فو الله لا أبالي في الحقِّ لو غلت بي وبك القدور. قال له عمر: لا تعجل يا بني، فإنَّ الله تعالى ذمَّ الخمر في القرآن مرتين، وحرّمها في الثالثة، وأنا أخاف أنْ أحمل النَّاس على الحقِّ جُملة فيدفعوه وتكون

(١) كان رَحِمَهُ اللَّهُ حيًّا وقت المحاضرة.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في المظالم (٢٤٤٨)، ومسلم في الإيمان (١٩)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

فتنة[1]. التدرج مطلوب، لا بدَّ للداعية أنْ يتدرج، وأنْ يصبر على الناس، حتَّى تؤتي دعوته أكلها، وثقوا أنَّ الداعية المخلص لن يضيع جهده هباء، ابذُر الحَبَّ وارْجُ الثمار من الربِّ، إنَّما عليك البلاغ وعلى الله الحساب، ليس عليك إلا الدعوة وعلى الله الهداية، فإذا كنت مخلص النية فإنَّ الله ﷻ سيفتح لك العقول والقلوب، وسينفع بدعوتك الناس، القريب والبعيد.

هذه أيُّها الإخوة ملامح لا بدَّ منها، عن الداعية وتحديات العصر، أسأل الله تبارك وتعالى أنْ يتخرج في هذه الجامعة وهذه الدار وهذه المؤسسة العلمية الدعوية الكبيرة دعاة صادقين، وعلماء عاملين، يعرفون إسلامهم، ويعرفون مشكلات عصرهم ويداوونها بالتي هي أحسن، بمناهج الدعوة الثلاث الَّتي ذكرها القرآن الكريم: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥]. والحكمة ـ كما قال الشيخ أبو الحسن في أحد كتبه ـ كلمة تتعسر ترجمتها إلى لغة أخرى، كلمة الحكمة هي كلمة كبيرة، مقتضاها أنْ تخاطب النَّاس بالعقل، بما يناسب المكان وما يناسب الزمان وما يناسب حال الإنسان. ﴿وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ الحكمة تخاطب العقول في الغالب، والموعظة الحسنة تُحرِّكُ القلوب، إذا كانت حقًّا موعظة حسنة، ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ الحوار مع المخالفين بالموعظة الحسنة، انظروا إلى هذا الأدب القرآني والبلاغة القرآنية، اكتفت الآية في الموعظة بأْن تكون حسنة، ولم تكتفِ في الجدال إلا بالتي هي أحسن، لماذا؟ لأنَّ

(١) انظر: الموافقات للشاطبي (٢/٩٣، ٩٤)، تحقيق عبد الله دراز، نشر دار المعرفة، بيروت.

QaradawiBooks.com

الموعظة مع الموافقيـــن، والجدال مع المخالفيـــن، الموافق يكفيه أنْ تعظه موعظة حسنة، أمَّا المخالف فلا بدَّ أنْ تحاوره بالتي هي أحسن، فلو كانت هنـــاك طريقتان: طريقة حســـنة جيدة، وطريقة أحســـن منها وأجود؛ فأنت مطالَـــب أنْ تُحاور المخالف بالطريقة الَّتي هي أحســـن وأجود، هـــذا ما نبَّهنا إليه القـــرآن في قوله تعالـــى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦]. أي اذكروا الجوامع ولا تذكروا المفرِّقات، اذكروا ما ينفعكم وما يقربكم من مخالفيكم، وهذا من أدب الإسلام العظيم.

أيها الإخوة، هذه معالـــم وضوابط، أو ملامح ومنـــارات، أرجو أنْ تكون نافعة لهذا الميدان الكبير، ميـــدان الدعوة إلى الله وإلى هذا الدين ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

أقول قولي هذا، وأســـتغفر الله تعالى لي ولكـــم، وأعتذر إنْ أطلت عليكم، وصلَّى الله وســـلم على سيدنا وإمامنا وأســـوتنا وحبيبنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّمَ تسليمًا كثيرًا.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٣

التفقه في الدين والدعوة إليه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الَّذي بنعمته تتمُّ الصالحات، الَّذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدِيَ لولا أن هدانا الله، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، ومَن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

خير ما أُحَيِّيكم به أيُّها الإخوة وأيُّها الأبناء بالأصالة عن نفسي وبالنيابة عن إخوانكم في البلاد العربيَّة عامَّة، وفي قطر وبلاد الخليج خاصَّة، خير ما أُحَيِّيكم به تحيَّة الإسلام، وتحيَّة الإسلام السلام، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وإنِّي لأحمد الله تبارك وتعالى أنْ هيَّأ لي هذه الفرصة الطيِّبة المباركة لألتقي بمُؤَسِّس هذه الجامعة وأساتذتها وطلابها، وكان ما يُتوقَّع أنْ يتمَّ هذا اللقاء في ربيع العام الماضي، ولكن شاء الله ﷻ أنْ يتأخَّر لهذا اليوم، ولكل شيء أجل مُسمًّى عند الله ﷻ.

وأسأله ﷻ أن يجعل لقاءنا هذا خالصًا لوجهه، وأن يجعل من ورائه الخير للإسلام والمسلمين، وقد جاء في حديث سلمان رضي الله عنه:

QaradawiBooks.com

«مثل الأخويـــن المؤمنين كمثل اليدين؛ تغســـل إحداهمـــا الأخرى، وما التقى مؤمنان قطُّ، إلَّا أفاد الله أحدهما من صاحبه خيرًا»[١].

التفقُّه في الدِّين:

إنَّ أعظم نعمة أنعم الله بها علينا هي نعمة الإسلام، وصدق الله ﷻ إذ يقـــول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. ولكن شـــكر هذه النعمة لا يتم إلَّا إذا عرفنا ما هو هذا الإسلام، ومن هنا كان علينا أن تكون في هذه الأمة طائفة تتفقَّه في دين الإسلام، فإذا تفقَّهت فيه: ألزمت نفسَـــها أن تدعو غيرَها، وتُعلِّم غيرها ما تعلَّمته، من هنا قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

أي إنَّ المســـلمون لا بدَّ أنْ يكـــون فيهم مُتَخَصِّصـــون، يغطُّون كل الحاجـــات، ويُغَطُّون كلَّ الميادِيـــن، ولا يدَعون ثغرةً مـــن الثغرات في المجتمع دون أنْ يسُـــدُّوها، فلا يجوز أنْ يكون كلُّهم في ميدان الجهاد وميدان العلم لا أحد فيـــه، ومن هنا جاءت الآيـــة الكريمة تقول: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً﴾ أي للجهاد ويدَعوا العلم والتفقُّه، ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾. واستعمل القرآن الكريم هنا كلمة ﴿نَفَرَ﴾، التي تُســـتعمل في الجهاد، فالذي ينفر للتفقُّه كأنَّما ينفر للجهـــاد، كأنَّما يُعِدُّ نفســـه للميدان؛ لأنَّ التفقُّه الحقيقي في الدين لونٌ من الجهاد في سبيل الله، ولون من البذل في ســـبيل الله؛ لأنَّه ينذر نفسه لأن يعيش للدين، أن

(١) رواه ابن وهب في جامعه (٢٠١) تحقيق مصطفى أبو الخير، والبيهقي في شعب الإيمان (٧٢٨٨).

QaradawiBooks.com

يعيش لله؛ ولهذا كان أسلافنا الصالحون كان الرجل منهم ينذر ابنَه منذ يُولد، أو منذ يشب عن الطوق، ينذره ليجعله من علماء الدين والمتفقهين فيه، كأنَّما أطلقه لدين الله، كأنَّما نذره للجهاد في سبيل الله، ومن هنا قال القرآن: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾. ولهذا كان التفقُّه في الدين والتعمُّقُ في فهمه فرضًا من فروض الكفاية، أي: يجب أن يكون في كل مجتمع عددٌ من أبنائه يتفقهون في الدين: يتعلمون القرآن والسُّنَّة، ويعرفون العقائد والفقه، ويعرضون هذا كله على كتاب الله وسُنَّة رسوله، ويتفقهوا في الدين، ثم ينذروا غيرهم وينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلَّهم يحذرون.

معنى التفقُّه في الدِّين:

لا بدَّ من طائفة تتفقَّه في الدِّين، هذا من فروض الكفاية على المجتمع المسلم.

ولكن ما معنى التفقه في الدين؟ التفقُّه في الدين ليس مجرد حفظ الأحكام من بطون الكتب؛ دون معرفة أسرارها! قد يحفظ الإنسان كثيرًا من الأحكام، ولكنَّه لم يصل إلى مرحلة الفقه فيه.

الفقه هو فهم أسرار الشيء، ومن هنا نجد القرآن يصف الكفار بأنَّهم ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩]، ليسوا من ذوي الفقه، ويقول عن المنافقين: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [الحشر: ١٣]، ويقول عن اليهود: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ٥٨]. أي: ليس عندهم عقول يتعقلون بها الأسرار، وإنَّما يقفون عند القشور ولا ينفذون إلى اللباب؛ ولهذا لفت الله أنظار الناس إلى أسراره في كونه، وأسراره في شرعه، ودعا إلى

QaradawiBooks.com

التفقُّه فيها، وقال في أسرار الكون: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٩٨]. وقال في أسرار الشرع: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١٢٢]. وهذا ما ورد فيه الحديث الصحيح في البخاري ومسلم: «**من يرد الله به خيرًا يفقِّهْهُ في الدِّين**»[١].

الفقه في الدين أن تعرف أسرار هذا الدين، أن تعرف لماذا شرع الله هذا الأمر، ما حكمة فرض الله؟ ما أسرار تشريعه؟ وما الآثار المترتبة عليه؟

أن تربط الأحكام بعضها وبعض، لا أن تُفرِّق الإسلام أجزاء وتفاريق، وتجعله أشياء متناثرة، وأن تعرف تفصيل الفروع عن الأصول، ولكن لا بدَّ أنْ تَربط الفروعَ بالأصول، والجزئيات بالكليات، والنوافل بالفرائض.

مراتب الأمور الدينيَّة:

وأن تُفَرِّق بين مراتب الأشياء، لا بدَّ أن تُفَرِّق بين الظَّنِّي والقطعي في الأحكام، وبين الجزئي والكُلِّي في الأمور، وبين النوافل والفرائض في المأمورات، بين الصغائر والكبائر في المحرمات، بين المكروهات والمحرمات، بين ما هو مختلف فيه وما هو متَّفق عليه، فلكل شيء مرتبته، ولكل مرتبة حكمها. هذه أمور مهمة، من لم يفقهها خلط فيما لا يجوز الخلط فيه، وأنكر على الناس فيما لا يجوز الإنكار فيه، وأقام معركة من أجل مسائل تافهة، وترك المهمَّ إلى غير المهم، أو ترك الأهمَّ إلى ما هو أقل أهمية منه، كل هذا من الفقه في الدين.

---

(١) سبق تخريجه صـ١٩.

QaradawiBooks.com

مصادر التفقُّه في الدين:

لا بدَّ أن نتفقه في الديـــن، ولا يكون ذلك إلَّا إذا رجعنا إلى اللباب: القرآن، والسُّـــنَّة، وإلى أفهام الصحابـــة وتلاميذهم فيهـــا، فأفقه الناس بالإسلام هم أصحاب رســـول الله، عنه تلقَّوا، ومنه أخذوا، وفي مدرسته تعلَّموا، وعليه تخرَّجوا؛ ولذلك نجدهم أفقه الناس بهذا الدين وأعرفهم بمقاصده، وأفهمهم لغاياته؛ ولهذا يجب أن نتتلمذ عليهم، وأن نعود إلى المنابع الأصلية، إلى المنابع الصافية.

بعض الناس يتخرجون في مـــدارس دينية، وفي معاهـــد دينية؛ لم يقرؤوا إلا كتب المتأخرين فـــي المذاهب، ولكنهم لم يقـــرؤوا ما كَتَبه الأولون، لم يقرؤوا فقه الصحابة وتابعيهم بإحســـان، لم يقرؤوا الكتب الأولى؛ ولهذا ندعو أبناء هذه الجامعة الفتية إلى أن يعودوا إلى المنابع الصافية الأولى، ويتتلمذوا على الأئمة الكبـــار؛ منذ عهد الصحابة فمن بعدهم، حتَّى على أئمة المذاهب.

وليس معنى ذلك أن نترك كتب المتأخرين، لا، لا بدَّ أن نمزج بين هذا وذاك، ولكن الشيء الأساسي هو الرجوع إلى الأصول، الرجوع إلى المنابع، قبل أنْ تعكرها المعكـــرات، وأن تكدرها المكدرات، وهذا هو الفقه فـــي الدين. ومن هنا أدعـــو أبناء هذه الجامعة أنْ يكوِّنوا أنفســـهم التكويـــن العلمي الصحيـــح، بالرجوع إلـــى هذه المصادر الأساســـية، المصادر الأوَّلية، وأن يقتبســـوا منهـــا، ويأخذوا عنها، وهذا ســـيُكلِّفهم ولا شك الشـــيءَ الكثير، ســـيكلفهم الجهد والتعب والمعاناة، وهذا هو العلم، «العلم لا يعطيك بعضه حتَّى تعطيَه كلَّك»، هكذا قال السلف[1].

(١) إحياء علوم الدين (٥٠/١).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء: ٨٥]، ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٤]. إنَّما العلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلَّ نفسك، كلَّ وقتك، كلَّ جهدك، كلَّ ما عندك، حتَّى تحصل على بعض العلم.

وهذا ما أوصيكم به أبناء هذه الجامعة أن تتعبوا وتعانوا، وترجعوا إلى المصادر الأولى حتَّى تتفقهوا في الدين حقًّا، وبذلك تكونون العلماء المرجوِّين لغد هذه الأمة إن شاء الله.

معرفة زماننا والانفتاح على العصر:

ولا بدَّ من شيء آخر ليكونَ تفقُّهُنا في الدين تفقُّهًا حقيقيًّا، حتَّى لا تزِلَّ بنا القدم أو يضل بنا الطريق: لا بدَّ أن نعرف زماننا، لا بدَّ أن ننفتح على عصرنا، لا بدَّ أن ننظر إلى الإسلام بعين، وإلى العصر الَّذي نعيش فيه بعين أخرى، كما قال الأثر: رحم الله امرأً عرف زمانه، واستقامت طريقته. لا بدَّ أن نعرف الزمان، وتستقيم لنا الطريقة، فكل زمان له خصائصه، وله أحواله. وقد قال علماؤنا: إنَّ الفتوى تتغيَّر بتغيُّر الزمان والمكان، والحال والعرف. أي: إنَّ المفتي لا يصمد في فتواه؛ بحيث يفتي لكل الناس، لكل الأزمنة، لكل الأحوال بفتوى واحدة، لا، الفتوى تتغير، وهذا له أصل في الشرع، النبي ﷺ سُئِل عن القُبلة للصائم، سأله سائل عن القُبلة للصائم فرخَّص له، أجاز له أنْ يُقبِّل وهو صائم، وسأله آخر فنهاه، ولم يرخص له في القُبلة، فلما بحث الصحابة عن الفتويين؛ وجدوا أنَّ الأول كان شيخًا والثاني كان شابًّا[1]. أي أنَّه أفتى الشيخَ بما لم يُفتِ به الشابَّ، فكل حالة لها حكمها.

(١) رواه أبو داود (٢٣٨٧)، والبيهقي (٢٣١/٤)، كلاهما في الصوم، وجوَّد إسناده النووي في المجموع (٣٥٤/٦، ٣٥٥)، وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود (٢٠٦٥). عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وجاء رجل إلى ابن عباس رضي الله عنهما، وسأله: هل للقاتل من توبة؟! فصعّد ابن عباس النظر فيه، ثم قال له: لا، ليس للقاتل من توبة.

ولمَّا ولَّى الرجل قال له أصحابه: كنا نسمع منك قبل ذلك تقول: إنَّ للقاتل توبة! فقال: إنِّي رأيت هذا الرجل مغضبًا، يريد أن يقتل مؤمنًا[1]. أي: إن هذا السائل يختلف عن السائل الآخر، الَّذي قد قتل بالفعل ويريد أن يتوب إلى الله، فهنا قلت له: باب التوبة مفتوح. أمَّا هذا فلم يقتل، في عينه يقدح شرر الغضب والانتقام والثأر، ويريد أن يقتل شخصًا، ولكنَّه قبل أن يقتل يريد أن يأخذ فتوى بأنَّ باب التوبة مفتوح للقاتل، فسدَّ عليه ابن عباس هذا الباب وقال: ليس للقاتل من توبة!

ومن هنا فإن الفتوى قبل الفعل ـ قبل أن يُبتلى الإنسان بالمعصية ـ غير الفتوى بعد أن يُبتلى بالمعصية. ومن هنا نجد بعض العلماء حين يستفتون في أمر الطلاق، إذا كان الطلاق قد وقع بالفعل؛ ربما يبحث له عن سبيل النجاة ويُخفِّف عليه، وإذا كان الطلاق لم يقع؛ فلا داعي أن يخفف عليه.

مشروعيَّة تغيُّر الفتوى:

لذلك نقول: إنَّ الفتوى تتغير بتغير الزمان، وتغيُّر المكان، وتغيُّر الأحوال، وتغيُّر الأعراف، كلُّ بيئة لها أعرافها الخاصة؛ فتكون لها فتواها الخاصة؛ ولهذا رأينا الإمام الشافعي رضي الله عنه له مذهبان: قديم، وجديد، قديم قبل أن يأتي إلى مصر، في الحجاز والعراق وفي غيرها، وبعد أن قدم إلى مصر واستقر بها كان له مذهب جديد، سجَّله في كتبه الجديدة،

(١) رواه ابن أبي شيبة في الديات (٢٨٣٢٦)، وقال ابن حجر في التلخيص الحبير (٣٤٣/٤): رجاله ثقات.

QaradawiBooks.com

وأصبح معروفًا في المذهب الشافعي: قال في القديم كذا، وقال في الجديد كذا. لماذا؟ لأنَّه في مصر رأى ما لم يكن قد رأى، وسمع من الأحاديث والآثار ما لم يكن قد سمع، وهو مجتهد تتغير اجتهاداته بتغيُّر موجِباتها؛ فلهذا غيَّر كثيرًا مما اجتهد فيه.

فكيف يريد بعض الناس أن نصمد على ما كان عليه الأقدمون منذ ثلاثة عشر قرنًا، أو اثني عشر قرنًا؛ بينما الدنيا تغيَّرت، وتغيَّر كلُّ شيء فيها؟!

الإلمام بالثقافة المعاصرة وعلوم العصر:

من هنا نقول: إنَّ علينا أن نعرف عصرنا، وأن نعيش هذا العصر، أن نُلِمَّ بثقافته، لا بدَّ أن يكون عندنا قدر من العلوم العصرية، من لم يعرف أن هناك شيئًا اسمه الحيوان المنوي يخرج من الرجل والبييضة تخرج من الأنثى، وكلاهما يتلاقيان بشكل معين، فيحدث منهما بييضة ملقَّحة هي الجنين، من لم يعرف هذا كيف يستطيع أن يفتي في مسائل الإجهاض، ومسائل كثيرة تتعلق بالجنين. هناك أشياء كثيرة تتعلق بالفقه، لا بدَّ أن يكون الإنسان على شيء من العلم بها، وإلا أصبح أضحوكة لأهل العلم في هذا العصر.

لا بدَّ أن نُلِمَّ بقدر من العلوم والثقافة المعاصرة: الثقافة العلمية، والثقافة الإنسانية الأدبية، هذا ما يلزم المفتي والداعية، ولي كتاب سميته «ثقافة الداعية» ذكرت فيه ستة ألوان أساسية من ألوان الثقافة، ينبغي أن يحيط بها الداعية لكي يكلم الناس على قدر ما يعلمون، حتَّى يَثْبت ويُفهِم، وقد جاء في القرآن الكريم: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾ [إبراهيم: ٤]. وأنا أفهم هذه الآية فهمًا أعمق مما يفهمه

QaradawiBooks.com

الكثيرون، لأنَّه ليس معناها أن تكلم الإسرائيليين بالعبرية أو بكذا فقط، لا، أيضًا تكلم الخواص بلسان الخواص، وتكلم العوام بلسان العوام، تكلم العالم بلسان العالم، والأميَّ بلسان الأمي.

فإنك إذا كلمت الأميَّ بلسان العالم لا يفهمك، وإذا كلمت العالمَ بلسان الأمي أعرض عنك، ولم يستمع إليك، ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾. ولهذا قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: حَدِّثوا الناسَ بما يعرفون، ودعوا ما يُنْكرون، أتريدون أن يُكَذَّب الله ورسوله[1]؟! خاطبْهم على قدر عقولهم.

وهذا لا يكون إلا إذا عرفت كيف رُكِّبت عقولهم، ما هي مسلَّماتهم العقلية، ما هي معلوماتهم الأساسية، ما هي ثقافتهم، كيف ينظرون إلى الإسلام، وإلى المواقف، وإلى الحياة، وإلى الكون، وإلى الإنسان، وإلى الدين، وإلى التاريخ. لا بدَّ أن تعرفهم حتَّى تستطيع أن تخاطبهم. ومن هنا كان على الإنسان المتفقه في هذا العصر أن يعرف هذا العصر، وطبيعة هذا العصر، ومن هنا سرَّني كل السرور أن هذه الجامعة لم تهمل هذا المعنى، فهي جامعة تجمع بين القديم والحديث، بين علوم الشريعة وعلوم هذا العصر، وتُخرِّج المتخرج فيها؛ ليكون على علم بدينه وعلم بعصره، وبذلك يستطيع أنْ يؤثر كما يتأثر، وأن يُعلِّم كما تعلَّم، وهذا هو الواجب علينا في عصرنا الَّذي نعيش فيه.

لا بدَّ للإسلام من طائفة تتفقه في الدين، تأخذ هذا الدين من منابعه الصافية، تتلقَّاه من مصادره الأساسية ترجع به إلى فقه الصحابة ومن تبعهم بإحسان، تنفتح على عصرها ولا تعيش معزولة عن تياراته وثقافته.

(١) رواه البخاري في العلم (١٢٧).

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

لا بدَّ أن يتبع العلمَ العملُ:

لا بدَّ للإسلام من هذه الطائفة التي تعرف الإسلام هذه المعرفة الواعية، ولكن المعرفة ليست كلَّ شيء، والفقه ليس كلَّ شيء، لا بدَّ إلى جوار هذا الفقه وهذه المعرفة وهذا العلم من عمل، فقد حمَل القرآن الكريم على مَن تحمَّلوا العلم حفظًا، ولم يَحملوه فقهًا وعملًا، ومثَّل لهم أسوأ الأمثلة، مثَّلهم بالكلب حينًا، وبالحمار حينًا آخر!

المسلم الَّذي يحمل القرآن ويحمل الإسلام؛ لا بدَّ أنْ يتمثل فيه الإسلام، وأنْ تتجسَّد فيه أخلاق القرآن، كما كان نبيه ﷺ. سُئلت عائشة رضي الله عنها عن خُلُق النبي ﷺ فأجابت بهذا الجواب الجامع: «كان خُلُقه القرآن»[1]. إذا أردت أنْ تعرف أخلاقه ﷺ ومكارمه؛ فافتح المصحف واقرأ آياته، تعرف أنَّه نموذج مجسَّد لهذه الأخلاق، اقرأ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١]، اقرأ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، اقرأ الآيات التي جاءت في سورة الرعد، أو في غيرها أوصافَ أولي الألباب، تجد أخلاق النبيِّ ﷺ تجسَّد هذه الآيات، «كان خُلُقه القرآن».

ونحن نريد من المسلم الَّذي نذر نفسه لهذا الدين وللتفقُّه فيه أنْ يكون مصحفًا مفسَّرًا، أن يكون قرآنًا حيًّا يمشي بين الناس على قدميه، ينظر الناس إليه ويقولون: انظروا، ما أجمل الإسلام! ما أعظم آداب الإسلام! ما أروع أخلاق الإسلام!

هكذا نريد ابن العلم الديني، ابن المدرسة الدينية، ابن الجامعة الإسلامية، لا نريد منه أن يتخرَّج بدرجة عالية في العلم، ودرجته سفلى

(١) رواه مسلم في صلاة المسافرين (٧٤٦)، وأحمد (٢٤٦٠١).

QaradawiBooks.com

في الأخلاق والأعمال! لا بدَّ أن يقترن العمل والخُلُق، إلى جانب العقل والعلم والفهم، لا بدَّ من هذا. نريد الإنسان الَّذي يخشى الله تبارك وتعالى، الَّذي يثمر علمه خشيةً في قلبه، وإلا لم يكن هذا علمًا، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]، فمن لم يخشَ الله فليس بعالم، علمه قشور، علمه لم يصل إلى قلبه.

والعلم عِلْمان كما جاء في الحديث: «**علم في القلب، فذاك العلم النافع، وعلم على اللسان فذاك حُجَّة الله على ابنِ آدم**»[(١)]. يتحدث عن الصلاة ولا يصلي، أو عن الزكاة ولا يزكي، أو عن التضحية ولا يُضحِّي، أو عن الصدق ولا يصدق، أو عن الخيرات ولا خير فيه، هذا علمه حجة عليه. ولذلك كان عمر بن الخطاب يقول: اللهم إنِّي أعوذ بك من المنافق العليم.

قالوا: يا أمير المؤمنين، كيف يكون منافقًا وعليمًا؟

قال: عالم اللسان، جاهل القلب[(٢)]. علمه على لسانه، شقشقة بالألفاظ، عبارات بليغة، لسان يتكلم، ولكن ليس وراءه خير.

ولذلك، من هدي الإسلام أن يخشى الله تبارك وتعالى، يقول شاعر الإسلام وفيلسوفه في الهند: الدكتور محمد إقبال رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ينقد التعليم الحديث والمدرسة الحديثة؛ فيقول: إنَّ المدرسة الحديثة قد تُعلِّم الطالب بعض المعلومات، وتُعرِّفه كيف يتشدَّق في الكلام، ولكنها لا تعلِّم عينَه الدموع، ولا قلبه الخشوع[(٣)]!

---

(١) رواه الخطيب في تاريخه (٥٦٨/٥)، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م. وحسَّن المنذري إسناده في الترغيب والترهيب (١٣٩)، عن جابر.

(٢) رواه المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٦٨٣).

(٣) روائع إقبال للشيخ أبي الحسن الندوي صـ٥٦، نشر دار الفتح، بيروت، ط٢، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.

QaradawiBooks.com

إذا كان هذا شـأن المدارس المدنيَّة العلمانيَّة الحديثة؛ فلا ينبغي أن يكون ذلك شـأن الجامعات الإسـلاميَّة، ولا المدارس الإسـلاميَّة؛ بل ينبغي أن تُعلِّم العين كيف تدمع، والقلب كيف يخشع.

كان النبي ﷺ يقول: «**اللهمَّ إنِّي أعوذ بك من علمٍ لا ينفع، ومن قلبٍ لا يخشـع، ومن عمـلٍ لا يُرفع، ومن دعـاء لا يُسـمع**»[(١)]. وفي بعض الأحاديث: «**من عين لا تدمع، ومن نفس لا تشبع**»[(٢)].

لا خير في علم لا يورث الخشية:

العلم الَّذي لا ينفع، والقلب الَّذي لا يخشـع شرٌّ يُستعاذ بالله تعالى منه، لا خير في علم لا ينفعك، ولا ينفعك العلم إذا لم يثمر خشـية الله تبارك وتعالى.

نحتاج إلى قلب يخشع، يحب الله تعالى ورسوله، يحب لله ويبغض في الله، قلب يعيش للإسـلام، يهتم بأمر المسـلمين، يحزن لأحزانهم، ويفرح لأفراحهـم، فمن لم يهتم بأمر المسـلمين فليس منهم، و«**من لم يصبح ناصحًا لله ولرسوله ولأئمَّة المسـلمين وعامَّتهم، فليس منهم**»[(٣)]. ينبغي أن يكون عندك هذا القلب.

---

(١) رواه أبـو داود في الصلاة (١٥٤٦)، والنسـائي في الاسـتعاذة (٥٤٧١)، وضعَّفه الألباني في ضعيف أبي داود (٣٣٢)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٢٢)، وأحمد (١٩٣٠٨)، عن زيد بن أرقم؛ دون لفظة: «ومن عين لا تدمع» فقال بدلها: «ومن دعوة لا يستجاب لها» ولفظة: «عين لا تدمع» ذكرها الحافظ في الفتح (١٣٩/١١) بعد أن ذكر عدة أحاديث وقال: كلها صحيحة.

(٣) رواه الطبراني في الصغير (٩٠٧)، والأوسط (٧٤٧٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٩٤): فيه عبد الله بن أبي جعفر الرازي، ضعفه محمد بن حميد، ووثقه أبو حاتم وأبو زرعة وابن حبان. عن حذيفة بن اليمان.

QaradawiBooks.com

العلم مطلوب، والفقه مطلوب، ولكن لا خير في علم ولا في فقه لا يثمر خشية ولا يثمر خشوعًا، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦]. قسوة القلوب عقوبة يعاقب الله بها العصاة والمعرضين عنه، كما قال عن قوم من أهل الكتاب: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣]، وقال عن اليهود: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤].

إنَّ من المطلوب لمن يعيش للدين وفقهه وعلمه: أن يكون ذا قلب حيٍّ، يخشى الله تبارك وتعالى ويحبه، ويجعل الآخرة نصب عينيه، ويتذكر الموت وهاذم اللذات، يعيش في المعاني الربانية وفي المعاني الأخروية، هذا هو الإنسان المطلوب، وهذا هو الَّذي يثمر العمل الصالح ويثمر الخُلُق الطيب.

انتشر الإسلام بالأخلاق الفاضلة:

بماذا نشر المسلمون الإسلام في العالم؟ هل نشروه بالسيف كما يزعم الأفَّاكون من المبشرين والمستشرقين؟ هل انتصر الإسلام حقًّا بالسيف؟ بالعكس، الإسلام إنَّما شُهِر السيف في وجهه، وقاوم السيف الَّذي أراد أن يقف في سبيله، إنَّ الإسلام انتشر بالعمل الصالح وأخلاق المسلمين.

ما الَّذي نشر الإسلام هنا؟ وفي الشرق الأوسط؟ هل نفر جيوش المسلمين إلى هذه البلاد؟ إنَّما جاء تجار من المسلمين ليسوا من أهل العلم المتخصصين، ولا من أصحاب الدعوة المتخصصة، ولم يحملوا

QaradawiBooks.com

بكالوريوس ولا ماجستير ولا دكتوراه، أناس عاديون.. نشروا الإسلام بأعمالهم وأخلاقهم، كانوا نماذج صالحة صادقة، أمينة خاشعة في العبودية لله، تخشى الله وتتقيه في الصغير والكبير من الأمور، رآهم الناس فأحبوهم، وتأثروا بهم، وأُعجبوا بهم فسألوا ما دينكم؟

قالوا: ديننا الإسلام.

قالوا: ما هذا الإسلام؟

قالوا: الإسلام كذا وكذا.

فقالوا: نشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله.

إنَّما ينتشر الإسلام بالعمل، ينتشر الإسلام بالخُلُق قبل كلِّ شيء.

عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه جاءه رجل نصراني، ووجد عند النصراني درعًا سقطت منه، فعرفها عليّ أنَّ هذه الدرع درعه، فقال له: يا هذا هذه درعي. فقال: يا أمير المؤمنين، لستَ عندي بكاذب، ولكن هذه درعي. فماذا يصنع أمير المؤمنين، وقد وجد درعه عند رجل من الرعية غير مسلم، رجل نصراني، لم يأمر أن يأخذوا منه الدرع بالقوة، ولكن قال له: بيني وبينك القضاء، تعالَ نحتكم إلى القاضي شريح. فاحتكم أمير المؤمنين والنصراني إلى القاضي شريح.

قال شريح: ما دعواك يا أمير المؤمنين؟

قال: هذه الدرع درعي، وجدتها عند هذا الرجل.

قال: ألك بينة؟

قال: لا، إلا ابني الحسن.

قال: الابن لا يشهد لأبيه. أعندك غيره؟

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

قال: لا.

قال: إذنْ، فما قولك أيُّها النصراني؟

قال: هذه الدرع درعي.

قال: احلف وهي لك.

فحلف، وحكم بأنها لـه، كما في الحديث: «**البيِّنة على من ادَّعى، واليمين على من أنكر**»[1]. إجراءات عادية، فأخذ الرجل الدرع ومشى خطوات، ثم عاد وقال: قفوا مكانكم، يا أمير المؤمنين هذه الدرع درعك، سقطت منك وأنت عائد من صفين، فطمعت فيها وأخذتها لنفسي، أمَّا وقد حكم قاضيك عليك لرجل غير مسلم؛ فهذه ليست إلا أحكام الأنبياء، أَمَا إنِّي أشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأشهد أنَّ محمدًا رسول الله.

فقال أمير المؤمنين: أمَّا وقد أسلمتَ، فهي هبة لك[2].

هذا هو الإسلام، الإسلام الَّذي انتشر بالأخلاق، ولم ينتشر الإسلام بالسيف، ولم ينتشر بالكلام، إنَّما انتشر بالأخلاق والأعمال.

ومن هنا أوصيكم أيُّها الأبناء في هذه الجامعة: أن تكونوا مُثُلًا حية تتجسد فيها مكارم الإسلام، وأخلاق الإسلام، وأعمال الإسلام، بهذا تؤثِّرون في الناس؛ قبل أن تؤثِّروا فيهم بالكلام مقروءًا أو مسموعًا أو مكتوبًا.

---

(١) رواه البيهقي في الدعوى والبينات (٢٥٢/١٠)، وحسَّنه النووي في الأربعين النووية، الحديث الثالث والثلاثون، وحسَّنه ابن حجر في فتح الباري (٢٨٣/٥)، وأصل الحديث في الصحيحين: «لو يُعْطَى الناس بدعواهم لادَّعى ناس دماء رجال وأموالهم، ولكن اليمين على المدعى عليه». رواه البخاري في التفسير (٤٥٥٢)، ومسلم في الأقضية (١٧١١)، عن ابن عباس.

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (١٤٠/٤)، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.

QaradawiBooks.com

بقي أمر آخر أيُّها الإخوة والأبناء، يتعلــق بهذه الطائفة التي ناط الله بها أمر هذا الديــن؛ بعد أنْ تتفقَّه فيه وتعمل بــه: يجب أن تدعو الغير، ولكنِّي أرجئ الحديث عن رجل الدعوة وما ينبغي للداعية أن يكون عليه إلى لقاء آخر معكم إن شاء الله.

وأشكر الله تبارك وتعالى أنْ أتاح لي هذه الفرصة الطيبة لألتقي بهذه الوجوه المؤمنة في هذه الأرض من أراضي الله ومن أراضي الإسلام، كما أشكر للأخ الفاضل رجل البر والخير محمد نديم، الَّذي وفقه الله تبارك وتعالى لإقامة هذا الصرح الإسلامي، هذه القلعة الإسلامية؛ لتواجه قلاعَ الكفر التي تريد أن تقتلع المسلمين من جذورهم.

أشــكر الله تعالى، ثم أشــكر الأخ الحاج محمد نديم، وأشكر للأخ الدكتور شكري، وأشــكر للأخ الأســتاذ محمد لما قدَّمني به، وأشكر للإخوة أعضاء إدارة هذه المؤسسة ولأساتذتها جميعًا، ولأبنائي الأعزاء من طلبة هذه الجامعة، الذين حضروا هذا اللقاء.

وأســأل الله تبارك وتعالى أن يجعله لقاءً مثمرًا نافعًا، يكون لنا حجة عند الله يوم القيامة لا علينا، وإلى لقاءات أخرى إن شاء الله.

نسأله ﷻ أن يجعل قولنا وعملنا ونياتنا وحياتنا كلها خالصة لوجهه، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

أقول قولي هذا وأستغفر الله تعالى لي ولكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

QaradawiBooks.com

٤

الثقافة المنشودة للداعية المعاصر

غير مرخصة للطباعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الَّذي بنعمته تتمُّ الصالحات، الَّذي هدانا لهذا وما كنَّا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا ومُعلِّمنا محمدًا عبد الله ورسوله، صلوات الله عليه وتسليماته وعلى آله وصحبه، الذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه واتبعوا النور الَّذي أُنزِل معه، أولئك هم المفلحون. ورضي الله عمَّن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهَد جهاده إلى يوم الدِّين.

خير ما أُحيِّيكم به أيها الإخوة والأخوات تحيَّة الإسلام، تحيَّة من عند الله مباركة طيِّبة، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ما يجب أن يتسلح به الداعية المسلم:

أيها الإخوة: كان الموضوع الَّذي اتَّفقت مع الإخوة على الحديث عنه، هو: «الداعية المسلم والثقافة الدينيَّة المطلوبة له»؛ فإنَّ الثقافات المطلوبة للداعية كثيرة، وقد تحدَّثتُ عنها قديمًا في كتاب لي تحت عنوان: «ثقافة الداعية»، الداعية مطلوب منه أشياء كثيرة، عُدَد لا بدَّ أن يتسلَّح بها في معركة الدعوة:

QaradawiBooks.com

العُدَّة الروحية، الزاد الروحي من الإيمان بالله، والتقوى، والالتجاء إلى الله تبارك وتعالى.

والعُدَّة الأخلاقية التي يستطيع بها الداعية أن يتعايش مع الناس، ويصبر على المحن التي تصيبه من أجل الدعوة، فـ«**أشدُّ الناس بلاءً الأنبياء، ثمَّ الأمثل فالأمثل**»[1].

والعُدَّة الاجتماعيَّة، التي يستطيع أن يتفاعل بها مع المجتمع من حوله، يعايش الناسَ ويعايشونه، يكون لهم كالأب مع وُلْده، كالطبيب مع مرضاه.

والعُدَّة العلميَّة، أو الفكرية، أو الثقافية، التي لا بدَّ له منها.

المراد بالثقافة الإسلاميَّة:

الثقافة في عرفنا: ما يتعلق بالعلم والفكر، الآن كلمة «الثقافة» حرَّفوها، وأصبحت هناك وزارات للثقافة، وهذه الوزارات همُّها الفنون والمسرح والسينما! هذه الأشياء هي الثقافة في عصرنا! لم يَعُد العلم، ولم يعد الفكر الصحيح، ولم يعد الأدب الملتزم، إنَّما هذه الأشياء بغَثِّها وسمينها، وجَيِّدها ورديئها، وصوابها وخطئها، وحقِّها وباطلها، كلُّها ثقافة!

ما نريد نحن بالثقافة هو الجانب العلمي، الَّذي لا بدَّ أن يتحصَّن به الداعية.

«الداعية» كلمة يُراد بها الشخص الَّذي يخاطب الناس يدعوهم إلى الله ﷻ، هناك دعاة للباطل، وهناك دعاة للطاغوت، وهناك دعاة للتحلُّل، هؤلاء لا يُسمَّون دعاة، لا يُسمَّى هذا «داعية»؛ إذا أُطلِق كلمة «الداعية»

(١) رواه أحمد (١٤٨١)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. والترمذي في الزهد (٢٣٩٨)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه في الفتن (٤٠٢٣)، عن سعد بن أبي وقاص.

QaradawiBooks.com

فالمراد بها الداعي إلى الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

غير مرخصة للطباعة

مستويات الدعاة:

والدعاة على مستويات، هناك مستوى الداعية الَّذي يدعو الناس بالكلمة الطيِّبة، ببسمة الفم، بالصحبة الكريمة، بالأسوة الحسنة، باللقاء الجيد مع الناس، والمفروض أنَّ كلَّ مُسلم في هذه الحالة داعية، والأصل فعلًا أنَّ كلَّ مسلم داعية؛ ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]. هذا خطاب لكلِّ مسلم، هذا خطاب لرسول الله ﷺ، ولكل من يتأتَّى خطابه من الأُمَّة، فكل مسلم داعية، والله تعالى يقول لرسوله عليه السلام: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨]. فإذا كنتَ ممن اتَّبع محمدًا ﷺ فأنت داعٍ إلى الله، وداعٍ على بصيرة!

كل مسلم إذنْ يجب أن يكون داعية بقدر ما، ولكنْ هناك مستوًى من الدعاة: الدعاة المتخصصون، الذين عملهم الأساسي الدعوة إلى الله ﷻ، وإلى دينه، وإلى رسالته، وإلى كتابه، وإلى سُنَّة نبيِّه! إلى منهج الإسلام. منهج الإسلام الَّذي قال الله فيه: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ يعني: طريقِ ربك، منهجِ ربك، المنهج الإلٰهي لا بدَّ أن تتخصص له طائفة من الأُمَّة تدعو إليه، وهذا ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾. إذا أخذنا ﴿مِنْ﴾ على أنَّها للتبعيض في أحد التفسيرين، يعني يجب على الأُمَّة أن تُخصِّص منها طائفةً، تُمِدُّها بكل الأسلحة المطلوبة لها؛ لتدعو إلى الخير، وتأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر. وخيرُ الخيرات الإسلام: تدعو إلى الإسلام.

QaradawiBooks.com

هؤلاء هم الدعاة الذين نتحدَّث عنهم في هذه الأُمسِيَة، الداعية المتخصص، بالذات الَّذي نذر نفسه للدعوة، هذا يجب أن يتسلَّح بقدر كبير من العلم والدراسة والثقافة. **حدَّدْنا أنواعًا ستَّة من الثقافة:**

١ ـ الثقافة الدِّينيَّة.

٢ ـ الثقافة الأدبيَّة واللغويَّة.

٣ ـ الثقافة التاريخيَّة، خصوصًا التاريخ الإسلامي؛ ابتداءً من السيرة النبويَّة؛ فالخلفاء الراشدين، فالأمويِّين، إلخ.

٤ ـ ثقافة العلوم الإنسانيَّة، أن يُلِمَّ بشيء من علوم النفس والتربية والاجتماع، وهذه العلوم؛ حتى يعرف التياراتِ من حوله، ويعرف ثقافة عصره. كان الإمام أحمد يقول: لا يفتي الناسَ إلا من جمع خصالًا خمسًا، وجعل من هذه الخصال الخمس: أن يعرف الناس. وأنا أفسر هذا في عصرنا: أن يعرف ثقافةَ الناس، الثقافةَ السائدة في الناس، يكون على علم ولو بطريق الإلمام؛ لأنَّه لا يستطيع أحد أنْ يعلم كلَّ شيء، إنَّما يُلِمُّ. كانوا يقولون قديمًا: العالِم مَن عرف كلَّ شيء عن شيء، والأديب من عرف شيئًا عن كل شيء. يعني كل حاجة يأخذ منها بطرف. والأديب هو بتعريف عصرنا: المثقف، نسمي الشخص المثقف الَّذي يعرف شيئًا عن كل شيء، ولكن يتخصص في شيء، يعرف عن علم كلَّ شيء، يعرف ما استطاع؛ لأنَّه مهما بلغ لن يستطيع أن يعرف كلَّ شيء عن علم من العلوم؛ لأنَّ العلوم بحر لا ساحل له، الله تعالى يقول: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء: ٨٥]، ويقول لنبيِّه عليه الصلاة والسلام: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٤]. سيظل الإنسان يزداد علمًا يومًا بعد يوم حتى يموت ولم يدرك العلمَ كلَّه، ولهذا كان من مأثور حِكَمنا: لا يزال المرء عالِمًا ما طلب العلم؛ فإذا ظَنَّ أنَّه علم فقد جهل. فلا بدَّ من ثقافة العلوم الإنسانية هذه، يُلِمُّ الداعية بالعلوم الإنسانيَّة.

QaradawiBooks.com

٥ ـ ثقافة العلوم الطبيعيَّة والكونيَّة، يعرف شيئًا عنها: علم الفيزياء، والكيمياء، والأحياء، والجيولوجيا، والرياضيات، وهذه العلوم، لا بدَّ للداعية أن يعرف شيئًا من هذه الأشياء، وإلا أحيانًا تأتي في العلوم الشرعية أشياء لها تعلق بهذه العلوم، نتحدَّث أحيانًا عن إثبات الهلال بالحساب الفلكي، من لم يعرف شيئًا عن الفلك ولو قليلًا ينكر هذه الأشياء.

نتحدَّث عن استئجار الأرحام، حينما يلتقي الحيوان المنوي بالبييضة عند المرأة، بعض العلماء ـ حينما كتبتُ قديمًا مقالة عن هذه الأشياء ـ قالوا: الشيخ القرضاوي يقول: إنَّ المرأة تبيض! المرأة تبيض أو تلد؟! المعروف أنَّ هذه الكائنات الحية بعضها يبيض، مثل الطيور، وبعضها يلد، قليل من الطيور التي تلد مثل الخفاش، وبعضها لا يلد ولا يبيض، مثل: البغلة. فقالوا: كيف يقول: المرأة تبيض؛ مع أنَّ المرأة ممن تلد ولا ممن تبيض؟!

ما حكايات البييضات وهذه الأشياء؟ ما درسوا.

ولذلك دخلت هذه العلوم في الأزهر من قديم: درسناها، ودرسها شيوخُنا وشيوخُ شيوخنا، ويسمونها: «العلوم الحديثة»، مع أنَّها في الحقيقة ليست حديثة، هي حديثة بالنسبة لعصر التراجع وعصر التخلُّف، وإنَّما هي علوم المسلمين، أخذها الغربيون والأوربيون منهم، نقلوها، أصل العلوم التي يسمونها العلوم التجريبية هذه أُخِذت من الحضارة الإسلامية العربية، لمَّا أخذناها منهم أصبحت علومًا حديثة، مع أنَّها بضاعتنا رُدَّت إلينا، فلا بدَّ من قدر من العلوم يتعلَّمها الداعية.

QaradawiBooks.com

٦ ـ **ثم هناك ثقافة واقعيَّة**، ثقافة الواقع، أو فقه الواقع. الإمام ابن القيم يقول: «الفقيه الحقُّ هو من يزاوج بين الواجب والواقع»[١]، فلا يعيش فيما يجب أن يكون فقط، ولكن فيما هو كائن بالفعل.

لا بدَّ أن نفقه الواقع، بخيره وشره، وحلوه ومره، بما لنا وبما علينا، بلا تهوين ولا تهويل. هناك أناس يُهوِّنون من أمر الواقع، وهناك أناس يهوِّلون، ونضيع بين هذا التهوين والتهويل، أو بين الإفراط والتفريط، نريد أن نعرف الواقع كما هو.

هذه ثقافات لا بدَّ منها، والحديث فيها يطول، ولكن أريد أن أركز تركيزًا خفيفًا على الجانب الأول من الثقافة، وهو الثقافة الدينيَّة للداعية المسلم!

الثقافة الدينيَّة:

هي التي تتصل بمعرفة القرآن الكريم، ومعرفة السُّنَّة المطهرة، والسيرة النبويَّة، ومعرفة الفقه الإسلامي الأصولي، ومعرفة العقيدة الإسلاميَّة، ومعرفة الأخلاق والتصوُّف الإسلامي، ولذلك فإنَّنا إذا نظرنا إلى مصادر هذه الثقافة نجد عندنا أنواعًا من العلماء، كلٌّ منهم تميَّز أو تخصَّص في جانب: فهناك علماء الأثر، وهؤلاء هم الذين تخصصوا في الحديث والآثار، حتى التفسير الَّذي عندهم تفسير مبنيٌّ على الآثار.

أيضًا هناك علماء الفقه والأصول، وهؤلاء تميَّزوا بالقدرة على الاستنباط، استنباط الأحكام الشرعية من أدلَّتها التفصيلية، وفق أصول مرعية وقواعد شرعية، ليس الباب مفتوحًا لكل من هبَّ ودبَّ، هؤلاء الفقهاء لهم مدرستهم الخاصة.

---

(١) إعلام الموقعين (١٦٩/٤).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وهناك مدرسة علماء العقيدة، وعلماء التوحيد، أو أحيانًا يسمونهم: «علماء الكلام»، وهذه مدرسة عقلية يغلب عليها الجانب العقلي والاستدلال العقلي، وقد أسرفوا في هذا الجانب العقلي على حساب الجانب النقلي، وعلى حساب الجانب الروحي!

ولذلك ظهر على إثر هؤلاء طائفة رابعة تحاول أنْ تُعوِّض ما قصَّر فيه المتكلمون وما قصَّر فيه الفقهاء: المتكلمون غَلَوْا في الجانب العقلي، والفقهاء غَلَوْا في جانب معرفة أحكام الظاهر، يعني لا يهتمون بأحكام الباطن وأعمال القلوب، إنَّما يهتمون بأعمال الأبدان: الأعمال الظاهرة لا الأعمال الباطنة، فظهرت الطائفة الرابعة التي هي طائفة المتصوفة، فكان علم التصوف، وهذا أيضًا دخل فيه السمين والغث، والجديد والرث، واختلط فيه الحابل بالنابل، فوُجِد من يرفض التصوُّف كلَّه، ومن يقبله كلَّه، بِعُجَره وبُجَره.

الاستفادة من المدارس العلميَّة كلِّها:

ونحن ندعو الداعية المتميِّز، الداعية الرشيد: أن ينظر في هذه المدارس كلِّها نظرة بصيرة؛ فيأخذ من كل مدرسة خيرَ ما فيها، ويتجنب ما يعاب على هذه المدرسة، مثلًا: المدرسة الأثرية يُعاب عليهم: أنَّهم أحيانًا يروون الأحاديث الضعيفة والواهية والمنكرة، وهم أهل الحديث، ولكن يجمعون هذه الأشياء.

وأحيانًا يغلب عليهم الظاهريَّة في الفهم، ما لم يكن المُحَدِّث فقيهًا. يغلب على المُحَدِّث ظاهريَّة الفهم، ولذلك قال بعض المُحَدِّثين لبعض الفقهاء: نحن الصيادلة وأنتم الأطبَّاء. الصيدلي يجمع الدواء، وإنَّما الَّذي يصف هذا الدواء للمرض الفلاني هو الطبيب.

QaradawiBooks.com

بين مدرسة الحديث ومدرسة الرأي:

كان بعض المُحَدِّثين يغلب عليهم الفهم الظاهري للنصوص، ولذلك في أوَّل الأمر انقسمت المدرسة الفقهيَّة أو المجموعة الفقهيَّة إلى مدرستين: مدرسة أهل الأثر ومدرسة الرأي، مدرسة الأثر كانت في الحجاز، ومدرسة الرأي كانت في العراق، سُمِّيت هذه مدرسة الأثر؛ لأنَّه غلب عليها التمسُّك بالأحاديث والآثار عن الصحابة، وسُمِّيت هذه مدرسة الرأي؛ لأنَّها كانت تُعمِل الرأي في فهم النص، ولكن ليس معنى هذا أنَّ مدرسة الأثر ما كانت تُعْمِل الرأي قط! لا، هذا ليس صحيحًا، وليس معنى مدرسة الرأي أنَّها ما كانت تأخذ بالحديث، هذا ليس صحيحًا، ثم إنَّ المدرستين تقاربتا بعد ذلك، فأصبحت مدرسة الرأي تأخذ بالأحاديث.

مدرسة الرأي على رأسها أهل العراق، ومنهم الإمام أبو حنيفة الَّذي ورث مدرسة حماد وإبراهيم النخعي وتلاميذ ابن مسعود، وتجسَّد في مذهبه مدرسة الرأي.

وبعضهم قال: إنَّ أبا حنيفة لم يأخذ إلا بسبعة عشر حديثًا! هذا كذب، وللأسف بعضهم نسبوه إلى ابن خلدون في «مقدمته»، مع أنَّ ابن خلدون ذكر هذا في «مقدمته» بصيغة التضعيف، قال: «وقيل»، وردَّ عليه، وقال: إنَّه ليس معقولًا أنَّ إمامًا من أئمة المسلمين له مذهب متبوع، ويعتمد على سبعة عشر حديثًا. ومن رأى المذهب الحنفي ورأى كتبه رآها مليئة بالأحاديث، وعند الأحناف أعظم كتاب في تخريج الأحاديث، هو كتاب: «نصب الراية لأحاديث الهداية»!

«الهداية» كتاب من الكتب الأصيلة عند الأحناف شرحه أكثر من واحد، وحشَّى عليه، وعلَّق أكثر من واحد. جاء الإمام الزيلعي ونصَب

QaradawiBooks.com

الراية لتخريج أحاديث الهداية. وكان هو إمامًا لمن خرَّج بعده من الشافعيَّة والمالكيَّة، مثلما جاء ابن حجر وخرَّج كتاب «الشرح الكبير» للرافعي، و«الشرح الكبير» على «الوجيز» للغزالي، وسمَّى كتابه «التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير».

المهمُّ، أنَّ المدرستين تقاربتا، ومدرسة الحديث عملت بالرأي.

ولشيخنا العلَّامة الشيخ محمد أبو زهرة عدة كتب في فقه الأئمة، منها كتاب عن الإمام مالك، وفي دراسته عن الإمام مالك قال: إنَّ الإمام مالك من أئمة الرأي، فحسبوه على مدرسة الأثر، ولكن أثبت بالأدلة فعلًا أنَّه إمام من أئمة الرأي: هو الَّذي قال بالمصلحة المرسلة، وقال بتقديم عمل أهل المدينة على حديث الآحاد، وله آراء في بعض الأحاديث. ولذلك يعتبر الإمام مالك في الحقيقة رأس فقهاء الحديث، وهؤلاء هم الصنف الَّذي ينبغي أن نرنو إليه؛ ونعض عليه بالنواجذ، فقهاءُ الحديث، الذين جمعوا بين الفقه والحديث.

قنطرة بين الفقه والحديث:

أنا ذكرت في عدة كتب لي: أنَّه من الأشياء المطلوبة جدًّا في عصرنا أن نقيم قنطرة بين الفقه والحديث. لقد وجدت أنَّ كثيرًا من فقهائنا المشهورين لا يعرفون الحديث معرفة جيدة، كان شيخنا شلتوت ـ الله يرحمه ـ والشيخ أبو زهرة، والشيخ الخفيف، والشيخ خلَّاف، والدكتور محمد يوسف موسى، فطاحل في علم الفقه، ولكنهم كما قال الإمام الغزالي عن نفسه: إنَّ بضاعتي مزجاة في علم الحديث.

هي تخصصات، ولكن لا يمكن أن يصل المرء إلى درجة الاجتهاد

QaradawiBooks.com

في علم الفقه ما لم يكن عميق الصلة بعلم الحديث، ولذلك فإن هذه القطيعة بين علم الفقه وعلم الحديث يجب أن تزول.

كما رأينا كثيرًا من علماء الحديث لا يغوصون في بحار الفقه وأصوله، ومن هنا يحصل الخطل والزلل؛ فإذا سدَدْنا هذه الفجوة، وأقمنا هذه القنطرة، أو همزة الوصل بين أهل الفقه وأهل الحديث، استطعنا أن نصل إلى العالِم الَّذي يأخذ بهذين الأمرين معًا.

وهؤلاء حقًّا هم العلماء الكبار الذين خدموا الأُمَّة، مثل عز الدين بن عبد السلام، وتلميذه الإمام ابن دقيق العيد، وتلاميذه من بعده سراج الدين البلقيني، والحافظ العراقي، والحافظ ابن حجر، والحافظ السيوطي، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه الإمام ابن القيم، هؤلاء كلهم جمعوا بين الفقه والحديث. ولذلك فنحن في حاجة إلى هذا الجمع؛ أمَّا الانزواء في تخصُّص معين، والبُعد عن الثقافات الأخرى فيعمل نوعًا من الجفوة، ويعمل نوعًا من الانزواء! وهذا الانزواء أو الانكماش في تخصُّص معين دون التعرُّف على الآخرين أمر مذموم.

عدم الانحصار في جانب معين:

حتى إنَّ الجامعات الحديثة تحاول تُخرِج الطالب عن تخصُّصه الدقيق ليأخذ بعض التخصصات الأخرى، حتى جامعة قطر تقول للطالب في التخصص العلمي: خذ بعض مواد من التخصص الأدبي. وكثير من طلاب التخصص العلمي يأتون ويأخذون بعض التخصصات الشرعية.. عندما كنتُ مدرسًا كان الطلاب يأتون ليدرسوا أصول الفقه، طالب في الهندسة كان الأول في أصول الفقه على طلاب الشريعة، كانت عنده مَلَكة وذكاء.

QaradawiBooks.com

المهم أننا لا نريد الانحصار في جانب معين، نريد أن يأخذ الدارس من الحديث بطرف، ومن الفقه بطرف، ويستفيد من علم الكلام، ولكن لا ينحصر في الجانب العقلي؛ خصوصًا أن علم الكلام لم ينحصر في العقل المطلق، إنَّما في العقل المتأثر بالفلسفة اليونانيَّة! المسلمون ترجموا علوم الفلسفة اليونانيَّة إليهم، وكانت العلوم مختلطة بالجانب الإلٰهي والجانب العقدي، فأثَّرت في عقليَّة المسلمين!

كانت فيها أشياء نافعة، مثل: الجانب الطبي، الجانب التشريحي، الجانب الفلكي، الجانب الفيزيائي، الجانب الكيمائي، هذه كلها كانت تُعتبر من شُعَب الفلسفة، هذه مطلوبة، أمَّا ما يتعلَّق بالله تعالى فهذا خلطوا فيه وخبطوا، حتى إنَّ الإمام الغزالي ردَّ على هؤلاء في كتابه «تهافت الفلاسفة» وقال: إنَّ هؤلاء لو أحد جاء له كابوس، ورأى في المنام أخلاطًا وأغاليط، لها شبه بكلام الفلاسفة عن العقل الفعال والعقول التسعة، وما شابه ذلك، وكلام ما أنزل الله به من سلطان، ولا قام عليه برهان[1].

علم الكلام وأثره:

فكان العقل الإسلامي تأثَّر بهذه الفلسفة اليونانيَّة؛ وخاصة في علم الكلام، ولذلك فأنا لا أنصح أن يأخذ الإنسان العقيدة من كُتُب علم الكلام، إنَّما يأخذها من القرآن والسُّنَّة، يأخذ منها بالسهولة بدل التعقيد الَّذي صاغوا به علمَ التوحيد، ويقول لك: صفات الله تعالى: هل هي عين

(١) انظر: تهافت الفلاسفة صـ١٤٦، تحقيق د. سليمان دنيا، نشر دار المعارف، القاهرة، مصر، ط٦.

QaradawiBooks.com

الذات أم غير الذات؟ أم هي لا عين ولا غير؟ حين كنا ندرس في كلية أصول الدين كنا نبقى (في الجملة) عدة أسابيع، أول ما رحنا الكلية درسنا كتابًا اسمه «عقائد النسفي»، يقول صاحب «العقائد النسفيَّة»: «قال أهل الحقِّ: حقائق الأشياء ثابتة، والعلم بها مُتَحقِّق؛ خلافًا للسوفسطائيَّة». يرحم الله الشيخ بيصار ـ أصبح بعد ذلك شيخ الأزهر ـ ظل يشرح ثلاثة أسابيع في كلمة «قال أهل الحق: حقائق الأشياء ثابتة، والعلم بها مُتَحَقِّق؛ خلافًا للسوفسطائيَّة»[1].

شرح كل كلمة: ما الحق؟ و«حقائق الأشياء» ما الحقيقة؟ وما الفرق بين الحقيقة والماهيَّة والهُوِيَّة؟ وما معنى الثبوت؟ وما معنى كذا؟ بقينا ثلاثة أسابيع في هذه الكلمة! هل هذه الكلمة ضروريَّة لمعرفة العقيدة الإسلاميَّة؟ لمعرفة وجود الله أو وحدانيَّة الله؟ أو كمالات الله وصفاته؟ أبدًا! مهمتها التمرين العقلي، تُمرِّننا على الجدل، وتفصيص الكلام، والأخذ والردِّ، والجذب والشدِّ!

ولكن عصرنا أصبح يحفل ويمور بفلسفات أخرى غير هذه الفلسفات القديمة، هؤلاء السوفسطائيَّة ذهبوا! نحن في حاجة إلى أن نجادل الوجوديَّة والماركسيَّة والعبثيَّة والعدميَّة، والمدارس المختلفة التي جاءت من الشرق ومن الغرب!

نريد أن نعرف هذه الفلسفات ونجادلها ونرد عليها بمنطق العصر، لا بمنطق عصر مضى؛ فأفضل شيء أن تَعْرِف العقيدة، وتُعرِّف الناسَ العقيدة بالقرآن، وأدلَّةِ القرآن!

---

(١) انظر: العقائد النسفية بشرح سعد الدين التفتازاني صـ١٣ ـ ١٥، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، نشر مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط١، ١٩٨٧م.

QaradawiBooks.com

أدلَّة القرآن عقليَّة ونقليَّة:

كثير من العلماء يقول: أدلَّة القرآن أدلَّة نقلية. لا، القرآن ليس مجرد دليل نقلي، القرآن هو دليل نقلي ودليل عقلي، لأنَّه يُدَلِّل على القضايا الكبرى بما يقنع العقل، مثلًا: قضيَّة وجود الله: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۞ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الطور: ٣٥، ٣٦]. هل هم خُلِقوا من غير شيء؟ لا يوجد مخلوق من غير شيء ومن غير سبب، هناك قانون اسمه العلَّة، العِلِّيَّة، أو السببيَّة: أنَّ كلَّ مسبَّب لا بدَّ له من سبب، كل حركة لا بدَّ لها من مُحرِّك، كل أثر لا بدَّ له من مؤثِّر، الَّذي عبَّر عنه الأعرابي حينما قال: البعرة تدلُّ على البعير، وخطُّ السير يدلُّ على المسير، فكيف بسماء ذات أبراج؟ وأرض ذات فجاج؟ وبحار ذات أمواج؟ أفلا يدلُّ ذلك على العلي الكبير؟

قانون السببيَّة، القرآن ذكر هذا: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ هم الذين خلقوا أنفسَهم؟ لا يُعقل أن يخلق واحد نفسه؛ العدم كيف يطلب الوجود؟ ﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾؟ السماوات والأرض مخلوقة قبله، وما ادَّعى أحد ممَّن ادَّعى الألوهيَّة ـ مثل النمرود أو فرعون ـ أنَّه خلق السماوات والأرض.

قضيَّة البعث، ومناقشة القرآن لقضيَّة الإمكان، إعادة الإنسان بعد خلقه، والحكمة: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ [الجاثية: ٢١]. أيُعقل أن ينفضّ هذا الكون ويكون الصالح كالطالح، والبريء كالمسيء؟ ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ۞ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٥، ٣٦]، ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ۞ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٧، ٢٨]. وهكذا، قضيَّة الوحدانية.

QaradawiBooks.com

القرآن يُدلِّل على العقائد، فحينما ندرس العقيدة لا ندرس القرآن على أنَّه مجرد نقل، لا، بل نأخذ بالتعليلات والتدليلات والبراهين التي أقامها القرآن، وهي كثيرة جدًّا.

العلوم الكونيَّة وأثرها:

في علم التوحيد، في دراسة علم التوحيد نستعين بالعلوم الحديثة، نسمي هذه العلوم الحديثة: العلوم الكونية، وهي أدلُّ شيء على وجود الله، وأُلِّفت في ذلك كُتُب، منها: كتاب «العلم يدعو إلى الإيمان»، الرجل يقول لك: هذا الكون أُقِيم على أساس أن تقوم حياة على الأرض، وكل القوانين الكونية نُظِّمت على هذا الأساس: أن تقوم حياة على الأرض، لو حصل أيُّ خلل في هذه القوانين ما قامت حياة على الأرض.

هذا الكتاب ألَّفه رئيس أكاديمية العلوم في نيويورك: كريسي موريسون.

وفي كتاب اسمه: «الله يتجلَّى في عصر العلم» ألَّفه ثلاثون عالمًا في أمريكا، كل واحد متخصص في علم: واحد في الفيزياء، واحد في الكيمياء، واحد في علم النفس، واحد في الجيولوجيا، واحد في الأحياء: كيف اهتدى إلى الله عن طريق علمه.

هذه العلوم تنفعنا، والدكتور أحمد زكي له كتاب اسمه «مع الله في السماء»، وعبد الرزاق نوفل ـ الله يرحمه ـ له «الله والعلم الحديث»، والآن أخونا الدكتور زغلول نجار يتحدَّث عن الإعجاز العلمي في القرآن، كل هذه أشياء يمكن أن ينتفع بها الداعية في تثبيت العقيدة، وفي التدليل على صحة العقيدة الإسلامية! كل هذه المدارس لا بدَّ أن نستفيد منها!

QaradawiBooks.com

الاستفادة من التصوف العملي الأخلاقي:

حتى مدرسة التصوف: هناك أناس يقيمون حربًا على التصوف كلِّه! ليس كل التصوف شرًّا، لا، بل فيه الخير وفيه الشر. والمتصوفة ليسوا كلهم مبتدعين، خصوصًا المتصوفة الأوائل الذين سنوا هذا الطريق: الفضيل بن عياض، أبو سليمان الداراني، إبراهيم بن أدهم، الجنيد، هؤلاء قالوا: إنَّ علمنا هذا مُقيَّد بالكتاب والسُّنَّة، من لم يدرس القرآن والحديث فليعتزلنا، كل الطرق مسدودة إلا من سار خلف رسول الله ﷺ. هؤلاء الناس الملتزمون هم الذين يجب أن نأخذ منهم التصوف، التصوف العملي، ليس التصوف الفلسفي.

التصوف الفلسفي تصوف الحلاج وابن سبعين وابن ستين، وابن عربي، وهؤلاء الذين يقولون بالحلول وبوحدة الوجود: أنَّ الله حلَّ في الإنسان! وأن الله حلَّ في الكون كله! لا ثنائية في الكون! لا ازدواجية! لا خالق ومخلوق، ورب ومربوب، وعابد ومعبود! الكون كله شيء واحد، وحدة الوجود.

نحن نرفض هذا النوع من التصوف الفلسفي، ونأخذ بالتصوف العلمي، الَّذي قال فيه الإمام ابن القيم: «قد اجتمعت كلمة أهل السلوك على أنَّ التصوُّف خُلُق، فمَن زاد عليك في الخُلق فقد زاد عليك في التصوُّف». بل قال ابن القيم: «بل أقول: الدين كله خُلُق، فمن زاد عليك في الخُلُق فقد زاد عليك في الدين»[1].

(١) مدارج السالكين (٢/٢٩٤)، تحقيق الشيخ محمد حامد الفقي، نشر دار الكتب العربية، بيروت، ط٢، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.

QaradawiBooks.com

حقيقة الديـــن خُلُق، حتـــى التوحيد، التوحيد عـــدل، ربنا قال: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]؟ الشـــرك رذيلة خُلُقية، والتوحيد عدل، التوحيد هو العدل.

والله تعالى حينما أثنى على رســـوله قـــال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، حدَّد النبي ﷺ الغايةَ من رســـالته فقال: «**إنَّما بُعِثتُ لأتمِّم مكارم الأخـــلاق**»[1]. الأنبياء جاؤوا بمكارم خُلُقيَّـــة، وأنا جئت لُأتمِّمها لتبلغ الغايةَ- هكذا كان مُحَمَّد ﷺ.

لذلك، فإنَّنا نقول: التصوُّف الخُلُقـــي أو العملي هو الَّذي ينبغي أن نأخذَ به ونهتمَّ به.

إحياء علوم الدين للغزالي:

إذا قرأنا بعـــض الكتب في التصوف، البعض يقـــول لك: اقرأ كتاب الغزالي. وأنا أقول: لا، اقرأ كتاب الغزالي، ولكن احذر من أمرين: احذر من الأحاديث الضعيفة جدًّا، والواهية، والمنكـــرة، والموضوعة، والتي لا أصل لها.

وكيف تعرف هذا؟ الحمد لله، جـــاء أحد أئمة الحديث بعد الغزالي، وهو الحافظ زيـــن الدين العراقي، وخرَّج أحاديـــث «الإحياء» في كتاب «المغني عن حمل الأسفار في الأســـفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار»، هذا الكتاب في هامش «الإحياء»، حين تقرأ حديثًا: انظر ماذا

(١) سبق تخريجه صـ٥٢.

QaradawiBooks.com

يقول العراقي؟ يقول لك: رواه أبو داود وكذا، ويقول: هو حديث حسن أو كذا، أو يقول: لم أجد له أصلًا، أو هذا الحديث منكر، أو هو ضعيف جدًّا. اصرف النظر عنه. والغزالي في الغالب يستدل بأحاديث صحيحة وحسنة، وأحاديث ضعيفة وموضوعة! استمسك أنت بالعروة الوثقى، خُذْ بالحديث الصحيح والحسن، واترك الباقي كأنه غير موجود. هذا ما يُخشى من قراءة «الإحياء».

الأمر الثاني في «الإحياء»: أنَّ هناك أحيانًا شطحات، تجاوزات. عيبُ التصوف أنَّه علم يقوم على الوجدان أحيانًا، والوجدانات لا تقف عند حد الوسط، بعض الصوفية يغلون ويقولون: نحن نأخذ عن قلوبنا! المحدث يقول: حدَّثني فلان عن فلان. وهم يقولون: حدَّثني قلبي عن ربي! يعني يقول لك: أنا أتصل بالمصدر الأول مباشرة.

حتى إنَّ أحدهم قيل له: هل لك أنْ ترحل إلى صنعاء تطلب العلم عن عبد الرزاق؟ فقال له: ماذا يصنع بعبد الرزَّاق مَن يأخذ عن الخلَّاق؟! مش محتاج لعبد الرزاق ولا لهؤلاء المحدثين والمصنفين!

هذا الكلام مرفوض قطعًا، وهو من غلو بعض المتصوفة، وردَّه الناس الراسخون منهم، كل أحد يؤخذ من كلام ويُترَك. كل أمر صحيح لا بدَّ أن يكون عليه دليل من الكتاب والسُّنَّة، خصوصًا أنني لا بدَّ أن أعرف هذا الحديث أصحيح أم ضعيف.

التساهل في رواية الحديث الضعيف:

بعض العلماء يتساهلون في رواية الضعيف؛ إذا كان في أمور الترغيب والترهيب وهذه الأشياء، وأنا في الحقيقة لي رأي سجَّلته في مقدمة كتابي «المنتقى من الترغيب والترهيب»، وفي كتابي «ثقافة الداعية»، وفي

QaradawiBooks.com

«المدخل إلى دراسة السُّـنَّة» وفي أكثر من كتاب: أنَّني لا أرى الاستدلال بالضعيف حتى في الرقائق، ولا في الترغيـب والترهيب؛ لأنَّ عندنا من الصحيح والحسن ما يُغنِي عنه، ما حاجتي إلى هذا؟

ثمَّ إنَّهم وضعوا شروطًا، كثيرًا ما لا يلتزم الإنسان بها:

ـ ألَّا يكون ضعيفًا جدًّا.

ـ وأن يكون مندرجًا تحت أصلٍ كُلِّي.

ـ وألَّا يعتقـد عنـد العمل بـه ثبوته عـن النبيِّ ﷺ، وإنَّمـا يعتقد الاحتياط.

ـ وألَّا يقول: قال رسولُ الله ﷺ. لا بدَّ أن يقول: رُوِي عن رسول الله.

لا يقول: قال رسول الله؛ لأنَّ كلمة «قال رسول الله» معناها أنَّ هذا الحديث صحيح، لا بدَّ أن تقول: رُوِي، ورد، أُثِر، إلخ. من يلتزم هذه الشروط؟

البعد عن المبالغات:

ثم إنَّ الناس لا تُفرِّق، يقول: حديثٌ رُوي وخلاص. كثير من الدعاة يعتمدون على الأحاديث الضعيفة والواهيـة؛ لأنَّها تعجب العوام، لأنَّها كثيرًا ما تشتمل على المبالغات، والمبالغات تعجب عامة الناس، ولكنها تُنفِّر خواصَّ الناس، المثقفون المستنيرون حينما يستمعون هذه الأشياء يقولون: الدين خرافات؛ ما هذا الكلام؟

أنا أنصح الدعاة أنْ يبتعدوا عن المبالغـات، بعض الناس يقعد كم خطبة في عذاب القبر، من أين جاء بهذا الـكلام؟ لا بدَّ أنَّه يعتمد على التهاويل التي وردت في بعض هذه الأشياء.

QaradawiBooks.com

عذاب القبر لم يرد في القرآن بصورة صريحة، فيه إشارات: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا﴾ [نوح: ٢٥]. استدلوا بها على عذاب قوم نوح؛ الفاء للترتيب والتعقيب، فالنار التي دخلوها دليل على أنَّها نار القبر.

يقول عن فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]. النار التي يُعرَضون عليها لا بدَّ أنَّها عذاب القبر. هذه كلها إشارات.

﴿أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣]، ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ معناها: بعد الموت مباشرة.

القرآن أشار إلى هذا.

وهناك أحاديث صحيحة في سؤال القبر، إنَّما الأحاديث التي تقول: حيَّات كالأفيال وعقارب كالبغال إلخ؟!

جاءني أحد الآباء مرة يقول لي: إنَّ ابنتي تقوم من الليلة فزعة، أصبحت منذ مدة كل يوم تقوم فزعة.

ـ ما السبب في هذا؟

قال: سمعت شريطًا في عذاب القبر. البنت هذه المسكينة أورث الشريط فيها خوفًا مرَضيًّا.

مزج الخوف بالرجاء:

الإسلام لا يريد هذا الخوف المرَضي، الخوف في الإسلام خوف ممزوج بالرجاء، الله يطلب منا خوفًا ممزوجًا بالرجاء: ﴿يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٩]. ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧]. ولذلك

QaradawiBooks.com

القرآن يقول: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِ﴾ [غافر: ٣]. ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠]. انظر كيف جعل المغفرة والرحمة من أسمائه، وجعل العذاب من أفعاله، لم يقل: (وأنِّي أنا المعذب العذاب الأليم)، لم يجعل من أسمائه: المُعذِّب، فجعل العذاب من الأفعال وجعل المغفرة والرحمة من الأسماء. ﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞ﴾ [الحديد: ٢٠]، ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [المائدة: ٩٨]. هكذا يمزج التخويف بالترجية، حتى قال الإمام الغزالي في قوله تعالى: ﴿مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [ق: ٣٣]. قال: لم يقل: خشي القهار، أو خشي الجبار. وإنَّما قال: خشي الرحمن. ليكون تخويفًا في تأمين، وتحريكًا في تسكين. هذا ليس الخوف المرَضي.

الحذر من مبالغات الصوفية وبدعهم:

نحن نريد من الداعية أن يأخذ من التصوف الرقائق، ولا يأخذ المبالغات.

هناك مبالغات في الكرامات التي تكاد تجعل الكون، وكأنه ليس هناك سُنَن ثابتة، ولا قوانين مطردة، ولا أسباب ومسببات. هذه الأشياء يجب أن نقف منها موقفًا ناقدًا.

ومن نظر إلى عصر الصحابة يجد فيه الكرامات لم تكن بالكثرة التي يحكيها بعد ذلك الناس عن الأولياء الصالحين والمبالغة في الأولياء. حتى يقال: إنَّ أربعة أولياء كبار يسمونهم الأقطاب الأربعة، هؤلاء الأقطاب الأربعة اقتسموا الدنيا عليهم، كل واحد يأخذ ربع الدنيا يتصرف فيه، هم على ما زعموا: أحمد البدوي، في طنطا من مصر، وإبراهيم الدسوقي في دسوق، في مصر، وأحمد الرفاعي، وعبد القادر الجيلاني. هؤلاء يسمونهم الأقطاب الأربعة. هذه مبالغات.

QaradawiBooks.com

عيب الصوفية أنَّه دخل عليهم الشرك في الاعتقاديات، والابتداع في العبادات، والسلبية في التربية، أصبح هناك الشخص يقول لك: المريد بين يدي الشيخ كالميت بين يدي الغاسل. يعني ليس له إرادة.

الصوفي في مصر يقول لك: من اعترض انطرد، ومن باح راح، من قال لشيخه: لم؟ لا يفلح. يعني لا يستفهمه، مع أنَّ الصحابة كانوا يستفهمون الرسول ﷺ، وسيدنا عمر يراجع الرسول ﷺ؛ حين بعث أبا هريرة بنعليه أن: من لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إلٰه إلا الله، مستيقنا بها قلبه، فبشره بالجنة. فقال عمر: ما هاتان النعلان يا أبا هريرة؟ فقال: هاتان نعلا رسول الله ﷺ، بعثني بهما: من لقيت يشهد أن لا إلٰه إلا الله، مستيقنًا بها قلبه، بشرته بالجنة، فقال: ارجع يا أبا هريرة! فقال عمر لرسول الله: فلا تفعل، فإني أخشى أن يتكل الناس عليها، فخلهم يعملون، قال رسول الله ﷺ: «**فخلهم**»[1].

الرسول هو المؤيَّد بالوحي يسمع مثل هذا.

ميزان الكتاب والسُّنَّة:

الصوفية عيبها مثل هذه الأشياء، ولذلك علينا أن نزن ما نأخذ من التصوف بميزان الكتاب والسُّنَّة، لا نرفض التصوف كلَّه كبعض المتشددين! بعض الإخوة من السلفيين يرفضون التصوف كله، مع أنَّ الإمام ابن تيمية تكلَّم عن التصوف كلامًا جيدًا، وله في «مجموع فتاواه» (٣٥) مجلدًا فيه مجلدان واحد اسمه: التصوف، والثاني اسمه: السلوك، تحدَّث فيهما عنهم، وقال: إنَّ الصوفية شأنهم شأن غيرهم، فيهم الظالم

(١) رواه مسلم في الإيمان (٣١)، عن أبي هريرة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

لنفسه، والمقتصد، والسابق بالخيرات بإذن الله، ليس كل الصوفية سيئين، ولا كلهم جيدين، وهذا كلام عدل. الاعتدال مطلوب في هذا.

الصوفية عندهم كلام فيه حرارة وحيوية، ومن ذاق عرف، وما راءٍ كَمَن سمع.

لَا يَعْرِفُ الشَّوَقَ إِلَّا مَنْ يُكَابِدُهُ ولا الصَّبَابَةَ إِلَّا مَن يُعانيها[1]

فهؤلاء يعانون المجاهدة، ولذلك فكلامهم له صولة، وله تأثير في النفوس، لا يمكن أن نهمل هذا.

وتلميذ الشيخ ابنِ تيمية: ابنُ القيم له باع أطول وأطول، له عدة كتب: «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين»، «روضة المحبين»، «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي»، وكتابه «مدارج السالكين شرح منازل السائرين إلى مقامات إياك نعبد وإياك نستعين»، «منازل السائرين» رسالة صغيرة الحجم ألَّفها شيخ الإسلام إسماعيل الهروي الأنصاري الحنبلي، ولكن ابن القيم شرحها وأفاض حقيقة على طريقة ابن القيم في إفاضاته وسبحاته، الكتاب من ثلاثة مجلدات. ولذلك نستفيد من هذه المدرسة في تصحيح ما تجاوز فيه الصوفية: الحدَّ الأوسط أو الصراط المستقيم.

عدم حجر النفس في مدرسة واحدة:

ينبغي للداعية أيها الإخوة أن يستفيد من المدارس كلها، قديمها وحديثها، ولا يحصر نفسَه في مدرسة واحدة.

---

(١) هو الأبله البغدادي أبو عبد الله محمد بن بختيار، كما في وفيات الأعيان لابن خلكان (٤٦٤/٤)، تحقيق إحسان عباس، نشر دار صادر، بيروت.

QaradawiBooks.com

بعض الناس يقول: اقرأ كذا، اقرأ لفلان. يُحجِّر على نفسه، يُحجِّر واسعًا، اقرأ بعقلية الناقد، لا تقرأ وأنت أسير لمن تقرأ له، كل إنسان تقرأ له غير معصوم، فيمكن أن يخطئ، وَطِّنْ نفسك على أن تأخذ منه الجيد وتترك الرديء، ولكن تعلم، تعلَّمْ من كل مدرسة، خذ أفضل ما فيها. ومن المعاصرين خذ أفضل ما فيه، كن صاحب عقل ناقد، عقل بصير لا يكون عبدًا لأحد، المشكل هو التقليد الأعمى، الإمام ابن الجوزي يقول: إنَّ المقلِّد على غير ثقةٍ فيما قلَّد فيه، وفي التقليد إبطالُ منفعةِ العقل؛ لأنَّه إنَّما خُلِق للتأمُّل والتدبُّر، وقبيحٌ بمَن أُعطِي شمعةً يستضِيء بها أن يُطفِئها ويمشي فِي الظلمة[1].

هذه أيها الإخوة خواطر بثثتُها دون إعداد أو تحضير لهذا الموضوع كما ينبغي، لعلَّها تكون نافعة لإخواننا الدعاة ولإخواننا المسلمين بصفة عامة.

أسأل الله ﷻ أن ينير لنا الطريق، وأن يشرح صدورنا، وأن يجعلنا من ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر: ١٨].

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

(١) تلبيس إبليس صـ٧٤، نشر دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

٥

الداعية المسلم وتحديات العصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الَّذي بنعمته تتم الصالحات، الَّذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

خير ما أحيِّيكم به أيُّها الإخوة تحيَّةُ الإسلام، وتحيَّةُ الإسلام السَّلام، فالسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وإنَّها لفرصة طيِّبة أن ألتقي بكم للمرة الثانية في هذا المركز نتحدث عن دعوة الإسلام ورسالته إلى الإنسانية كلها، دعوة الحقِّ، دعوة الهداية والنور، وأن يكون حديثنا هذه الليلة عن «الداعية المسلم وتحديات العصر».

منذ حوالي شهرين دُعيت من مركز البحوث والدراسات الإسلامية بمؤسسة الملك فيصل بالرياض؛ لإلقاء محاضرة اختاروا موضوعها، وكان عنوانها «الفقيه المسلم وتحديات العصر»، ولهذا رأيت أن أُكمل هذا الموضوع بموضوع الليلة، وهو «الداعية المسلم وتحديات العصر».

QaradawiBooks.com

اختلاط مفهوم الفقيه والداعية:

قد يختلط على بعض الناس الفقيه بالداعية، ليس كلُّ فقيه داعية، كما أنَّه ليس كل داعية فقيهًا، وإن كنا نتمنى أن يكون الفقيه داعية، وأن يكون الداعية فقيهًا، بل هذا هو المطلوب، وهذا هو الَّذي يمكن أن يؤدي رسالة الإسلام في هذا العصر، ولكن الفقيه مهمته معرفة الأحكام وتوصيلها للناس بالإفتاء أو بالتدريس أو بغير ذلك.

أمَّا الداعية فله مهمة أخرى، إنَّه يخاطب العقل والقلب، إنَّه يريد أن يأخذ بيد الناس إلى الله تبارك وتعالى، إن مهمته أن يفتح مغاليق الأنفس، مهمته أن يسوق الناس سوقًا إلى ساحة الله تبارك وتعالى، وأن يقودهم بسلاسة إلى الجنة، وأن يبعدهم ما استطاع عن النار.

هذه مهمة الإنسان الداعية، وهي مهمة الأنبياء والمرسلين، وليس هناك مهمة أعظم منها، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]. ليس هناك أحسن ولا أمثل ولا أفضل، ممن جعل هذه مهمته.

الداعية غير الخطيب:

لهذا أحببت أن أتحدث عن هذا الداعية، قد يظن بعض الناس أنَّ الداعية هو الخطيب، ولكن كما قال شيخنا الأستاذ البهي الخولي في كتابه القيِّم «تذكرة الدعاة»، في أوائل ما قال في كتابه: الداعية غير الخطيب، الخطيب خطيب وكفى، ولكن الداعية إنسان آخر[1].

(١) تذكرة الدعاة للشيخ البهي الخولي صـ٦.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الخطيب مهمته أنْ يؤدي خطبته ويُحرِّك النفوس، وبعد ذلك لا يهمه استجاب الناس أم لم يستجيبوا؟ أين ذهب الناس بعد خطبته؟ لا يفكر ما الَّذي يأتي بهم مرة أخرى؟ ما الَّذي يجعلهم يستجيبون لما قال؟!

هذه مهمة الداعية، إنَّه صاحب رسالة، إنَّه يحمل الإسلام فكرة واضحة في رأسه، وعقيدة راسخة في قلبه، ومهمة فوق ظهره يفكر فيها بالنهار، ويحلم بها بالليل! الداعية إنسان صاحب رسالة، ليس هو الخطيب، قد يكون الداعية خطيبًا، وقد يكون خطيبًا مؤثرًا، ولكن ليس كلُّ خطيب داعية.

كما أنَّه ليس كل فقيه داعية، قد يكون الإنسان من العلماء، ولكنَّه ليس من أصحاب الدعوة، ليس من الذين يستطيعون أن يؤثروا في الأنفس والقلوب، ليس من القادرين على إقناع العقول.

الداعية إلى الإسلام:

ولذلك الداعية الَّذي نتحدث عنه هو الداعية المسلم، هو هذا الإنسان صاحب الرسالة الإسلامية؛ فنحن نعرف أنَّ هناك في عصرنا أنواعًا وألوانًا من الدعاة، هناك من يدعون على النصرانية، ومن يدعون على الماركسية، ومن يدعون إلى الوجوديَّة، ومن يدعون إلى العلمانيَّة، وغيرهم كثيرون؛ كما قال النبيُّ ﷺ في حديث حُذَيْفة، عن أناسٍ يأتون بالشرِّ بعد الخير، فسئل النبيُّ ﷺ عنهم فقال: «**هم دُعاة على أبواب جهنَّم، من أجابهم إليها قذفوه فيها**»[1]. دعاة إلى النار.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الفتن (٧٠٨٤)، ومسلم في الإمارة (١٨٤٧)، عن حذيفة بن اليمان.

QaradawiBooks.com

والقرآن يذكِّرنا أنَّ هناك من يدعو إلى الجنة ومن يدعو إلى النار، كما جاء ذلك على لسان مؤمن آل فرعون: ﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ۞ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ﴾ [غافر: ٤١، ٤٢]. وكما أن هناك أئمة في الدعوة إلى الجنة وإلى هداية الله هناك أئمة يدعون إلى النار، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [القصص: ٤١].

فهناك إمامة في الحقِّ، كما أنَّ هناك إمامة في الباطل: الدعاة إلى الطواغيت وإلى الشر، وإلى الباطل وإلى الفساد، وإلى المذاهب الشيطانيَّة، وإلى المبادئ الهدَّامة: كثيرون، وما أكثرهم! وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦].

لا تخلو الأرض من الدعاة إلى الحقِّ:

ولكن من فضل الله تعالى أنَّ الدعاة إلى الحقِّ موجودون، لا يمكن أن تخلو منهم الأرض؛ كما جاء عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قوله: لا تخلو الأرض من قائم لله بالحُجَّة[1]. لا بدَّ في هذه الأرض ممن يقوم لله بالحجة؛ ليقطع التعلَّات والأعذار، ويبين للناس، والله تعالى يقول: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩]. إذا كفر أناس برسالات الله وبدعوات أنبيائه فقد وكَّل الله بهذه الرسالات قومًا

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٧٩/١)، والخطيب في الفقيه والمتفقه (١٨٢/١)، وقال الخطيب: هذا الحديث من أحسن الأحاديث معنى، وأشرفها لفظًا. كما شرحه ابن القيم شرحًا وافيًا في مفتاح دار السعادة (٣٤٨/١) وما بعدها، تحقيق عبد الرحمن بن حسن بن قائد، نشر دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط١، ١٤٣٢هـ.

QaradawiBooks.com

ليسوا بها بكافرين، هم وكلاء وكَّلهم الله ﷻ، خلفاء الله تعالى في أرضه، لا تخلو الأرض من هؤلاء، ورحم الله شوقي إذ يقول:

إنَّ الَّذي خلــقَ الحقيقــةَ علقمًا لم يُخلِ من أهْلِ الحقيقةِ جيلَا[١]

والقرآن بعد أن قال: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩]. قال بعدهــا بعدة آيات: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١]. فالآية السابقة لبني إسرائيل، وهذه لكم. ولهذا لا تجتمع هذه الأُمَّة على ضلالة، لا بدَّ أن يكون فيها من يهدي بالحقِّ، ويعدل بالحقِّ، ويدعو إلى الحقِّ.

وقد استفاضت الأحاديث عن رسول الله ﷺ، أنَّه لا تزال طائفة من هذه الأُمَّة قائمين على الحقِّ، لا يضرُّهم من خالفهم، حتَّى يأتي أمر الله وهم على ذلك[٢]. ســتظل هذه الطائفة المنصورة القائمة بالحقِّ، القائمة على أمر الله، إلى أن يأتي أمر الله، إلى أن تقوم الســاعة وهم قائمون على هذا الحقِّ، فإذا كان هناك دعاة إلى الباطل فهناك يقابلهم دعاة إلى الحقِّ.

قد يكون الدعاة إلى الباطــل أكثر، والدعاة إلــى الحقِّ أقل، ولكن صوت الحق أســمع، وكلمة الحق أرفع، والحقُّ أحــقُّ أن يُتبع، لأنَّهم يمثلون كلمة الله في الأرض، وكلمة الله هــي العليا، وكلمة الَّذين كفروا هي السفلى، والإسلام يعلو ولا يُعلى.

---

(١) أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (١٨١/١)، نشر دار العودة، بيروت، ١٩٨٨م.

(٢) رواه عدد من الصحابة، منها ما رواه معاوية بن أبي سفيان: «لا يزال من أمتي أمةٌ قائمة بأمر الله، لا يضرهم مــن خذلهم، ولا من خالفهم، حتى يأتيهم أمــر الله وهم على ذلك». متَّفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٦٤١)، ومسلم في الإمارة (١٠٣٧) (١٧٤).

QaradawiBooks.com

وتلك الأيام نداولها بين الناس:

حديثنا عن الداعية المسلم وتحديات العصر، هذا العصر يتحدانا بأشياء كثيرة، تقلبت علينا الأيام، وتداولت علينا أيام الدهر، والدهر قُلَّب، ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

كنا في الطليعة فأصبحنا في المؤخرة، كنا سادة الدنيا قرونًا فأصبحنا نُساد ونُقاد، أصبحنا تبعًا لغيرنا، أصبحنا نمشي وراء الآخرين شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع؛ حتَّى لو دخلوا جُحْرَ ضَبٍّ لدخلناه!

تغيَّرت الدُّنيا، بعد أنْ كان المسلمون سادة العالم، وكانت حضارتهم هي الحضارة السائدة والقائدة، بعد أن كان الفاتح المسلم في الشمال والجنوب، وفي شرق الأرض وغربها. بعد قرن من الهجرة وصل الإسلام إلى الصين شرقًا، وإلى إسبانيا وجنوب فرنسا غربًا! في وقت من الأوقات كان هناك أربعة من الفاتحين كلهم في أطراف الأرض، مسلمة بن عبد الملك، وقتيبة بن مسلم الباهلي، ومحمد بن القاسم بن محمد الثقفي، وموسى بن نصير، كل واحد في ناحية.

ثمَّ أقمنا حضارة كانت هي الحضارة الغالبة، تميَّزت بأنَّها حضارة ربَّانيَّة إنسانيَّة، أخلاقيَّة عالميَّة، مزجت بين الروح والمادة، وجمعت بين العلم والإيمان، ووصلت الأرض بالسماء، ووفقت بين الدنيا والآخرة، ولم تجد أي صراع فيها بين الفرد والمجتمع، أو بين العقل والقلب كما وجدنا في أديان أخرى! هذه حضارة الإسلام.

كنا هكذا، ثم أصبحنا اليوم وقد غُلبنا بعد أن كنا الغالبين، وهُزمنا بعد أن كنا المنتصرين، وتخلفنا بعد أن كنا المتقدمين، وأصبحنا عالة على غيرنا، وفي وقت من الأوقات ظنَّ الناس بالإسلام الظنون، وظنوا

QaradawiBooks.com

أنَّ بساط الإسلام قد طُوي، وأنَّ الشريعة لا يمكن أن يرتفع لها علم، وأن الدعوة إلى الإسلام تحتضر، وأنَّ الدعاة إلى الإسلام تُكال لهم الضربات الوحشيَّة في كل مكان.

بروز الصحوة الإسلاميَّة:

ثم شاء الله ﷻ أن تبرز هذه الصحوة الإسلاميَّة، وأن يظهر الإسلام من جديد عملاقًا قويًّا، وأن يخرج هذا المارد العملاق من القمقم ينشر جناحيه هنا وهناك، ويرفع صوته مدويًّا بالتكبير، وإذا بهذه الصحوة الإسلامية نرى آثارها: دعوة إلى الإسلام في الشرق والغرب، والتزامًا بالإسلام من شباب الإسلام وشاباته، حتى في بلاد الغرب وبلاد الشرق الأقصى، في أوروبا وأمريكا وكندا، في اليابان والصين وكوريا، في كل مكان به مئذنة يؤذن فيها: الله أكبر، الله أكبر. حتى حيث توجد الأقليات الإسلامية، وحيث توجد جاليات إسلامية، ليست أصيلة في مكانها ولا من أهل البلاد، ولكن حيث وجد مسلمون وُجدت صحوة إسلاميَّة.

آثار الصحوة الإسلاميَّة:

هذه الصحوة الَّتي نلمس آثارها جهادًا في أفغانستان، يصاول ويقاوم أعتى قوة في الأرض، إحدى القوتين العظميين في العالم، يقاتل بالأسلحة العتيقة التقليدية من بقايا الحروب القديمة يقاتل بها الأسلحة الإلكترونيَّة، يقاوم الدبابات والطائرات والصواريخ، يقاوم الأسلحة المُتَطَوِّرة بالبنادق القديمة، يقاتل هذا الشعبُ الأميُّ المؤمنُ روسيا، ثماني سنوات وهذا الجهاد قائم، إنَّها الصحوة الإسلاميَّة، إنَّها الَّتي صنعت هذه القلوب المؤمنة، الَّتي حركت هذه الأيدي لتحمل السلاح؛

QaradawiBooks.com

دفاعًا عن عرضها وأرضها، وشرفها ودينها؛ مصممة على أن تحرر الأرض، وتقيم الدين، وتمكن لكلمة الله تبارك وتعالى في أرضها.

الصحوة الإسلاميَّة هي الَّتي نراها اليوم في الأرض المحتلَّة من فلسطين، نراها تُحرِّك هذا الجيل الناشئ الصاعد، جيل الحجارة الَّذي يقذف بما تيسَّر له من الحجارة، بما استطاع من قوَّة كما أمره الله تعالى، استطاعت هذه الصحوة أن تُظهر هذا الجيل الَّذي تربَّى في أحضان المساجد، وفي ظلال الجامعات الإسلاميَّة، وفي رحاب المجمعات الإسلاميَّة؛ فنشأ مهللًا مكبرًا.

إنَّهم لا يظهرون لنا في أدوات الإعلام وأجهزته هذه الهتافات المُدَوِّيَّة الَّتي تظهر في بعض التليفزيونات الغربيَّة الأمريكيَّة والأوربيَّة، إنَّك تسمعهم يقولون: لا إلٰه إلا الله، والله أكبر. تراهم يرفعون المصاحف، وترى النساء المحجبات، إنَّها الصحوة الإسلامية، هم ينادون ويقولون: «ثورة ثورة على المحتل، غير المصحف ما في حل»، «خيبر خيبر يا يهود، جيش محمد سوف يعود». ﷺ.

الصحوة الإسلاميَّة هي الَّتي نراها تقاتل في الفِلِبِّين التعصُّب الكاثوليكي، الَّذي يأبى أن يعطي هؤلاء الحكم الذاتي في مناطقهم؛ حيث يقيمون شعائرهم وشرائعهم، ويستمتعون بحقوقهم.

الصحوة الإسلاميَّة تعمل عملها في كل مكان، فالإسلام لم تنتكس رايته، ولم يتقلص ظلُّه كما ظنَّ الظانُّون، أو زعم الزاعمون، أو خطَّط المخططون، أو مكر الماكرون! طالما مكروا، وطالما كادوا، وطالما خططوا، ولكن هيَّأ الله لهذا الدين من يبطل كيد هؤلاء، من يرد كيدهم في نحورهم، ويعيد سهامهم المسمومة إلى صدورهم، إنهم يمكرون، ويمكر الله، والله خير الماكرين!

QaradawiBooks.com

اليهوديَّة الماكرة:

تحديات هـذا العصر كثيـرة، وكثيرة جـدًّا، إنَّها تحديـات داخلية وتحديات خارجية، تتمثل هذه التحديات في القوى المعادية للإسلام من الخارج: في اليهودية الماكرة الَّتي تتربص بالمسـلمين الدوائر، وسعتهم دار الإسـلام قرونًا طويلة؛ حيث لفظهم العالم كله، ومع هذا قلبوا ظهر المِجَنّ للمسـلمين، اليهوديَّة العالميَّـة، ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ [المائدة: ٨٢].

الصليبيَّة الاستعماريَّة:

وتتمثل في الصليبية الغربية الاسـتعمارية، الَّتي تكيد للمسـلمين، لم تنسَ ما حدث في الحروب الصليبيَّة، نحن المسـلمين نسـينا وتسامحنا، ولكن هؤلاء لم ينسـوا، لا تزال آثار هذه الحـروب الصليبية الَّتي رجعوا بعدها مهزومين، ولم يحققوا ما أرادوا، ظلوا فـي هذه الديار نحو قرنين، ولكنهم دُحروا أخيرًا وطُرِدوا من هذه الديار، واسـتعاد المسـلمون بيت المقدس على يد صلاح الدين ورجاله، وكانت معركة حطين، وكان ما كان.

هذا الكيد الصليبي الحديث الَّذي عبَّر عنه بعض العسـكريين منهم، قد يخفيـه السياسـيون؛ ولكن العسـكريين أحيانًـا لا يتحفظون كمـا يتحفظ السياسيون، رأينا اللنبي حينما دخل القدس سنة (١٩١٧م). قال كلمته الشهيرة: اليوم انتهت الحروب الصليبيَّة[١]. ورأينا القائد الفرنسـي الآخر حينما دخل دمشق ووقف عند قبر صلاح الدين قال بشماتة: ها قد عدنا يا صلاح الدين[٢].

(١) دروس وتأملات في الحروب الصليبية لأبي فارس صـ٣٥، نشر دار جهينة، الأردن، ط١، ٢٠٠٢م.

(٢) دور نور الدين محمود في نهضة الأمة لعبد القادر أحمد أبو صيني صـ٢٢٢، (رسالة دكتوراه)، نشر معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا.

QaradawiBooks.com

ولكن الإنجليز خرجوا من القدس، والفرنسيين خرجوا من دمشق؛ إلا أنَّ الإنجليز تركوا وراءهم من هو أخطر منهم، تركوا وراءهم الصهيونية.

التأليب على الإسلام:

الكيد الصليبي لا زال يعمل عمله، ولا زالت آثاره تظهر ما بين الحين والحين، إنهم كلما ظهرت للإسلام بارقة بدؤوا يعملون في الخفاء أحيانًا، وفي الظاهر حينًا، يؤلبون على هذا الإسلام، وعلى دعوته، وعلى أبنائه، وعلى صحوته، يعملون بمكر وبدهاء!

لقد أقاموا الدنيا ولم يقعدوها من أجل ما أسموه «التطرف الإسلامي»، وأصبح كل مسلم يتمسك بدينه متطرفًا، قد يوجد الآن في بعض فصائل التيار الإسلامي أو بعض فصائل الصحوة الإسلامية: من يتشدد أو يتزمت أو يتطرف في بعض الأمور، ولكن ليس هذا هو التيار الغالب، وليس هذا هو الجمهور الأعظم، ولكنهم يجعلون من (الحبَّة قُبَّة) ويضخمون هذا الأمر؛ حتى يُظهروا العمل الإسلامي والتيار الإسلامي بأنَّه تيار مُتَشَدِّد مُتَطَرِّف مُتَعَصِّب، إلى آخر ما يقولون!

والآن تعرفون ماذا يقولون؟ إنَّ صحفهم بدأت الآن تعزف على نغمة جديدة، إنهم يقولون: احذروا الإسلام المعتدل. حينما بدأنا نحن نحارب التطرف، ونكتب ضد التطرف، ونبين ما هو التطرف، ضربوا هم على وترٍ آخر، يقولون: احذروا الإسلام المعتدل؛ إنَّه يبدأ معتدلًا ثم يتطرف، إنَّه يتمسكن حتى يتمكن، فاحذروا من هؤلاء الذين يظهرون بمظهر الاعتدال. فلا المتطرف يعجبهم، ولا المعتدل يعجبهم، هؤلاء هم الذين يكيدون، إنَّه التعصُّب والكيد!

QaradawiBooks.com

الشيوعيَّة الماركسيَّة:

وهناك الشيوعية العالمية الَّتي تعمل الآن، تغزو بلاد المسلمين أحيانًا عن طريق الفكر الماركسي، وأحيانًا بالسلاح كما في أفغانستان، وهي تغزو أولًا بالفكر ثم تغزو بالسلاح، قبل أن تدخل أفغانستان بالسلاح غزت عقولًا وأفكارًا ورؤوسًا عششت فيها، هي الَّتي استطاعت أن تثب على الحكم يومًا، ثم تحارب قومها وتحارب أهلها، من أجل الأعداء الخارجيين.

الشيوعية تعمل في كثير من البلدان الآن، ولها طابور خامس يعمل في ديار العرب والمسلمين، هذه الشيوعية الَّتي تزعم أنَّ الدين أفيون الشعوب، تحارب الأديان جميعا، وتخص الإسلام بمزيد من الحرب والعداوة؛ لأنَّها تعلم أنَّ الإسلام وحده هو الَّذي يملك نظامًا للحياة، ومنهاجًا يحقق العدل، ويحقق الكرامة للإنسان، ويحقق المساواة والحرية، ويحقق كل ما تدعو إليه وزيادة؛ بعيدًا عن مساوئها، وبعيدًا عن مغالاتها وسلبياتها، وبعيدًا عن استبدادها وطغيانها، وإهدارها لحقوق الإنسان وكرامته الفردية، هذه الشيوعية تمثل أيضًا تحديًّا.

الوثنية المتوحشة:

هناك الوثنية أيضًا، كثير من الذين يتحدثون عن القوى المعادية يتحدثون عن هذا الثالوث: اليهودية، والصليبية الاستعمارية، والشيوعية، ولا يتحدثون عن الوثنية، والله تعالى يقول: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ [المائدة: ٨٢]. هؤلاء أيضًا يعادون المسلمين، ويُذبِّحون فيهم ويُقتِّلون، الذين يظهرون الرحمة حتى على الحيوان والحشرات، لا يستعملون مبيدات الحشرات رفقًا بهذه

QaradawiBooks.com

الكائنات؛ لأنَّها ذات روح! هؤلاء يُذبِّحون المسلمين بالآلاف؛ كأنهم ليس لهم أرواح، فالوثنية تعمل أيضًا ضد الإسلام.

القوى الخارجية كلها تعمل وتتفق فيما بينها، تختلف اختلافات كثيرة، ولكن إذا كنا نحن العدو تتفق علينا جميعًا، وهذا ما قاله فقهاؤنا من قديم: الكفر كله ملة واحدة. وما قاله الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ﴾ [الجاثية: ١٩]، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍ﴾ [الأنفال: ٧٣].

قوى داخليَّة تعمل ضدَّ الإسلام:

ولكن الأمر لا يقف عند عمل القوى الخارجيَّة، هناك أيضًا قوى داخلية في قلب العالم الإسلامي، نجد تحديات تتمثل في أولئك الذين يعادون الإسلام في قلب أوطاننا العربية والإسلامية، أولئك الذين غزاهم الفكر الوافد من الخارج، عملاء هذه القوى الَّتي تحدثنا عنها، سواء شعروا بذلك أم لم يشعروا.. هم يعملون لها!

هناك في قلب ديارنا الإسلامية من يعمل لهذه القوى الخارجية، ومن يحمل فكرها، ومن يقف ضد الإسلام، ومن يقف ضد تحكيم شريعة الإسلام، ومن يستهزئ بأحكام الله تبارك وتعالى، ومن يقول: أتريدون أن تعيدوننا إلى الوراء أربعة عشر قرنًا؟ إنَّ الناس تنظر إلى الأمام وأنتم تنظرون إلى الخلف؟ نحن في عصر غزو الفضاء وأنتم تريدون أن تعودوا بنا إلى عصر الجمل سفينة الصحراء؟ هكذا يتهكمون ويسخرون!

لماذا يعادون الإسلام؟

هؤلاء أسماؤهم محمد وأحمد، وعبد الله وعبد الرحمن، وحسن

QaradawiBooks.com

وحسين، أسماء إسلامية ومن أسر مسلمة، ونشؤوا في بيئة إسلاميَّة، ويتمتَّعون بمزايا المسلمين في أرض الإسلام، ومع هذا يعادون الإسلام!

ولماذا يعادون الإسلام؟ لأنَّهم غُزوا من الخارج، هناك ولا شك جهل بحقيقة الإسلام، هؤلاء جُهِّلوا بالإسلام، لم يعرفوا الإسلام على حقيقته، أثرت فيهم عصور التخلف، ورواسب عصر الانحطاط، حين جمدت الحياة الإسلامية، فلم يكن هناك اجتهاد في الفقه، ولا أصالة في الأدب، ولا ابتكار في الصناعة، ولا حركة في الحياة، وكان المثل السائر: ليس في الإمكان أبدع مما كان، وما ترك الأول للآخر شيئًا. هذه العصور بلا شك لم تكن تمثل الإسلام الحقيقي، ولكن أراد هؤلاء أن يأخذوها حجة على الإسلام نفسه!

الغزو الثقافي، والاستعمار الفكري:

أثرت رواسب هذه العصور في هؤلاء، ثم أكمل ذلك ما جاء على أيدي الغزو الثقافي، والاستعمار الفكري، حين دخل الاستعمار بلاد المسلمين ماذا صنع؟ إنَّه بدأ يصنع على عينيه ويربي على يديه أجيالًا، يُرضعها ثقافته وأفكاره ومفاهيمه المسمومة عن هذا الدين، وفتح مدارس أجنبية خاصة، كثيرًا ما تتبع التبشير أو الرهبان، أو تتبع الدول المستعمرة نفسها، ولم يكتفِ بذلك، فمن لم يرضَ بهذه المدارس أُرسل في بعثة إلى الخارج؛ ليتم إنضاجه هناك في البلاد الأوربية والأمريكية، والغربية والشرقية.

ولم يكتفِ بذلك، بل إنَّ التعليم نفسه في داخل الأوطان العربية والإسلامية غُيِّرت طبيعته، فلم يعد يُعلِّم الإسلام، بل يُعلِّم الأشياء كما يتعلمها الإنسان الغربي، وإذا أخذ الدين فإنما يأخذه بالمفهوم الغربي، بالمفهوم الكنسي، لا يدرس الإسلام على أنَّه رسالة حياة، رسالة

QaradawiBooks.com

شاملة جامعة، وإنَّما يدرس حصة دينية في آخر النهار بعد أن يمل التلاميذ ويتعب الأستاذ!

وهي حصة كثيرًا ما تكون اختيارية الامتحان، وقد يأخذ فيها قشورًا من الدين، لا يعرف فيها لباب الدين، يدرس السيرة النبويَّة فيدرس فيها وريقات لا تبين عظمة الشخصية المحمدية، ولا عظمة الرسالة المحمدية، ولا مقدار ما ترك رسول الله ﷺ وراءه من سيرة ومبادئ وأصحاب ورسالة، وريقات عن السيرة المحمدية، بينما حينما تدرس الثورة الفرنسية تدرس تاريخًا كاملًا يُعرف فيه كل شيء.

القصور في دراسة التاريخ الإسلامي:

أنا أقول لكم: حتى ونحن طلاب في الأزهر في القسم الثانوي طوال خمس سنوات، كنا ندرس في السنة الأولى الثانوية تاريخ مصر القديمة، أي: مصر في عصر الفراعنة، ومصر في عهد الرومان، ومصر في عهد البطالمة، وفي السنة الثانية الثانوية ندرس مصر الإسلامية، والمحور ليس الإسلام، وإنَّما المحور مصر، فيأتي الإسلام باعتبار أن مصر كانت إسلامية في ذلك الوقت، فيتكلم عن الإسلام ونشأة الإسلام، وظهور الرسول، والعصر النبوي، وعصر الخلفاء الراشدين، وعصر بني أمية، وعصر بني العباس إلى الحروب الصليبية، كل هذا في كتاب واحد، بعد ذلك في السنوات الأخرى ندرس أصول العالم الحديث، والتيارات الجديدة في أوربا، والأشياء الَّتي ظهرت في أوربا، والصراع الدولي، والتوازنات الدولية، والثورة الفرنسية، ثلاث سنوات ندرس فيها هذا الكلام، والتاريخ الإسلامي من نشأة النبي إلى انتهاء الحروب الصليبية يأخذ فقط كتابًا واحدًا، هذا في قلب الأزهر، فما بالكم في المدارس الأخرى؟!

QaradawiBooks.com

مشكلة النخبة أو الصفوة:

ولذلك نشأ جيل لا يعرف الإسلام، وهذه مشكلتنا، مشكلة الكتاب والمفكرين الذين يسمونهم «النخبة» أو «الصفوة»، أي نخبة وأي صفوة هذه الَّتي تجهل دينها؟! يقولون: هؤلاء هم المثقفون. كيف يكون الإنسان مثقفًا وهو لا يعرف دينه؟ حتى لا يعرف دين قومه، المفروض لو كان نصرانيًّا لوجب عليه أن يعرف دين الأغلبية الَّتي يعيش في وسطها، ولذلك بعض المسيحيين درسوا الإسلام؛ لأنَّه ثقافة الجميع، اعتبروا الإسلام حضارة لهم جميعًا، وثقافة لهم جميعًا. أمَّا هؤلاء المثقفون فيُسمون مسلمين، ومع هذا يجهلون الإسلام.

بعض هؤلاء الذين يحملون هذا الفكر المقلوب مُكِّن لهم، فأصبحوا هم قادة التوجيه، وقادة الإعلام، وقادة الفكر والتثقيف، أصبحوا أساتذة في الجامعات، أصبحوا يوجهون الأجهزة المؤثرة في الدولة، ومنهم من أصبح حاكمًا، صاروا حكامًا يقودون الناس، وينفذون ويديرون دفة الأمور.

فهذا جعل هناك صراعًا وصدامًا داخل البلاد الإسلامية بين هؤلاء وبين الذين يدعون إلى الإسلام دين الأُمَّة، ومقومها الأول، ومبرر وجودها، فلا مبرر لوجود هذه الأُمَّة إلا الإسلام، إذا لم تكن بالإسلام فلا بقاء لها، يغني عنها أي أُمَّة في الأرض، فهذه الأمة إنَّما تستحق البقاء والنصر بالإسلام، فهؤلاء من التحديات الَّتي أمامنا.

التدين المنحرف:

وطبعًا هناك من عوام المسلمين الكثيرون الذين يجهلون الإسلام أيضًا، فيعيشون في خرافات في ناحية العقيدة، وتغلب عليهم الشركيَّات، ويعيشون في بدع من ناحية العبادة، يبتدعون أشياء ما أنزل الله بها من

QaradawiBooks.com

سلطان، يعيشون في سلبيات من ناحية الأخلاق، لا يقومون بأمر الحياة نفسها كما ينبغي، غلب عليهم التواكل والضعف الأخلاقي، أثرت فيهم الأفكار المنحرفة الَّتي راجت أحيانًا عند التصوف المنحرف غير الملتزم بالكتاب والسُّـنَّة، هذا التدين المنحرف موجود أيضًا عند كثير من عوام المسـلمين، فنحن أمام تفكير خرافي عند العوام، وتفكير مادي علماني لا ديني عند هؤلاء الذين يسمُّونهم «الخواصَّ»، وما هم بالخواصِّ.

هذه كلُّها تحديات أمام الداعية المسـلم، فما موقف الداعية المسلم أمام هذه التحديات؟

الدعاة الذين لا يعيشون واقعهم:

هناك ممن ينتسـبون إلى الدعـوة أصناف من النـاس، هناك داعية لا يعيش في عصره، فلا يرى هـذه التحديات، ولا تتجسـد أمامه هذه التحديات، إنَّه يعيش في غير هذا العصر، صحيح أنَّه يركب سيارات هذا العصر، ويسـتعمل هواتف وتليفونات هذا العصر، ويمتطي طائرات هذا العصر من بلد إلى بلد، وقد يكون عنده أحدث الأجهزة، ولكنَّه لا يعيش بعقل هذا العصر، لا يعرف تيارات هذا العصر الَّتي تمور فيه، ماذا يعتمل في أنفس الناس؟ ماذا يوجـه أفكارهم، لا يعرف ثقافة العصر، لا يعرف شـيئًا عن هذا، هو يعيش في قلـب الكتب القديمـة وحدها، والكتب القديمة فيها خير كثير، ولكن ليس بهذا وحده يستطيع أن يواجه التيارات ويواجه التحديات، كل عصر له فكره وله ثقافته، قد يقرأ في كتب «المِلل والنِّحل» لابن حزم أو للشهرسـتاني، أو للبغـدادي أو لغيرهم، ولكن عصرنا له مِلله ونِحله، كيف تعيش فقط في الفـرق القديمة؛ كالمعتزلة والجهمية وكذا وكذا، ولا تعرف شـيئًا عن الوجودية ولا عن الماركسية

QaradawiBooks.com

ولا عن البابيـــة ولا عن البهائية ولا عـــن القاديانية؛ وهـــذه الفرق الَّتي أضلت الناس، لا بـــدَّ أن تعيش في هذا العصر، ولذلـــك قد يعيش في مشكلات قديمة ليست هي مشكلات العصر!

غير مرخصة للطباعة

الاهتمام بمشكلات العصر:

ســـألني بعضهم: ما رأيك في قضية خلق القرآن؟ قلت له: ليس لي رأي في هذه القضيـــة، فهي قضية انتهت وانتهـــى عصرها، عصرنا الآن لا يبحث: هل القـــرآن مخلوق أو غير مخلوق؟ نحـــن نبحث في قضية أخرى: هل القرآن من عند الله أم ليس من عند الله؟ وإذا كان من عند الله هل يجب أن يحكم هذا القرآن؟ هل هو دســـتور هـــذه الأُمَّة ومنهاجها للفرد وللجماعة وللدولة أم لا؟ هذه هي القضيـــة الَّتي نعمل من أجلها ونقاتل عليها، القرآن دستور هذه الأُمَّة، لا ينبغي أن تستورد أمتنا دساتير وأنظمة وقوانين مـــن غير هذا الكتاب؛ فلا تشـــغلونا عن قضيتنا بقضايا قديمة حدث فيها ما حدث، تلك فتنة ذهبـــت، والفتنة نائمة لعن الله من أيقظها، لا ينبغي أن نثير قضايا عصر في عصر آخر.

سألني أيضًا عن الجهاد وهل هو هجومي أم دفاعي؟ وهل علينا أن نقاتل العالم كله حتى ننصر الإســـلام؟ قلت: يا أخي هذا أمر لسنا محتاجين إليه، نحن الآن في موقف الدفاع، أرض الإســـلام ديســـت، وكرامة المســـلمين أُهينت، فنحن ندافع عن حرماتنا وأعراضنا، ما الداعي إلى الجهاد الهجومي الآن؟ الجهاد الهجومي إنَّما كان يراد منه إزالة الحواجز لتبليغ دعوة الإسلام، ونحن الآن نستطيع أن نبلغ دعوة الإسلام عبر الأجهزة الحديثة، الآن نستطيع أن نصنع قنوات إذاعية موجهة ننفق فيها الملايين ونوجهها إلى العالم وبكل اللغات، ونستطيع أن ننشر كتبًا ورسائل بوسائل النشر المختلفة.

QaradawiBooks.com

ونعتقد أننا مقصرون في دعوة العالم إلى الإسلام، لم نفعل ما تفعله الأمم الأخرى، الإنجيل تُرجم بمائة وأربعين لغة حتى ببعض اللغات الدارجة، نحن تركنا الأجانب يترجمون القرآن ويحرفونه، ولم نتفق بعد على ترجمة نعتبرها سليمة لمعاني القرآن، فنحن في حاجة إلى مثل هذا، فلماذا نتحدث في مثل هذه الأشياء؟

هناك أمور كثيرة مثل هذه لا يعيها هؤلاء الذين لا يعيشون في عصرهم، الداعية الحقيقي هو الَّذي يعيش في عصره، ويعيش في مشكلاته، وتؤرقه مصائب المسلمين وهمومهم، أمَّا أن ننشغل بمثل هذا الأمر فغير مقبول.

ضعف العقل وسوء الفهم:

لقد آلمني أشد الألم في الأسبوع الماضي كنت مدعوًّا إلى محاضرتين في جامعة الملك فيصل بفرعيها في الأحساء والدمام، وفي الأحساء وجَّه إليَّ بعض الإخوة سؤالًا مكتوبًا قالوا فيه: ما رأيك فيما يردده بعض الدعاة اليوم؛ حيث سمعنا منهم من يقول: الحمد لله الَّذي سخر لنا هؤلاء الإفرنج الكفار، ليشتغلوا بالعلم والتكنولوجيا، ونتفرغ نحن لعبادة الله تعالى؟!

تصوروا، والله ما تمالكت نفسي من الغيظ، قلت: هل من يقول هذا من الناس تسمونه داعية؟ وبعض الأسئلة تقول: أحد الفقهاء أو العلماء! أي فقيه وأي عالم وأي داعية هذا الَّذي يريد أن نبقى عالة على الناس، ونشتغل نحن بعبادة الله؟! ومن قال: إنَّ عبادة الله تحتاج إلى التفرغ؟ العبادات الإسلامية نفسها لا تحتاج إلى تفرغ قط، كم تستغرق صلاة الظهر من وقت الإنسان وهي الَّتي تكون في وقت العمل؟

QaradawiBooks.com

القرآن لم يذكر لنا يومًا للإجازة، يقول عن يوم الجمعة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩، ١٠]. حركة مستمرة، قبل الصلاة عمل وبيع وشراء، وبعد الصلاة انتشار في الأرض وابتغاء من فضل الله، فمن قال: إننا محتاجون إلى تفرغ للعبادة؟ ونحن نعلم أنَّه لا رهبانية في الإسلام، لم يجئ الإسلام بتفرغ ولا انقطاع للعبادة، فقهاؤنا قالوا في الزكاة: تُعطى الزكاة للمتفرغ للعلم ولا تعطى للمتفرغ للعبادة!

إذا كان هناك إنسان قوي قادر على الكسب ويشتغل بالعبادة فلا تجوز له الزكاة، لأنَّ الحديث يقول: «**لا تحلُّ الصدقةُ لغَنِيٍّ، ولا لذي مِرَّةٍ سَوِيٍّ**»[1]. ذو المرة هو القوي، والسوي هو سليم الأعضاء الخالي من العاهات والعوائق، مثل هذا إذا كان منقطعًا للعبادة لا يُعطى من الصدقة، لماذا؟ قالوا: لأنَّ العبادة لا تحتاج إلى انقطاع، ولأنَّ مصلحة العبادة له، ليست للناس، أمَّا العلم فهو الَّذي يحتاج إلى تفرغ وانقطاع وتخصص، ولأن نفع العلم لعموم المسلمين، فلهذا يُعطى المنقطع للعلم ولا يُعطى المنقطع للعبادة، لكن يأتي هؤلاء يقولون: الحمد لله الَّذي سخر لنا هؤلاء الإفرنج الكفار؛ ليشتغلوا بالعلم والتكنولوجيا، ويصنعوا طائرات وماكينات وكذا، ونحن نشتريها منهم ونتفرغ نحن لعبادة الله تعالى!

نشتريها ويظلّون هم يتحكمون فينا، إذا أرادوا باعوا لنا، وإذا أرادوا قبضوا أيديهم عنا، كما حدث في معركة العاشر من رمضان (١٣٩٣هـ).

(١) رواه أحمد (٦٥٣٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده قوي. وأبو داود (١٦٣٤)، والترمذي (٦٥٢)، وقال: حسن. كلاهما في الزكاة، وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود (١٤٤٤)، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

حينما احتاج الجيش المصري والقوات المسلحة إلى ذخائر وأسلحة وإمدادات، لم يرضوا أن يعطوهم ولو بالثمن الفوري، بعض البلاد العربية كانت مستعدة أن تعطي مصر المال لتشتري ما تريد فورًا، لكنهم قالوا: لا. لا يريدون أن تُهزم إسرائيل، إسرائيل ربيبتهم وحبيبتهم، وهم الذين أنشؤوها، وقالوا: إنَّما خُلقت إسرائيل لتبقى. فإذا لم نصنع نحن السلاح الَّذي ندافع به عن أنفسنا؛ فلن نكون سادة، لن نكون مستقلين في أرضنا، لن يكون صنع القرار بأيدينا، ستكون إرادتنا تابعة لإرادة غيرنا.

أُمَّة سورة الحديد لم تتعلم صناعات الحديد:

وطالما قلت: للأسف الأُمَّة الَّتي أنزل الله عليها سورة اسمها «سورة الحديد» لم تتعلم صناعة الحديد، ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥]، لم نتعلم الصناعة الحربية والعسكرية الَّتي يشير إليها قوله تعالى: ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾. ولم نتعلم الصناعات المدنية الَّتي يشير إليها قوله تعالى: ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾.

نحن عالة على غيرنا حتى الآن، معظم الأشياء حتى الصناعة التحويلية والصناعات الثقيلة نستوردها، لم نصنع حتى محركًا (موتورًا) لا لطائرة ولا لدبابة ولا لسيارة، ثم يأتي من يقول: الحمد لله الَّذي سخر لنا هؤلاء ليشتغلوا بالعلم، ونتفرغ نحن لنقول: سبحان الله. مائة ألف مرة؟! ما فعل هذا الصحابة ولا التابعون!

علماء المسلمين وفقهاؤهم قرَّروا أنَّ كل علم أو صناعة يحتاج إليها المسلمون في دينهم أو في دنياهم؛ فإنَّ تعلُّمها وإتقانها فرض كفاية على الأُمَّة، إذا وُجِد عدد كافٍ لسد الثغرات وتلبية الحاجات برئت الأُمَّة من الإثم، وإلا أثمت الأمة جميعها وأولو الأمر فيها خاصة، لا بدَّ

QaradawiBooks.com

أن يوجد في الأمة من الأطباء والمهندسين والكيمياويين والفيزيائيين، وكل علم من العلوم، وكل صناعة من الصناعات، أي: كل أنواع العلوم وتطبيقاتها التكنولوجية.

أمَّا أن نكون عالة على «الخواجة» في كل شيء، نشتري من عنده، وقد نشتري جهازًا ضخمًا، محطة كهربائية ضخمة أو غير ذلك؛ فإذا أصابها خلل في وقت من الأوقات وقفنا حيارى أمامها، وانتظرنا «الخواجة» الخبير الَّذي يأتينا من الخارج حتى يصلحها، وقد نعيش في ظلام لعدة أيام حتى تُصلح المحطة أو الجهاز، أهذا هو الإسلام؟! أهذا داعية الَّذي يقول مثل هذا الكلام؟! لكن للأسف يوجد في عصرنا من يقول هذا الكلام.

الداعية الحقيقي:

الداعية الحقيقي هو الَّذي يفهم ما تحتاجه هذه الأُمَّة في هذا العصر من ماديات ومعنويات، والإسلام لم يحارب المادة في ذاتها، إنَّما حارب المادة إذا أصبحت هدفًا، إذا أصبحت معبودًا للناس، إذا أصبحت هي الغاية الَّتي يلهث الناس وراءها، أمَّا أن تعمل للدنيا وتسخر الدنيا للآخرة، وأن تملك الدنيا ولا تملكك، وأن تعيش في الدنيا ولا تعيش فيك الدنيا، أن تملكها في يدك ولا تسكنها في قلبك، فهذا هو الَّذي نريده، والإسلام علمنا أن نقول: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

نحن في حاجة إلى الداعية الَّذي يعيش في عصره، أمَّا هذا الداعية الَّذي يعيش بعيدًا عن هذا العصر، يقرأ بعض الأشياء في الكتب ولا يفهمها حق فهمها، لأنَّه لو فهم هذه الكتب الصفراء حق الفهم، وفقهها حق الفقه ما قال مثل هذا الكلام!

غير مرخصة للطباعة
نسخة خاصة
QaradawiBooks.com

هذا صنف من المنتسبين إلى الدعوة، العجيب أنني قلت لبعض الإخوة هذا الكلام عن هذا الصنف من الدعاة فقال: هذا والله سمعته من بعض المرشدين في أمريكا، يقول: الحمد لله أنْ سخر لنا الأمريكان ليصنعوا لنا هذه الأشياء ونحن نعبد الله! قلت له: هذا تخلُّف، هذا كلام عجيب، والإسلام بريء منه. فهذا صنف من الدعاة لم يفهم تحديات العصر كما ينبغي.

الانبهار بالحضارة الغربية وتبرير مساوئها:

وهناك صنف ثان في مقابل هذا الصنف، عرف هذه الأشياء، وعرف الحضارة الغربية، ولكنَّه بُهِر بها، ونظر إليها بعقلية المعجَب، فانهزم داخليًّا أمامها، وبدأ يُلبس هذه الأشياء الَّتي جاءت من الحضارة الغربية عمامة إسلامية، ويبرر الأشياء الَّتي جاءتنا من الغرب، ويعطيها سندًا شرعيًّا، وهذا مرفوض أيضًا، مرفوض من أي داعية أن يجعلنا أتباعًا وذيولًا للغرب، إنَّ الله كرمنا حينما جعلنا الأُمَّة الوسط، وجعلنا الشهداء على الناس، أي: الأساتذة للبشرية، فكيف نرضى أن نكون تلاميذ، وبعض الناس لا يرضى أن نكون تلاميذ، بل يريد أن نكون عبيدًا للفكر الغربي؛ لأنَّ التلميذ قد يُناقش أستاذه وقد يرد عليه، يريدون أن نكون عبيدًا، مثل هؤلاء لا يصلح أن نسميهم دعاة، ولكن بعض الناس قد يلبس لبوس الدعاة، ويتسمى بأسماء الدعاة، ويكتب في الإسلام وغير ذلك، ولكنَّه يريد أن يجرنا لنمشي وراء الغرب، لا، هذا الصنف أيضًا مرفوض.

الداعية الموفق المتوازن:

ويبقى هناك الصنف الثالث، وهو الداعية الموفَّق، الداعية الَّذي يمثل وسطية الإسلام، وأنا دائمًا أدعو إلى الوسطية والتوازن، لأني أرى أنَّ هذا هو جوهر الإسلام، إنَّه دين وسط لأمة وسط، هذا الداعية المتوازن: الَّذي

QaradawiBooks.com

ينظر إلى الإسلام بعين، وإلى العصر بعين، يعرف الإسلام معرفة جيدة، عنده معرفة عميقة بحقائق الإسلام، ثم معرفة عميقة بأباطيل خصوم الإسلام، ثم ثالثًا معرفة عميقة بأسلحة الهجوم الَّتي يهاجم هؤلاء بها الفكرة الإسلامية والرسالة الإسلامية، ورابعًا يعرف الأسلحة المضادة الَّتي يقاوم بها هجوم هؤلاء وكيدهم، مع إيمان لا يتزعزع بالله تبارك وتعالى، وبحقيقة هذا الدين، وبأنَّه المنتصر، والذي ستعلو كلمته ويظهر على الدين كله، مع خُلق يسع الناس جميعًا، وصبر وثبات وسماحة في معاملة الآخرين.

مخاطبة الناس بلسان عصرهم:

هذا هو الداعية الَّذي نريده لتحديات هذا العصر، داعية يخاطب الناس بلسان عصرهم، كل عصر له لسان كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾ [إبراهيم: ٤]. أنا أفسر البيان في هذه الآية على أنَّه أعمق من المدلول الظاهري، أنَّ الإنجليزي يبين لقومه بلغة الإنجليز، والروسي يبين لقومه بلسان الروس، وهكذا، هذا طبعًا مفهوم وارد، ولكن أيضًا الإنسان صاحب الرسالة عليه أن يكلم الخواص بلسان الخواص، ويكلم العوام بلسان العوام، الأمي له عقلية فيجب أن تخاطبه بما يُفهِم الأمي، والمثقف له عقلية فيجب أن تخاطبه بما يُشبع المثقف وما يقنعه.

الخطأ أن تستعمل مع هذا وذاك أسلوبًا واحدًا ومنطقًا واحدًا، لا، النبي ﷺ حينما أرسل معاذ بن جبل إلى اليمن قال له: «**إنَّكَ ستأتي قومًا أهلَ كتاب، فإذا جئتهم، فادعهم إلى أن يشهدوا أنْ لا إلٰه إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله**»[1]. لماذا بدأ له بهذه المقدمة؟ ليُفهمه أنَّهم لا يُخاطَبون

(١) سبق تخريجه صـ٢١.

QaradawiBooks.com

بما يُخاطب به الوثنيون، ولا بما يُخاطب به الدهريون والجاحدون والملحدون، كل جماعة لهم لسان، الكتابي تخاطبه بلغة معينة، والوثني تخاطبه بلغة أخرى، والملحد الَّذي ينكر الله نخاطبه بلغة أخرى.

لا يجوز أن تتكلم مع إنسان ملحد في قضايا الشريعة الإسلامية، والحدود والقصاص، وتعدد الزوجات والطلاق؛ الكلام معه في هذه القضايا لا يجدي؛ لأنَّه لا يثبت الأصل، فكيف تتحدث في الفرع، لأنَّه لا يؤمن أصلًا بالرسالة ولا بالوحي، لأنَّه لا يؤمن بالمرسِل وهو الله تبارك وتعالى، فالقضية الأولى معه أن تتحدث معه في وجود الله، تقيم له الأدلة على وجود الله تبارك وتعالى، فإذا انتهيت من هذه القضية تقيم الدليل على صحة الرسالة وصدق النبوة، وعلى صدق رسالة محمد ﷺ، وعلى أنَّ القرآن من عند الله، ثم تتفرع معه بعد ذلك، وهكذا الأصول ثم بعدها الفروع.

عدم إثارة المعارك على الأمور الخلافية:

الداعية الموفق إذن هو الَّذي يعرف من يخاطبه، ويعرف حقائق الإسلام، ولا يكون همه القشور، ولا يكون همه الأشياء المختلف فيها، بعض الناس يركزون همهم في الأشياء الخلافية، وليس لهم قضية إلا هذه الأشياء، وهي معركتهم الدائمة، فإذا جلست في مجلس أو حضرت ندوة من الندوات لاحقوك بعدد من الأسئلة حول عدد من الأشياء وما موقفك منها، وأحيانًا لا تكون هذه الأشياء هي الأشياء المهمة، قد تكون مهمة لبعض الناس الذين وصلوا إلى مرحلة معينة، فمثلًا من يؤدي الفرائض يبحث عن السنن المؤكدة، ومن أدى السنن المؤكدة يبحث عن النوافل وهكذا.

QaradawiBooks.com

أيضًا من ترك الشرك نقول له: اترك الكبائر. ومن ترك الكبائر نقول له: اترك الصغائر المتَّفق عليها. ومن ترك الصغائر نقول له: اترك المشتبهات. ومن ترك المشتبهات نقول له: اترك المكروهات، ثم اترك ما هو خلاف الأوْلى، فالأشياء تتدرج بعضها وراء بعض، أمَّا أنْ تأتي إلى الإنسان الَّذي يرتكب الكبائر وتكلمه في المكروهات أو في الأمور الخلافية؟! الَّذي يشرب الخمر تكلمه في السجائر؟! هو واقع في مصيبة أكبر!

معرفة أحوال المخاطبين بالدعوة:

وهكذا لا بد أن يعرف الإنسان من يخاطبه، ولذلك سيدنا عبد الله بن عمر لما جاءه أناس من أهل العراق يسألونه في ذلك الوقت عن قتل المُحرِم البعوض أو البرغوث، فقال ابن عمر رضي الله عنه: انظروا هؤلاء الناس يسألونني عن دم البعوض وقد سفكوا دم ابن بنت رسول الله ﷺ، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول عن الحسن والحسين: «**هما ريحانتاي من الدُّنْيا**»[1]. فلم يستحسن منهم أنَّهم جاؤوا يسألون عن الأشياء البسيطة وقد وقعوا في العظائم!

الإنسان الَّذي يقع في العظائم لا يسأل عن الأشياء البسيطة هذه، فنحن نريد من الناس في هذا الوقت أن يؤدوا الفرائض ويجتنبوا الكبائر، في بعض المجتمعات ينبغي أنْ يكون كل همنا ومعركتنا الكبرى أننا نجعل الناس يتركون الكبائر والموبقات المهلكات، ويؤدون الفرائض الأساسية، حينما يفعلون ذلك ويرتقون نقول لهم: هناك بعد الفرائض سنن. نعرف أنَّ النبي عليه الصلاة والسلام قال لأحد الأعراب الَّذي سأله: ماذا عليَّ

(١) رواه البخاري في أصحاب النبي ﷺ (٣٧٥٣)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

يا رسول الله؟ قال: «**خمس صلوات في اليومِ والليلةِ**». فقال: هل عليَّ غيرها؟ قال: «**لا، إلا أن تَطَوَّعَ**». قال: «**وصيام رمضان**». قال: هل عليَّ غيره؟ قال: «**لا، إلا أن تَطَوَّع**». وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة، قال: هل عليَّ غيرها؟ قال: «**لا، إلَّا أن تطوع**». قال: فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أَزِيد على هذا ولا أَنْقُص. فقال النبيُّ ﷺ: «**أفلح إن صدق، أو دخل الجنَّة إن صدق**»[١]. وفي حديث آخر مماثل لهذا: «**من سرَّه أن ينظر إلى رجلٍ من أهل الجنَّة، فلْيَنْظُرْ إلى هذا**»[٢]. رضي منه هذا.

لو قال هذا أبو بكر أو عمر، أو عثمان أو عليٌّ، أو أحد من السابقين الأولين فلا يُقبل منه، أمَّا هذا الأعرابي حديث الإسلام فيكفيه هذا، فلا بدَّ أن نعرف هذا.

فقه الأولويات:

لماذا نجعل الأمور الخلافية هذه معركتنا الدائمة والمستمرة؟ ليست المشكلة في أن يرسل الإنسان يديه في الصلاة كما يفعل المالكية أو يضعها عند السرة كما يفعل الحنفية أو يضعها عند الصدر كما يفعل الشافعية، المشكلة فيمن لا يصلون أبدًا، المشكلة أنَّ هناك مسلمين ومسلمات يعيشون ويموتون دون أن ينحنوا لله يومًا راكعين، هناك مسلمون لا يعرفون المسجد قط، هذه هي المشكلة، فمهمة الداعية أن يَصِل إلى هؤلاء، ويوصِّل إليهم صوت الإسلام، ويُصلُّوا على أي مذهب، هذا هو المهم!

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الصوم (١٨٩١)، ومسلم في الإيمان (١١)، عن طلحة بن عبيد الله.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الزكاة (١٣٩٧)، ومسلم في الإيمان (١٤)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

ليست المشكلة أن يخرج مسلم زكاة الفطر نقدًا، ليفعل هذا على مذهب أبي حنيفة وأصحابه، وعلى مذهب عمر بن عبد العزيز، المهم أنَّه يصلي ويصوم ويكمل صيامه بزكاة الفطر، ولكن هناك مسلمون ينتهكون حرمة رمضان بالإفطار جهارًا نهارًا في قلب بلاد الإسلام، ولا يزكون زكاة فطر ولا زكاة مال، هؤلاء هم المشكلة، فترك الأمور المتَّفق عليها والانشغال بالأمور المختلف فيها هو للأسف من عدم فقه الداعية أمام تحديات هذا العصر.

معرفة جوهر الإسلام وفقه الموازنات:

أنا أريد من الداعية المسلم في هذا العصر أن يعرف جوهر الإسلام، وأنْ يعرف المهم من غير المهم، ويقدم الأهم على المهم، والمهم على غير المهم، والضروري على الحاجي، والحاجي على التحسيني كما يقول الأصوليون، يقدم الفرائض على النوافل عملًا، ويقدم الكبائر على الصغائر اجتنابًا، ويقدم العقيدة على كل شيء، أريد أن نفهم هذه الأشياء.

معرفة خصوم الإسلام والقدرة على مواجهتهم:

أريد الداعية المسلم الَّذي يعرف خصوم الإسلام، ويعرف أوكارهم ومخابئهم، ويعرف كيف يكيدون للإسلام، هؤلاء الذين تحدثنا عنهم: من يهود، ومن صليبيين استعماريين، ومن شيوعيين، ومن وثنيين، ومن علمانيين، ومن متحللين، ومن أصناف شتى تكيد لهذا الدين.

لا بدَّ للداعية المسلم أن يعرف ماذا يصنع هؤلاء وماذا يدبرون، وأن يحاربهم بمثل سلاحهم، لا يجوز أن تحارب الطائرة بالرمح أو الدبابة بالسيف، لا، كل عصر له أسلحته، حينما يقول الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ﴾ [الأنفال: ٦٠]. رباط الخيل في

QaradawiBooks.com

عصرنا المصفحات والدبابات، لا يجوز لأحد أن يكابر ويقول: الأمر على ظاهره، فليس إلا رباط الخيل. لا؛ لأن هذا لم يفهم القرآن، لم يفهم مراد الله، لا بدَّ أن نفقه، هذا معنى الدعوة على بصيرة، ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨]. لا بدَّ أن نعرف كيف نخاطب هؤلاء ونحاربهم.

التعبير عن محاسن الإسلام:

هؤلاء يقولون: عندنا أنظمة للحياة ليست عندكم. ونحن إذا كنا دعاة حقيقيين نقول لهم: عندنا أفضل مما عندكم، إذا كان عندكم خير؛ فعندنا هذا الخير وزيادة، وبريئًا من كل شر، ومن كل المساوئ والنقائص.

وإذا قالوا: عندنا اشتراكية. نقول لهم: عندنا تكافل إسلامي، وعندنا عدالة اجتماعية جاء بها الإسلام، فعندنا الزكاة، وعندنا ما بعد الزكاة من الحقوق.

إذا قالوا: عندنا ديمقراطية. نقول لهم: عندنا الشورى، وعندنا النصيحة في الدين، وعندنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. كل ما يقولونه من خير عندنا، ونستطيع أن نبين لهم.

إذا قالوا: نهتم بالمجتمع. نقول لهم: الاهتمام بالمجتمع عندنا عبادة، كل خدمة للمجتمع هي عندنا عبادة يسميها الإسلام «صدقة»، «**أمرٌ بالمعروف صدقة، ونهيٌ عن المنكر صدقة**»[1]، كل شيء تقدمه للمجتمع عبادة، فلذلك ينبغي أن نهتم بما يعاني منه المجتمع: من فقر وجهل، ومرض وتخلف وأمية، لا بدَّ من هذا، لا نجعل هؤلاء يقولون: أنتم

(١) رواه مسلم في صلاة المسافرين (٧٢٠)، وأحمد (٢١٤٧٥)، عن أبي ذر.

QaradawiBooks.com

تعيشون في أوهام وأحلام دينية، وتتركون المجتمع ومشكلاته. لا، نحن أولى بالمجتمع منهم، هذا ما ينبغي للإنسان المسلم أن يعرفه.

فنحن نطلب من الداعية المسلم أمام تحديات العصر أن يعرف أسلحة الخصوم، ويعرف كيف يواجهها، والحمد لله سلاحنا أقوى من سلاحهم، لا يفل الحديد إلَّا الحديد، وحديدنا أقوى من حديدهم، نحن عندنا الحق الَّذي يدمغ الباطل فإذا هو زاهق، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨].

ولذلك ما دخلنا معهم في مناظرة ولا في محاورة إلا كان صوتنا أعلى والحمد لله؛ لأننا نتكلم باسم الإسلام، والإسلام أقوى، فالداعية المسلم هو الَّذي يحارب هؤلاء القوم بسلاحهم، يعرف سلاحهم، ولا ينتظر حتى يهاجموه، بل خير وسيلة للدفاع هي الهجوم، يجب أن نهاجم نحن هؤلاء، والحمد لله استطعنا أن نكشف زيفهم، ليس عندهم شيء!

لقد حكموا بلاد المسلمين وبلاد غير المسلمين؛ فما استطاعوا أن يسعدوها من شقاء، ولا أن يطعموها من جوع، ولا أن يؤمنوها من خوف، أمَّا الإسلام فحكم فعدل، ينبغي أن نعرف أننا نحن الدعاة إلى الله عندنا بحمد الله تبارك وتعالى الحق الَّذي لا يشوبه باطل، والعدل الَّذي لا يشوبه ظلم، والنور الَّذي لا تشوبه ظلمة، نحن عندنا الإسلام كلمة الله الأخيرة للبشرية، الَّتي لا تأتيها الأباطيل من بين يديها ولا من خلفها، نزل بها كتاب كريم، وجاء بها رسول عظيم.

سلاح الإيمان واليقين:

على الداعية المسلم في هذا العصر أنْ يتسلَّح بهذا كله، وأن يتسلح بالإيمان القوي أنَّ هذا الدين منصور، وأنَّه ظاهر على الدين كله، هذا

QaradawiBooks.com

وعد الله، ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣، الصف: ٩]، وأن الله متم نوره، ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗا﴾ [النور: ٥٥]. هذا وعد الله، ووعد الله لا يُخلَف، ﴿وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا﴾ [الكهف: ٩٨].

وأحاديث النبيِّ ﷺ مبشرة وكثيرة، بعض الناس يأخذون بعض الأحاديث الَّتي يستفاد منها أنَّ الدين في إدبار، وأنَّ الكفر في إقبال، وأنَّه ليس هناك أمل في إصلاح، وليس هذا بصحيح؛ هناك مبشرات كثيرة أنَّ هذا الدين سترتفع رايته، «**ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز أو بذل ذليل**»[(١)]، وأن روميَّة ستُفتح كما جاء في حديث صحيح عن النبيِّ ﷺ[(٢)]، أي إنَّ الإسلام سيعود إلى أوربا مرة أخرى فاتحًا منتصرًا، لماذا نُخفي هذه البشائر، ونُظهر الأحاديث الَّتي يفهم منها بعض الناس أنَّ الإسلام مدبر، لا، الإسلام لن يُدبر، سيظل الإسلام يعمل ويعمل؛ حتى تعلو كلمته، وتقوم دولته، وترتفع دعوته في الأرض، ﴿وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۞ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الروم: ٤، ٥].

---

(١) رواه أحمد (١٦٩٥٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والطبراني (٥٨/٢)، والحاكم في الفتن (٤٣٠/٤)، وصحَّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٨٠٧): رجال أحمد رجال الصحيح. عن تميم الداري.

(٢) رواه أحمد (٦٦٤٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والحاكم في الفتن والملاحم (٥٥٥/٤)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في المجمع (١٠٣٨٥): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير أبي قبيل وهو ثقة. وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٤)، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

الداعية المسلم أمام تحديات العصر مطلوب منه أن يتسلح بهذا كله: المعرفة العميقة بحقائق الإسلام، والمعرفة العميقة بأباطيل خصومه، والمعرفة بأسلحة أعداء الإسلام، والمعرفة بالأسلحة المضادة لمقاومة هؤلاء، وأن يتسلح بالإيمان القوي بنصر الله ﷻ، ويتسلح بخلق الداعية، خلق الأنبياء، بالصبر على الناس، وسعة الصدر للجميع، والسماحة للجميع، أن يسامح حتى من أساء إليه! ولا يضيق صدره بأحد، ولا ييئس أبدًا، هذا هو الخلق الَّذي نريده من الداعية المسلم، إذا تسلح الداعية المسلم بهذا فأعتقد أنَّ دعوته ستثمر، وأن زرعه سيؤتي أكله، وما ذلك على الله بعزيز.

أسال الله تبارك وتعالى أن يجعلنا من الداعين إليه على بصيرة، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أولئك الذين هداهم الله، وأولئك هم أولو الألباب، أقول قولي هذا أيها الإخوة، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٦

الدعوة الإسلاميَّة في الغرب[١]

غير مرخصة للطباعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الَّذي بنعمته تتمُّ الصَّالحات، الَّذي هدانا لهذا، وما كُنَّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا وإمامنا وحبيبنا وأسوتنا محمَّدًا عبدُ الله ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، الَّذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه واتَّبعوا النور الَّذي أُنزِل معه، أولئك هم المفلحون، ورضي الله عمَّن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

خير ما أُحيِّيكم به ـ أيُّها الإخوة والأخوات ـ في هذا المؤتمر الإسلاميِّ الجامع الحافل ـ بالأصالة عن نفسي، وبالنيابة عن إخوانكم في المشرق ـ تحيَّةُ الإسلام، وتحيَّةُ الإسلام السَّلام، فالسَّلامُ عليكم ورحمة الله وبركاته.

وإنِّي لأحمد الله تبارك وتعالى أنْ هيَّأ لي هذه الفرصة لألتقي بكم للمرَّة الثانية في هذه المؤتمر، وقد التقيتُ بكم منذ سنتين فكان الحاضرون يجلسون أرضًا، وقد أصبحوا الآن أكثر عددًا، ويجلسون على

(١) ألقيت في أحد المؤتمرات في باريس، سنة ١٩٩٢م.

QaradawiBooks.com

المقاعد، كثر عدد الحاضرين في هذا المؤتمر الَّذي لا يقوم على أغراض ماديَّة، أو أهداف دنيويَّة، وإنَّما يقوم لإعلاء كلمة الله، وجمع الناس على الله تبارك وتعالى.

غير مرخصة للطباعة

سعي مشكور وجهد مأجور:

لهذا كانت كل خطوة يخطوها المسلم إلى هذا المكان، وكل درهم ينفقه للوصول إلى هذا المحـــراب إنَّما هو بذل وجهاد في ســـبيل الله، يُسجَّل له في ميزانه يوم القيامة، كما يسجِّل الله أعمال المجاهدين، حيث يقـــول ﷻ: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [التوبـــة: ١٢١]. فما أنفقتم ـ أيُّها الإخوة ـ من نفقة صَغُرت أو كَبُرت، وما قطعتم من وادٍ من الأودية على أيِّ وسيلة من وســـائل المواصلات، إلا كتب الله لكم هذا، وسجَّله في ميزان حسناتكم يوم القيامة، ليجزيكم أحسن ما تعملون.

واجب الدعوة:

أيُّها الإخوة، حينما تحدَّثت هنا ـ منذ سنتين ـ عن واجبات المسلم المغترب، حددتها في خمســـة واجبات، وكان منها: واجب المسلم نحو إخوانه من أبناء الإسلام الَّذين يعيشون معه في دار الغربة، وواجبه نحو غير المســـلمين، وأهم ما يتركز عليه هذان الواجبان هو واجب الدعوة، فالوجودُ الإســـلامي في أوربا ـ وفـــي الغرب عامَّة ـ هـــو وجود دعويٌّ بالدرجة الأولى، لا يصحُّ أنْ يوجد المســـلم في مـــكان دون أنْ يحمل دعوة الله، كلُّ مسلم داعية.

هذه حقيقة يجب أنْ تُغْرس في نفس كل مسلم، أنَّ الدعوة ليست فريضة على العلماء والمشايخ فقط، بل كل مسلم داعية، ونحن نقرأ قول الله تعالى:

QaradawiBooks.com

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾ [يوسف: ١٠٨]. فإذا كنت ـ أيُّها المسلم، وأيتها المسلمة ـ ممَّن اتَّبع محمَّدًا ﷺ فلا بدَّ أنْ تدعو إلى الله، وتدعو على بصيرة.

كلُّ ما في الأمر أنَّ مستويات الدعوة تختلف وتتفاوت، هناك من يدعو بإلقاء محاضرة، أو خطبة، أو درس على الناس، أو تأليف كتاب أو رسالة، وهناك مَنْ يدعو بالكلمة الطيِّبة يقولها، بالقدوة الحسنة يتأسَّى بها الناس، بالصُّحبة الطيِّبة، بالمعاشرة الجميلة يرى الناس فيها أخلاق الإسلام وفضائله، فيؤثِّر في غيره بحاله أكثر مما يؤثر غيره بمقاله، يستطيع كلُّ مسلم داعية أنْ يدعو بكلمته الطيبة، بمعاشرته الحسنة، بالزيارة للآخرين، بإهداء رسالة أو كتاب أو شريط.

الوجود الإسلامي إذنْ لا ينفك عن الدعوة، وهذا ما عرفناه خلال عصور الإسلام، حيثما وجد المسلم نَشرَ الإسلام، والذين نشروا الإسلام في العالم ليسوا هم العلماء، ولا المحترفين للدعوة، بل هم تجار، أو أناس عاديون، الَّذين نشروا الإسلام في الشرق الأقصى، في ماليزيا، في إندونيسيا، في الفلبين، أو إفريقيا، إنَّما هم أناس طيبون صالحون من عامَّة المسلمين، رآهم الناس فوجدوا فيهم أخلاق الإسلام مُجسَّدة فأحبوهم، وسألوهم: مَنْ أنتم؟ قالوا: نحن مسلمون، ديننا الإسلام. قالوا: وما الإسلام؟ قالوا: الإسلام كذا، وكذا. قالوا: هل يمكن أن ندخل في دينكم؟ قالوا: نعم، ومن الآن، وبلا مراسم ولا طقوس، يكفي أنْ تشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله فتصبح مسلمًا، لك ما للمسلمين، وعليك ما على المسلمين. فوجود الإسلام في كلِّ مكان وجود دعوي.

QaradawiBooks.com

والمسلم لا يحتكر الخير لنفسه، فطالما أنَّ الله هداه، فلا بدَّ أنْ يهدي هذا النور إلى غيره، إذا كانت اليهودية دينًا انعزاليًّا فإنَّ الإسلام دين انتشاريٌّ، دينٌ عالميٌّ، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]. ولهذا نقول: إنَّ الوجود الإسلامي في أوربا وجود دعوي، والمسلم بطبيعته داعية.

الدعوة في الغرب:

وللدعوة الإسلاميَّة في الغرب أهداف، تختلف باختلاف المدعوين، والمدعوون في الغرب صنفان: مسلمون، وغير مسلمين، وكل منهما أصناف أو شرائح، وللداعية مع كل شريحة أهداف خاصة بها:

أولًا: أهداف الدعوة بين المسلمين:

هناك شرائح للمسلمين الَّذين يعيشون في الغرب، تختلف كل شريحة عن غيرها باختلافات شتى، وأسباب شتى، والذي يمارس الدعوة إلى الإسلام في الغرب عليه أنْ يتعرف على هذه الشرائح من المسلمين، ويحدد هدفه من الدعوة مع كلِّ شريحة منها، وهذا هو أحد لوازم نجاح الدعوة ـ التي سنتحدث عنها بعد قليل ـ وهو الدعوة إلى الله على بصيرة، ومن هذه الأهداف:

(١) دعوة العصاة ليتوبوا:

هناك مسلمون بعدوا عن الإسلام، ضلوا الطريق، تاهوا في زحمة الحياة، جرفهم تيَّارها، فضيَّعوا ما أمر الله به، وارتكبوا ما نهى الله عنه، أضاعوا الصَّلوات، واتَّبعوا الشهوات، هؤلاء لا بدَّ أنْ يُدْعَوا ليعودوا إلى

QaradawiBooks.com

الإسلام، لا بدَّ من ردِّ هؤلاء الشاردين ليلتزموا بالإسلام ويتديَّنوا به، ليقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، ويصوموا رمضان، ويُحلوا الحلال، ويُحرموا الحرام، لا بدَّ أن ندعو المسلم ليلتزم بالإسلام، ويؤدي فرائضه، ويجتنب محارمه، لا بدَّ أن ندعو المسلمة لتلتزم بالحجاب، وتبتعد عما حرَّم الله، وأن ندعو العصاة ليتوبوا.

ولا ينبغي أن نيئس أبدًا أيُّها الإخوة من هؤلاء الَّذين ضاعوا يومًا ما، فما أسرع أنْ يعود المسلم إلى الإسلام، جرَّبنا ـ والله ـ كثيرًا من العُصاة، بمجرَّد أنْ تطرق أبواب قلوبهم بموعظة حسنة تذكِّرهم بها الله والدارَ الآخرة سرعان ما ترى دموعَ الندم، سرعان ما تجد من كان بعيدًا قد أقبل على الله وقرع بابه، وقال ما قاله أبوه آدم، وأمه حوَّاء: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]. بأيِّ شيء يمكن أنْ يعود المسلم إلى الإسلام؟

حدَّثني بعض الإخوة الَّذين يعملون في الإغاثة الإسلاميَّة هنا في باريس أنَّ هناك مسلمين جاؤوا من أقاصي فرنسا، من بلاد بعيدة، حينما رأوا المشاهد الدامية الحزينة لإخوانهم في البوسنة والهرسك، ورأوا الاعتداء على الرجال والنساء والأطفال، ورأوا المساجد تهدم، والمستشفيات تحطَّم، رأوا مناظر تدمي القلوب.

هؤلاء الَّذين كانوا بعيدين عن الإسلام تأثَّروا بما رأوا، وجاؤوا بأموال يتبرعون بها، وأموال جمعوها من غيرهم، تبرعات نقديَّة، وتبرعات عينيَّة، وقالوا: هؤلاء يذبحون ويقتلون من أجل الإسلام، ونحن هنا آمنون لا نعمل بالإسلام، ولا نعمل للإسلام! دلونا على الإسلام، نريد أن نتديَّن، نريد أن نصلِّي.

QaradawiBooks.com

لا بدَّ إذنْ من البحث عن المسلمين، المسلم مهما بعُد فسرعان ما يستيقظ ضميره، ويرجع إلى ربِّه، هذا ما ينبغي أن نحرص عليه في دعوة المسلمين العصاة ليتوبوا، ولا نيئس أبدًا.

كنت في الجزائر ألقي محاضرة في أماكن التجمعات للطالبات، في مساكن للطالبات، وكان هناك أعداد كبير منهن، وكثير منهن غير محجبات، وسألتني إحدى الطالبات المحجبات: ما رأيك في الفتيات المسلمات اللاتي ينتمين إلى أسر إسلاميَّة، ويحملن أسماء إسلاميَّة، ومع هذا يلبسن الملابس القصيرة، ولا يلتزمن بالحجاب الإسلامي، وكذا، وكذا؟

وكأنَّ الأخت التي سألتني ظنت أنِّي سأقول: هؤلاء في نار جهنَّم، وهؤلاء كذا. ولكنِّي اتَّجهت بالجواب وجهة أخرى، قلت لها: ما يدريك أنَّ هذه الفتاة التي تلبس الملابس القصيرة، أو تخلع غطاء رأسها، أنَّ هناك إيمانًا عميقًا في قلبها، ولكنها لم تجد من يدلُّها على الإسلام، ويعرفها بآداب الإسلام، وهل أنتُنَّ أيتها المحجبات كُنتنَّ كذلك، أم كُنتنَّ كذلك غير محجَّبات، ثم منَّ الله عليكن وهداكنَّ؟

ما قلت ذلك حتَّى رأيت كثيرًا من الفتيات غير المحجَّبات يذْرِفْنَ الدموع على تقصيرهنَّ، وجاءني الكثيرات منهنَّ يسألن: ما السبيل؟ قلت: السبيل التوبة، والباب مفتوح ليس عليه حاجب ولا بوَّاب. وفي مرة ثانية زرت هذا المكان فوجدت الكثيرات من غير المحجَّبات أصبحن محجَّبات، إذنْ لا ينبغي أن نيئس أو نقنط من مسلمين عصوا الله يومًا، أو انحرفوا، أو جرفهم التيار، لا بدَّ أن نبذل معهم جهدًا، هذا صنف من الدعوة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

(٢) تصحيح الفهم للإسلام:

وهناك دعوة للنخب المثقفة التي أساءت الفهم للإسلام، أخذوا الإسلام من كتب المستشرقين للأسف، أو أخذوه ممَّا قرؤوه في عصور التراجع والتخلُّف، العصور الإسلاميَّة الأخيرة، أو أخذوا صورة عن الإسلام من حال المسلمين اليوم، فكوَّنوا فكرة شائهة عن الإسلام.

هؤلاء لا بدَّ أن نُصحِّح أفهامَهُم، لا بدَّ أن نردَّهم إلى الإسلام الصحيح، الإسلام بشموليَّته، والإسلام بوسطيَّته، لا بدَّ أن نعرفهم الصِّراط المستقيم، المنهج الوسط للأُمَّة الوسط، بعيدًا عن الإفراط والتفريط، هؤلاء يحتاجون إلى جهد آخر، ومستوى آخر من الدعوة، المستوى الأول قد ينفع فيه أي داعية من الناس، أمَّا هذا المستوى فيحتاج إلى أناس عندهم قدر من الوعي والمعرفة حتَّى يستطيعوا أنْ يخاطبوا هؤلاء بلسانهم، لا بدَّ أن نبذل جهدًا مع هؤلاء الَّذين تثقَّفوا بالثقافة الغربيَّة، جرفهم تيَّار التَّغريب فكريًّا أكثر ممَّا جرفهم سلوكيًّا، وكثيرًا ما يكونون مغربين أيضًا فكريًّا وسلوكيًّا.

كثير من المسلمين يظنون أنَّ الإسلام هو فقط الشعائر التعبدية، لا يعرفون أنَّ الإسلام منهجٌ للحياة، نظام شامل يصحب الإنسان في رحلة حياته من المهد إلى اللحد، من صرخة الوضع إلى أنَّة النزع، منذ يُولد إلى أنْ يموت، بل هناك أحكام وتوجيهات تتعلَّق بالإنسان قبل أنْ يولَد، بالجنين في بطن أمه، وهناك أحكامٌ تتعلق بالميِّت بعد أنْ يموت.

وكما أنَّ الإسلام رسالة رأسية تشمل كلَّ رحلة الحياة، هو أيضًا رسالة أفقيَّة تشمل كلَّ جوانب الحياة، الإسلام يصحب المسلم في المسجد، وفي البيت، وفي الطريق، وفي المصنع، وفي المكتب، وفي

QaradawiBooks.com

المحكمة، وفي المزرعة، يصحبه في كل مكان، يُشـرِّع له ويوجِّهه، من أدب المائدة إلى بناء الدولة، هذا هو الإسـلام، نحن في حاجة إلى أن نعرِّف المسلمين حقيقة الإسـلام، فقد جُهِّلوا بالإسلام، فلا بدَّ أن نبذل جهدًا، وخصوصًا مع المتغرِّبين، ليفهموا الإسلام فهمًا صحيحًا.

(٣) القضاء على التديُّن السلبي:

هناك أيضًا شـرائح أخرى من المسـلمين، وهـم المتدينون، هناك مسلمون متدينون يصلون، ويصومون، ولا يشربون خمرًا، ولا يتناولون حرامًا، ولكـن تديُّنهم تديُّنٌ انعزاليٌّ، تديُّنٌ سـلبيٌّ، يعيش كلٌّ منهم في نفسه، ولا يفكر في هموم الأُمَّة، ولا يفكر في أمر الإسلام.

وهذا لا يجوز، فالمسـلم لا يعيش لهمِّ نفسـه، فمـن لا يهتم لأمر المسلمين فليس منهم، كيف يهنأ لي عيشٌ وأنا أرى مآسي المسلمين في كلِّ مكان؟ كيف تضحك ملءَ سـنِّك، وكيف تنـام ملءَ جفنك، وكيف تأكل ملءَ بطنك وإخوانك يمزقون شـرَّ ممزَّق، إخوانك في البوسنة، أو في فلسـطين، أو لبنان، أو كشـمير، أو بورما، أو الفلبيـن، أو جنوب السودان، أو إريتريا، وغيرها، هؤلاء كيف تعيش دون أنْ تحمل همَّهم؟

إنَّ الإسـلام يعتبر المسـلمين أُمَّة واحدة، أُمَّة وليسـوا أممًـا، كثيرًا ما نخطئ ونقول: الأمم الإسلاميَّة. وهذا تعبير خاطئ، والصحيح أن نقول: الأمَّة الإسـلاميَّة. هناك شعوب إسـلاميَّة وأمَّة إسلاميَّة، ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [الحجـرات: ١٣]، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقـرة: ١٤٣]. ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢]. ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]. فلا بدَّ أنْ أحمل همَّ إخواني حيث ما كانوا.

QaradawiBooks.com

إنَّ المسلم في صلاته ـ وإن كان يصلي وحده ـ يدعُو الله تعالى وهو يقرأ الفاتحة فيقول بصيغة الجماعة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۞ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٥، ٦]. لأنَّ الجماعة تعيش في وجدانه، تحيا في ضميره، وتتمثَّل على لسانه، فليس المسلم فردًا، بل هو في جماعة.

وحينما قال القرآن: ﴿وَالْعَصْرِ ۞ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [العصر: ١، ٢]. قال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣]. لم يقل: إلا الَّذي آمن وعمل الصَّالحات؛ لأنَّه لا يتصوَّر المسلم إلَّا في مجتمع، فلا بدَّ للمتدين المصلِّي، الصائم، القائم، القارئ للقرآن أنْ ينتقل من التَّديُّن السلبي إلى التَّديُّن الإيجابي، أنْ يعمل للإسلام كما يعمل بالإسلام.

كلُّ إنسان يعمل لدينه، فكيف لا يعمل المسلم لدينه؟ أحد الغربيين الَّذين قرؤوا الإسلام فأعجبوا به وبمبادئه قال هذه الكلمة: يا له من دين لو كان له رجال. إنَّه دين عظيم ولكن يحتاج إلى رجال عظماء، دينٌ قوي ولكنَّه يحتاج إلى رجال أقوياء، ويتبع الإسلام الآن حوالي ألف ومائتي مليون مسلم، ولكن مَنْ مِنهم يعتبر من رجال الإسلام، ومن جند الإسلام؟ هؤلاء ينسبون إليه، ويحسبون عليه، ولكن الَّذي يُعتبر من جند الإسلام، ورجال الإسلام قليلون، وقليلون جدًّا.

نحن نريد هؤلاء الَّذين تحدَّى الله بهم أهل الردة وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٥٤].

نحن في حاجة إلى من يعمل للإسلام، لقد وجدت اليهوديَّة مَنْ يعمل لها، وأقاموا لها دولة في قلب ديار العرب والإسلام، وسموها

QaradawiBooks.com

باســـم ديني تاريخي هو إسرائيل، قامت على أســـس دينيَّة، على أحلام توراتيَّة وتلموديَّة.

والنصرانيَّة تعمـــل من أجل نشـــر النصرانيَّة في العالـــم، حتَّى بين المســـلمين أنفســـهم، ومن أهداف المؤتمر الَّذي أقيم في كلورادو سنة (١٩٧٨م) تنصير المسلمين في العالم، ورصدوا لذلك ألف مليون دولار.

حتى الوثنيَّة لها رجال يعملون من أجلهـــا، رأينا الهندوس يهدمون المسجد (مسجد بابري) الَّذي صار له خمسة قرون، على مرأى ومسمع من المسلمين في العالم.

كل ذي دين يعمل لدينه، فلا بدَّ للمســـلم إذنْ أنْ يعمل لدينه، ومن هنا لا بدَّ أن ندعو المسلمين الساكنين الهامدين إلى أنْ يتحركوا من أجل قضية الإسلام، والأُمَّة الإسلاميَّة، والفكرة الإسلاميَّة.

(٤) توحيد العاملين للإسلام:

وهناك دعـــوة أخرى للذيـــن يعملون للإســـلام بالفعـــل، للفصائل والجماعات الإسلاميَّة، أنْ يجمعوا صفوفهم، وأنْ ينسقوا ما بينهم، وأنْ يدَعوا الخلافات جانبًا، وأنْ يجتمعوا على كلمة الإسلام العليا.

لا مانع أنْ تتعدَّد الجمعيَّـــات أو الحركات، على أنْ يكون هذا التعدُّد تعدُّد تنوُّع وتخصُّص، لا تعدُّد تضادّ وتناقض، كلٌّ يعمل في مجاله، ولكن نقف صفًّا واحدًا في القضايا المشتركة، في قضايا الإسلام الكبرى، نتبنَّى قاعدة المنار الذهبيَّة التي وضعها السيد رشيد رضا، وتبنَّاها الإمام الشهيد حسن البنا: نتعاون فيما اتَّفقنا عليه، ويعذر بعضُنا بعضًا فيما اختلفنا فيه[1].

(١) انظر: مجلة المنار (١٨٨/١٧)، نشر دار المنار، القاهرة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

نحن نعيش في الغرب أقليَّات، ومن شأن الأقليَّات أنْ تتضامَّ وتتلاحم، فلا ينبغي أنْ تتنافر أبدًا، كل داعٍ إلى التفرقة داعية فتنة، أي دعوة إلى العنصريَّة: هؤلاء عرب، وهؤلاء عجم؛ أو إلى الإقليميَّة: هذا مشرقي، وهذا مغربي، وهذا شامي، وهذا مصري، وهذا خليجي؛ أو إلى الطبقيَّة: هذا من الأغنياء، وهذا من الفقراء، وهذا من التجَّار، وهذا من العمَّال؛ أو أي دعوة مذهبيَّة؛ أو أي دعوة من الدعوات المُفَرِّقة يجب أن نرفضها، فكلُّنا مسلمون، يجب أن نجتمع على الحدِّ الأدنى من الإسلام، على ما يصير به المسلم مسلمًا، على شهادة أن لا إلٰه إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله.

هذه ـ أيُّها الإخوة ـ شرائح من المسلمين ندعوها إلى الإسلام، الهدف يختلف باختلاف الشريحة، فالعاصي ندعوه؛ هدفنا أنْ يتوب، والذي اختلَّ فهمه للإسلام ندعوه؛ هدفنا أنْ يصحَّ فهمه، الَّذي يعمل بالدين منفردًا ندعوه؛ هدفنا أنْ يعمل للدين مجتمعًا مع إخوانه، والذين يعملون للإسلام متفرقين مبعثرين ندعوهم؛ هدفنا أنْ يتضامُّوا ويتلاحموا من أجل الإسلام، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

ثانيًا: أهداف الدعوة بين غير المسلمين:

كانت هذه دعوتنا بين شرائح المسلمين، ولكن نحن نعيش في الغرب في مجتمعات فيها غير مسلمين، بل هم الأصل، فهل نعيش نحن بإسلامنا، ولا نعتقد أنَّ علينا واجبًا نحو هؤلاء؟ لا والله، لا يقبل الإسلام منا هذا أبدًا، لا بدَّ أن ندعوهم إلى الإسلام، أن نحبِّب الإسلام إليهم، أن نرغِّبهم في الإسلام، لا بدَّ أن نفعل ذلك بكل ما نستطيع.

QaradawiBooks.com

(١) الدخول في الإسلام:

علينا أن ندعو هؤلاء إلى الدخول في الإسلام، هذا شأنُنا ولا ينبغي أن نيئس منه، والذين دخلوا في الإسلام من الشعوب لم يكونوا مسلمين، بدأ الإسلام في الجزيرة العربية ثم انتشر في العالم كلِّه، لا بدَّ إذنْ أن ندعو هؤلاء إلى الإسلام.

صحيح أنَّ الغربيِّين بلغوا القمة في العلم المادي، والتكنولوجيا المتطورة، حتَّى أصبحوا في عصر الثورة المعلوماتية، والثورة البيولوجية، وثورة الاتصالات، وصنعوا الكمبيوتر، والإنسان الآلي، وغزوا الفضاء، ولكن هل هذا أسعد الإنسانَ الغربيَّ؟ هل يعيش سعيدًا مطمئنًّا؟

الواقع يقول: لا. الواقع يقول: إنَّ الغرب يعيش في عصر القلق المرضيِّ، والعيادات النفسيَّة بالآلاف في كل مكان، الناس ينتحرون، ومن لا ينتحر يعيش عيشة كئيبة، والأسرة مفكَّكة، الأبُ لا يعرف عن ابنه شيئًا، والابنُ لا يعرف شيئًا عن أبيه ولا أمِّه، الحياة ماديَّة، ليس فيها طعم السعادة والسكينة، وما نراه من الشباب الَّذين يُسمَّون «الخنافس» أو «الهيبيز» هو ثورة على الحضارة المادية، على آلية الحضارة، وإن لم تعرف ما الدواء، ثارت على الداء، ولم تعرف ما الدواء، لأنَّ الدواء ليس عندهم، الدواء عندنا نحن.

لقد وصلت الحضارة الغربية إلى قمة العلم، ولكنها في حاجة إلى شيء آخر، إلى رحيق الإيمان، إلى اليقين بالله وبالدار الآخرة، إلى رسالة جامعة متوازنة، تعطي هؤلاء الإيمان، ولا تحرمهم العلم، وتعطيهم الآخرة، ولا تسلبهم الدنيا، وتعطيهم الروحانيَّة، ولا تمنعهم الماديَّة، تطالبهم بالواجبات، ولا تحرمهم الحقوق، في حاجة إلى الرسالة المتوازنة التي

QaradawiBooks.com

تمزج الروح بالمادة، وتوفِّق بين العقل والقلب، وتصل الأرض بالسماء، وتجمع الدين مع الدنيا، الرسالة الوحيدة التي تفعل ذلك هي رسالة الإسلام.

غير مرخصة للطباعة

عوائق عن الدخول في الإسلام:

من أجل هذا علينا أن نقدم رسالة الإسلام إلى غير المسلمين، ونحن مقصِّرون في ذلك، والله تبارك وتعالى سائلنا عن هذه الأمم، ماذا قدَّمنا لها؟ هل قدَّمنا لها الإسلام؟ لا بدَّ من دراسة العوائق التي تحجز هذه الأمم عن الدخول في الإسلام، رغم أنَّه الدين الحقُّ، من هذه العوائق:

أ ـ رواسب القرون الماضية:

هناك أناس لم يسمعوا عن الإسلام شيئًا، أو سمعوا عنه صورة مُشوَّهة، هناك للأسف صورة موروثة من رواسب القرون الماضية، من عصر ما بعد الحروب الصليبيَّة التي تركت بصماتها على حياة الأوربيين، أراد بعض رجال الدين أنْ يقيموا سدودًا بين الجماهير والدخول في الإسلام فنشروا أكاذيب عن الإسلام، عن القرآن، عن محمَّد ﷺ، فصوَّروه مغتصبًا للفتيات، السيف في يمينه، والشهوة في يساره، أكاذيب ملؤوا بها رؤوس الناس، ولا زالت بقايا هذه المواريث المظلمة الظالمة في أذهان الناس، ماذا فعلنا نحن المسلمين لِنُحسِّن هذه الصورة؟

لم نفعل الكثير، بل لم نفعل القليل، لقد نشر المسيحيُّون الإنجيل في أنحاء العالم، بمئات اللغات وآلاف اللهجات، العارفون يقولون: لا توجد ترجمة دقيقة بليغة أمينة لمعاني القرآن الكريم بأيِّ لغة، حتَّى في اللغات الحيَّة الكبيرة، الإنجليزية، والفرنسية، والألمانيَّة، فنحن المسلمين في حاجة إلى أن نبذل جهدًا لنعرِّف المتأثرين برواسب العصور الماضية بحقيقة الإسلام.

QaradawiBooks.com

ب ـ صراع العصور الحالية:

وهناك صراع العصور الحالية، لا شـكَّ أنَّ الغرب استعمر كثيرًا من بلاد المسلمين، وحدث صراع، وحدثت حروب، وترك ذلك آثاره أيضًا.

ج ـ المستشرقون:

وهناك أيضًا الَّذين يكتبون عن الإسـلام من الغربييـن، ولم يؤدوا الصورة كما ينبغي، إما لأنَّهم لم يفهموا الإسـلام، لأنَّ اللغة غير اللغة، والموقع غير الموقع، وإما لأنَّ عندهم رواسب وعصبيات أيضًا تمنعهم أنْ ينظروا إلى الإسلام نظرة موضوعية.

د ـ سوء حال المسلمين:

وهنـاك أيضًـا النماذج التـي يرونها من المسـلمين، كثيـر من غير المسـلمين يرون نماذج سـيِّئة من المسـلمين تعيش بينهـم في الغرب لا تشرف الإسلام، ومن ناحية أخرى يرون بلاد المسلمين نفسها لا تعطي صورة حسنة للمجتمع المسلم، لا يوجد نموذج لمجتمع إسلامي.

ولهذا يقولون: إذا كان الإسلام كما تصورونه، فما لنا لا نرى آثاره في حياة المسلمين؟ الإسلام يدعو إلى القوَّة، فما لنا نرى المسلمين ضعفاء؟ يدعو إلى العلم، فما لنا نرى المسلمين جهلاء؟ يدعو إلى التَّآخي، فما لنا نرى المسلمين متعادين؟ يدعو إلى الوحدة، فما لنا نراهم متفرقين؟ يدعو إلى النظام، فما هذه الفوضى في حياة المسلمين؟ يدعو إلى النظافة، فما هذه القذارة التي ضربت أطنابها في حياة المسـلمين؟ وهكذا، نحن لم نؤدِّ نموذجًا للحياة الإسـلاميَّة كما ينبغي، ولذلـك كان أكبر حاجز لغير المسلمين عن الدخول في الإسلام هو المسلمون أنفسهم.

QaradawiBooks.com

وعلينا أن نبيِّن لهم أنَّ المسلمين ليسوا حُجَّة على الإسلام، وإن كان هذا ـ من الناحية العملية ـ لا يقنع، هناك بعض الغربيين دخل في الإسلام عن طريق القراءة والدراسة، قرأ الكتب فأُعجب بهذا الإسلام العظيم فأسلم، ثم أراد أنْ يرى الإسلام في أوطانه، فقال: سأزور بلاد المسلمين. فلمَّا زار بعض بلاد المسلمين فوجئ بما لم يكن يتوقع، رأى الواقع خلاف ما قرأه في الكتب عن الإسلام، فقال تلك الكلمة المؤثرة: الحمد لله الَّذي عرَّفني الإسلام قبل أنْ أعرف المسلمين. المسلمون إذنْ يقفون حاجزًا أمام غيرهم عن الدخول في الإسلام.

ولذلك لا بدَّ أن نكون نحن ـ أيُّها الإخوة ـ نماذج فردية طيبة، هناك مسلمون يعيشون في الغرب يقدِّمون ـ والحمد لله ـ نماذج تسر وتشرِّف، نماذج للمسلم الملتزم بآداب الإسلام، وتتجسَّد فيه فضائل هذا الدين، صدقًا في الكلمة، وأمانةً في المعاملة، وإخلاصًا في العمل، وأداءً للواجب، ووفاءً بالوعد، كل أخلاق الإسلام تتجسَّد في هذا المسلم، ولهذا يُحبُّ النَّاسُ الإسلامَ بِحبِّهم هذا الشخص.

ورغم سوء حال المسلمين هناك كثيرون يدخلون في الإسلام من بلاد شتَّى، وبعضهم أفراد لهم وزنهم الفكري والثقافي، أمثال روجيه جارودي، وموريس بوكاي، وغيرهما.

(٢) تصحيح صورة الإسلام:

وهناك شيء آخر: إذا لم نصل إلى هدف إدخال غير المسلمين في الإسلام ـ وهذا ما نريده، لأننا لا نحب أن نحتكر الخير لأنفسنا ـ فعلى الأقل نُحسِّن صورة الإسلام لدى هؤلاء، صورة الرسالة الإسلاميَّة، وصورة نبيِّ الإسلام، وصورة كتاب الإسلام القرآن الكريم، وصورة رجال

QaradawiBooks.com

الإسلام صحابة رسول الله ﷺ، وأئمة الإسلام، وصورة التاريخ الإسلامي وما حدث فيه من فتن، وصورة الحضارة الإسلاميَّة التي كانت هي الحضارة الوحيدة التي سادت العالم لقرون عدَّة، وتتلمذ العالم عليها، لا بدَّ أن نصحح هذه الصور عند غير المسلمين، فهذا مكسب كبير أيضًا.

(٣) كسب غير المسلمين المنصفين:

ثم من ناحية أخرى: إذا لم نستطيع أن ندخلهم في الإسلام أيضًا نستطيع أن نكسبهم إلى صفنا، ليقفوا معنا في قضايانا، ليدافعوا عن حقوقنا المهضومة، نحن لنا قضايا كثيرة نحتاج فيها إلى رجال منصفين، فإذا تقرَّبنا من هؤلاء نستطيع أن نجعل منهم أصدقاء لنا، أنصارًا لقضايانا، وهذا أيضًا ليس بالشيء القليل.

ثالثًا: وسائل الدعوة:

علينا إذنْ أيُّها الإخوة أن نبذل جهدًا مع المسلمين، وجهدًا مع غير المسلمين، ونتخذ الأساليب والوسائل المختلفة، وسائلنا شتى: الكلمة المسموعة، والكلمة المقروءة، والصورة المشاهدة.

بعض الَّذين يعملون في ميدان الدعوة يقولون: نحن لا نستعمل إلا وسائل الأنبياء، الكلمة المسموعة فقط. يا سبحان الله! لقد أنزل الله كتابًا سمّاه قرآنًا، لأنَّه يُقرأ ويُكتب، وقد بعث الرسول ﷺ رسائل إلى الآخرين يدعوهم إلى الإسلام، فلماذا لا نستعمل كل الوسائل الممكنة؟

بعض الناس للأسف لا يعيش في عصره، كنت أحاضر في جامعة قطر محاضرة للطالبات، فسألني بعضهن: لقد رأيت بعض الدعاة يمشون من جنوب قطر إلى شمالها على أقدامهم، ومعهم جمل حملوا عليه أغراضهم، ورفضوا أنْ يركبوا السيارة، وقالوا: إنَّ هذا اتِّباع للسُّنَّة. فما رأيكم؟

QaradawiBooks.com

قلت: يا سبحان الله! مَنْ قال: إنَّ هذا اتّباعٌ للسُّنَّة؟ ألم نستخدم الميكروفون لإبلاغ الصوت؟ ألا نلبس هذه النظارة لنقرأ بها؟ ألا نستعمل التليفونات؟ ألا نركب البواخر والطائرات لنصل إلى مكان الحج، أو إلى بلد آخر؟

لا بدَّ إذنْ أن نُطوِّر الوسائل، فالوسائل لا تجمد، بل هي متغيرة، تتحرك وتتطور دائمًا، يمكن أن نستخدم كلَّ وسيلة، ما دامت غير محرمة، المكتبة الصوتية، الشريط المسموع، والشريط المرئي، الأناشيد، والتمثيليَّات، وأسلوب الحوار، والمسرحيَّات، أنا ألفت مسرحيَّة اسمها «عالم وطاغية»، مُثِّلت في عدد من البلدان، في قطر، وفي لبنان، وفي اليمن، لأنَّ هذا أسلوب من الأساليب، ولا بدَّ أن نستخدم كلَّ الأساليب الممكنة.

إنَّ أجهزة الإعلام في حياتنا هي التي تصنع أفكار الناس، وميولهم، وأذواقهم، اتجاهاتهم العقليَّة، والنفسيَّة، والشعوريَّة، فلا بدَّ أن نستخدم هذه الأساليب، ولا ندع غيرنا وحده يستخدمها، بينما نجلس نحن متفرجين، لا يكفي أنْ يكون أسلوبنا هو المنبر أو المسجد وحده، وقد لا نُمكَّن منه، ففي بعض البلاد لا يُمكَّن الدعاة الصادقون من المسجد، لأنَّ المسجد أصبح موجَّهًا، يتكلَّم كما تريد السلطة.

رابعًا: أساليب الدعوة:

لا بدَّ إذنْ من استخدام كل الوسائل التي نستطيع بها أن نبلِّغ الدعوة، سواءً إلى المسلمين أم غير المسلمين، بالأساليب المؤثرة، يقول القرآن: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥].

QaradawiBooks.com

(١) مع المسلمين:

في هذه الكلمات الموجزة المعجزة رسم القرآن الطريق للدعاة، الحكمة هي التي تخاطب العقل، والموعظة الحسنة هي التي تخاطب القلب، هذا إذا دعوت المسلمين المستجيبين لك، الموافقين لك في العقيدة، خاطب العقول والقلوب، لا تكن عقلانيًّا فقط، ولا عاطفيًّا فقط، فالإنسانُ عقلٌ وعاطفةٌ، فأقْنِع العقل وحَرِّك القلب.

لا تكن مجرَّد إنسان عاطفي تثير المشاعر، وتزلزل القلوب بالخطب الحماسيَّة دون أنْ تعتمد على قاعدة شرعيَّة عقليَّة، ولا تكن مجرَّد إنسان جامد يخاطب العقل كأنَّك مستشرق؛ لا، بل خاطب العقل والقلب معًا، هذا هو الَّذي ينبغي، وهذا هو أسلوب القرآن، وهذا هو ما كان يفعله النَّبيُّ ﷺ، أنَّه يخاطبُ العقلَ ويخاطب القلبَ، فالحكمة والموعظة الحسنة تكون مع المسلمين.

(٢) مع غير المسلمين:

وأمَّا مع غير المسلمين فاستعمل الجدال والحوار بالتي هي أحسن، ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾، في خطاب المسلمين اكتفى القرآن بالموعظةِ الحسنة، وفي خطاب غير المسلمين أمر القرآن أن يكون الجدال أو الحوار بالتي هي أحسن، كما قال: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦]. أي بالطريقة التي هي أحسن، فلو كانت هناك طريقتان: طريقة حسنة، وطريقة أحسن منها، فيجب عليك أنْ تستعمل الطريقة الأحسن، هذا هو الَّذي ينبغي، أحسن الأساليب، وأحسن الطرائق في مخاطبة الآخرين.

QaradawiBooks.com

ولذلك قال القرآن: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦]. أي وأنتم تحاورون أهل الكتاب اذكروا القواسم المشتركة بينكم وبينهم، لا يكن همُّك أنْ تذكر ما يُميِّزك عنهم، وما تخالفهم فيه، لأنَّ هذا لا يقرِّب، الَّذي يقرِّب هو أنْ تذكر ما يجمعك بهم.

أسلوب الحوار:

ولذلك أنا أدعو إلى أسلوب الحوار، وليس إلى أسلوب المناظرات، فالمناظرات تستثير الآخرين، قد تعجب المسلمين، ولكنها قد لا تدخل غير المسلمين في الإسلام، التقريب والتلطيف هو الَّذي يجذب هؤلاء.

لا بدَّ من أدب الخطاب، لم يقل القرآن: يا أيُّها المشركون، ولا يا أيُّها الكفار ـ مخاطبًا إياهم بها في الدنيا ـ إلا في آية واحدة هي: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: ١]. لسبب معيَّن، هو الحسم بأنَّه لا تنازل عن العقيدة.

لكن إذا خاطب المشركين قال: يا أيُّها الناس. وإذا خاطَب اليهود أو النَّصارى قال: يا أهل الكتاب. يذكرهم بأنَّهم أصحاب دينٍ سماويٍّ، لا بدَّ أنْ توجد مساحة مشتركة بينك وبين هؤلاء، ولهذا أنا لا أخاف من الحوار معهم، بعض الناس يقولون: الحوار الإسلامي المسيحي حوار مشبوه. لا، لماذا نخاف؟!

لقد التقيت الصيف الماضي في ألمانيا ـ أنا وفضيلة الشيخ الغزالي وبعض العلماء والدعاة ـ مع عدد من المستشرقين والقسس يومًا كاملًا، كان له أثرٌ طيِّبٌ، وصحَّحنا كثيرًا من المفاهيم.

QaradawiBooks.com

وحينما تكلمت هذا الصيف في افتتاح الكلية الأوربيَّة للدراسات الإسلاميَّة هنا في فرنسا تحدثت عن الحوار مع أهل الأديان، وكان لهذه الكلمة وقْعٌ طيِّبٌ، كما أرسل لي الإخوة عن تعليقات الصحف وغيرها.

لهذا أيُّها الإخوة لا ينبغي أن نخاف من الحوار مع الآخرين، فنحن ـ والحمد لله ـ أصحاب منطق قوي، نحن أصحاب دينٍ يخاطب العقول، وينادي الناس: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]، ولذلك لا نخشى من الحوار، بل ندعو إليه.

خامسًا: لوازم نجاح الدعوة:

نستطيع أن نقول: إنَّ هناك أمورًا لازمةً لإنجاح الدعوة:

(١) الدعوة على بصيرة:

أولا: أن يكون الداعي على علم بما يدعو إليه، كما يقول القرآن: ﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨]. أنْ يكون على بصيرة، يدعو كلَّ قوم بلسانهم، كما يقول القرآن: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤].

وأنا لا أفهم هذه الآية على أنَّها مجرَّد أنْ تخاطب ـ مثلًا ـ الفرنسيين بالفرنسية، والألمان بالألمانيَّة، لا، بل أكثر من هذا، أنْ تخاطب الخواصَّ بلسان الخواصِّ، وتخاطب العوام بلسان العوام، تخاطب العقليَّة الغربيَّة بما يحبِّب الإسلام إليها، ولكل عقليَّة مدخل، الإنسان الشرقي غير الإنسان الغربي، والإنسان المثقف غير الإنسان الأمِّي، هذا هو اللسان الَّذي ينبغي أن نفهمه، فلا بدَّ أنْ يدعو الداعي على بصيرة، على علم.

QaradawiBooks.com

ومن هنا كان تأهيل الدعاة أمرًا مهمًّا، ومن هنا أقيمت الكليَّة الأوربيَّة للدراسات الإسلاميَّة في فرنسا، لتخرج دعاة يعيشون عصرهم، ينظرون إلى الإسلام بعين، وإلى العصر بعين، فلا يصلح الداعية الَّذي يدعو إلى الإسلام بعقليَّة القرن الماضي، لا بدَّ أنْ يعيش زمانه ومكانه.

(٢) مراعاة الزمان والمكان والحال:

لا بدَّ للداعية أنْ يراعي الزمان، والمكان، والحال، وإذا قلنا في الفقه: الفتوى تتغيَّر بتغيُّر المكان والزمان والعرف والحال. فالدعوة وأساليبها أولى بالتغيير والتطوير، لا يجوز أن نجمد على حالٍ واحدة، بعض الناس يريدون ـ للأسف ـ أنْ يدعو الناس في فرنسا بما يدعو به أهل القرية في صعيد مصر، هذا لا يجوز، وللأسف يقع بعض الدعاة ـ الكبار للأسف ـ في مثل هذا الخطأ.

أذكر أنِّي كنت في أمريكا أحاضر في أحد المراكز الإسلاميَّة الكبيرة، وبعد المحاضرة سألني أحد الإخوة الأمريكان الَّذين دخلوا في الإسلام سؤالًا يتعلق بالصيام، قال: لماذا فرض الله الصيام شهرًا قمريًّا، ولم يجعله تابعًا للسنة الشمسيَّة؟ وقبل أنْ أجيبه، قال له إمام المسجد: بالنسبة للإخوة الجدد عندنا درس كل يوم ثلاثاء ندرس فيه ما يتعلق بالعبادات من كتاب «الشرح الصغير» للدردير، وقال مثنيًا على الكتاب: هو كتاب يدرس في المعاهد الثانويَّة في الأزهر.

فعجبت وقلت: يا سبحان الله! إنَّ الطلاب في الأزهر يتعبون في فهم المصطلح من مصطلحات هذا الكتاب، مع أنَّهم عرب، حفظوا القرآن، ودرسوا سنين عديدة، كيف نُعلِّم هؤلاء المسلمين الجدد الإسلام في مثل هذا الكتاب؟!

QaradawiBooks.com

ثم متى يصل هذا الأخ إلى كتاب الصيام، وهو ما زال يدرس في كتاب الطهارة؟ أمامه سنوات إلى أنْ يصل إلى كتاب الصيام، وإذا وصل إليه لن يجد جواب السؤال، لأنَّه يسأل عن حكمة معيَّنة لا توجد في مثل هذه الكتب، فيجب على الداعية أنْ يراعي: أين يعيش، ومَنْ يدعو؟ فلا يدرس الإسلام من كتاب أُلِّف لأناس متخصِّصين في غير هذه البيئة، وغير هذا العصر، فعلينا أيُّها الإخوة ـ لكي ندعو وتنجح دعوتنا ـ أن نراعي الزمان، والمكان، والحال.

(٣) مراعاة منهج التيسير والتبشير:

كما أن علينا ـ لكي ندعو وتنجح دعوتنا ـ أن نراعي المنهج النبوي في التيسير والتبشير، فالنبيُّ ﷺ حينما أرسل أبا موسى ومعاذًا إلى اليمن أوصاهُما بوصيَّة موجَزة جامعة، قال: «**يَسِّرا ولا تعسِّرا، وبشِّرا ولا تنفِّرا، وتطاوعا ولا تختلفا**»[١]. التيسير لا التعسير، والتبشير لا التنفير، والتطاوع لا الاختلاف والتفرق، أنْ يحاول كل واحد أنْ يقترب من أخيه، هذا مما ينبغي.

هل من المعقول أنْ أقول للناس: شروط تكبيرة الإحرام خمسة عشر شرطًا، كما جاء في بعض الكتب القديمة؟! ماذا بقي لسائر أركان الصلاة، وأركان العبادات؟

لقد كان الرجل يأتي من البادية فيتعلم الوضوء والصلاة في جلسة واحدة، أو في يوم يجلس فيه مع النبي ﷺ، فيرى النَّبيَّ يتوضأ فيتوضأ كما يتوضأ، ويقول: «**صلُّوا كما رأيتموني أُصَلِّي**»[٢].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (٣٠٣٨)، ومسلم (١٧٣٣)، كلاهما في الجهاد، عن أبي موسى الأشعري.

(٢) رواه البخاري في الأذان (٦٣١)، عن مالك بن الحويرث.

QaradawiBooks.com

لكننا نأتي إلى قوله تعالى: ﴿فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ﴾ [المائدة: ٦]. فنشدِّد؛ نحن نعرف الوجه، لكننا نسأل: ما الوجه؟ فنقول: الوجه ما بين منبت الشعر إلى أسفل الذقن طولًا، وما بين شحمتي الأذنين عرضًا. ثم نتساءل: ماذا لو كان هناك رجل أصلع؟ وماذا لو كان شعره مسدلًا على جبهته؟ إلى آخره، فتنبثق مشكلات، وما أراد النبيُّ ﷺ هذا، فلا بدَّ من التيسير في تعليم الإسلام، والدعوة إليه.

(٤) استعمال الرفق:

ثم لا بدَّ ـ لكي تنجح دعوتنا أيُّها الإخوة ـ أن نستخدم الرفق في الخطاب، ففي الحديث: «**ما دخل الرفقُ في شيءٍ إلا زانَه، ولا نُزِعَ من شيءٍ إلَّا شانه**»[١]، «**إنَّ الله يحبُّ الرفق في الأمر كلِّه**»[٢].

ودخل أحد الصحابة المسجد، وكان النبيُّ ﷺ راكعًا، فركع الرجل عند باب المسجد، وظلَّ يمشي راكعًا حتَّى وصل إلى الصفِّ، فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ، فأراد أنْ يُبيِّن له خطأه فقال له: «**زادك الله حرصًا، ولا تعُد**»[٣].

انظر: كيف بدأ كلامه؟ لم يقل: ما هذا الَّذي فعلته، لك أكثر من سنة في الإسلام ولا تعرف أن تصلّي؟! لا، بل قال له: «**زادك الله حرصًا**». إشارة إلى نُبل الدافع الَّذي جعله يركع ويمشي راكعًا حتَّى يصل إلى الصفِّ، وقوله: «**لا تعد**». يعني أنَّك أخطأت، ولكنَّه لم يبدأ بقوله: أخطأت. أو «**لا تعُدْ**». هذا هو الَّذي ينبغي.

---

(١) سبق تخريجه صـ ٢٣.

(٢) سبق تخريجه صـ ٢٣.

(٣) رواه البخاري في الأذان (٧٨٣)، عن أبي بكرة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ودخل رجل على الخليفة المأمون، فقال: يا ظالم، يا فاسق، يا كذا يا كذا. وكان المأمون على قدر كبير من الفقه، فقال له: يا هذا، ارفق، فإنَّ الله بعث من هو خير منك إلى من هو شرٌّ مني وأمره بالرفق، بعث موسى وهارون ـ وهما خير منك ـ إلى فرعون ـ وهو شرٌّ مني ـ وأوصاهما الله قائلًا: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ [طه: ٤٣، ٤٤][1]. ولذلك لما ذهب موسى إلى فرعون قال له: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ﴾ [النازعات: ١٨، ١٩].

هذا هو الَّذي ينبغي: الرِّفقُ في الخطاب، استعمال أحسن الأساليب الممكنة، بدل أن تستعمل الكلمة الجارحة استعمل الكلمة الطيِّبة. كما يقولون: لو أنَّ هناك كوبًا نصفه مليء، ونصفه فارغ، فلو قلت: نصف هذا الكوب مليء. كأنك قلت: نصفه فارغ. لكن الأحسن هو التعبير الأول. فلكي تنجح دعوتنا مع المسلمين أو غير المسلمين لا بدَّ أن نكون رفقاء، كما كان رسول الله ﷺ.

(٥) مطابقة العمل للقول:

ثم لا بدَّ ـ لكي ينجح الداعية ـ أنْ يعمل بما يدعو إليه، أنْ يكون صورة لما يدعو إليه، والسلف يقولون: حال رجل في ألف رجل أبلغ من مقال ألف رجل في رجل. فالإنسان بحاله، بسلوكه، بعمله يؤثر في أكثر من ألف شخص، أمَّا أن يتكلم ألف شخص، ولكن أعمالهم تناقض أقوالهم فلا يؤثِّرون، ولذلك يقول الله تعالى: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]. ويقول الشاعر، وينسب لأبي الأسود الدؤلي:

---

(١) انظر: إحياء علوم الدين (٣٣٤/٢).

QaradawiBooks.com

يا أيُّهـا الرجـلُ المُعَلِّـمُ غيرَه هـلَّا لنَفْسِـكَ كان ذا التَّعْلِيـمُ
تصفُ الدواءَ لذي السَّقامِ وذي الضَّنَى كَيْمـا يصحّ بـه وأنت سـقيمُ
ابدأْ بنَفْسِـكَ فانْهَها عـن غيِّها فـإذا انتهت عنه فأنـتَ حَكِيمُ[1]

وكما قلت لكم: إنَّما نشـر المسلمون الإسـلام ـ طوال تاريخهم ـ بأخلاقهم وسلوكهم، مَنْ نشر الإسلام في إندونيسيا ـ وبها مائة وثمانون مليونًا الآن، أو في ماليزيا، والهند، أو نحوها؟

لم تدخل الجيوش الإسـلاميَّة إلا بلادًا قليلة جدًّا، حتَّى الجيش الإسـلامي الَّذي دخل الهند، دخل جزءًا من السند، دخله محمد بن القاسـم بن محمد قائد الجيش هـذا الجزء، وبقية الأجـزاء دخلها الإسلام بالدعوة، بدعوة المسلمين غير المتخصِّصين، من الحضرميين الَّذين هاجروا مـن جنوب اليمن إلى إندونيسـيا، وماليزيا ونشـروا الإسلام هناك بأخلاقهم.

ودخل الإسـلام إلى كوريا في العصر الحديث بواسـطةِ جنودٍ من الأتراك، كانوا هناك في الحرب الكورية المعروفة، رآهم الناس كلما جاء وقت معين ذهبوا فتوضؤوا، ووقفوا صفوفًا خشوعًا يصلون، ورأوا فيهم الطيبة والإخلاص وأخلاق الإسلام، فأعجبهم المنظر، فقالوا: مَنْ أنتم؟ قالوا: نحن مسلمون. فحبَّبوا إليهم الإسـلام، فدخل الآلاف على أيدي هؤلاء الجنود في كوريا.

يا أيُّها الإخوة، إنَّما ينتصر الإسلام بالعمل قبل أيِّ شيء آخر، لا نريد مُتَحَدِّثين عن الإسـلام تُكذبهم أعمالهـم وأخلاقهم، إنَّمـا نريد أعمالًا

(١) الأبيات ذكرها الماوردي من غير نسبة في أدب الدنيا والدين صـ٣٤، نشر دار مكتبة الحياة، ١٩٨٦م.

QaradawiBooks.com

تتحدَّث عن الإسلام، كما كان الصحابة والمسلمون الأوائل، كان كلٌّ منهم إسلامًا حيًّا، قرآنًا يمشي بين الناس على قدمين، بهذا انتصر الإسلام.

هذه شـــروط لا بدَّ منها لكي ينتشر الإســـلام وينتصر، إذا أردنا أن ندعو، وأن تنجح دعوتنا حقًّا فلا بدَّ أن نراعي هذا كلَّه.

قوَّة الإسلام الذاتيَّة:

إنَّ الإسلام ينتشر رغم جهدنا الضعيف، رغم العوائق التي ذكرناها، ينتشـــر بقوته الذاتيَّة، لأنَّه دين الفطرة، ولأنه وحده الَّذي يملك قارورة الدواء، ومضخَّة الإطفاء لهـــذا الحريق المادي فـــي العالم، والعالم في حاجة إلى دين، فما الدين الَّذي يمكن أنْ ينقذه؟

لا تستطيع المسيحيَّة بتاريخها، وبفكرها المعيَّن أنْ تقوم بهذا الدور، واليهوديَّة بالطبـــع أعجز وأعجز؛ لأنَّها ليســـت دينًا انتشـــاريًّا، واليهود أنفسهم المادِّيُّون النفعيُّون لا يصلحون لدعوة عالميَّة، والعرقيَّة والعنصريَّة في اليهوديَّة أمر ظاهر، حتَّى الربُّ نفسه في اليهوديَّة ربُّ إسرائيل، ليس ربَّ العالمين كما هو عند المسلمين.

والماركسيَّة أيضًا لا تصلح أنْ تكون صاحبة هذه الرسالة، وقد انتهت في عقر دارها، وذهبت ريحها، ودالت دولتها، لم يبق إلا الإسلام هو المنقذ.

حاجة الإسلام إلى رجاله:

ولكن الإســـلام ـ أيُّها الإخوة ـ يحتاج إلى رجال، يحتاج إلى أناس يجنِّدون أنفســـهم له، ويبذلون في ســـبيله كلَّ ما يحتاج إليه، نقول مع القائل: ما أعظمه من دينٍ لو كان له رجال!

إنَّ لهـــذا الدين مليارًا وربعًا من البشـــر، ولكن أيـــن رجاله؟ رجاله

QaradawiBooks.com

لا يبذلون من أجله، المبادئ الحقيقية لا تنتصر وحدها، الحقُّ لا ينتصر وحده، وإنَّما ينتصر بأهله، كما يقول الطغرائي قديمًا:

وشِيمَةُ السَّيْفِ أن يُزْهَى بجَوْهَرِهِ ... وليس يعملُ إلَّا في يَدَيْ بَطَلِ[1]

السيف لا يعمل وحده، مهما كان مصقولًا، وإنَّما يعمل في يد بطل، وكما يقول المُتَنَبِّي:

وما تنفعُ الخيلُ الكِـرَامُ ولا القَنَا ... إذا لم يكنْ فوقَ الكِرَامِ كِرَامُ[2]؟

خيل بغير خيَّال، فرس من غير فارس، ماذا تصنع؟ كذلك دينٌ عظيمٌ لا يجد له أناسًا يعملون، هيهات أنْ ينتشر وينتصر.

لقد أرشد القرآن إلى أنَّ نصر الله لا يكون ولا يتم إلا بالمؤمنين، كما أنَّه لا يكون إلا للمؤمنين. كما قال تعالى يخاطب رسوله الكريم: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢]. فلا نتوقع أنْ تنزل ملائكة السماء التي نزلت في بدر، أو في الأحزاب، أو في حنين، على قوم فرغت قلوبهم من الإيمان، أو خلت حياتهم من أخلاق الإيمان، وأعمال المؤمنين، فالله تعالى يقول في بدر: ﴿إِذۡ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢].

إنَّ الرسالات لا تنتصر وحدها، إنَّما تنتصر بأهلها، والحقُّ لا يعلو وحده، إنَّما يعلو وَفْق سنن الله بدعاته ورجاله الَّذين جمعوا بين العلمِ والعملِ والإخلاصِ، فلا بدَّ أيُّها الإخوة من البذل لهذا الدين.

---

(١) انظر: ديوان الطغرائي صـ٣٠٧، لامية العجم، تحقيق د. علي جواد طاهر ود. يحيى الجبوري، نشر مطابع الدوحة الحديثة، ط٢، ١٩٨٦م.

(٢) ديوان المتنبي صـ٣٩٠، نشر دار بيروت للطباعة والنشر.

QaradawiBooks.com

المستقبل للإسلام:

ونحن نعتقد أنَّ المستقبل أمام الإسلام مفتوح، وعندنا البشائر كثيرة، بشائر من القرآن، وبشائر من السُّنَّة، وبشائر من التاريخ، وبشائر من الواقع، وسنن الله تعالى، وقد كان الإمام حسن البنا يقول: هناك أربعة أدلة على أنَّ الإسلام سينتصر:

منها الدليل النقلي السمعي، كما في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٣]. وقوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [التوبة: ٣٢]. وقوله: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]. وقوله: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗا﴾ [النور: ٥٥]. إلى غير ذلك من الآيات.

وهناك الأحاديث الكثيرة المبشِّرة، وأذكر منها الحديث الَّذي رواه الإمام أحمد عن أبي قَبيل، قال: كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص، فسأله سائل: أي المدينتين تُفتح أولا: قسطنطينيَّة أو روميَّة؟ فدعا عبد الله بصندوق له حِلَق. قال: فأخرج منه كتابًا. قال: فقال عبد الله: بينما نحن عند رسول الله ﷺ نكتب إذ سئل رسول الله ﷺ: أي المدينتين تفتح أولًا: قسطنطينيَّة أو رُوميَّة؟ فقال رسول الله ﷺ: «**مدينة هِرقل تُفتح أولًا**»، يعني قسطنطينيَّة[1].

(١) سبق تخريجه صـ ١٣٨.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

رومية هي: روما، كما يقول ياقوت في معجم البلدان[١]. وقسطنطينية: هي التي كانت عاصمة الدولة الرومانيَّة البيزنطيَّة، والقسطنطينيَّة هي الآن إستانبول، كأنَّ الصحابة كانوا سمعوا من النبي ﷺ، أنَّ كلتا المدينتين ستُفتح، والسؤال هنا: أي المدينتين تُفتح أولًا؟ فقال النبي ﷺ: «**مدينة هرقل تُفتَح أولًا**». وهي القسطنطينيَّة.

وقد فُتِحت القسطنطينيَّة، فتحها ذلك الشاب العثماني الطموح، محمد بن مُراد، الشهير في التاريخ باسم محمد الفاتح، الَّذي شغله هذا الأمر، وكانت له نفسٌ توَّاقة، فكأنه قد قرأ في مستدرك الحاكم وغيره حديث النبيِّ ﷺ: «**لتفتحنَّ القسطنطينيَّة، فلَنِعْم الأميرُ أميرها، ولَنِعْم الجيشُ ذلك الجيشُ**»[٢]. فتاقت نفسُه أنْ يكون هو هذا الأمير، وأنْ يكون جيشُه هو هذا الجيش، وأعدَّ العُدَّة، وهيَّأ الخطَّة، وغزاها وفتحها، وهو ابن الثالثة والعشرين من عمره، في جمادى الأولى سنة (٨٥٧هـ)، الموافق الثلاثاء (٢٥) مايو سنة (١٤٥٣م)، ومن ذهب منكم إلى إسلامبول ـ أو إستانبول ـ سيجد الحديث مكتوبًا على جامع الفاتح.

بقي إذنْ أنْ تُفتح روميَّة، أو روما، ومعنى هذا أنْ يعودَ الإسلام إلى أوربا مرة أخرى، وقد طُرِد منها مرتين، مرة من الأندلس، ومرة من البلقان، واعتقادي أيُّها الإخوة: أنَّ الإسلام لن يدخل أوربا بالجيوش، بل سيدخلها بالدعوة لا بالسيف، سيفتحها بالفكرة الإسلاميَّة، وبالدعوة الإسلاميَّة إن شاء الله. نحن محتاجون إذنْ إلى الدعاة، فالأدلة النقلية تُؤكِّد أنَّ الإسلام سينتصر.

---

(١) معجم البلدان (١٠٠/٣)، نشر دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م.

(٢) رواه أحمد (١٨٩٥٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والطبراني (٣٨/٢)، والحاكم في الفتن (٤٢١/٤)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٣٨٤): رجاله ثقات. عن بشر الغنوي.

QaradawiBooks.com

ثم هناك الدليل التاريخي، فمن ينظر في التاريخ، يجد أنَّ الإسلام أشدُّ ما يكون قوةً، وأصلب ما يكون عودًا، وأعظم ما يكون صمودًا، وأصفى ما يكون جوهرًا، حينما تُحيط به الشَّدائد، وتنزل به الخطوب، هنا يظهر المعدن النفيس الأصيل للأمَّة الإسلاميَّة.

حدث هذا منذ فجر التاريخ، من عهد حروب الردَّة، وحروب الصليبيين، وحروب التتار، وحروب الاستعمار الحديث، وآخرها حرب الجزائر، وما يحدث في فلسطين، وما حدث في أفغانستان، وما يجري الآن في البوسنة والهرسك، كان هناك إخوة في البوسنة قد تركوا الإسلام لأنَّهم لم يُعلَّموه، حتَّى رأوا أنفسهم يُذبَّحون من أجل الإسلام فعادوا، وظهر منهم أبطال، فالتاريخ يدل على أنَّ الشَّدائد لا تحطِّم الإسلام بل تُقوِّيه.

ثم من ناحية الواقع، الواقع يقول: إنَّ العالم في حاجة إلى الإسلام.

التداول الحضاري:

وهناك دليل رابع ـ ذكره الإمام الشهيد حسن البنا ـ هو الدليل الحسابي، أنَّ للتاريخ دورات، كانت قيادة العالم في وقت من الأوقات شرقيَّة، أيام الحضارات الفرعونية، والآشورية، والبابلية، والكلدانية، والفينيقية، وغيرها، ثم انتقلت قيادة الحضارة إلى الغرب، أيام الإغريق والرومان، ثم انتقلت الحضارة مرة أخرى إلى الشرق بظهور الإسلام وانتصار الحضارة الإسلاميَّة، التي سادت قرونًا، وكنا نحن العالم الأول، والأُمَّة الأولى، لمدة ألف عام، ثم انتقلت القيادة إلى الغرب مرة أخرى.

ولكن الغرب الآن لم يحسن القيادة، لم يؤدِّ الأمانة كما ينبغي، أفلس الغرب في قيادته، ظلم وبغى، نظر إلى الحياة بعين واحدة، كانت حضارته حضارة المسيح الدجال، وليست حضارة المسيح بن مريم،

QaradawiBooks.com

فالمسيح الدجال أعور، والحضارة الغربية عوراء، لأنَّها تنظر إلى الحياة بعين المادية فقط، ولا تجمع بين المادية والروحية، تنظر إلى الدنيا ولا تنظر إلى الآخرة، تنظر إلى الأرض ولا تنظر إلى السماء، تتعامل مع الخلق ولا تتعامل مع الخالق، حضارة عرجاء تمشي برِجْلٍ واحدة، عوراء تنظر بعينٍ واحدة، ولهذا أمسى العالم في حاجة إلى حضارةٍ جديدة، إنَّها حضارة الإسلام.

دعم وجود الإسلام في الغرب:

ومن هنا كان علينا واجب، وخصوصًا الَّذين يعيشون في الغرب، على الإخوة الَّذين يعملون هنا أنْ يبذلوا كلَّ ما يستطيعون، من أجل الحفاظ على الوجود الإسلامي من ناحية، ومن أجل تبليغ الدعوة الإسلاميَّة إلى غير المسلمين من ناحية أخرى، ومن أجل هذا أقاموا الكلية الأوربيَّة للدراسات الإسلاميَّة، وأقاموا اتحاد المنظمات الإسلاميَّة، وأقيم مثل هذا المؤتمر، هذا الَّذي تنشرح به صدور المؤمنين، كل هذا العمل ـ أيُّها الإخوة ـ لا بدَّ أن يُدعَم، لا بدَّ أن نبذُل له إن كنَّا نغار على إسلامنا، فلا يوجد إسلام بلا بذل.

اليهود ـ وهم أشحُّ الناس، وأحرصُهم على حياة ـ يبذلون، بذلوا أموالَهم وبذلوا حياتَهم، حينما تريد إسرائيل مددًا تُجمع لها المليارات من يهود العالم، فعلوا هذا من قديم، قبل أنْ تقوم الدولة، وبعد أنْ قامت، اليهودي الَّذي يعبد الدينار والدرهم يبذل، والمسلم لا يبذل؟!

كنت قد دعوت لإقامة الهيئة الخيرية الإسلاميَّة العالمية ردًّا على مؤتمر كلورادو الَّذي قرَّر تنصير المسلمين في العالم، ورصد لذلك ألف مليار دولار، فقلنا: هيَّا يا مسلمون نجمع الألف مليون دولار لإقامة

QaradawiBooks.com

الهيئة الخيريَّة، لو دفع كل مسلم دولارًا واحدًا لجمعناها. ومع هذا لم نبذل كما ينبغي، ثم قرأت، وقرأت، حتَّى عرفت أنَّ الألف مليون دولار الَّذي جُمع إنَّما هو في مؤتمر واحد من مؤتمراتهم، وهو مجرد شريحة من الشرائح، لكنهم يجمعون المليارات الأخرى فيما عدا ذلك، فما بالنا نحن نبخل على ديننا؟

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١]. وعندما قرأ الحسن البصري هذه الآية قال: يا عجبًا لفضل الله؛ اشترى منا أنفسًا هو خالقها، وأموالًا هو رازقها، ثم أعطانا ثمنًا فأغلى في الثمن؛ جنة عرضها السماوات والأرض[1]. أرأيت أحدًا يشتري ملكه؟ الله يشتري منَّا، ويُغلي في الثمن، يعطينا الجنَّة، فإذا أردنا الجنَّة فلا بدَّ أن ندفع الأنفس والأموال، على الأقل نبذل الأموال.

إنَّني أدعو الإخوة والأخوات هنا في الغرب أنْ يبذلوا، كلٌّ على قدر ما يستطيع أنْ يبذل، حتَّى يتمكَّن إخوانكم أنْ يستمروا في نشاطهم، وفي عملهم، وفي دعوتهم، وفي تربية الأجيال المسلمة، وفي الحفاظ على الوجود الإسلامي هنا، لسنا قلة في فرنسا، ولا في أوربا، هناك أكثر من خمسة عشر مليونًا في أوربا، وهناك مسلمون جُدُد ظهروا، كانوا قبل ذلك وراء الستار الحديدي الشيوعي، بلاد البخاري ومسلم بدأت تظهر، كلُّ هذا في حاجة إلى عمل، ولا بدَّ أن نعمل لديننا، نحن أمام امتحان، فإذا كنت مسلمًا حقًّا فابذل لدينك، ابذل ما تستطيع، فالقليلُ على القليل كثير، نحن لسنا فقراء، إننا أغنياء بإيماننا، وأغنياء بما نملك.

(١) ذكره الزمخشري في تفسيره (٣١٣/٢)، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ، والرازي في تفسيره (١٥٠/١٦) نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

QaradawiBooks.com

فيا أيُّها الإخوة المسلمون، ابذلوا من أجل أنْ يستمر العمل الإسلامي، وأنْ تستمرَّ الدعوة الإسلاميَّة، وأنْ تستمرَّ التربية الإسلاميَّة، ابذلوا، إخوانكم في اتحاد المنظَّمات الإسلاميَّة يعملون بقدر ما يستطيعون، ولكن العمل لا بدَّ له من مدد، ونحن لا نطلب من الحكومات ولا من غيرها، ولا نطلب من جهات أجنبيَّة أنْ تعيننا، لا نطلب إلا من الله وحده، ثم من جيوب المسلمين الصادقين، والمسلمات الصادقات، ونعتقد أنَّ الَّذي يُبذَل من المؤمنين والمؤمنات سيكون مباركًا فيه، لأنَّه مالٌ حلال، ومالٌ طيب، جاء بكدِّ اليمين، وعرق الجبين.

فيا أيُّها الإخوة، اعملوا، وابذلوا، ﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ٩٤]، ﴿وَأَقْرِضُوا ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المزمل: ٢٠]، ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد: ١١].

أقول قولي هذا ـ أيُّها الإخوة والأخوات ـ وأستغفر الله تعالى لي ولكم، وصلَّى الله على سيدنا محمدٍ، وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا، والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٧

طالب المعهد الديني والدعوة إلى الله[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

فضيلة الأخ الكريم شيخ المعهد، حضرات الإخوة مدرسي المعهد، أبنائي الأعزاء طلبة هذا المعهد، خير ما أحيِّيكم به جميعًا تحيةُ الإسلام، وتحيةُ الإسلام السَّلام، فالسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وإنِّي لسعيد أنْ ألتقي بأسرة هذا المعهد: إدارته، وأساتذته، وطلابه، فلئن كان الإنسان يتنقل ما بين الأماكن؛ فإنَّ حنينه دائمًا للمنزل الأول، كما قال الشاعر العربي:

نقِّل فؤادكَ حيثُ شئتَ من الهوَى ... ما الحبُّ إلا للحبيبِ الأولِ
كَمْ منزلٍ في الأرضِ يألفُهُ الفتَى ... وحنينُهُ أبدًا لأولِ منزلِ[٢]

(١) ألقيت في المعهد الديني بالدوحة بتاريخ ٤ أبريل ١٩٨٣م.
(٢) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي (٢/٢٩٠)، فهرسة راجي الأسمر، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٤م.

QaradawiBooks.com

وأول منزل نزلته في هذا البلد ـ منذ اثنتين وعشرين سنة ـ كان هو المعهد الديني، الذي مكثت فيه أكثر من اثنتي عشرة سنة، في مرحلة التأسيس والبناء التي شاركني فيها إخوة كرام، على رأسهم الأخ الشيخ عبد اللطيف، الذي شرفه الله بإدارة هذا المعهد.

المعهد الديني ليس مجرد مدرسة:

وإنِّي أعتبر هذا المعهد ليس مجرد مدرسة، وإنَّما هو مدرسة وجامع وجامعة، إنَّه جامع للعبادة، ومدرسة للعلم، وجامعة للشعوب الإسلامية جميعًا، فحينما أنظر في وجوه طلاب هذا المعهد أراهم يمثلون الأمة الإسلامية في كل مكان، وهذه خصيصة من خصائص هذا المعهد، الذي كان رائدًا للمعاهد الإسلامية لهذه المنطقة كلها، كان رائدًا في أنَّه جمع بين القديم النافع والجديد الصالح، جمع بين علوم الدين وعلوم الدنيا، وخرَّج فئة من أبنائه تسلمت أعلى المناصب في هذه المنطقة من حولنا؛ وليس في قطر فقط، فنحمد الله ﷻ أن مضى هذا المعهد في طريقه، وسار يعلم ويربي ويُخرِّج، وكان من ثمراته ما له الفضل ومَن لهم الفضل في بلاد شتى من بلاد المسلمين، ونسأل الله تعالى أن يجعل يوم هذا المعهد خيرًا من أمسه، وأن يجعل غده خيرًا من يومه؛ إنَّه سميع قريب.

الغاية من التعليم وسر الحياة:

أيها الإخوة والأبناء، حدَّثوا أن شيخًا من حكماء الشيوخ المربين، أراد أن يختبر تلاميذه وطلابه ليعرف مدى إدراكهم لمهمتهم، ومقدار فهمهم لرسالتهم، وهل أثَّر فيهم تعليمه وتربيته؟ فعرض عليهم أمرًا، اختار أربعة منهم، وقال لهم: أقترح عليكم أن تملؤوا حجرة الدراسة هذه؛ كلٌّ بما يمليه عليه تفكيره وشعوره.

QaradawiBooks.com

فذهب الطالب الأول؛ فوجد في طريقه حطبًا، فحمل عدة حزم من الحطب، وجاء بها ووضعها في الحجرة، فنظر إليه الشيخ وقال له: أنت ضعيف الهمة، تميل إلى العيش من أقرب طريق، أي شيء تيسر لك تعمله ولا تنظر إلى بعيد!

وذهب الثاني وجاء بعدد من المجلدات والكتب، وكدسها في الحجرة، فقال له الشيخ: أحسنت على كل حال، ولكنك رجل نظري تظنُّ أنَّ الكتب هي كل شيء، ونسيت كتاب الحياة الأكبر، وأنَّ الكتب وحدها ليست هي كل شيء، لا بدَّ أن تجمع إلى العلم العمل.

وذهب الثالث فجاء بباقة من الأزهار والورود، ووضعها في الحجرة، فنظر إليه الشيخ الحكيم وقال له: أنت رجل طيب القلب، تحسب الحياة نعيمًا لا بؤس معه، ووردًا لا شوك فيها، إذا كانت الحياة فيها ورود وأزهار؛ فإن فيها شوكًا يدمي الأصابع، والحياة لا بدَّ أن تؤخذ بوردها وشوكها، وحلوها ومرها، وخيرها وشرها.

أمَّا الرابع فإنه ذهب وجاء بشيء بسيط جدًّا ووضعه في الحجرة، جاء بشمعة ووضعها في حجرة الدراسة، فنظر إليه الشيخ المربي وقال له: للهِ درُّك؛ أنت الذي فهمت سر حياتك، أنت الذي عرفت الغاية، إنَّ مهمتنا أن نكون شموعًا تضيء للناس الطريق، مهمتنا أن نكون شموعًا تذوب وتحترق، لا من أجل نفسها، ولكن من أجل أن تضيء للآخرين.

مهمة طالب العلم:

هذا المثل أيها الإخوة والأبناء يبين لنا أنَّ طالب العلم، وبخاصة طالب العلم الديني، طالب العلم الإسلامي، طالب المعهد الديني، الطالب الذي يعيش في ظلال القرآن الكريم، وفي ظلال أحاديث الرسول العظيم،

QaradawiBooks.com

وفي ظلال سيرته الطاهرة، وفي ظلال الفقه الإسلامي، وفي ظلال التوحيد والعقيدة، وفي ظلال هذه البحوث والدراسات الإسلامية، الطالب الذي يعيش في رحاب هذه المعاني الكبيرة ينبغي أنْ يدرك أنَّ مهمته هي دعوة الآخرين وهدايتهم، أنْ يكون شمعة تذوب وتحترق لتضيء للآخرين.

دور طالب المعهد الديني:

هذه هي مهمتنا، وإلَّا فما معنى أن يكون هناك معهد ينتسب إلى الدين، وإلى الإسلام؟! إنَّه يمثل قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]. فطالب المعهد الديني هو حامل رسالة الإسلام، هو الذي يعبر عن روح هذه الأمة وضميرها؛ حينما يعيش في الإسلام، ويعيش للإسلام، ويعيش مع الإسلام، ويحيا حتى يموت على الإسلام، كما سمعنا القارئ يقرأ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. وإنَّما يموت الإنسان على ما عاش عليه، فمن عاش على الإسلام مات على الإسلام، أنتم تعيشون على هذا الدين وتعيشون له.

فلهذا يجب أن تكون مهمة طالب المعهد الديني هي: أنْ يحمل هم رسالة هذا الإسلام إلى المجتمع بجوارنا، وإلى الناس كافة بعد ذلك، إلى المسلمين في أنحاء العالم، وإلى غير المسلمين، هذه مهمتنا.

مهمة الداعية المسلم:

مهمتنا أن نتعلم في المعهد، أن نكون كالنحلة التي تنتقي من الأزهار، وتأكل من أطايب الثمار، ثم يتحول ذلك كله عندها وفي بطنها إلى شراب مختلف ألوانه، فيه شفاء للناس، إلى عسل، هكذا يتعلم

QaradawiBooks.com

طالب المعهد الإسلام، ويتلقى هذا وذاك مما يساعده على فهم الإسلام وفهم الحياة، من علوم اللغة وآدابها، ومن العلوم الشرعية بأنواعها، ومن العلوم التي يسمونها «العلوم الحديثة»، وليست بحديثة؛ لأنَّها علوم المسلمين، أخذها الغربيون عنهم! يتعلم هذا كله ويتذوقه، ويهضمه ويتمثله، ويُحوِّله إلى شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس، ينقله إلى المجتمع من حوله، فيُعلِّم الجاهل، ويهدي الحائر، ويُقوِّم المعوج، ويرد الشاردين إلى الله.

هذه مهمة الإنسان المسلم الداعية، مهمته في المجتمع من حوله أن يكون مُولِّد نور(دينامو كما يقولون) ينشر النور والضياء من حوله، يرجع الناس إليه؛ يتعلمون منه، يستفتونه، يعيد إلى الناس سيرة أولئك العلماء، الذين كانوا يتزاحم الناس عليهم ليتبركوا بهم؛ ويأخذوا عنهم، وما كان عندهم مال ولا دنيا، إنَّما كان عندهم علم، وكان عندهم دين، وكان عندهم قال الله، وقال الرسول؛ فكان الناس يأخذون عنهم، ويستفيدون منهم، ويمشون وراءهم، وكان هذا هو عز الدنيا الذي لم يدركه الملوك؛ كما قال القائل:

إنَّ الأكابرَ يحكمونَ على الورَى وعلى الأكابرِ يحكمُ العُلماءُ[1]

معرفة الإسلام الصحيح:

نريد من خرّيج المعهد الديني أن يكون داعية إلى الله في مجتمعه أولًا، فيمن حوله، بحكم حق الجوار، ثم بعد ذلك للمسلمين في أنحاء العالم حق، المسلمون قد غلبت عليهم تيارات دخيلة، تريد أن تقتلعهم

(١) نسبه الصفدي في الوافي بالوفيات (١٩٧/١٢) إلى الحسين بن إبراهيم ذو اللسانين، تحقيق أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، نشر دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

QaradawiBooks.com

من جذورهم؛ بجوار تلك المواريث التي ورثوها من عصور التخلف، المواريث التي لا تمت إلى الإسلام بصلة، الزوائد والشوائب، والبدع والمستحدثات، التي كدَّرت صفاء الإسلام!

هذه الجبرية في العقيدة، والخرافات والأباطيل والشركيات، التي أفسدت عقيدة التوحيد، والبدع والمستحدثات التي أفسدت العبادات، وأخلاق السلبية والضعف التي أفسدت الشخصية الإسلامية، كل هذا نحن في حاجة إلى أن نقاومه، ما ورثه بعض الناس من سلبية جاءت بها الأفكار المنحرفة التي تأثر بها المسلمون من الأمم المجاورة، ومما تُرجم إليهم ومما دخل عليهم من تراث الديانات والفلسفات، كل هذا ينبغي أن نعرفه وأن نقاومه في المجتمع.

البعد عن التيارات الدخيلة على الفكر الإسلامي:

نحن ندعو إلى الإسلام الأول كما أنزله الله، وكما دعا إليه رسول الله ﷺ، وكما فهمه الصحابة ومن تبعهم بإحسان، وكما طبقه الراشدون والمسلمون في عصورهم الأولى، نريد إسلامًا نقيًّا مصفًّى من هذه الشوائب، فعملنا مع المسلمين حيثما كانوا: أن ننقي الفكر الإسلامي، وننقي السلوك الإسلامي، وننقي الحياة الإسلامية مما دخل عليها من أوشاب وأوضار، هذه ناحية.

وناحية أخرى ما أدخلته التيارات الغازية التي غزت المسلمين في عقر دارهم، التيارات التي جاءت بها اليهودية العالمية، والشيوعية الدولية، والصليبية الغربية والشرقية، والتيارات العلمانية الانحلالية، كل هذه أدخلت على المسلمين مفاهيم وأفكارًا جديدة ليست من الإسلام في شيء، تلك التيارات التي فصلت الدين عن الحياة،

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

وعزلت الدولة عن الدين، ونادت بما يسمونه «العلمانية»، إلى آخر هذه الأشياء، تلك التيارات التي أدخلت الشبهات على مَن يسمونهم «المثقفين» من المسلمين الذين جهلوا حقيقة الإسلام، وجهلوا شمول الإسلام، وجهلوا توازن الإسلام، وقرؤوا عن كل شيء، ولم يقرؤوا عن الإسلام إلا قشورًا مشوهة؛ مما كتبه المستشرقون أو تلاميذ المستشرقين.

هذه التيارات المختلفة أوجدت في بلاد المسلمين فكرًا غير إسلامي، يقوم على تخريج هذا الفكر: معاهد ومدارس وجامعات، في شتى أنحاء العالم الإسلامي، وتنشره كتب وصحف ومجلات وبحوث، وراءها دول ومؤسسات؛ حتى أصبح الإسلام غريبًا في دياره، مضطهدًا بين أهله، أجنبيًّا في أوطانه.

مهمة الداعي إلى الإسلام ثقيلة:

وهذا كله يجعل مهمة الداعي إلى الإسلام مهمة ثقيلة، ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥]. الإسلام بطبيعته قول ثقيل؛ لأنَّه أمانة عُرضت على السماوات والأرض والجبال؛ فأبين أن يحملنها وأشفقن منها، وحملها الإنسان، التكاليف الإلٰهية ثقيلة بطبيعتها، وقد تجسدت هذه التكاليف في الإسلام، الذي حمل وحمى تركات النبيين جميعًا، ونقَّاها مما دخل عليها، وحمَّلها المسلمين.

وإذا كان الإسلام ثقيلًا؛ فإنه أثقل ما يكون في هذا العصر، حيث تقاومه قوى عاتية؛ تختلف فيما بينها وتتفق إذا كان الإسلام هو عدوها، كما قال فقهاؤنا: الكفر كله ملة واحدة. وصدق الله العظيم: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٣].

QaradawiBooks.com

أهمية الدعوة بين المسلمين في أنحاء العالم:

ومن هنا ينبغي أن نشعر بأهمية الدعوة بين المسلمين في أنحاء العالم، فهناك قوى تقف لهم بالمرصاد تريد أن تقتلعهم من جذورهم، وأن تهدم بنيانهم من أساسه، هكذا رأينا كل هذه القوى، رأينا الشيوعية لا تكتفي بغزو المسلمين من الداخل عن طريق أحزابها وعملائها في داخل البلاد الإسلامية، الأحزاب اليسارية والماركسية والشيوعية التي تعمل في الظاهر في بعض البلاد، يُسمح لها فيها علانية، وتعمل خفية وتحت الأرض وفي السراديب في بلاد أخرى، لم تكتف الشيوعية بغزو المسلمين من داخلهم حتى غزتهم من خارجهم بالجيوش والدبابات والطائرات كما رأينا ذلك في أرض أفغانستان المسلمة، الشيوعية تعمل على غزونا ماديًّا ومعنويًّا.

واليهودية كما رأيتم تعمل عملها، وقد أقامت دولتها في قلب ديارنا العربية والإسلامية، في أرض النبوات، الأرض التي بارك الله فيها للعالمين، التي ذكرها القرآن بالبركة في عدة آيات، في أرض المسجد الأقصى التي بارك الله حوله، في أرض الإسراء والمعراج أقام اليهود دولة لهم، سموها باسم «إسرائيل»، ولم يكتفوا بذلك، فهم يطمعون في أكثر من ذلك، ومُلك إسرائيل ـ كما يقولون ـ من الفرات إلى النيل، ولن يقر لهم قرار حتى يمزقوا البلاد الإسلامية من حولهم كما نشروا ذلك في بعض كتاباتهم، وكما نشر ذلك المفكر الفرنسي الذي هداه الله إلى الإسلام رجاء جارودي، هكذا يفعل اليهود.

والنصرانية بجبهاتها المختلفة تعمل على غزو المسلمين، الجبهة الكاثوليكية وعلى رأسها الفاتيكان وعلى رأسه البابا، هذه الجبهة التي تملك من المنشآت والمؤسسات في أنحاء العالم ما لا يقل عما تملكه

QaradawiBooks.com

روسيا وأمريكا، هذه الجبهة تعمل عملها في بلاد المسلمين، لقد زرت إندونيسيا أكثر من مرة، ووجدت هناك الإرساليات التبشيرية تعمل عملها لتنصير إندونيسيا، أكبر بلد إسلامي في العالم تعمل هذه الإرساليات على تنصيره، وقد رسموا لذلك خطة، ولهم هناك أكثر من خمسين مطارًا، تعرفون أنَّ إندونيسيا جزر، فهم يتنقلون بين هذه الجزر بالطائرات، لا بالقوارب ولا بالوسائل البدائية، وإنَّما بالطائرات، خمسون مطارًا محليًّا في قلب إندونيسيا تملكها الإرساليات.

الجبهة الكاثوليكية تعمل في العالم الإسلامي كله، وتعمل معها جبهة أخرى هي الجبهة البروتستانتية إحدى فرق النصرانية، ويرأس هذه الجبهة مجلس الكنائس العالمي، والجبهة الأمريكية هي جزء من هذه الجبهة، الجبهة الأمريكية وحدها اجتمعت في ولاية كلورادو سنة (١٩٧٨م). في صورة مؤتمر لبحث أحوال المسلمين وكيف ينصرونهم؟ فماذا صنعوا؟ وصلوا في دراسة أحوال المسلمين إلى أربعين بحثًا قُدِّم لهذا المؤتمر، وانتهوا إلى أنَّه لا بدَّ من تنصير المسلمين في العالم، ورصدوا لذلك ألف مليون دولار، وجمعوا بالفعل هذا المبلغ، وأقاموا معهدًا لتخريج المبشرين أسموه «معهد زويمر» نسبوه إلى واحد من عتاة المبشرين هو زويمر المبشر المعروف، هذا المعهد لتخريج الدعاة لتنصير المسلمين، وهكذا بدأ القوم، ورسموا خططهم، وبدؤوا يمارسون نشاطهم بالفعل، هذا ما تفعله الجبهة البروتستانتية، وكذلك الجبهة الأرثوذكسية في مصر والحبشة واليونان وغيرها تعمل أيضًا، ليست نائمة ولا غافلة، إنَّها تعمل ليل نهار.

الجبهة الشيوعية تعمل، والجبهة اليهودية تعمل، والجبهة النصرانية تعمل، حتى الجبهة الوثنية تعمل، عباد البقر يعملون لنشر دينهم

QaradawiBooks.com

ولمقاومة كل من يدخل من هؤلاء في دين غير دينهم، من يدخل في الإسلام من الوثنيين في الهند يتعرض لفتنة، ويتعرض لعذاب، حتى المسلمون القدامى من أهل البلاد يتعرضون للقتل والإبادة الجماعية كما قرأتم وسمعتم عما يحدث في ولاية آسام الهندية.

كل الجبهات تعمل لتخريب المسلمين وغزوهم، وإخراجهم من دينهم. والمسلمون عن ذلك غافلون، المسلمون في غفلة لاهون، وفي غمرة ساهون، وبتوافه الأمور مشغولون، وبصراع بعضهم لبعض منهمكون!

دور الدعاة في حماية المسلمين من هذه الغزوات:

لا بدَّ إذنْ من دعاة يعملون على حماية المسلمين من هذه الغزوات، من هذه الهجمات الخطرة الشرسة، لا بدَّ من دعاة يُفقِّهون المسلمين بحقيقة دينهم، يعطون المسلمين حصانة مناعة، ويصبون في عروقهم دمًا جديدًا، ومصلًا جديدًا ـ مصلًا هو فهم الإسلام على حقيقته ـ ويقفون حُرَّاسًا أيقاظًا أن تُنتقص أطراف المسلمين أو تُنتهك حرماتهم.

مهمة المعهد الديني أن يساهم في تخريج مثل هؤلاء الدعاة الحراس، الحفاظ الخفراء، الذين يقف كل منهم ديدبانًا حارسًا يقظًا: أن يُنتهك عرض الإسلام، أو تُداس أرض الإسلام، أو يخرج مسلم عن دينه بفعل الفاعلين وتضليل المضللين، هذه مهمة.

دعوة غير المسلمين إلى الإسلام:

ومهمة أخرى للداعية المسلم هي الدعوة إلى الإسلام في العالم كله، دعوة غير المسلمين، إنَّ علينا مهمة نحو الناس في العالم، الإسلام بطبيعته دين انتشاري، دين أنزله الله لينتشر وليعم ضياؤه

QaradawiBooks.com

العالمين، فهو دين عالمي، أول آية في القرآن بعد البسملة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]. وآخر سورة في القرآن: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۞ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۞ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١ ـ ٣]. فليس ديننا دينًا إقليميًّا ولا عنصريًّا، إنَّه دين العالم، دين العالمين، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]. هو دين عالمي بطبيعته، ولذلك لا يقبل أبدًا أن يُحبس في قمقم، أو يُسجن في أرض، لا بدَّ أن ينتشر كما ينتشر ضوء الشمس، لا يحجبه حاجب، ولا يقف دونه حاجز.

ولهذا ينبغي أن ننشر الإسلام في العالم كله، لا بدَّ أن نوصل دعوة الإسلام ورسالة الإسلام إلى أمم الأرض أيًّا كان دينها، أيًّا كان مذهبها، أيًّا كان موقعها، وسيسألنا الله عن هذه الأمم: لماذا لا نوصل إليها، ولم نوصل إليها دعوة الإسلام مُشوِّقة تلفت النظر، وتحمل على التفكير والبحث؟

مسؤوليتنا عن أمم الأرض:

نحن مسؤولون عن هذه الأمم جميعًا، وإذا كان القرآن قد نزل بلسان عربي مبين؛ فإننا بواسطة الترجمة قادرون على أن ننقل أفكار الإسلام ومعاني الإسلام إلى الأمم الأخرى.

والنبي ﷺ حينما أتيحت له أول فرصة، حينما عقد صلح الحديبية بينه وبين قريش: لم يتلكأ ولم يتردد في تبليغ رسالته إلى الأمم الأخرى؛ فبعث إلى كسرى وقيصر، والنجاشي والمقوقس، وغيرهم من الأمراء؛ يبلغهم الدعوة، ويحملهم المسؤولية، «**أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين**»،

QaradawiBooks.com

وإلا فإنما عليك إثم المجوس[١] أو إثم الأريسيين[٢] أو إثم القبط[٣]، إلى آخره، ويختم رسالته إلى أهل الكتاب بهذه الآية: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

حاجة الإنسانية إلى دين الإسلام:

لا بدَّ أن ننقل الإسلام إلى هذه الأمم، وهذه الأمم أحوج ما تكون إلى الإسلام، صحيح أنَّها استطاعت أنْ تملك أزِمَّة التكنولوجيا الحديثة المتطورة، استطاع الإنسان هناك أن يغوص في البحر كالحوت، وأن يُحلق في الهواء كالطير، ولكنَّه كما قال أحد الفلاسفة: لم يحسن أن يمشي على الأرض كإنسان. استطاعوا أن يصلوا إلى سطح القمر؛ إلا أنَّهم عجزوا أن يسعدوا الإنسان على ظهر الأرض.

الإنسان على ظهر الأرض شقي تعيس، يشعر بالقلق النفسي، لا يجد ما يطمئن قلبه، لا يجد ما يشبع نهمه الروحي، ويملأ فراغه العقائدي، ولعلكم سمعتم عن ثورة الشباب في أوربا وأمريكا، ما يسمونهم «الخنافس أو الهيبيز» أو غير هؤلاء، هي في الحقيقة ثورة على الحضارة المادية الآلية، التي يسَّرت للإنسان سبل الحياة؛ ولكنها لم تشعره بطعم الحياة، الحياة لا معنى لها عند هؤلاء.

(١) رواه الطبري في التاريخ (٦٥٤/٢)، وحسنه الألباني في تخريج أحاديث فقه السيرة صـ٣٥٦.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في بدء الوحي (٧)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٧٣)، عن أبي سفيان بن حرب.

(٣) رواه الزبير بن بكار في المنتخب من كتاب أزواج النبي ﷺ صـ٥٥، تحقيق سكينة الشهابي، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.

QaradawiBooks.com

يتساءل الإنسان: ما رسالتي؟ ما هدفي؟ لماذا أعيش؟ ولماذا خُلِقت أصلًا؟ من أنا؟ ومن أين جئت؟ وإلى أين أذهب؟ ولماذا خُلِقت؟ فلا تستطيع الحضارة المادية أن تجيبه عن هذه الأسئلة الخالدة التي فكر فيها الإنسان من قديم، ولم يجد جوابها إلا في الدين، إلا في ظل الإيمان، وخاصة في ظل الإسلام.

الحياة بلا إيمان حياة تعيسة بائسة:

الأمم المتحضرة هذه تعيش حياة تعسة، حياة لا يشعر فيها الإنسان بالأمان ولا بالاطمئنان، لا الأمان المادي ولا الأمان المعنوي، كما لا يشعر الإنسان فيها بالمحبة؛ لأنَّ الناس يعيشون فيها لأنفسهم ولأغراضهم العاجلة، لا يفكرون في آخرة، ولا يفكرون في شيء، فأصبحت الأغراض المادية الأنانية هي التي تحكم الناس.

سئل رئيس جمعية الرفق بالحيوان في باريس، قال: إن في فرنسا حوالي سبعة ملايين كلب وقطة يقتنيها الناس، وينفقون عليها مثلما ينفقون على أولادهم أو أكثر. فلما سئل عن سر هذه الكثرة قال: إنَّ الإنسان في حاجة إلى أن يُحِب ويُحَب، فلما فرغت نفوس الناس من عواطف المحبة والأخوة بين الأب وبنيه، والمرأة وزوجها، والأخ وأخيه بحث الناس فوجدوا هذه الحيوانات أكثر مودة وأكثر وفاء؛ فاقتنوها ليفرغوا فيها عواطفهم!

الإنسان هناك ـ رجلًا كان أو امرأة ـ بعد أن يشيب ويكبر أبناؤه وأحفاده ويتفرقوا يعيش وحده، لا يجد أحدًا، حتى قال لي بالأمس أحد الإخوة الذين يزورونا هنا من ألمانيا، قال: في مدينة ميونخ كان هناك رجل كبير يعيش في فيلا، وليس معه أحد، تفرَّق أولاده في كل مكان،

QaradawiBooks.com

ثم مات الرجل في الفيلا، وبقي شهرًا وشهرًا إلى ثمانية أشهر ولم يحس به أحد، كل ما في الأمر أنَّ الموظف الـذي كان يذهب إليه هذا الرجل في أحد البنوك ـ ليصرف منه جزءًا من معاشه ـ لاحظ أنَّه لم يحضر من مدة طويلة، ففكر في هذا الأمر، ثم مر شـهران فقال: لا بدَّ أن يكون قد حدث لهذا الرجل شـيء. فأبلغ الشرطة، وذهبت الشـرطة فوجدت أنَّ الرجل قد مات من ثمانية أشـهر، وله ولد هناك وبنت هنا وحفيد هنا.. ولم يسأل عنه أحد!

ليست هذه هي حضارة الإنسان:

أي حضارة هذه؟ حضارة مادية فردية أنانية، حضارة الحيوانية، ليست حضارة الإنسانية، فهذه الأمم في حاجة إلى رسالة تهديهم وتأخذ بيدهم، في حاجة إلى من يأخذهـم من هذه المادية القاتلـة، من هذه الأخلاق المنحطة، التحلل الأخلاقي الذي وصل بهؤلاء إلى الحضيض؛ فأصبح كل شيء مباحًا، الأعراض كلأ مباح، ولم يشبعهم شيء من هذا، لا تظنوا أنَّ الإباحية الجنسـية قد حلت المشـكلة، في السـويد حرية العلاقات الجنسية قائمة، ولكنهم يشكون من الانتحارات التي لا تنتهي، أكثر بلد في العالم فيه حوادث انتحار، ومعظمها من الفشل في الحب والعلاقات الجنسـية، لأن البنت الجميلة يجـري وراءها خمسـون، وغير الجميلة لا تجد أحدًا، فماذا تفعل؟ قد تقتل نفسـها، والـذي يغتصب فتاة رغمًا عنها قد يقتلها ويذيب جثتها بسـائل حامضي فلا يبقي لها من أثر، هذه هي حضارة هؤلاء، التحلل الأخلاقي، حتى أباحوا الشذوذ الجنسي، بل إنَّ بعض الكنائس للأسف باركت الشذوذ الجنسي، واعتبرته شيئًا مباحًا، هذا انقلاب للفطرة، وحضارة هؤلاء حضارة خبيثة، حضارة نجسة!

QaradawiBooks.com

لا ينقذ هؤلاء إلا الإسلام:

هؤلاء الناس في حاجة إلى من ينقذهم مما هم فيه، فمن ينقذهم؟ هل تنقذهم المسيحية؟ لا تستطيع المسيحية المحرَّفة المبدلَّة أن تنقذهم؛ لأنَّها ديانة لا تستطيع أن تحتفظ بالحياة مع الدين، إما أن ترضى بالدين، وإما أن ترضى بالحياة، فالمسيحية لا تستطيع أن تقيم التوازن بين الدين والدنيا، ولا أن تقيم التوازن بين العقل والقلب، لأن الدين هناك شيء وراء العقل، شيء لا يخضع للتفكير، الدين هناك لا يقبل المناقشة في شيء، شعارهم: اعتقد وأنت أعمى، أغمض عينيك ثم اتبعني، الجهالة أمُّ التقوى. هذه هي شعاراتهم، فهذه الديانة لا تستطيع أن تأخذ بأيدي هؤلاء الناس في عصر وصل فيه العلم إلى ما وصل إليه.

كما لا تستطيع اليهودية أن تقوم بهذا الدور؛ لأنَّ اليهودية بطبيعتها دين انعزالي، وهو دين لا روحانية فيه، يخلو من هذه الدفقة الروحية، الآخرة لا يكاد يوجد لها ذكر في الكتاب المقدس، في أسفار التوراة لا تجد ذكرًا لله ولا للآخرة، ولا للجنة وللنار، كلها أحاديث عن الدنيا، حتى لو قال: أطع الله أو كذا. يقول: ليعطيك أولادًا أو مالًا أو كذا. أمَّا الأجزية الأخروية فلا ذكر لها، فهذه اليهودية لا تستطيع أن تملأ الفراغ عند هؤلاء الناس، واليهود الذين عاشوا في المجتمعات كلها طفيليين، يأخذون ولا يعطون، ويتغذون من دماء الشعوب كالعلقات الطفيلية، هؤلاء لا يمكن أن يكونوا دعاة دين، هؤلاء هم أكبر المرابين في العالم، هم وراء المؤسسات الربوية، مهمتهم أن يمتصوا دماء الآخرين، وأن يعملوا على هدم المجتمعات ليبنوا أنفسهم على أنقاضها، فمثل هؤلاء لا يصلحون دعاة ولا هُداة.

QaradawiBooks.com

والشيوعية التي تعالج المادية بمادية أبشع منها، الشيوعية تنكر كل شيء لا يدخل المختبر، لا يدخل في مجال الحس، إذا قلت لهم: الله أو الوحي أو الآخرة. قالوا لك: هل رأيته بعينك؟ هل سمعته بأذنك؟ هل شممته بأنفك؟ هل لمسته بيدك؟ هل ذقته بلسانك؟ كل ما لا يدخل تحت الحس مرفوض عندهم، فهذه الديانة كما يسميها بعض الناس «الأديان الملحدة»؛ لأنَّها تستخدم أيضًا أسلوب الدين، فهذه العقائد الإلحادية المادية الصرفة لا يمكن أن تشبع نهم الناس في تلك المجتمعات.

لم يبقَ إلا الإسلام منقذًا لهؤلاء، الإسلام وحده هو الدين القادر على أن ينقذ أمم الأرض مما هي فيه، الدين الذي يربط الأرض بالسماء، ويصل الدنيا بالآخرة، ويجمع بين العقل والقلب، بين الروح والمادة، بين حق الفرد ومصلحة المجموع، يوازن بين الحقوق والواجبات، دين الوسطية، دين الصراط المستقيم، ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]، ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ٦].

الإسلام وحده هو القادر على أن يقدم للإنسانية المعذبة قارورة الدواء، صيدلية الشفاء، من كتاب الله ومن سُنَّة رسوله، من الإسلام الصحيح. ولكن متى يقدر الإسلام على هذا؟ إذا قام به دعاة فاهمون صادقون متجردون، مشكلتنا أننا لا نجد هذا النوع من الدعاة إلا قليلًا.

ضعف الجهود الدعوية للمسلمين:

وأقول لكم بصراحة: نحن للأسف أقل الأمم في هذه الناحية رغم أن ديننا دين دعوة، التنصير يجند الآلاف المؤلفة من المبشرين والمبشرات، رجالًا ونساءً، رأيتهم في كل مكان، يأتون من البلاد الباردة إلى البلاد الحارة، إلى خط الاستواء في أفريقيا أو في آسيا، يعيشون في الأدغال، في

QaradawiBooks.com

الغابات، بين القبائل الهمجية، لا يبالون بهذا من أجل نشر دينهم، وأي دين هذا؟ إنَّه دين باطل يقول: الله ثالث ثلاثة: الأب، والابن، والروح القدس. الثلاثة واحد، والواحد ثلاثة! ابن حزم يقول: لو لم نرَ هؤلاء الناس بأعيننا، ونسمعهم بآذاننا، ونجادلهم بألسنتنا.. ما صدقنا أن في الوجود من يقول هذه المقالة الباطلة، مقالة التثليث[1]. ولكن هذه المقالة وجدت لها دعاة، ووجدت لها مبشرين في كل مكان في العالم، أين نحن المسلمين؟!

نحن في حاجة إلى الدعاة الذين يحملون رسالة الإسلام: فكرة واضحة في رؤوسهم، وعقيدة راسخة في قلوبهم، وخُلقًا ينظم حياتهم وسلوكهم وفقًا لأمر الله تعالى ونهيه، نحن نريد هذا الداعية المسلم الذي يعمل لتنوير مجتمعه من حوله، ويعمل لتنوير العامة وتفقيه الخاصة في المجتمع من حوله، ثم ينطلق إلى الشعوب الإسلامية في أنحاء الأرض ليهديها إلى الإسلام الصحيح، ويقاوم التيارات الضالة المضلة، ثم ينطلق إلى أمم الأرض في كل مكان لينشر رسالة الإسلام.

مهمة المؤسسات الدينية:

نحن نعتقد أنَّ هذه هي مهمتنا، مهمة المؤسسات الدينية: المعهد الديني، وكلية الشريعة، والجامعات الإسلامية، مهمتها أن تخرج هذا اللون من الدعاة الذين تحتاج إليهم البشرية في كل مكان الآن.

إنَّ طالب المعهد مهمته أن يكون داعية إلى الله، قد يتخرج في كلية الشريعة، أو في كلية أصول الدين، أو في كلية اللغة العربية، أو في كلية الطب، أو في كلية الهندسة، أو في أي عمل يكون، ولكنَّه يجب أن يكون داعية حيثما كان.

(١) الفصل في الملل والأهواء والنِّحَل (٤٨/١)، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة.

QaradawiBooks.com

لا تظنوا أنَّ المبشرين الذين ينتشرون في العالم مجرد لاهوتيين، لا، بل منهم الطبيب والمهندس، والزراعي والتجاري؛ فرغوا أنفسهم للدعوة. بجوار بيتنا في مصر كنيسة يقوم عليها قسيس، هذا القسيس هو طبيب جرَّاح عظام، كان في الجيش برتبة كبيرة، ترك الجيش، وترك مهنة الطب، وكان يمكنه أن يفتح عيادة وأن يكسب منها الكثير، ولكنَّه فرَّغ نفسه لخدمة دينه، وخدمة المسيحية كما يراها، فنحن في حاجة إلى أناس يعيشون للإسلام، يعيشون لهذا الدين، وينشرونه في الآفاق.

الدعوة طبيعة المسلم:

والمسلم بطبيعته داعية، لأنَّ الله ﷻ حينما خاطب الرسول ﷺ، وخاطب كل من يصلح للخطاب من بعده قال: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥]. هذا خطاب لكل مسلم، الدعوة إلى سبيل الله، كل مسلم داعية، كل أتباع رسول الله ﷺ دعاة، كما قال الله تعالى في خواتيم سورة يوسف: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨]. فإن كنت ممن اتبع رسول الله ﷺ فأنت داعٍ إلى الله، وداعٍ إلى الله على بصيرة.

مسؤولية طالب المعهد الديني:

إذا كان هذا شأن المسلم عامة؛ فإنَّ طالب المعهد الديني الذي يعيش في ظلال الإسلام وعلومه ودراساته، وكل ما يعينه على فهم هذا الدين، وفهم الحياة من حوله ـ أوْلى وأجدر أن يعيش للدعوة إلى الإسلام.

وعليه أن يعمل على تكوين نفسه؛ لكي يدعو إلى الله على بصيرة، ولتكون دعوته إلى الإسلام عن بينة، وعلى نور، يدعو إلى شيء يفقهه

QaradawiBooks.com

ويهضمه ويفهمه، ولذلك كان لا بدَّ للداعية من علم ومن ثقافة: ثقافة الداعية، وعلم الداعية، وفقه الداعية، لا بدَّ لمن يدعو إلى الإسلام أن يعرف إلى أي شيء يدعو؟ يدعو إلى الإسلام، فما هو هذا الإسلام؟ ما عقيدة الإسلام؟ ما شريعة الإسلام؟ ما عبادات الإسلام؟ ما خلق الإسلام؟ ما نظام الإسلام للحياة، للأسرة، للمجتمع، للحكومة، للعلاقات الدولية؟

الدراسة الرسمية ليست كل شيء:

لا بدَّ أن يدرس الإسلام دراسة مستفيضة، والمعهد يعين على ذلك، ولكن الدراسة الرسمية ليست كل شيء، فالدراسة الرسمية وحدها لا تكفي، وخاصة أن فكرة الامتحانات قتلت العلم، للأسف إنَّ كثيرًا من الطلاب يدرسون للامتحان، فإذا انتهى الامتحان انتهى كل شيء، حتى إنَّ بعضهم بعد أن ينتهي الامتحان يمزق الكتب أو يرميها في الطرقات، ولعل فيها من آيات الله وأحاديث رسوله ما لا يليق أن يُمتهن، إن في هذا الغول الذي يأكل العملية التربوية غول خطر: أن نذاكر ونستوعب من أجل الامتحان فقط، لا، إذا جاز هذا في أي مدرسة فلا يجوز لطالب المعهد الديني.

عليك إذنْ أن تدرس لتفهم السلام، لتهضم هذا الدين، لتعرفه عن بينة، ولا تكتفي بهذا، اقرأ في الكتب الأخرى، استرشد بأساتذتك، وانتفع بالمكتبة، واقتنِ من الكتب ما يؤهلك لأن تكون عالمًا من علماء المسلمين، وأن تكون داعية إلى الله بحق، لا بدَّ أن تقرأ وتدرس، وتحسن ما تقرأ. قال حكيم: أخبرني ماذا تقرأ أخبرك من أنت. هل تقرأ الروايات وتقرأ الكلام الفارغ، أم تقرأ الشيء النافع؟

QaradawiBooks.com

أُمَّة اقرأ لا تقرأ:

عيب أُمَّتنا أنَّها أُمَّة لا تقرأ، أقل الأمم قراءة للأسف الأمة العربية والإسلامية، أرى الخواجات حيثما سافرت يقرؤون، في الطائرة يقرأ، في القطار يقرأ، على الشاطئ يقرأ، في الحديقة معه كتاب يقرأ، أمَّا نحن فلا نكاد نقرأ، لا بدَّ أن نداوم على القراءة والانتفاع، واطلب العلم من المهد إلى اللحد، كان السلف يقولون: إنَّ العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك. أنت تعطيه كل جهدك، وكل وقتك، وكل فكرك، وهو يتفضل عليك بالبعض فقط، فما بالك بمن لا يعطي العلم إلا شيئًا ضئيلًا من وقته وجهده، ماذا يعطيه العلم؟!

حاول أن تتعلم، حاول أن تسجل في مفكرة عندك، في كشكول، اقرأ أحسن ما يُؤلَّف، واكتب أحسن ما تقرأ، واحفظ أحسن ما تكتب، وحدث بأحسن ما تحفظ!

كان الإمام عبد الله بن المبارك يمشي في الطريق يومًا؛ فرأى رجلًا سكران يتغنى ببيت من الشعر فأعجبه بيت الشعر، فأخرج كراسته وكتب فيها هذا البيت، فقيل له: أتكتب عن سكران؟! فقال لهم: أَمَا سمعتم المثل القائل: رُبَّ جوهرة في مزبلة. فهذه مزبلة خرجت منها هذه الجوهرة فأنا أكتبها[1]. كانوا يلتمسون الحكمة من أي وعاء خرجت، والحكمة ضالة المؤمن أنَّى وجدها فهو أحق الناس بها.

لا بدَّ من العلم والإيمان للداعية:

هكذا يجب أن تعد نفسك بالعلم الذي لا بدَّ منه، علم الدين وعلم الدنيا، وعلم الحياة، اعرف التيارات المعاصرة، والقوى المعادية

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه (١٣٥/٦، ١٣٦)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

QaradawiBooks.com

للإسلام، واقرأ عنها حتى تعرف من أصدقاء الإسلام ومن أعداؤه، فلا بدَّ من علم للداعية.

ولا بدَّ للداعية مع العلم من الإيمان، أن يؤمن برسالته، أن يؤمن بأنه يحمل أعظم رسالة في الوجود، رسالة رسول الله ﷺ، يحمل الإسلام الذي بعث الله به خاتم رسله، وأنزل به آخر كتبه ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، وليهدي الإنسانية إلى الصراط المستقيم.

الاعتزاز بالإسلام:

لا بدَّ أن يؤمن بهذا ويعتز به، فيشمخ بأنفه، ويرفع رأسه عاليًا، قل: أنا مسلم، إنَّني من المسلمين، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]. أقولها مباهيًا مفاخرًا؛ فأنا أحمل أعظم رسالة، وأنا وارث رسول الله ﷺ، كان المسلم الأول يقول:

أبي الإسلامُ لا أبَ لي سواهُ ... إذا افتخروا بقيسٍ أو تميمِ[1]

وقد سمعتم الشاعر يقول:

يا أخي في الشرقِ أو في المغربِ ... أنا منكَ أنتَ مني أنتَ بِي
لا تَسَلْ عن عُنْصري أو نسبِي ... إنَّهُ الإسلامُ أمي وأبِي
إخوةٌ نحن به مؤتلفون[2]

(١) من شعر نهار بن توسعة اليشكري. انظر: الكامل في اللغة والأدب (١٣٣/٣)، نشر دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

(٢) انظر ديواننا: نفحات ولفحات صـ٢٤٣، نشيد: مسلمون، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م.

QaradawiBooks.com

هكذا ينبغي أن ننظر إلى الإسلام أنَّه نسبنا، وأنَّ به أبوتنا وأمومتنا وأخوتنا، وأنَّه كل شيء في حياتنا، نحن بالإسلام كل شيء، وبغير الإسلام لا شيء، والله لو تركنا الإسلام ماذا تكون قيمة هذه الأُمَّة؟ بغير الإسلام ماذا تكون؟ وما مبرر وجودها إذا لم تبقَ للإسلام؟ لا مكان لها ولا وجود لها بغير الإسلام!

إذا انتصر في بلاد المسلمين التيار الاشتراكي الماركسي مثلًا فهل هذا انتصار لنا؟ هذا انتصار لروسيا أو للصين! وإذا انتصر التيار الرأسمالي في بلادنا فهل هذا انتصار للمسلمين؟ لا، هذا انتصار لأمريكا أو إنجلترا أو فرنسا، إنَّما ننتصر يوم ينتصر الإسلام فينا.

ولذلك يجب أن نعتز بالإسلام ونؤمن بهذا الدين إيمانًا عميقًا لا يعتريه شك، ولا يداخله ريب، هذا إيماننا، الداعية في حاجة إلى علم، وفي حاجة إلى إيمان، إيمان راسخ بأنه على الحقِّ، وأنَّ الله ناصره لا محالة.

الأُمَّة الإسلامية تملك الرسالة الروحية:

نحن نعتقد أننا من الناحية المادية أضعف من القوى الأخرى، لا نملك ما تملك اليهودية، ولا ما تملك النصرانية، ولا ما تملك الشيوعية، ولا ما تملك الجبهات الأخرى، ولكننا نملك الإيمان بأننا على الحق، نملك هذه الرسالة الروحية، نملك أعظم كتاب في الوجود: القرآن، هذه الوثيقة التي لم يعترها تغيير ولا تبديل، الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]. ونملك بيانه من كتاب الله وسنة رسوله، ونملك السيرة العطرة: سيرة محمد صلى الله عليه سلم، ليس عند أُمَّة من الأمم سيرة نبيها كاملة أبدًا، ونحن عندنا سيرة النبي من الميلاد إلى الوفاة،

QaradawiBooks.com

سيرته في حياته الخاصة والعامة، فأي أُمَّة تملك ما نملك نحن؟ يجب أن نعتز بهذا، وأن نؤمن به، فلا بدَّ من علم، ولا بدَّ من إيمان.

غير مرخصة للطباعة

أخلاق الداعية المسلم:

ولا بدَّ بعد ذلك من خُلُق، خلق الداعية، خلق العالم الذي يجند نفسه للدعوة إلى الله، لا بدَّ أن يتخلق بأخلاق الدعاة، أي بأخلاق النبوة، ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، «**إنَّما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»[(١)]. الذي ينتسب إلى الإسلام ويعيش في ظلال قرآنه وسُنَّته، لا بدَّ أن يحمل خُلُق الإسلام: خُلُق النظافة والطهارة والشرف، والنصيحة للإسلام والمسلمين، والإخلاص لله ﷻ، والإقامة لفرائض الله، وإحلال ما أحل الله، وتحريم ما حرم الله، والانتهاء عن الفواحش: ما ظهر منها وما بطن، والشجاعة في الحق، والثبات على الحق، والاعتزاز بهذا الدين.

نماذج إسلامية رائدة:

تلك الأخلاق الإسلامية، أخلاق علمائنا الأولين، الذين عاشوا لهذا الدين شرفاء قممًا؛ ينظر الناس إليها فيرونها شامخة سامقة، يجب أن نحيي عهد هؤلاء، وأن نعيد سيرتهم كما كانت من قبل، نريد أن نعيد عهد الأئمة الأربعة ومن بعدهم؛ مثل عز الدين بن عبد السلام، وابن تيمية وغيرهم.

دخل الإمام أحمد بن حنبل السجن وابتُلي وأُوذي في الله من أجل رأي له!

قِفْ دُون رأيكَ في الحياةِ مجاهدًا إنَّ الحياةَ عقيدةٌ وجهادُ[(٢)]

---

(١) سبق تخريجه صـ٥٢.

(٢) البيت لشوقي نظمه للأستاذ محمد توفيق دياب صاحب جريدة الجهاد، وقد جعله بعدُ شعارًا لجريدته. انظر: أبي شوقي لحسين أحمد شوقي صـ١٦٥، نشر مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٧م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فوقف الإمام دون رأيه، ودون اعتقاده، وتقبل السجن والتعذيب، وكان يمكنه أن يستسلم، أو يورِّي، أو يلوي بعض الألفاظ؛ فيخرج من الأزمة والمحنة، ولكنَّه رفض إلَّا أن يقول الحقَّ، ولينله ما ينال المؤمنين الصابرين.

وكذلك وقف ابن تيمية عند رأيه في أمور في الدين، وكاد له الكائدون من أولئك الجامدين والمتزمتين والحاسدين؛ حتى أدخلوه السجن أكثر من مرة، وقضى نحبه في السجن ولم يبالِ، دخل سجن القلعة في دمشق ونظر إلى سورها وقال في اطمئنان، قال في ثقة المؤمن وإيمان الواثق: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣]. قال رَحِمَهُ اللَّهُ: المحبوس من حبس قلبه عن ربه، والمأسور من أسره هواه[١].

ولما هدَّده المهددون قال: ماذا يصنع أعدائي بي؟! نفيي هجرة، وسجني خلوة، وقتلي شهادة[٢]. أي إذا نفوني من بلدي إلى آخر فهذه هجرة إلى في سبيل الله، وإذا سجنوني فسجني خلوة في عبادة الله أتفرغ فيها للطاعة، وإذا قتلوني فقتلي شهادة في سبيل الله، هذه أخلاق العلماء، أخلاق الدعاة.

الأخوة بين الدعاة:

يا أيها الأبناء، نحن في حاجة إلى أن نتسلح بالعلم، ونتسلح بالإيمان، ونتسلح بالخلق والاستقامة، ونتسلح بعد ذلك بالأخوة فيما

(١) نقل ذلك عنه تلميذه ابن القيم في الوابل الصيب صـ٤٨، تحقيق سيد إبراهيم، نشر دار الحديث، القاهرة، ط٣، ١٩٩٩م.

(٢) المصدر السابق صـ٤٨.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

بيننا، يجب أن نكون إخوة متحابين، نحن أبناء الإسلام، إليه انتسابنا، كما سئل سلمان الفارسي: ابن من أنت؟ قال: أنا ابن الإسلام[١]. كان يمكنه أن يقول: أنا ابن فارس، أنا ابن كسرى أنوشِرْوان، أنا ابن كذا. ولكنَّه رفض الجاهلية كلها، وأبَى إلا أن ينتسب إلى الإسلام وحده فقال: أنا ابن الإسلام. ولذلك كافأه النبي ﷺ؛ فنسبه إلى بيته الشريف، وإلى ذاته الكريمة، وقال: «**سلمان منا أهل البيت**»[٢]. نسبه إلى نفسه وآله وبيته.

هكذا ينبغي أن تكون الأخوة فيما بيننا هي العروة الوثقى التي تجمع فيما بيننا، أن يحب بعضنا بعضًا، لأننا أبناء دين واحد، يربطنا الإيمان ويربطنا العلم، والعلم رحم بين أهله، وتربطنا الدعوة؛ لأننا كلنا دعاة إلى هذا الدين.

كما يربطنا أيضًا أننا نعمل في وجه جبهات تتألب وتتكالب كلها ضدنا؛ فيجب أن نكون صفًّا واحدًا ضدها، كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤]. ونحن نقاتل ولكنَّه ليس قتالًا بالسيف، إنَّه قتال بالفكر، قتال بالقلم، قتال باللسان!

خطورة الغزو الفكري وأهمية مواجهته:

والغزو الفكري الذي نتعرض له الآن هو أشد أنواع الغزو في حياتنا، يجب أن نواجه الفكر بالفكر، والحجة بالحجة، والبيان بالبيان، ونحن أصحاب الفكر الأقوى، والدين الأقوى، والسلاح الأقوى، ولا يفل

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٥٤٤/١).

(٢) رواه الطبراني (٢١٢/٦)، والحاكم في معرفة الصحابة (٥٩٨/٣)، وسكت عنه، وقال الذهبي: سنده ضعيف. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠١٣٧): رواه الطبراني، وفيه كثير بن عبد الله المزني، وقد ضعفه الجمهور، وحسَّن الترمذي حديثه، وبقية رجاله ثقات. عن عمرو بن عوف.

QaradawiBooks.com

الحديد إلا الحديد. وإن عقيدتنا أنَّ للإسلام دولة قبل قيام الساعة، وأنَّ له ظهورًا وبروزًا، وأنَّ هذا ما نطق به القرآن، وما نطقت به السُّنَّة، وصدق الله العظيم: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۞ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٢، ٣٣].

تصحيح نيَّة طالب العلم:

يا أبناء هذا المعهد، اعرفوا مهمتكم، افقهوا رسالتكم، عضوا عليها بالنواجذ، اعرفوا أنَّكم دخلتم هذا المعهد لهذه الرسالة، حتى من دخله لغير ذلك يجب أن يصحح نيته، دخل الإمام الغزالي وأخوه مدرسة من المدارس لفقرهما، لأجل أن يأكلا ويشربا فيها ويناما، وصار الغزالي هو الغزالي بعد ذلك حجة الإسلام، وقال كلمته المعروفة: طلبنا العلم لغير الله فأبَى العلم أن يكون إلا لله[1]. أي طلب علم الدين لمصلحة دنيوية في أول الأمر، ولكن علم الدين وجَّهه في النهاية إلى الله، فاجعلوا الله وجهتكم، اجعلوا الله غايتكم، اجعلوا رضا الله والآخرة نصب أعينكم، اجعلوا شعاركم: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۞ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١ ـ ١٦٣].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

(١) انظر: إحياء علوم الدين (٤٩/١).

QaradawiBooks.com

٨

وصايا للدعاة[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تتنزَّل الخيرات والبركات، وبتوفيقه تتحقق المقاصد والغايات، والصلاة والسَّلام على مَنْ أرسله ربُّه رحمةً للعالمين، وحجةً على الخلق أجمعين، سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، الذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه، واتَّبعوا النور الذي أُنزل معه. أولئك هم المفلحون، ورضي الله عمَّن دعا بدعوته، واستنَّ بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

خير ما أحيِّيكم به أيها الإخوة والأخوات تحيةُ الإسلام، وتحية الإسلام السَّلام، فالسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وأحمد الله تبارك وتعالى قبل كل شيء: أنْ جعلنا من المسلمين، فإنَّ أعظم نعمة منَّ الله بها علينا هي نعمة الإسلام، وأود بين يدي هذا الحوار أن أوصي إخواني الدعاة بأربع وصايا:

(١) فقه الإسلام:

الوصية الأُولى هي فقه الإسلام، فإنَّ مما عَنَى الإسلام به أتباعه

(١) ألقيت المحاضرة في جامعة الأمير عبد القادر بالجزائر، في يناير ١٩٨٩م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

أن يتفقَّهوا في الدين، فنحن في حاجة إلى أن نفقه الإسلام، الفقه الذي قال عنه الرسول ﷺ: «**مَن يُرد اللهُ به خيرًا يُفقِّهه في الدِّين**»[(١)]. والذي قال فيه القرآن: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]. ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٦٥]. وقال عن المنافقين والمشركين: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [الحشر: ١٣]. وقال: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩]. والمقصود بالفقه هنا الفقه في أحكام الله الشرعيَّة، والفقه في أحكام الله الكونيَّة.

بين العلم والفقه:

وأصل كلمة فَقَهَ هو فِقْه، أي فَهْمُ السِّر، الفهم الدقيق والعميق، وهناك فرق بين فقه الدين وعلم الدين، قد تعلم قشور العلم وظواهره، ولكنك لم تصل إلى أعماقه، تقف على السطح، ولم تغُص إلى العمق، هناك فرق بين علم الصلاة وفقه الصلاة، علم الصلاة أن يظل أحدهم يقرأ في الكتب، ويحفظ الأركان والواجبات والمستحبات، وأن شروط تكبيرة الإحرام كذا وكذا، ولكنَّه لا يفقه الصلاة حقًّا، فعندما يصلي ينقر الصلاة كنقر الديكة، يصلي صلاة المنافق كما سمَّاها النبي ﷺ[(٢)]، لا يَحضر فيها القلبُ، ولا يُراقب فيها الربُّ، ولا يستوي فيها الصُّلبُ، ولا تستقر فيها الجبهة على الأرض، ليس فيها خشوع الجوارح، ولا خشوع القلب، كما هي صلاة المؤمنين المفلحين، ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١، ٢]. فعلم الصلاة هو

(١) سبق تخريجه صـ١٩.

(٢) رواه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٦٢٢)، وأحمد (١٢٩٢٩)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

الذي يتصل بالـــرأس فقط، وفقه الصلاة يتصل بالـــرأس والقلب معا، فنحن نريد فقه الإسلام، الفقه الذي يعمل في وعي الإنسان من الناحية العقلية، ويؤثر في قلبه ووجدانه.

الإسلام الأول:

ينبغي أن نعرف أنَّ الإســـلام الذي ندعو إليه هو الإســـلام الأوَّل الذي كان عليه صحابة النبيِّ ﷺ، ومن تبعهم بإحسان، قبل أنْ تشوبه الشـــوائب، قبل أن تدخل عليه البدع والانحرافات، الإســـلام الأوَّل، إسلام القرآن والسُّـــنَّة، الإســـلام كما فهمه الصحابة وتلاميذهم ممن تبعهم بإحســـان، فقد كانوا أفقه الناس بهذا الديـــن، وأحرصهم على الالتـــزام به، وأعرفهـــم بروحه ومقاصـــده، فنحن نريـــد أن نفقه هذا الإسلام الأول.

فقه الأولويَّات:

لا نريد أن نشغل أنفســـنا بالجزئيَّات وننســـى الكليَّات، لا نريد أن ننشـــغل بالظواهر وننســـى المقاصد، هذا ما أوصي بـــه أبنائي وبناتي، وخصوصا في هـــذه الجامعة التي أرجو أن تكـــون قلعة من قلاع العمل للإســـلام، وقلعة من قـــلاع الدعوة للإســـلام، وقلعة من قـــلاع التفقيه والتثقيف، والتعليم الصالح الصادق لهذا الدين.

كثير من المســـلمين ينشـــغلون بالذيـــول ويتركون الـــرؤوس، أو ينشـــغلون بغير المهم ويتركون المهم، أو ينشـــغلون بالمهم ويتركون الأهم، يهتمـــون بالنافلة ويتركـــون الفريضة، يهتمون بفـــرض الكفاية ويهملون فرض العين، لهذا كنا في حاجة إلى أن نفقه أولويَّات الإسلام، فالوصية الأولى فقه الإسلام.

QaradawiBooks.com

(٢) العمل بالإسلام:

والوصية الثانية هي العمل بالإسلام، فنحن لا نفقه ونتعلم لنكون كالمستشرقين، الذين يدرسون الإسلام ولا علاقة له بسلوكهم ولا بحياتهم، نحن ندرس ونتفقه في الإسلام لنعمل به، فالفقه الحقيقي هو الذي يؤدي إلى عمل، ولذلك كان النبي ﷺ يستعيذ بالله من علم لا ينفع، كما روى الإمام مسلم في صحيحه أنَّ النبي ﷺ كان يقول: «**اللهمَّ إنِّي أعوذُ بك من العجز والكسل، والجبنِ والبخلِ والهَرَم، وعذاب القبر. اللهمَّ آتِ نفسي تقواها، وزكِّها أنت خير من زكَّاها، أنت وليُّها ومولاها، اللهمَّ إنِّي أعوذ بك من علمٍ لا ينفع، ومن قلبٍ لا يخشع، ومن نفسٍ لا تشبع، ومن دعوةٍ لا يُستجاب لها**»[(١)]. فالعلم الذي لا ينفع وبال على صاحبه.

وروى الحسن البصري بسنده عن رسول الله ﷺ: «**العِلْمُ عِلْمان: علم القلب فذلك العلم النافع؛ وعلم على اللسان، وذلك هو حُجَّةُ اللهِ على ابن آدم**»[(٢)]. فهناك مَنْ يتشدق ويتكلم عن الإسلام ويظهر الحماس، لكن هذا كله كلام على اللسان، دعوى تُدَّعى، وما أكثر الدعوى، وما أعز المعنى الذي يُترجم إلى عمل وسلوك.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يستعيذ بالله من المنافق العليم. فقالوا له: يا أمير المؤمنين، كيف يكون منافقًا وعليمًا؟ قال: عليم اللسان، جاهل القلب[(٣)]. عِلمُه في لسانه.

(١) سبق تخريجه صـ٨١.

(٢) سبق تخريجه صـ٨٠.

(٣) سبق تخريجه صـ٨٠.

QaradawiBooks.com

المسلم الصادق قرآن متحرك:

لهذا نريد العلم الراسخ، العلم الذي يؤدي إلى سلوك سويٍّ صحيحٍ، نريد العالم المسلم، والداعية المسلم، الذي ينظر الناس إليه فيجدون فيه الإسلام مُجسَّمًا، كما كان الصحابة رضوان الله عليهم، كان كل واحد فيهم يتمثل الإسلام، حياته صورة واقعية للإسلام، كان قرآنًا حيًّا متحركًا يسعى على قدميه، كما كان رسول الله ﷺ، فقد سُئلت أمنا عائشة رضي الله عنها عن خُلق رسول الله ﷺ، فأجابت هذا الجواب الموجز الجامع، قالت: «كان خُلُقُه القرآنَ»[1]. افتح المصحف، واقرأ أوائل سورة البقرة، أو سورة الأنفال، أو المؤمنون، لتعرف صفات عباد الرحمن أو أولي الألباب، كل ما في القرآن من فضائل أو صفات كان رسول الله ﷺ يجسدها تجسيدًا، كان خُلُقه القرآن، إذا أردنا أن نكون قرآنيين أو محمديين؛ فلنجسد القرآن في حياتنا.

حُسن تمثيل الإسلام:

حينما فتح الصحابة رضوان الله عليهم والمسلمون الأوائل البلاد، بماذا نشروا فيها الإسلام، هل نشروه بالسيف كما يقول المُنصِّرون والمستشرقون والأفَّاكون؟ إنَّ السيف لا ينشر دينًا، قد يفتح أرضًا، ولكنَّه لا يفتح قلبًا، بالعكس قد يُغضب القلوب وينفِّر الناس منه، إنَّما فتح الإسلامُ القلوبَ بالخُلُق والسلوك، وقد فتح الإسلام بلادًا دون أن يدخلها جيش إسلامي قط.

كنت في هذا الصيف في إندونيسيا التي يبلغ سكانها مائة وسبعين

(١) سبق تخريجه صـ٧٩.

QaradawiBooks.com

مليونًا، أكثر من تسعين في المائة منهم من المسلمين، هل ذهب جيش إلى إندونيسيا ليفتحها؟ لا، لم يذهب إليها أيُّ جيش إسلامي، ولا أيُّ فاتح إسلامي، إنَّما فتحت بمسلمين عاديين، لم يخرج إليها مسلمون محترفون في الدعوة، إنَّما ذهب إليها تُجَّار من الحضارمة وغيرهم، ورآهم الناس، فرأوا فيهم السلوك الطيب، والخلق الكريم، رأوهم يتعبدون لله بإخلاص، ويحترمون دينهم، ويقيمون شعائرهم، ولا يؤذون أحدًا، ولا يخونون، ولا يغشون، فسألوهم: من أنتم؟ فقالوا: نحن مسلمون. قالوا: وما الإسلام؟ قالوا: الإسلام كذا وكذا. فدخل الناس في دين الله أفواجًا على أيدي هؤلاء البسطاء، فالإنسان يتأثر بالأخلاق والفضائل.

علينا إذن أن نُحسن تمثيل الإسلام وتجسيده في حياتنا، كل مسلم مطالب بهذا الأمر، وخصوصًا مَنْ هيَّأه الله تعالى لدراسة الإسلام وتدريسه، فهذا أولى من غيره، لأنَّ الناس ينظرون إليه على أنَّه قدوة وأسوة، وإذا وقعت الصغيرة منه حسبوها عليه كبيرة، لأنَّ نقطة الحبر في الثوب الأبيض أو في الصفحة البيضاء، غير نقطة الحبر في الثوب الأسود، هي في الأولى أوضح ما تكون، وفي الأخرى لا تكاد تظهر، فالأشياء الصغيرة تظهر بشدة في حياة الذين يعملون للإسلام، ويدعون إليه ليل نهار، كما قال الأولون: زلَّة العالم يُضرب بها الطبل، وزلَّة الجاهل يخفيها الجهل. وقالوا: إذا زلَّ العالِم زلَّ بزلَّته عالَم. فعلينا أن نحذر، لأنَّ الناس ينظرون إلى أعمالنا وسلوكنا، ينظرون في علاقتنا بالله تعالى، وفي علاقتنا بعضنا مع ببعض، وفي علاقة الطلبة بشيوخهم وبإخوانهم، يجب أن يحكمنا سلوك الإسلام في هذا كله.

QaradawiBooks.com

الإسلام ضبط مسيرة الحياة:

وقد ضبط الإسلام مسيرة الحياة كلها، لم يدع الأمر سبهللا ولا اعتباطًا ولا جزافًا. نحن والحمد لله قد علَّمنا ديننا كلَّ شيء، وكما قال أحد اليهود لسمان الفارسي رضي الله عنه ذات مرة: علَّمكم نبيُّكم كل شيء حتى كذا (يعني قضاء الحاجة)؟ قال له: نعم، والله علَّمنا كل شيء حتى كذا. وذكر بعض الآداب في قضاء الحاجة[١]، وهي حوالي ثلاثة عشر أدبًا. فالمسلم عليه أن يتأدَّب بأدب الإسلام، فعلم بغير عمل كسحاب بلا مطر، أو كشجر بلا ثمر، كما قال أسلافنا. وكما قال الإمام الغزالي في رسالة أيها الولد: إنَّ العلم بغير العمل جنون، والعمل بغير علم لا يكون[٢]. ثم أنشد بيتًا من الشعر يقول:

لو كِلْتَ أَلْفَيْ رَطْلِ خَمْرٍ لم تكن لِتَصِيرَ نَشْوَانًا إذا لم تَشْرَبِ[٣]

لن تسكر ويتغير عقلك بكيل الخمر، لا بدَّ أن تتذوقه، يمكن أن تتكلم عن الإسلام ساعات وساعات، ولكنك تتكلم عنه بلسانك، وهناك فرق بين مَنْ يتكلم عن الإسلام بلسانه، ومَنْ يتكلم عنه بقلبه، بعمله، بسلوكه، فنحن في حاجة إلى السلوك الإسلامي.

(٣) الدعوة إلى الإسلام:

الوصية الثالثة هي الدعوة إلى الإسلام، علينا أن نُجنِّد أنفسنا للدعوة إلى الإسلام، حرام أن يوجد لكل دين ولكل منهج مَنْ يدعو إليه، ولا يوجد للإسلام من يُجنِّد نفسه للدعوة إليه، ذكرت لبعض إخوانكم

(١) رواه مسلم (٢٦٢)، وأبو داود (٧)، والترمذي (١٦)، كلهم في الطهارة.
(٢) أيها الولد صـ٤٥، نشر دار المنهاج، جدة، ط٢، ١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م.
(٣) المصدر السابق صـ٤.

QaradawiBooks.com

ذلك الرجل الذي قال عن الإسلام: يا له من دين لو كان له رجال. لو وجد هذا الدين رجالا لكان جديرًا أن يسود العالم، لأنَّ الحقَّ لا ينتشر وينتصر وحده، سُنَّة الله أن ينتشر الحقُّ وينتصر بالرجال، كما قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِى ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣]. بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ، وبأيِّ مؤمنين؟ بالمؤمنين المترابطين المؤتلفين.

من يعمل للإسلام؟

لقد وجدت النصرانية مَنْ يعمل لها، ووجدت اليهودية مَنْ يعمل لها، ووجدت الشيوعية مَنْ يعمل لها، كل دين وكل مذهب وجد مَنْ يعمل له، أفلا يجد الإسلام مَنْ يعمل له؟!

حدَّثني بعض الإخوة حينما كنا في اجتماع لمنظمة الدعوة الإسلامية في تنزانيا، فقال: ذهبنا في أوائل الخمسينيات إلى جنوب السودان، ودخلنا قرية بسيارة، هذه القرية لم يرَ أهلها سيارة قط من قبل في حياتهم، فخاف الناس من السيارة ودخلوا البيوت، وقالوا: ما هذا الشيء الذي يتحرك ويمشي، وليس إنسانا ولا حيوانا؟! فنزلنا من السيارة، وناديناهم، وقلنا لهم: تعالوا لا تخافوا. ووقفنا نحدثهم، وبينما نحدثهم دق ناقوس (جرس)، فقلنا لهم: هل عندكم مدارس، يؤذن هذا الجرس بدخولها؟ قالوا: لا، ليس عندنا مدارس. قلنا: فما هذا الناقوس؟ قالوا: هذا أبونا! فقلنا: ومن أبوكم؟ قالوا: قسيس يأتينا في الأسبوع مرتين.

وعرفنا أنَّ هذا القسيس يأتيهم راكبًا على دراجة، وعند الاقتراب منهم يضرب الناقوس، فيجتمع له الناس، فيفتح حقيبتيه، إحداهما

QaradawiBooks.com

فيها أدوية لعلاجات بسيطة، والأخرى فيها حلوى، فمَنْ كان في حاجة لعلاج أعطاه من الدواء، ويوزِّع من الحلوى عليهم، ثم يجلس يحدثهم عن المسيح عليه السلام، وعن أمه مريم البتول، فذهبنا إليه لنسأله ونناقشه في بعض الأمور، فعلمنا منه أنَّه من المبشرين بالمسيحية، وهو من أصل بلجيكي.

قلنا له: كم لك من السنين في هذه البلاد؟ فقال: ثلاثون سنة. مضى له ثلاثون سنة في جنوب السودان، يتنقل من قرية إلى قرية على دراجة في ظل حياة بعيدة كل البعد عن التقدم والمدنيَّة والحضارة، وأبسط مقومات الحياة الحديثة، فسألناه: وكم مرة ذهبت إلى بلدك بلجيكا في خلال الثلاثين سنة هذه؟ فقال: لم أذهب لبلدي بلجيكا في خلال هذه الفترة ولا مرة واحدة. فقلنا له: ومتى تنوي الرجوع إلى وطنك لتختم حياتك فيها؟ قال: وما حاجتي للرجوع إلى وطني، أنا ليس لي رسالة هناك، رسالتي هنا، بيتي هنا، وقبري هنا!

تأملوا! هذا إنسان نذر نفسه لشيء يؤمن به، رغم أنَّه باطل، وكما يقول ابن حزم: لم توجد مقالة في الدنيا أشد بطلانًا من مقالة النصارى: الله ثلاثة، والثلاثة واحد، ولولا أننا وجدنا هؤلاء أمام أعيننا يقولون ذلك؛ ما صدقنا أن عاقلًا يقول مثل هذه المقالة[1]. لكن هذه المقالة الباطلة وجدت للأسف من يؤمن بها، ويترك المدنيَّة، والتقدم، والرفاهية في أوربا، ويذهب إلى أدغال وغابات إفريقيا، ويعيش حياة بدائية مع أناس بدائيين، فماذا قدم المسلمون للدين الحق في مقابل هذا؟

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤٩/١).

QaradawiBooks.com

دعوة المسلمين المنحرفين:

نحن علينا أن نقوم بواجبنا الكامل في الدعوة إلى الله، وقبل أن ندعو الآخرين ندعو المسلمين الذين تأثروا بالأفكار الخارجة عن الإسلام، فقد خرجت مظاهرة في إحدى البلدان الإسلامية تطالب بمساواة المرأة بالرجل في أمور حرَّمها الشرع، تطالب أن يكون للمرأة حق الزواج بأربعة كما أنَّ للرجل حق الزواج بأربعة، وغير ذلك مما حرَّمه الإسلام، فهؤلاء النساء وأمثالهن، وكذلك الرجال الذين تأثروا بالأفكار الخارجة عن الإسلام في حاجة إلى الدعوة، وإلى أن يفهموا الإسلام قبل غيرهم من غير المسلمين، فلا بدَّ أن نعمل للإسلام، لا بدَّ أن ندعو إليه.

الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة:

ولا بدَّ أن تكون دعوتنا إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، لسنا في حاجة إلى استخدام العنف، لا يستخدم العنف إلا مَنْ كان قصير الباع في الحجة، وحجتنا والحمد لله قوية، فالإسلام يخاطب العقول والقلوب، ولا يحتاج في ذلك إلى العنف أو القوة؛ بل يستعمل الحكمة والموعظة الحسنة، ويجادل بالتي هي أحسن، ويقول للمحسن: أحسنت. ويقول للمخطئ: أخطأت. ولكن بالطريقة النبويَّة الكريمة.

انظروا لأبي بكرة ﷺ الذي انتهى إلى النبي ﷺ وهو راكع، فركع قبل أن يصل إلى الصف، فذكر ذلك للنبي ﷺ، فقال: «**زادك اللهُ حرصًا، ولا تعُدْ**»[1]. ومعنى لا تعد أنك ارتكبت خطأ، لكنَّه لم يقل له: إنك ارتكبت خطأ؛ بل قال له: «**زادك اللهُ حرصًا**». أي أنَّه قدَّر الدافع الذي دفعه إلى أن يُكبِّر تكبيرة الإحرام، ثم يركع عند باب المسجد، ثم

(١) سبق تخريجه صـ١٦٢.

QaradawiBooks.com

يمشي راكعًا حتى يلحق بصفوف المصلين خلف رسول الله ﷺ، فلذلك قال له: «**زادَكَ اللهُ حِرْصًا**». أي: إنَّ صلاتك صحيحة، ولكن لا تعُد؛ لأنَّ في العودة مخالفة وخطأ، ولكنَّه ﷺ قبل أن يقول له: إنك أخطأت. دعا له بهذا الدعاء المبارك: «**زادك اللهُ حِرْصًا**». ومن هذا نتعلم الأدب النبوي في الحوار والدعوة إلى الله، ونتعلم الرفق، «**إنَّ الله يحبُّ الرفقَ في الأمر كُلِّه**»[١]. «**ما دخل الرفقُ في شيءٍ إلَّا زانه، وما دخل العنفُ في شيءٍ إلا شانه**»[٢].

(٤) التعاون والتآلف:

وهناك وصية أخيرة لكل الداعين إلى الإسلام، والعاملين له، والحريصين الغيورين عليه، أن يترابطوا ويتساندوا، ويتعاون بعضهم مع بعض، ويسامح بعضهم بعضًا، نحن في حاجة إلى تضافر الجهود، وإلى تكاتف المناكب، وتصافح الأيدي، لا نريد الفرقة.

إنَّ أعداء الإسلام يعملون مُتكتِّلين، فلا ينبغي أن نعمل نحن متفرقين، القوى المعادية للإسلام تختلف فيما بينها، ولكنها تتفق في عداوتها للإسلام، وهذا ما أشار إليه القرآن بقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ﴾ [الأنفال: ٧٣]. أي إذا لم يوالِ بعضكم بعضًا، ويساند بعضكم بعضًا، كما يفعلون هم، ﴿تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ﴾، أي ستكون إيجابية في جانب الكفر وسلبية في جانب الإيمان.. تكتل في جانب الباطل، وتمزُّق وتفرُّق في جانب الحق! فلا بدَّ من التعاون والترابط.

---

(١) سبق تخريجه صـ ٢٣.

(٢) سبق تخريجه صـ ٢٣.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ولا بدَّ من التآلف والتسامح كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِى ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣].

وليس شرطًا أن نتفق في جميع الأمور، فليس من طبيعة البشر أن يتفقوا في كل شيء، بحسبنا أن نتفق في القضايا الكُبرى، وعلى الأهداف العُظْمى، ثم بعد ذلك تتنوع الوسائل والأساليب، ليكون الاختلاف اختلاف تنوع وتخصص، وليس اختلاف تضاد وتعنت.

هذه بعض وصاياي للعاملين للإسلام في أرض الجزائر الطيبة، والجزائر بخير، الجزائر إسلاميَّة، وستظل إسلاميَّة، وعلى هذا الشعب مهمة تثبيت الإسلام في هذا البلد، ثم الانتقال به إلى أفريقيا كلها، ثم العودة به إلى أوربا إن شاء الله.

إذا كان قد قيل في يوم من الأيام: إنَّ الجزائر فرنسيَّة. فإننا نرجو أن يأتي اليوم الذي يُقال فيه: إنَّ فرنسا جزائريَّة. وما ذلك على الله بعزيز، وإنا لهذا اليوم لمنتظرون، ﴿وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الروم: ٤ ـ ٦].

أكتفي بهذا القدر، وأستغفر الله تعالى لي ولكم.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

إجاباتي عن أسئلة المحاضرة

قضية فلسطين:

السؤال الأول: فضيلة الشيخ نودُّ أن تحدثنا عن جهاد إخواننا في فلسطين الحبيبة الأسيرة.

الجواب: تعتبر قضية فلسطين في الواقع قضية المسلمين الأولى، وهي صراع بين عقيدتين، وبين حضارتين، وبين أُمَّتين، وليست مسألة هامشية يمكن أن تُحلَّ بمجرد الكلام، فهي قضية صراع طويل، والإسلام هو محور هذه القضية.

الإسلام محور هذه القضية:

نحن نقول: إنَّ الإسلام هو مفتاح الشخصية الإسلامية، وهو مُحرِّك المسلمين في القضايا كلها، ولكنَّه في قضية فلسطين بالذات هو المُحرِّك الأكبر، لماذا؟ لأنَّ عدُوَّنا أقام قضيته على أساس ديني من أول الأمر، على تعاليم توراتية وتلمودية، على أنَّ هذه أرض الميعاد، كان يمكن لليهود أن يقبلوا وطنًا غير فلسطين، وقد عُرضت عليهم أماكن في أفريقيا وفي غيرها، ولكنهم رفضوا وأبوا إلا فلسطين، فالمسألة قائمة على أساس ديني عندهم، ولهذا يجندون أبناءهم على هذا الأساس الديني، يجيئون من بلاد شتى من أجل هذه العقيدة.

ومن هنا كان علينا إذا حاربونا بالتوراة أن نحاربهم بالقرآن، وإذا قالوا: يَهْوا. نقول: الله رب العالمين. وإذا قالوا: اليهودية. نقول: الإسلام. وإذا قالوا: الهيكل. نقول: المسجد الأقصى. وإذا قالوا: التلمود. نقول:

QaradawiBooks.com

البخاري ومسلم. فهم أقاموا قضيتهم على أساس ديني، وعلينا أن نقابل السلاح بمثله، نحاربهم بمثل ما يحاربوننا به.

لقد ظلت القضية عشرات السنين على هذا الأساس، منذ الشيخ عز الدين القسَّام، والشيخ أمين الحسيني مفتي فلسطين الأكبر، وهذان هما المُحرِّكان الأولان فيها، ثم جاءت فترة من الزمن قيل فيها: ينبغي أن نستبعد الدين لنقبل المسلم وغير المسلم، والمتدين وغير المتدين. ولكنهم في الواقع لم يجنوا من وراء ذلك نتيجة تُذكر، حتى جاءت هذه الانتفاضة التي أحيت الموات، وجمعت الشتات، وحرَّكت القضية من جديد، بطعم جديد، وروح جديدة، وهدف جديد، فالانتفاضة في الحقيقة انطلقت من المساجد، ورفعت المصاحف، وكان شعارها: لا إلٰه إلا الله، والله أكبر، وكان الأطفال ينشدون:

خيبرْ خيبرْ يا يهودْ جيشُ محمدْ سوف يعودْ

أثر الانتفاضة الفلسطينية:

وكان اليهود قبل الانتفاضة يقولون في شعارتهم: محمد مات، وخلَّف بنات. أي أنَّه لم يترك خلفه رجالًا، فجاء شباب الانتفاضة يُبيِّنون لليهود بأنَّ محمدًا ﷺ خلَّف رجالًا، سيجتثونهم كما اجْتَثَّ سلفُهم يهودَ خيبر.

ذلك أنَّ اليهود ليسوا مكتفين بما عندهم الآن؛ بل هم يخططون أن تكون دولة إسرائيل من الفرات في العراق إلى النيل في مصر، بل لهم مطامع في الحجاز وفي خيبر، ومدينة رسول الله ﷺ، يقولون: كان في المدينة بنو النضير، وبنو قريظة وبنو قينقاع. فلهم مطامع عند مسجد رسول الله ﷺ. وقد يظن البعض أنَّ هذه أحلام، ولكن إن لم يأخذ المسلمون حذرهم، ويدافعوا عن ديارهم، ومقدساتهم ستضيع من أيديهم كما ضاع المسجد الأقصى وفلسطين والجولان وغير ذلك.

QaradawiBooks.com

لا بدَّ من فهم قضية فلسطين على أنَّها قضية إسلامية، وليست قضية قُطرية، فقد سئل رئيس وزراء مصر في الثلاثينيات من القرن العشرين، عن الخطر الذي يهدد فلسطين من اليهود فقال: أنا رئيس وزراء مصر، ولست رئيس وزراء فلسطين. وضاعت فلسطين، ورفض العرب قرار الأمم المتحدة في تقسيم فلسطين، واعتبروه ظُلمًا بيِّنًا على العرب والمسلمين، واليوم تتراجع منظمة التحرير وتتمنى تنفيذ قرار التقسيم، لكن إسرائيل لا توافق، فاليهود لهم مطامع، وهذه المطامع العدوانية لا تُقابل إلا بسلاح الإيمان والإسلام.

الانتفاضة تُمثِّل الصحوة الإسلامية:

وقد قامت هذه الانتفاضة التي تُمثِّل الصحوة الإسلامية، وقد ذكرت في محاضرة سابقة أنَّ الجهاد الأفغاني والانتفاضة الفلسطينية يُمثِّلان الصحوة الإسلامية المعاصرة، أي أنَّ هذه الصحوة وصلت إلى العرب المسلمين في الأراضي المحتلة التي تحتلها إسرائيل، فالكثير من هؤلاء العرب في الأراضي المحتلة كانوا قد ذابوا في المجتمع الإسرائيلي، ونسوا هويتهم الأصلية، ما كان يُعرف العربي من اليهودي، ولا الفتاة العربية المسلمة من اليهودية، حتى جاءت الصحوة الإسلامية؛ فإذا بها تهزُّهم هزًّا، وتزلزلهم زلزالًا، وتردهم إلى أصولهم، فعادوا من جديد، وعمرت بهم المساجد؛ حتى أصبح الناس يصلون في الطرقات بسبب ازدحام المساجد، وكتب اليهود عن هذا الأمر في صحفهم وفي تقاريرهم، وتُوِّج ذلك بالانتفاضة المباركة، وحركة المقاومة الإسلامية، وحركة الجهاد الإسلامي، هذا كله هو عودة من جديد بالقضية إلى أصولها وجذورها.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ونحن نرجو أن تصل هذه القضية إلى غايتها، طبعا قضية فلسطين قضية معقدة، والقوى الكبرى يهمها أن تبقى إسرائيل فوق جيرانها، كما قال قائلهم: إنَّ إسرائيل ما خلقت إلا لتبقى. والأمر ليس سهلًا، فالفلسطينيون لا يجدون أرضًا مجاورة لهم تساعدهم على الانطلاق منها، لم يجدوا دولة مؤازرة لهم كما آزرت باكستان الجهاد الأفغاني، وهي جارة أفغانستان، فوجد الأفغان مأوى لهم في بيشاور في باكستان، ويصعب هذا الأمر بالنسبة للفلسطينيين.

ولكننا آملون إن شاء الله أن يكون لهذه الانتفاضة أثر عظيم، وقد حكى لنا الإخوة الذين جاؤوا من داخل فلسطين عن الروح العالية السارية في الشباب، وفي عامة الناس، روح الجهاد والتعاون والمواساة والإيثار إلى حد كبير، نرجو أن يُتوج هذا باجتماع الفلسطينيين على كلمة سواء، وأن يجعل الله يومهم خيرًا من أمسهم، وغدهم خيرًا من يومهم.

ضوابط اتباع الرخص:

السؤال الثاني: فضيلة الشيخ هل يمكن أن ننتقي الأحكام اليسيرة والرخص من المذاهب ونعمل بها للتيسير على أنفسنا؟

الجواب: هذا ما يسمونه التلفيق، إذا كان المسلم يبحث عن الخفيف والأسهل، ولو كان دليله ضعيفًا فهذا غير مقبول؛ لأنَّه في هذه الحالة يأخذ ما يحلو له، كأنه يتبع هواه، أمَّا لو أخذ باليسير بعد البحث والدراسة كما يفعل كثير من العلماء المعاصرين، حيث يدرس الأمر في المذاهب المختلفة، وقد يأخذ من هذا المذهب ما يراه راجحًا بالدليل، قد يكون هو الأسهل، وقد يكون هو الأشد، لأنَّ العبرة بالدليل، والمفترض أنَّ الباحث المسلم أسير الدليل، قد يكون الدليل في مسألة

QaradawiBooks.com

ما موافقًا للمذهب المالكي، وقد يكون الدليل في مسألة أخرى موافقًا للمذهب الحنفي أو الشافعي، ليكن هذا، حتى ولو خالف المذاهب كلها، ما دامت عنده القدرة على الترجيح.

البحث عن الأرجح، لا الأسهل:

حينما تحدثنا عن الاجتهاد، قلنا: إن هناك نوعين من الاجتهاد: اجتهاد إبداعي إنشائي، وهو الذي يكون في المسائل الجديدة التي لم تعرض للفقهاء السابقين، واجتهاد انتقائي أو ترجيحي، وهو الذي يكون في الأمور التي تحدث فيها الفقهاء واختلفوا فيها، فيمكن للباحث في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها أن يصل إلى رأي يتفق مع هذا المذهب حينًا، ويتفق مع هذا المذهب حينًا آخر، لا يكون همُّ المسلم أن يبحث عن الأسهل فقط، لا، بل يبحث عن الأرجح، فإذا كان من أهل البحث والنظر يأخذ بما ترجح له، وإذا كان من العوام وأهل التقليد فمذهبه مذهب من يفتيه، ولذلك قالوا: العامي لا مذهب له، وإنَّما مذهبه مذهب مَنْ يفتيه.

قد يقول العاميُّ بأن مذهبه مالكي، وهو في الحقيقة ليس مالكيًّا ولا شافعيًّا، هو نشأ في أرض مالكيَّة فصار مالكيًّا، ولو كان قد نشأ في قريتنا «صفط تراب» من محافظة الغربية لأصبح شافعيًّا، ولو نشأ في تركيا أو باكستان لأصبح حنفيًّا، فهو لم يختر مذهبه، فليس معنى قوله: مذهبي مالكي. أنَّه يعرف أصول مذهب مالك، وأنَّه رجَّح أصول مذهبه على أصول المذهب الحنفي!

إذنْ الحقيقة أنَّ العامي لا مذهب له، إنَّما مذهبه مذهب من يفتيه، فإذا استفتى عالما فأفتاه بمذهب مالك ومرة أخرى أفتاه بمذهب آخر؛ فليأخذ بما يطمئن إليه من العلماء كما قلنا بالأمس في عملية اختلاف أهل الفتوى.

QaradawiBooks.com

نسخ القرآن بالسُّنَّة:

السؤال الثالث: هل تنسخ السُّنَّة الصحيحة القرآن؟

الجواب: هذا أمر مختلف فيه، ويرى الإمام الشافعي أنَّ السُّنَّة لا تنسخ القرآن، ويقول: ليست السُّنَّة مثل القرآن حتى تنسخه. ويستدل بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس: ١٥]. وقوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦][(١)].

وأنا لا أعرف أن سُنَّة نسخت شيئًا من القرآن، إذا كان هناك من أنكر نسخ القرآن للقرآن فكيف بنسخ السُّنَّة للقرآن؟ على كل حال أنا لست من هواة التوسع في مسألة النسخ إلا أن يكون ذلك بدليل محكم ثابت، أمَّا بغير هذا:

والدعاوَى ما لم يقيموا عليها بيّناتٍ أبناؤها أدعياءُ[(٢)]!

السؤال الرابع: ما حكم بيع العملة الأجنبية في السوق السوداء؟

الجواب: من الناحية الشكلية الفقهية، يجوز تبديل العملة بعملة أخرى في حالة إذا ما كان ذلك يدًا بيد، والأصل في هذا ما رواه البخاري عن أبي المنهال قال: كنت أتجر في الصرف، فسألت البراء بن عازب

(١) انظر: الرسالة للإمام الشافعي (١٠٦/١)، نشر مكتبه الحلبي مصر، ط١، ١٣٥٨هـ ـ ١٩٤٠م.

(٢) ذكره محمد أمين المحبي ولم ينسبه في خلاصة الأثر (٣٧٨/١)، نشر دار صادر، بيروت.

QaradawiBooks.com

وزيد بن أرقم عن الصرف؟ فكل واحد منهما يقول: هذا خير مني، فقالا: كنا تاجرين على عهد رسول الله ﷺ[١].

ومن طريق سليمان بن أبي مسلم قال: سألت أبا المنهال عن الصرف يدًا بيد؟ فقال: اشتريت أنا وشريك لي شيئًا يدًا بيد ونسيئة، فجاءنا البراء بن عازب، فسألناه؟ فقال: فعلت أنا وشريكي زيد بن أرقم فسألنا رسول الله ﷺ عن الصرف؟ فقال: «**إن كان يدًا بيدٍ فليس به بأس، وإن كان نسيئةً فلا يصلح**»[٢]. وفي رواية: «**فذَرْهُ**»[٣].

وقال الفقهاء في قول النبيِّ ﷺ: «**إن كان يدًا بيد**». يعادل اليد الشيك الذي له رصيد. هذا هو الأصل في الموضوع، لكن إذا كان وراء هذا الأمر شيء آخر، كأن يكون وراءه مضرة على الاقتصاد القومي، أو نهى عنه ولي أمر شرعي، فلا يجوز هذا، لأنَّه من قبيل جلب المصالح ودرء المفاسد، ومن حق ولي الأمر في تقييد المباح، إلى آخره.

العمل في البنوك الربويَّة:

السؤال الخامس: هل يجوز العمل في البنوك الربويَّة، أو التعامل معها، وما حكم الرواتب التي يتقاضاها العاملون في هذه البنوك؟

الجواب: لي فتوى في هذا الأمر كتبتها من قديم في كتابي «فتاوى معاصرة»، الأصل ألا يتعامل المسلم بالربا، أخذًا، ولا عطاءً، ولا معاونةً، ولا بأي صورة من الصور، وفي هذا جاء في صحيح مسلم عن جابر،

(١) رواه البخاري في البيوع (٢٠٦٠).
(٢) رواه البخاري في مناقب الأنصار (٣٩٣٩).
(٣) رواه البخاري في الشركة (٢٤٩٧).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

قال: لعن رسول الله ﷺ آكل الربا، ومؤكله، وكاتبه، وشاهديه، وقال: «**هم سواءٌ**»[١]. فالكاتب الذي يكتب عقد الربا هو مثل آكل الربا ومؤكله.

ومع أنَّ آكل الربا غير مؤكله، إلا أنَّ فلسفة الإسلام في علاج المعصية أنَّه إذا حرَّم شيئًا حرَّم كل ما يساعد عليه، ويفضي إليه، ولذلك لعن في الخمر عشرة، فعن ابن عباس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أتاني جبريلُ فقال: يا مُحَمَّد، إنَّ الله ﷻ لعن الخمرَ، وعاصرَها، ومُعْتَصِرَها، وشاربَها، وحاملَها، والمحمولةَ إليه، وبائعَها، ومبتاعَها، وساقيَها، ومستقيَها**»[٢]. وعن أبي سعيدٍ قال: لعن رسول الله ﷺ النائحةَ والمُسْتَمِعَةَ[٣]. وذلك حتى يسد الطريق على الحرام، ويحاصره في أضيق نطاق، هذه فلسفة الإسلام.

ولكن كما ذكرنا عند الحديث عن أسباب المرونة والتطور في الشريعة الإسلامية أنَّ الإسلام يراعي الضرورات والظروف الطارئة، ففي المجتمعات التي لم تكن تحكم بنفسها، وكان يحكمها الاستعمار، وأدخل فيها النظام الرأسمالي بعُجره وبُجره، وفرض عليها نظامًا ربويًّا معيَّنًا، هذه الأشياء يمكن أن يعمل المسلم فيها وهو مضطر إليها، كاره لها، ومع هذا ينوي أن يوظِّف خبرته في العمل في تلك المؤسسات لخدمة الاقتصاد الإسلامي فيما بعد.

---

(١) رواه مسلم في المساقاة (١٥٩٨).

(٢) رواه أحمد (٢٨٩٧)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وابن حبان في الأشربة (٥٣٥٦)، والطبراني (٢٣٣/١٢)، والحاكم في البيوع (٣١/٢)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي.

(٣) رواه أحمد (١١٦٢٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده مسلسل بالضعفاء. وأبو داود في الجنائز (٣١٢٨)، وضعف إسناد أبي داود النووي في خلاصة الأحكام (٣٧٦٣)، والحافظ في التلخيص الحبير (٢٧٨/٢)، عن أبي سعيد الخدري.

QaradawiBooks.com

وأنا أقول لكم بصراحة، حينما أُنشئت البنوك الإسلامية كان من الآفات التي أصابتها أنَّه لم توجد كوادر بشريَّة إسلاميَّة فنيَّة تعمل في هذه البنوك، فأخذت كوادرها من كل مَنْ هبَّ ودبَّ في البنوك الربويَّة، لأنَّ المسلم الملتزم الذي كان يعمل في البنوك الربويَّة تركها، فلم يجدوا أحدًا ملتزمًا ذا خبرة ليجعلوه في الناحية المصرفيَّة والإداريَّة، فكانت آفة كبيرة جدًّا.

ولذلك أقول: إذا بقي الشاب المسلم الملتزم مضطرًّا في البنك الربوي؛ فليكن بقاؤه بنية أن يتسلح بالخبرة لينقلها ويوظفها بعد ذلك في البنوك الإسلامية، والمؤسسات الإسلامية، فلكي تحل المشكلة لا بدَّ أن يعمل خريج الاقتصاد أو التجارة أو غيرها مع العاملين، ويسعى مع الساعين لتغيير الأوضاع غير الإسلامية، إلى أوضاع إسلامية، فإذا سعى معهم لهذا مع كراهية هذا الأمر، ومع النية التي تحدثنا عنها أعتقد أنَّ الله تعالى سيعفيه من هذا الإثم، والله تعالى هو أهل التقوى وأهل المغفرة.

السؤال السادس: هل هناك تعارض بين قول الله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. وقول رسولِ الله ﷺ: «**أُمِرْتُ أن أقاتلَ الناسَ حتَّى يشهدوا أن لا إلٰه إلا الله، وأنَّ مُحَمَّدًا رسول الله، ويُقيموا الصلاةَ، ويؤتوا الزكاةَ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مِنِّي دماءهم وأموالهم، إلَّا بحق الإسلام، وحسابُهم على الله**»[1]؟

الجواب: معروف أنَّ هذا الحديث ليس على عمومه، فالحديث يقصد مشركي العرب في مرحلة معينة، لأنَّ مشركي قريش ومَن حولهم من قبائل العرب أتعبوا رسول الله ﷺ وأصحابه ثلاثة عشر

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢)، كلاهما في الإيمان، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

عامًا في مكَّة، وعشر سنوات بالمدينة في حرب لا تنتهي، وهؤلاء أناس ليس لهم عقيدة تضبطهم، ونظام يربطهم، فكان لا بدَّ من موقف معهم، ولذلك أمهلوا مدة من الزمن ثم نزلت سورة براءة التي تبدأ بقوله تعالى: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۞ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ۞ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ١ ـ ٣]. كانت عملية خاصة بهؤلاء، لأنَّ الإسلام أراد أن تكون مكة والمدينة وما حولهما حرمًا للإسلام، ومعقلًا معينًا للإسلام، لا يخفى فيه الإيمان، فكان لا بدَّ أن تخلص هذه المنطقة للإسلام.

أمَّا ما عدا هؤلاء فالأمر مختلف، والإسلام لا يقبل أن يُكرَه أحدٌ على الدخول فيه، طبيعة الإسلام لا تعتد بإيمان المُكرَه، فلا بدَّ أن يكون الإيمان اختياريًّا، ولذلك عندما أدرك فرعون الغرق: ﴿قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠]. فقال الله تعالى له: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١]. لم يقبل منه إيمانه، لأنَّه واقع تحت ضغط الغرق والموت، ليس له اختيار فيه.

ويقول تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ۞ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [غافر: ٨٤، ٨٥]. عند نزول العذاب لا ينفعهم إيمان، الإيمان الصحيح هو أنْ يؤمن الإنسان بإرادة واقتناع وحب، أن يكون قادرًا على أن يقول: نعم. وأن يقول: لا.

QaradawiBooks.com

وكذلك لا تنفع توبة وإسلام إنسان عندما يأتيه الموت، كما قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٨]. فهذا الإيمان لا ينفع؛ لأنَّ صاحبه ليس له خيار فيه، والإيمان لا يقبل إلا في حالة الاختيار، والتوبة لا تقبل إلا في حالة الاختيار.

لهذا لا يتصور أن يكون هناك إكراه في الإسلام، فهذه الآية محكمة، ولكن مما يؤسف أن نجد بعضهم في كتب الناسخ والمنسوخ يقول: إن آية: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. نسختها آية السيف. وهذا غير صحيح، فهذه الآية لم تنسخ، ولذلك نجد في القرآن المكي قوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩]. ونجد القرآن المدني قال: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾. وقد علل ذلك بأمر غير قابل للنسخ، فقال: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. أي أنَّ الأمر واضح، فالآية محكمة، والحديث له موضعه الخاص، وتفسيره الخاص.

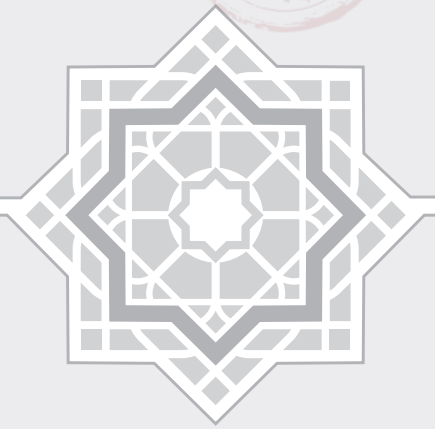
* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي



التزكية والأخلاق



QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

من الدستور الإلهي للبشرية

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٩١].

﴿ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴾ [الأنبياء: ٤٩].

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤].

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

من مشكاة النبوة الخاتمة

عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: قال النبيُّ ﷺ: «**اللهمَّ ربَّنا لك الحمدُ أنت قَيِّمُ السماوات والأرض، ولك الحمد أنت ربُّ السماوات والأرض ومن فيهنَّ، ولك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهنَّ، أنت الحَقُّ، وقولك الحَقُّ، ووعدك الحَقُّ، ولقاؤك الحَقُّ، والجنة حَقٌّ، والنار حَقٌّ، والساعة حَقٌّ، اللهمَّ لك أسلمتُ، وبك آمنتُ، وعليك توكَّلْتُ، وإليك خاصمتُ، وبك حاكمتُ، فاغفرْ لي ما قدَّمتُ وما أخَّرتُ وأسررتُ وأعلنت، وما أنت أعلم به مِنِّي، لا إله إلا أنت**». متَّفق عليه.

عن أبي هُرَيْرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّما بُعِثْتُ لأتمِّمَ صالحَ الأخلاق**». رواه أحمد.

عن أبي ثعلبة الخُشَنِي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ أحبَّكم إليَّ، وأقربَكم منِّي في الآخِرَة محاسنُكم أخلاقًا، وإنَّ أبغضكم إليَّ وأبعدَكم منِّي في الآخرةِ مساوئكم أخلاقًا، الثَّرثَارون، الْمُتَفَيْهِقون المتشدِّقون**». رواه أحمد وابن حبان.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

٩

الحياة الرُّوحية في الإسلام
مفهومها وأسسها في الكتاب والسُّنَّة

غير مرخصة للطباعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الَّذي بنعمته تتـمُّ الصالحات، الَّذي هدانـا لهذا وما كنا لنهتديَ لولا أنْ هدانا الله، وأشـهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، رحمةُ الله المهداةُ للعالمين، صلوات الله وسـلامه عليه وعلى آله وصَحْبه، ومَـن دعا بدعوته، واهتدى بسُـنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

اللهم انفعنا بما علَّمتنا، وعلِّمنا ما ينفعنا، وزدنا علمًا، نحمدك اللهمَّ على كلِّ حال، ونعوذ بك من حال أهل النار.

خير ما أُحيِّيكم بـه أيها الإخوة والأخوات، تحيَّة الإسـلام، وتحيَّة الإسلام السلام، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(وبعد)

فحديثي إليكم، كما طلب إليَّ الإخوة، عن مفهوم الحياة الرُّوحيَّة، وأُسُسها في ضوء القرآن والسُّنَّة، الحياة الرُّوحيَّة.

ما معنى الحياة الرُّوحيَّة؟

ربما أنكر بعض الإخوة هذا العنوان.

قال بعضهم: هذه ترجمة لمعنى أجنبي. وقال بعضهم: إنَّ هذا مصطلح لم يعرفه الإسلام من قبل، ولم نره في تراثنا العريق.

ولكنِّي لن أقف طويلًا عند هذا، ما دمنا قادرين على أن نحدِّد المراد من معنى الحياة الرُّوحيَّة، فلا مُشاحَّة في الاصطلاح، ولا يضرُّنا الأسماء متى وضحت المُسمَّيات.

الحياة الرُّوحيَّة قطعًا لا يُراد بها ما يُطلَق عند القوم، مثل الرُّوحيَّة الحديثة، التي عُرفت في الغرب، ونقلها بعضهم إلى الشرق الإسلامي، وهي تلك التي تعتمد على ما يزعمون من تحضير الأرواح ومخاطبتها، وهي كما قال الدكتور محمد محمد حسين رَحِمَهُ اللَّهُ، في رسالة له: دعوة هدَّامة ولا شكَّ، ولها صلة بالصهيونيَّة العالميَّة[1]. هذا المعنى لا علاقة لنا به.

إنَّما نريد بالحياة الرُّوحيَّة: ما يقابل الحياة المادِّيَّة، التي زحفت على العالَم اليوم، والتي شغلت الناس في دنيا الغرب، وسرت عدواها إلى الشرق. وهي التي سحرت العقول والقلوب، وسخَّرت الأبدان والجوارح لخدمتها.

(١) انظر: اتجاهات هدامة في الفكر العربي المعاصر للدكتور محمد محمد حسين صـ٢٥، ٢٦، نشر دار الإرشاد، بيروت، ط٢، ١٩٧١م.

QaradawiBooks.com

الحياة المادِّيَّة التي لا تهتمُّ إلا بالمادة، وتُنكر ما وراء الطبيعة، تُنكر أنَّ لهذا الكون ربًّا خلقه، وأعطى كلَّ شيء خلْقَه ثم هدى، ولا زال يدبِّر أمره، وتُنكر أنَّ في الإنسان رُوحا تميُّزه عن سائر الحيوانات، فهو مجرَّد حيوان متطوِّر، وتنكر أنَّ وراء هذه الحيـاة القصيرة الفانية حياة أخرى، تُوفَّى فيها كلُّ نفس ما كسبت، وتحصد ما زرعت، وتُخلَّد فيما عملت، هذه أُسُس الحياة المادِّيَّة كما هي عند غيرنا.

أسس الحياة الرُّوحيَّة في الإسلام:

وإذن الحياة الرُّوحيَّة في الإســلام، هي التي تقوم على نقيض هذا، فهي تقوم على أُسُس اعتقاديَّة، وتقوم على أُسُــس علمية، وعلى أُسُس عمليَّة، وعلى أُسُس وِجْدانية وعاطفية.

الأسس الاعتقاديَّة للحياة الرُّوحيَّة:

الحياة الرُّوحيَّة في الإسلام تقوم على عدَّة أسس اعتقاديَّة:

الأساس الأول: التوحيد (الإيمان بالله):

تقوم أول ما تقوم، على الإيمان بالله تبارك وتعالى، على أنَّ لهذا الكون ربًّــا، الإيمان بالله بــارئ الكون، وخالق الإنســان، وواهب الحياة، هذا هــو أصل الحياة الرُّوحيَّة، الإيمــان بالله تبارك وتعالى، الإيمان بالله الواحد.

التوحيد هو أساس الحياة الرُّوحيَّة، أن تعتقد أنَّه لا ربَّ إلا الله، وهذا ما يسمُّونه توحيد الربوبية. وألا تعبد إلا الله، لا تتَّجه بعقلك ولا بقلبك ولا بعبادتك إلا إلى الله تبارك وتعالى، وهذا ما يســمُّونه توحيد العبادة، أو توحيد الألوهيــة، أن تُفرد الله بالعبادة والاســتعانة، وهذه هي حقيقة

QaradawiBooks.com

التوحيد التي أكَّدها القرآن، وغرسها الإسلام في نفس المسلم، حينما فرض عليه أنْ يقول كلَّ يوم تاليًا، ما لا يقل عن سبع عشرة مرة، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

هذا هو مبدأ الحياة الرُّوحيَّة، التوحيد، ألا تشرك بالله أحدًا، ولا تشرك بالله شيئًا. وهذا هو ما كان يدعو إليه النبيُّ ﷺ أمراءَ الأرض وملوكها وأباطرتها، حين يدعوهم أنْ يُسلِموا ليَسلَموا، ثم يختم رسائله إليهم، بهذه الآية: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤][1]. التوحيد، الإيمان، هو أصل الحياة الرُّوحيَّة.

الأساس الثاني: الإيمان بالآخرة:

ثم يأتي الأصل الثاني، وهو الإيمان بالآخرة، اليقين بالآخرة، كما وصف الله المتقين والمحسنين في كتابه، بأنَّهم بالآخرة هم يوقنون، فقال في وصف المتقين: ﴿وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤]، وقال في وصف المحسنين: ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [لقمان: ٤]. اليقين بالآخرة: أنَّ المرجع إلى الله، أنَّ الموت ليس نهاية المطاف ولا ختام القصة، وأنَّ الأمر ليس كما قال الدهريون من قبل: إنْ هي إلا أرحام تدفع، وأرض تبلع، وما يهلكنا إلا الدهر.

أهذه هي قصة الحياة؟! يسرق السارق، وينهب الناهب، ويظلم الظالم، ويقتل القاتل، ويطغى الجبَّار، ويغتال القوي الضعيف، ثم يتهدم سُرَادِق

(١) ككتابه ﷺ إلى هرقل، وفيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله، إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى أمَّا بعد؛ فإني أدعوك بدعاية الإسلام...». سبق تخريجه صـ ١٨٤.

QaradawiBooks.com

الحياة ولا يأخذ الإنسان حقَّه؟! ولا يدرك المحسن جزاء إحسانه؟! ولا تطال المجرمَ يدُ العدالة؟! لا بدَّ من دار يأخذ كلُّ امرئ فيها جزاءه، وصدق الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ۞ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٧، ٢٨]. هذا هو الباطل الَّذي يتنزَّه الله عنه، وهذا هو العبث الَّذي لا يُقبل في حقِّ الألوهية، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۞ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ [المؤمنون: ١١٥، ١١٦].

هذا هو الأصل الثاني، اليقين بالآخرة، أنَّ هذه الدار ليست كلَّ شيء، وأنَّ الموت ما هو إلا نُقْلة إلى دار أخرى، كما قال عمر بن عبد العزيز: إنكم خُلِقتم للأبد، وإنَّما تُنقَلون بالموت من دار إلى دار[١].

وكما قال الشاعر الصالح:

وَمَا المَوْتُ إلَّا رحلةٌ غير أنَّها من المنزل الفاني إلى المنزل الباقي[٢]

الموت ليس فناء صِرْفًا، وليس عدمًا محضًا، ولو كان عدمًا محضًا لم يُخْلق. وقد سمعنا قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]. هذا هو الأصل الثاني.

الأساس الثالث: الإيمان بالغيب:

والأصل الثالث هو الإيمان بالغيب عموما، الإيمان بالغيب، أنَّ وراء هذا العالم المنظور عالَمًا غير منظور، غير محسوس، ليست المُحسَّات هي كلَّ شيء، كلَّا، إنَّ عالمنا المادي كما أثبت العلم الحديث لا نرى فيه

(١) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا (٢٣٤)، في خطبة طويلة عن عمر بن عبد العزيز.
(٢) البيت لأبي العتاهية. انظر: الإعجاز والإيجاز للثعالبي صـ١٥١، نشر مكتبة القرآن، القاهرة.

QaradawiBooks.com

إلا ثلاثة في المائة، وسبعة وتسعون لا تُبْصَر ولا تُرَى، وإلى ذلك يشير القرآن الكريم بقوله: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ۝ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الحاقة: ٣٨، ٣٩]. وما لا نبصره أكثر بكثير مما نبصره، الأعماق السوداء في هذا الكون لا نعرفها، إذا كنا لا نعرف هذا العالم المادي، فما بالكم بعوالم أُخَر، لا نعرف عنها شيئًا. هناك الغيْبيَّات.

الماديُّون أصحاب طفولة إنسانية:

الماديُّون الغارقون في الحياة المادِّيَّة ينكرون الغيبيَّات، ويُسمُّون المؤمنين، أصحاب العقليَّة الغيبيَّة. والواقع أنَّ الذين يقفون عند حدود المُحَسَّات، إنَّما هم أصحاب طفولة إنسانية، الطفل هو الَّذي يقف عند الحسِّ، ولا يعرف إلا ما يقع عليه سمعه وبصره، وما تدركه حواسه، فإذا رشد أدرك أنَّ وراء الماديات معنويات، وأنَّ وراء المحسوسات معقولات، فهؤلاء لم يبلغوا الرشد بعد.

هناك غيب لا بدَّ من الإيمان به، ومن هذا الغيب الَّذي لا بدَّ من الإيمان به، أن نؤمن أنَّ لله ملائكة، وأنَّ لله وحيًا، وأنَّ لله كتبًا، وأنَّ لله رُسُلًا، الله قادر على أنْ يُسمِعهم، وأنْ يُكلِّمهم، حتَّى يُبلِّغوا رسالته إلى الناس، الذين ينكرون الوحي، ينكرون قدرة الله على أنْ يكلِّم الإنسان، وينكرون قدرة رسل الله ـ بما وهبهم الله ـ على أنْ يتَّصلوا بالسماء، وأنْ يسمعوا من الله، أو من ملائكة الله.

الإيمان بحقيقة الرُّوح الإنساني:

ومن هذا الإيمان بالغيب: الإيمان بالرُّوح الإنساني، أنَّ الإنسان ليس هو هذا الغلاف الطيني، بل في حقيقته هو ذلك الكائن الواعي داخله، هو تلك النفحة الربَّانيَّة التي أشار إليها القرآن في خلق آدم، فقد خلق الله

QaradawiBooks.com

آدمَ من طين، أو من تراب، أو من صلصال من حمأ مسنون، ولكن هذا هو الغلاف، هو البيت، فما الَّذي يسكن هذا البيت؟ ما الَّذي يعيش داخل هذا الغلاف؟ إنَّه ذلك الشيء الَّذي يُشير إليه قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [الحجر: ٢٩].

من هنا خلق الإنسان خلقًا مزدوجًا، فيه عنصر أرضي، وفيه عنصر سماوي، فيه عنصر يشدُّه إلى الطين، إلى أسفل، وفيه عنصر رباني من الملأ الأعلى، يجذبه إلى الأفق الأعلى، وهو في صراع بين هذين العنصرين. والإسلام يسعى إلى أنْ يوازن بين هذين العنصرين، ولا يريد أنْ يطغى أحدهما على الآخر، فلا بدَّ للطين أنْ يأخذ حقَّه، ومن هنا يعمر الإنسان الأرض، ويأكل من طيِّباتها، ولا بدَّ للعنصر الرُّوحي، أو العنصر الرباني أنْ يأخذ حقَّه، ومن هنا كُلِّف الإنسان عبادة الله، ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]. وهذا هو التوازن الَّذي جاء به الإسلام.

هذه هي الأُسُس الاعتقاديَّة الثلاثة، التي تُبنى عليها الحياة الرُّوحيَّة: الإيمان بالله، الإيمان بالآخرة، الإيمان بالغيب.

الأساس العلمي للحياة الرُّوحيَّة:

ثم هناك أساس علمي للحياة الرُّوحيَّة في الإسلام، الحياة الرُّوحيَّة في الإسلام لا بدَّ أنْ تقوم على العلم، الذين يزعمون أنَّهم قادرون على أنْ يتقرَّبوا إلى الله بدون أنْ يتعلَّموا، هؤلاء خالفوا القرآن، وخالفوا السُّنَّة، وخالفوا كبار المربِّين من رجال التصوُّف الأولين.

في عصور التخلُّف، في فترة من فترات الضعف والانحطاط وجد مَن يقول ما حاجتنا إلى العلم، العلم حجاب بيننا وبين الله، حتَّى قال بعضهم: إذا رأيتَ الصوفي يقول: حدَّثنا وأخبرنا. فاغسل يدك منه.

QaradawiBooks.com

وقيل لبعضهم: تعالَ ندرس مصنَّف عبد الرزاق. فقال: ما حاجتنا إلى عبد الرزَّاق ونحن نأخذ عن الخلَّاق! وقال بعضهم لأهل الحديث: إنَّكم تأخذون علمكم ميتًا عن ميت، (فلان عن فلان عن فلان، وكلُّهم أموات)، ونحن نأخذ عِلْمَنا عن الحيِّ الَّذي لا يموت[١]! هؤلاء ولا شكَّ مردود عليهم.

وسادة الطائفة الأوَّلون، كانوا ملتزمين بالكتاب والسُّنَّة، سيد الطائفة أبو القاسم الجُنَيْد كان يقول: مَن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث فليس منَّا[٢].

علمنا هذا مقيَّد بالكتاب والسُّنَّة. كلُّ الطرق مسدودة، إلا مَن سار خلف رسول الله ﷺ.

وقال أبو سليمان الداراني: إنَّه لتقع النكتة في قلبي من نُكَت القوم، فلا أقبلها إلَّا بشاهدين عَدْلَيْن الكتابِ والسُّنَّة[٣]. هكذا وقفوا أنفسهم عند حدود العلم، الَّذي يعرِّفهم ما لهم وما عليهم. لذلك لا بدَّ من العلم أساسًا للحياة الرُّوحيَّة في الإسلام.

أهميَّة العلم:

العلم هو الَّذي يعرف به المسلم التوحيد من الشرك في العقيدة، والحلال من الحرام في السلوك، والمقبول من المردود في العمل، والسُّنَّة من البدعة في العبادة.

---

(١) انظر: الفتوحات المكية (٤٢٣/١)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت. والقائل أبو يزيد البسطامي.

(٢) انظر: الرسالة القشيرية (٧٩/١)، تحقيق الإمام الأكبر عبد الحليم محمود ود. محمود بن الشريف، نشر دار المعارف، القاهرة.

(٣) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٢٧/٣٤). وانظر: مدارج السالكين (٤٦٤/٢).

نسخة مجانية
غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

يَعْرف به مراتب الأعمال، الفاضل من المفضول، حتَّى لا ينشغل بالمفضول ويَدَع الفاضل، أو يشتغل بالنافلة ويَدَع الفريضة، والله لا يقبل النافلة حتَّى تؤدَّى الفريضة[١]. أو يشتغل بفرض الكفاية ويَدَع فرض العين، أو يشتغل بفرض خاصٍّ به، ويَدَع فرض عين يتعلَّق بإنقاذ الأمة، أو يشتغل بفرض كفاية قام به غيره، ويَدَع فروض كفاية تحتاج مَن يسدُّ ثُغُورها فلا تجد، وغير ذلك.

العلم هو الَّذي يقف بالإنسان عند حدود الله، ولهذا وجدنا إمامًا مثل حُجَّة الإسلام الإمام الغَزالي يبدأ كتابه «الإحياء»، موسوعته الإسلاميَّة، وهو ليس كتابًا واحدًا في الحقيقة، إنَّه أربعون كتابًا في كتاب، يبدأ هذه الكتب الأربعين بكتاب العلم، وفي آخر كتاب ألَّفه، وهو كتاب «منهاج العابدين»، ذكر فيه عَقَبات في طريق السائر إلى الله، فجعل العقبة الأولى عقبة العلم، يجب أنْ يجتازها.

ومن هنا نقول: إنَّ الحياة الرُّوحيَّة، أو الحياة الربَّانيَّة، أو الحياة الإيمانية، التي يرسمها الإسلام لا بدَّ أن تقوم على العلم، العلم المأخوذ من القرآن والسُّنَّة، هذا هو العلم، ولا علم بعد ذلك، إلا ما وافق الكتاب والسُّنَّة، وكما قال الإمام مالك إمام دار الهجرة، وهو في المسجد النبوي يشير إلى قبر النبي ﷺ ويقول: كلُّ أحد يُؤخذ منه ويُرَد عليه، إلَّا صاحب هذا القبر[٢]. هذا الأساس العلمي.

(١) رواه ابن أبي شيبة في زهد الصحابة (٣٥٥٧٤)، من وصية أبي بكر لعمر رضي الله عنهما.

(٢) البداية والنهاية (٣٠٢/١٨)، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، نشر دار هجر، القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

QaradawiBooks.com

الأُسُس العَمَلية للحياة الرُّوحيَّة:

ثم تأتي أُسُس عَمَلية، الأُسُس العمليَّة بعضها إيجابي وبعضها سلبي، وبعضها فعل وبعضها ترك.

غير مرخصة للطباعة

الأساس الأول: التعبُّد:

فأول الأُسُس العمليَّة، التعبُّد، التنسُّك، أنْ تعبد الله تبارك وتعالى، بل هذه هي المهمَّة الأولى للإنسان، وأيُّ مسلم لم يقرأ قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦ ـ ٥٨]؟

خُلق الإنسان لعبادة الله، إذا كانت المخلوقات خُلِقَت للإنسان وسُخِّرت له، كما قال الله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣]. فإنَّ الإنسان خُلِق لله، خُلِق لعبادة الله.

والعبادة في الإسلام أُفُق واسع، تبدأ بإقامة الشعائر، بأداء الفرائض، أو الأركان التي بُنِيَ عليها الإسلام: إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، هذه هي الفرائض. ثم تأتي بعد ذلك النوافل، التي أشار إليها الحديث القدسي: «**ولا يزالُ عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتَّى أُحِبَّه**»[1]. فالفرائض تصل بالإنسان إلى منزلة القرب من الله تعالى، والنوافل ترقى به إلى درجة الحبِّ من الله تبارك وتعالى. الفرائض والنوافل. المسلم لا بدَّ أنْ يؤدِّي فرائض الله ولا يهمل نوافله، يكمِّل الفرائض بالنوافل، فتكون رصيدًا له عند الله تبارك وتعالى، يُكمِّل بها ما يَنقُص من الفرائض، ويُقاوم بها ما عنده من سيئات.

(١) رواه البخاري في الرقاق (٦٥٠٢)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وليس المهم في العبادة شكلها ورسمها، إنَّما المهم في العبادة رُوحها، إنَّ الله وصف المنافقين بقوله: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾ [التوبة: ٥٤]. هم يصلُّون، ولكنها صلاة بلا رُوح، لا يذهب إليها إلا مُتثاقِلًا، ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢]. ولعلَّ هؤلاء أفضل من كثير من مُنافقي عصرنا، الذين لا يَأتون الصلاة كُسالى ولا غير كُسالى.

المسلم يصلّي صلاة الخاشعين، إنَّ الله لم يكتب الفلاح بمجرَّد الصلاة، إنَّما كتبه للذين هم في صلاتهم خاشعون، كما قال تبارك وتعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١، ٢]. ولم يأتِ في القرآن ولا في السُّنَّة (صَلِّ)، وإنَّما ورد: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وأيضًا: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣].

وإقامة الصلاة: أن تُؤدَّى مُستوِيَة قائمة مُعتدلة، على وجهها الصحيح، وتجمع إلى ذلك حضور القلب وخشوعه، كان النبيُّ ﷺ يقول: «**وجُعِلَ قُرَّةُ عَيْني في الصلاة**»[(١)]. وكان إذا حان وقتها قال لبلال مؤذِّنه: «**أرحنا بها يا بلال**»[(٢)]. وما أعظم الفرق بين مَن يؤدِّي الصلاة ليستريح بها، ومَن يؤدِّيها ليستريح منها!

ما أعظم الفرق بين مَن تكون قُرَّةُ عينه الدخول في الصلاة، ومن قُرَّةُ عينه الخروج من الصلاة.

---

(١) رواه أحمد (١٢٢٩٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. والنسائي في عشرة النساء (٨٨٣٦)، وصحَّح إسناده ابنُ الملقن في البدر المنير (٥٠١/١)، وحسَّنه ابن حجر في التلخيص (٢٤٩/٣)، عن أنس.

(٢) رواه أحمد (٢٣١٥٤)، وقال: رجاله ثقات لكن اختلف فيه على سالم بن أبي الجعد في إسناده. وأبو داود في الأدب (٤٩٨٦)، وصحَّحه الألباني المشكاة (١٢٥٣)، عن رجل من الأنصار.

QaradawiBooks.com

ما أعظم الفرق بين صلاة الأمر وصلاة الحب، «**أرحنا بها يا بلال**».

ليس المقصود من العبادة أنْ تُؤدِّي شكلها وتفقد روحها. إنَّ الصلاة المطلوبة هي التي تَنْهَى عن الفحشاء والمنكر، كما قال الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. وإنَّ الزكاة المطلوبة هي التي تُطهِّر صاحبها وتُزَكِّيه، كما قال الله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]. وإنَّ الصيام المطلوب، هو الَّذي يثمر التقوى، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]، ولهذا جاء في الحديث: «**رُبَّ صائمٍ حظُّه من صيامه الجوع والعطش، وربَّ قائمٍ حظُّه من قيامه السهر**»[(١)]، وفي صحيح البخاري: «**مَن لم يَدَعْ قولَ الزُّور والعمل به، فليس لله حاجةٌ في أنْ يَدَع طعامه وشرابَه**»[(٢)].

استمرار التعبُّد وشموله:

التعبُّد لله تبارك وتعالى أول الأُسُس العمليَّة، والتعبُّد في الإسلام ليس كالتعبُّد في أيِّ دين، إنَّه تعبُّد مستمر. في بعض الأديان يتعبَّد الإنسان لربِّه يومًا واحدًا في الأسبوع، أو ساعة من يوم، ثم ينصرف عنه طوال الأسبوع، أمَّا المسلم فهو على موعد مع ربِّه باستمرار، كما يحتاج إلى الوَجَبات المادِّيَّة لغذاء بطنه مرَّات كلَّ يوم، فإنه يحتاج إلى الوَجَبات الرُّوحيَّة لغذاء قلبه، ولهذا شُرِعَت الصلوات خمس مرَّات في اليوم،

(١) رواه أحمد (٨٨٥٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده جيد. وابن ماجه (١٦٩٠)، والنسائي في الكبرى (٣٣١٩)، والحاكم (٤٣١/١)، وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، ثلاثتهم في الصيام، عن أبي هريرة.

(٢) رواه البخاري في الصوم (١٩٠٣)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وظلَّ المسلم مطالَبًا بهذا إلى أنْ يُوافِيَه الأجل، لا يسقط عنه التكليف كما زعم مَن زعم، بل قال الله تعالى لنبيه الكريم ﷺ: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]، واليقين هو الموت. التعبُّد لله تعالى، وأول التعبُّد أداء الفرائض، ثم تكميلها بالنوافل.

الذكر والدعاء:

ومن التعبُّد الذِّكْر، أيْ ذكر الله، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢]. والذكر ذِكْرَان: ذكر القلب، وذكر اللسان، ولا بدَّ أنْ يواطئ أحدهما الآخر. والذكر كذلك نوعان: ذكر ثناء، وذكر دعاء. ذكر الثناء مثل أحبِّ الكلام: «**سبحانَ الله، والحمدُ لله، ولا إلٰه إلا الله، والله أكبر**»[(١)]، ومثل ما ورد في الحديث الَّذي ختم به الإمام البخاري جامعه الصحيح: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**»[(٢)]. هذا ذكر الثناء.

وهناك ذكر الدعاء، أنْ تسأل الله حاجتك، والله يحبُّ من الإنسان أنْ يسأله حاجته، حتَّى في شسع نعله، الله تعالى يقول: ﴿وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓ﴾ [النساء: ٣٢]، ويقول: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ [غافر: ٦٠]. وليس بينك وبين الله حجاب، وصدق الله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

---

(١) رواه مسلم في الآداب (٢١٣٧)، أحمد (٢٠٢٢٣)، عن سمرة.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في التوحيد (٧٥٦٣)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٦٩٤)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وقد يجمع المؤمن بين ذكر الدعاء وذكر الثناء، كما في سورة الفاتحة، أولها ثناء، وآخرها دعاء لله، وكما جاء في ذكر أولي الألباب، في آخر سورة آل عمران، حيث يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٩١]، فقوله: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ ﴾ ثناءٌ، وقوله: ﴿فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ دعاءٌ.

ثم ذكرت السورة جملة من أدعية أولي الألباب: ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ۞ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴾ [آل عمران: ١٩٣، ١٩٤].

وقد يأتي الدعاء في صيغة ثناء؛ أدبًا مع الله تبارك وتعالى، كما رأينا في نداء أيوب عليه السلام لربِّه، ﴿ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، لم يقل له اشفني، وإنَّما عرض حاله وترك سؤاله، ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، فهذا دعاء في صيغة ثناء.

وكذلك ذو النون، يونس عليه السلام، حينما نادى ربَّه، ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧]. فهو ذكر يجمع بين التوحيد والتنزيه والاعتراف، فقوله: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ ﴾ توحيد. وقوله: ﴿ سُبۡحَٰنَكَ ﴾ تنزيه. وقوله: ﴿إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ اعتراف.

وليس هناك دين عمل على ترطيب اللسان وعمارة القلب بذكر الله كالإسلام، إنَّه يصحب الإنسان في رحلة حياته كلِّها، في كلِّ عمل هناك ذكر لله تبارك وتعالى، وفي كلِّ حال، هناك أذكار الصباح وأذكار المساء، وأذكار

QaradawiBooks.com

اليوم والليلة، الذكر عند الأكل[١]، وعند الشرب[٢]، وعند لبس الثياب[٣]، وعند الدخول[٤]، وعند الخروج[٥]، وعند السفر[٦]، وعند الأوبة[٧]، وعند

(١) عن عمر بن أبي سلمة ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «سمِّ الله، وكُلْ بيمينك، وكُلْ ممَّا يليك». متَّفق عليه: رواه البخاري في الأطعمة (٥٣٧٦)، ومسلم في الأشربة (٢٠٢٢).

(٢) عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله ليرضى عن العبد أنْ يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليها». رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٣٤)، وأحمد (١١٩٧٣).

(٣) عن أبي سعيد الخدري قال: كان رسول الله ﷺ إذا استجدَّ ثوبا سمَّاه باسمه ـ عمامة أو قميصًا أو رداء ـ ثم يقول: «اللهم لك الحمد، أنت كسوتنيه، أسألك خيره وخير ما صنع له، وأعوذ بك من شرِّه ومن شرِّ ما صنع له». رواه أحمد (١١٤٦٩)، وقال مخرِّجوه: حسن. وأبو داود (٤٠٢٠)، والترمذي (١٧٦٧)، وقال: حديث حسن. كلاهما في اللباس.

(٤) عن جابر بن عبد الله، أنَّه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا دخل الرجل بيته، فذكر الله عند دخوله، وعند طعامه قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء. وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله، قال الشيطان: أدركتم المبيت. وإذا لم يذكر الله عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء». رواه مسلم في الأشربة (٢٠١٨)، وأحمد (١٤٧٢٩)، عن جابر.

(٥) عن أم سلمة قالت: ما خرج النبي ﷺ من بيتي قط، إلا رفع طرفه إلى السماء فقال: «اللهم إنِّي أعوذ بك أن أَضِلَّ أو أُضَلَّ، أو أَزِلَّ أو أُزَلَّ، أو أَظلِم أو أُظلَم، أو أَجْهَل أو يُجهل عليَّ». رواه أبو داود في الأدب (٥٠٩٤)، والترمذي في الدعوات (٣٤٢٧)، وقال: حسن صحيح. والنسائي في الاستعاذة (٥٤٨٦)، وابن ماجه في الدعاء (٣٨٨٤).

(٦) عن ابن عمر، أنَّ رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجًا إلى سفر، كبَّر ثلاثًا ثم قال: «سبحان الذي سخر لنا هذا، وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون، اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البرَّ والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هَوِّنْ علينا سفرنا هذا، واطْوِ عنا بعده، اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم إنِّي أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب في المال والأهل». وإذا رجع قالهن وزاد فيهن: «آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون». رواه مسلم في الحج (١٣٤٢)، وأحمد (٦٣١١).

(٧) عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم إنِّي أعوذ بك من البرص، والجنون، والجذام، ومن سيِّئ الأسقام». رواه أحمد (١٣٠٠٤)، إسناده صحيح على شرط مسلم. وأبو داود في الوتر (١٥٥٤)، والنسائي في الاستعاذة (٥٤٩٣)، وابن حبان في الرقاق (١٠١٧).

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

الركوب، وعند النزول[١]، وعند النوم وعند اليقظة[٢]، حتَّى عند الصلة الجنسية، يقول المسلم: «**باسم الله، اللهمَّ جَنِّبْنا الشيطان، وجَنِّب الشيطان ما رزقتنا**»[٣].

وكان النبي ﷺ أكثر الناس ذكرًا لله تبارك وتعالى، يذكر الله في كلِّ أحيانه، وعلى كلِّ أحواله. وعلى المسلم أنْ يُعْنَى بحفظ الأذكار القرآنية، والأذكار النبويَّة، فليس هناك أبلغ منها، ولا أشد تأثيرًا في القلب منها، فهي تجمع بين جمال اللفظ وكمال المعنى، وقد ألَّف شيخنا الغزالي في ذلك كتابه الممتع: «فن الذكر والدعاء عند خاتم الأنبياء»، وفي هذه الأدعية أُلِّفت كتب، مثل كتاب الإمام النسائي «عمل اليوم والليلة»، وكتاب الإمام النووي «الأذكار»، وكتاب الإمام ابن تيمية «الكلم الطيِّب»، وكتاب الإمام ابن القيِّم «الوابل الصيِّب»، وكتاب الإمام ابن الجزري «الحصن الحصين»، وشرحه للإمام الشوكاني «تحفة الذاكرين»، وهكذا أُلِّفت كتب في الأذكار التي تُقال عند كلِّ مناسبة.

والمسلم حين يدعو بالأدعية المأثورة له أجران: أجر الدعاء في نفسه، وأجر الاتباع، بخلاف الأوراد التي يؤلفها البشر.

النية الصالحة تجعل العادة عبادة:

يمتدُّ التعبُّد في الإسلام، حتَّى يشمل كلَّ عمل مشروع تصحُّ فيه النية، حتَّى الأعمال الدنيوية، حتَّى سعيك على معاشك في زراعة أو

---

(١) سبق تخريجه صـ٢٤١، وفيه: كان إذا استوى على بعيره خارجًا إلى سفر.

(٢) عن حذيفة بن اليمان قال: كان النبي ﷺ إذا أوى إلى فراشه قال: «باسمك أموت وأحيا». وإذا قام قال: «الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور». رواه البخاري في الدعوات (٦٣١٢).

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في الوضوء (١٤١)، ومسلم في النكاح (١٤٣٤)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

صناعة أو تجارة أو إدارة، أو طلب للعلم، وغيره، يصبح كلُّ ذلك عبادة وقُربة إلى الله تبارك وتعالى بالنيَّة، بالنيـــة الصالحة تنقلب العادات إلى عبادات، وتصير المباحات قُرُبَات، وهذا من عجائب ما جاء به الإسلام، ولهذا يستطيع المســـلم أنْ يعيش في عبادة دائمة، وأنْ تصبح الدُّنْيا كلُّها محرابًا كبيرًا ومســـجدًا له، وهو يمارس عمله الدنيوي اليومي، بل حتَّى في إتيان شهوته الحلال، كما جاء في صحيح مسلم: عن أبي ذر، أنَّ ناسًا من أصحاب النبي ﷺ قالوا للنبي ﷺ: يا رســـول الله، ذهب أهل الدثور بالأجور، يصلُّون كما نصلِّي، ويصومون كما نصوم، ويتصدَّقون بفضول أموالهم. قال: «**أوَلَيْس قد جعل الله لكم ما تَصَدَّقون؟ إنَّ بكلِّ تســـبيحةٍ صدقة، وكلِّ تكبيـــرةٍ صدقة، وكلِّ تحميدةٍ صدقـــة، وكلِّ تهليلةٍ صدقة، وأمرٌ بالمعـــروف صدقة، ونهيٌ عـــن منكرٍ صدقة، وفـــي بُضع أحدكم صدقة**». قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شـــهوته، ويكون له فيها أجر؟ قال: «**أرأيتم لـــو وضعها في حـــرام، أكان عليه فيهـــا وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحـــلال، كان له أجر**». وعند أحمد: «**أفتحتســـبون بالشـــرِّ ولا تحتســـبون بالخير؟**»[1]. بهذا يتبيَّن أنَّ التعبُّد لله من الأسس العمليَّة للحياة الرُّوحيَّة.

الأساس الثاني: الإحسان إلى الخلق:

ثم هناك بعد التعبُّد لله، الإحســـان إلى الخَلْـــق، لا أقول إلى الناس فقط، بل الإحسان إلى الخَلْق، الإحســـان الَّذي جاء به الإسلام لا يقف عند حدود المسلمين وحدهم، الإحسان يشـــمل المسلم وغير المسلم، ما دامـــوا غير محاربيـــن ولا معاديـــن للإســـلام، كما قـــال الله تعالى:

(١) رواه مسلم في الزكاة (١٠٠٦)، وأحمد (٢١٤٦٩).

QaradawiBooks.com

﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة: ٨]. ووصف الله الأبرار بقوله: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۞ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ ﴾ [الإنسان: ٨، ٩]. وكان الأسير من المشركين. جاء الإسلام بالإحسان إلى الناس جميعًا، ما داموا غير محاربين، ولا معادين للإسلام، ولا لأمَّته.

بل جاء الإسلام بالإحسان إلى الخلق جميعا، الإنسان والحيوان، فإنَّ رسالة النبي ﷺ ـ بأبي هو وأمي ـ رحمة للعالمين، فلا عجب أنْ يقتبس المسلم من هذه الرحمة للخلق جميعًا، يرحم البهائم العجماوات في زرائبها، يرحم الطير في أوكارها، ويرحم الحشرات في أماكنها، المسلم يرحم كلَّ شيء رحمة عامة، ولهذا جاء في الصحيح: «**دخلت امرأةٌ النار في هرَّة ربطتها، فلم تُطعمها ولم تَدَعْها تأكل من خشاش الأرض**»[(١)]. على حين «**أنَّ امرأة بغيًّا رأت كلبًا في يوم حارٍّ يُطِيف ببئر، قد أَدْلَع لسانَه من العطش، فنزعت له بمُوقِها** ـ أي استقت له بخُفِّها ـ **فغُفِرَ لها**»[(٢)].

الإحسان إلى البشريَّة من عمل المسلم، المسلم يحمل قلبًا كبيرًا يسع البشريَّة كلَّها، ويسع الخلق جميعًا، كما قال الإمام ابن تيمية: «إنَّ الدين يدور على محورين: تقوى الله، والشفقة على خَلْق الله»[(٣)]. أي الإحسان إلى خلق الله، وإلى هذا يشير قول الله تعالى، في آخر سورة النحل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨]، فهم مع الله بالتقوى، ومع خلقه بالإحسان.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في بدء الخلق (٣٣١٨)، ومسلم في البر والصلة (٢٢٤٢)، عن ابن عمر.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٦٧)، ومسلم في السَّلام (٢٢٤٥)، عن أبي هريرة.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٩٥/٢٧)، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، نشر مجمع الملك فهد، المدينة النبويَّة، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

QaradawiBooks.com

علاقة التصوف بالخُلُق:

من الإحسان حُسْن الخُلُق مع الناس، حتَّى إنَّ بعض كبار الصوفيَّة الأقدمين، أبو بكر الكتَّاني قال: التصوف هو خُلُق، فمن زاد عليك في الخُلُق، فقد زاد عليك في التصوف[١]. وعلَّق الإمام ابن القيِّم على ذلك فقال: بل الدِّين كلُّه خُلُق، فمن زاد عليك في الخُلُق، زاد عليك في الدين[٢].

ولا عجب فقد روى الحاكم وصحَّحه، عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**إنَّما بُعِثتُ لأُتَمِّمَ مكارمَ الأخلاق**»[٣]. وحينما أثنى الله تبارك وتعالى على رسوله ﷺ، أثنى عليه بهذا الوصف، فقال تعالى: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ [القلم: ٤].

سُئل بعض الصوفيَّة عن التصوُّف، ما هو؟ فقال: هو الصدق مع الحقِّ، والخُلُق مع الخَلْق. أي الصدق مع الله تبارك وتعالى، وحُسْنُ الخُلُق مع الخَلْق، هذا هو الإحسان في الجانب الإيجابي، في جانب الفعل والإتيان.

الأساس الثالث: الوَرَع:

ومن الأُسُس العمليَّة في جانب الترك: الوَرَع، ويكون باتقاء ما لا يحبُّه الله تبارك وتعالى، وهذا الورع أو الاتقاء أو التقوى ـ إنْ شئتَ أنْ تُسمِّيَه ـ مراتب ودرجات.

---

(١) رواه القشيري في رسالته (٣٩٧/٢)، تحقيق د. عبد الحليم محمود، ود. محمود بن الشريف، نشر دار المعارف، القاهرة.

(٢) انظر: مدارج السالكين لابن القيم (٣٠٧/٢).

(٣) سبق تخريجه صـ٥٢.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مراتب الورع:

وأول مراتبه: أنْ يتَّقي المسلم الشرك بالله تعالى، أنْ يتجنَّب الشرك أصغره وأكبره، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

ثم يتَّقي الكبائر، والكبائر درجات، فهناك كبائر، وهناك أكبر الكبائر، ثم يرتقي فيترك الصغائر، لا يستصغرها، فقد جاء في الحديث: «**إيَّاكم ومحقَّراتِ الذنوب، فإنَّهن يجتمعن على الرجل حتَّى يهلكنه**»، وإنَّ رسول الله ﷺ ضرب لهن مثلًا: «**كمثل قوم نزلوا أرضَ فلاةٍ، فحضر صنيعُ القوم، فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود، والرجل يجيء بالعود، حتَّى جمعوا سَوَادًا فأجَّجوا نارًا وأنضجوا ما قذفوا فيها**»[(١)]. عُود بعد عُود، ومعظم النار من مستصغَر الشرر كما قيل، «**إنهنَّ يجتمعن على الرجل حتَّى يُهْلِكْنَه**».

ولهذا لمَّا مرض أحد الصالحين من السلف، زاره بعض أصحابه، فوجده يبكي، فقال: يا أبا فلان، علام تبكي؟ وما رأينا عليك منكرًا ارتكبتَه، ولا فرضًا ضيَّعتَه؟ فقال: والله ما أبكي على منكر ارتكبتُه، ولا على فرض ضيعتُه، ولكن أخشى أنْ أكون قد أتيتُ ذنبًا، أحْسَبُه هَيِّنًا، وهو عند الله عظيم[(٢)].

---

(١) رواه أحمد (٣٨١٨)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. والطبراني في الكبير (٢١٢/١٠)، والأوسط (٢٥٢٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٤٥٩): رواه أحمد والطبراني في الأوسط ورجالهما رجال الصحيح غير عمران بن داود القطان وقد وثِّق. وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٤٧٠): صحيح لغيره. عن ابن مسعود.

(٢) عن الوليد بن أبي الوليد، أنَّ رجلًا من أصحاب رسول الله ﷺ حضره الموت فبكى، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: أمَّا إنِّي لا أبكي على الدنيا، ولكنِّي أبكي أخاف أن أكون كنتُ أقول قولًا أحسبه هينًا، وهو عند الله عظيم. رواه ابن أبي الدنيا في المحتضرين (٣٦٥).

QaradawiBooks.com

ولذلك كان بعض السلف يقول: الذنب الَّذي لا يُغفر، هو الذنب الَّذي يقول فيه صاحبه: ليتَ كلُّ ذنب فعلتُه مثلَ هذا. احتقارًا واستصغارًا، وفي حديث ابن مسعود، «**إنَّ المؤمن يرى ذنوبه كأنَّه قاعد تحت جبل يخاف أنْ يقع عليه، وإنَّ الفاجر يرى ذنوبه كذباب مرَّ على أنفه، فقال به هكذا**»[(١)].

هكذا يتدرج الاتقاء: اتقاء الشرك، ثم اتقاء الكبائر، ثم اتقاء المحرَّمات ولو كانت صغائر، ثم يرتقي المسلم فيجتنب الشبهات، ما اشتبه في حِلِّه وحرمته، كما في حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**إنَّ الحلال بيِّن وإنَّ الحرام بيِّن، وبينهما مُشْتَبَهات، لا يعلمهنَّ كثير من الناس، فمَن اتَّقى الشُبُهات استبرأ لدِينه وعِرْضه، ومَن وقع في الشُبُهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحِمَى يوشك أنْ يرتع فيه، ألا وإنَّ لكلِّ مَلِكٍ حِمًى، ألا وإنَّ حِمَى الله محارمه، إلا وإنَّ في الجسد مُضغَة، إذا صلحت صلح الجسد كلُّه، وإذا فسدت فسد الجسد كلُّه، ألا وهي القلب**»[(٢)].

ثم يرتقي، فلا يكتفي بترك الشبهات، بل يترك المكروهات، سواء كان مكروهًا تحريميًّا: وهو ما كان إلى الحرام أقرب، أو كان مكروهًا تنزيهيًّا: وهو ما كان إلى الحلال أقرب. يترك المكروهات، بل يرتقي حتَّى يَدَع بعض الحلال، كما كان بعض السلف يقولون: إنا لنَدَع تسعة أعشار الحلال، خشية من الوقوع في الحرام[(٣)].

---

(١) رواه البخاري في الدعوات (٦٣٠٨)، عن ابن مسعود.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٥٢)، ومسلم في المساقاة (١٥٩٩)، عن النعمان بن بشير.

(٣) رواه عبد الرزاق في البيوع (١٤٦٨٣) عن عمر، وإسناده منقطع بين الشعبي وعمر.

QaradawiBooks.com

وفي الحديث الَّذي رواه الترمذي: «**لا يبلغ العبد أنْ يكون من المتَّقين، حتَّى يَدَع ما لا بأس به حذرًا ممَّا به بأس**»[١]. هذا هو جانب الورع.

الأساس الرابع: الزُّهد:

ثم هناك بعد الورع الزُّهد، وهو أعلى من الورع، أعلى من الورع أنْ يزهد الإنسان في الدنيا، كما جاء في الحديث الَّذي ذكره الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ، في «الأربعين النووية» وحسَّنه: «**ازهَدْ في الدُّنْيا يُحِبَّكَ الله، وازهدْ فيما عند الناس يُحبَّكَ النَّاس**»[٢].

حقيقة الزهد:

والزهد في الإسلام ليس تركًا للدنيا، ليس تركًا للعمل فيها، بل العمل في الدُّنْيا عبادة، هو جزء من الخلافة في الأرض، كما قال الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ اللَّهُ في الذريعة إلى مكارم الشريعة: إنَّ مقاصد الخالق من المكلفين ثلاثة: الخلافة والعبادة والعمارة.

وقد أشار القرآن الكريم إلى المقاصد الثلاثة: أشار إلى المقصد الأول وهو الخلافة بقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠].

---

(١) رواه الترمذي في صفة القيامة (٢٤٥١)، وقال: حسن غريب. وابن ماجه في الزهد (٤٢١٥)، والحاكم في الرقاق (٣١٩/٤)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي، وضعَّفه الألباني في ضعيف الترمذي (٤٣٥)، عن عطية السعدي.

(٢) رواه ابن ماجه في الزهد (٤١٠٢)، والطبراني (١٩٣/٦)، والحاكم في الرقاق (٣٤٨/٤)، وصحَّح إسناده، وقال الذهبي: خالد بن عمرو القرشي وضَّاع. وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٣١٠)، عن سهل بن سعد الساعدي. وهو الحديث الحادي والثلاثون من الأربعين النووية.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

والمقصد الثاني وهو العبادة بقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وإلى المقصد الثالث وهو العمارة بقوله: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١][1].

فالزهد إذنْ ليس تركًا لعمارة الأرض، الزهد زهد القلوب، زهد الإرادة، أنْ تكون إرادتك مجتمعة على الآخرة، ألا تريد الدُّنْيا في مقابلة إرادة الآخرة، ولهذا يذكر القرآن صنفين: صنف يريد الدنيا، وصنف يريد الآخرة، يقول تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠]. ويقول: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ۞ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٨، ١٩]. هي الإرادة إذنْ.

ولهذا قال أحد مشايخ الصوفيَّة لأتباعه، حينما أصاب بعضهم من الدُّنْيا ما أصاب، وكأنه تَوَجَّس من ذلك، قال له: لا تبالوا، اجعلوها في أيديكم، ولا تجعلوها في قلوبكم.

المهم أنْ تعيش في الدُّنْيا ولا تعيش فيك، أنْ تملكها ولا تملكك، أنْ تستخدمها ولا تستخدمك، أنْ تُسخِّرها ولا تُسخِّرك، ألَّا تتَّخذها ربًّا، فتتخذك لها عبدًا، هذا هو المهم، الزهد في الدنيا، ليس ترك العمل، وليس ترك الاستمتاع بالطيبات، فقد عمل الصحابة، وعمل التابعون، وعمل سلف الأُمَّة، حتَّى صنعوا الحضارة الإسلاميَّة التي جمعت بين

(١) انظر: الذريعة إلي مكارم الشريعة صـ٨٢، ٨٣، تحقيق د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، نشر دار السلام، القاهرة، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

QaradawiBooks.com

الرُّوح والمادة، وبين العلم والإيمان، وبين الربَّانيَّة والإنسانية، ولو تركوا العمل وتركوا الدنيا، ما أنشؤوا هذه الحضارة المتوازنة.

القرآن الكريم يقول في سورة الجمعة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩، ١٠]. إذنْ كانوا قبل الصلاة في بيع وشراء وعمل دنيوي، وبعد الصلاة انتَشَروا في الأرض، وابتَغَوْا من فضل الله.

ولذلك حينما رأى عمر جماعة في المسجد قابعين بعد صلاة الجمعة، نهرهم وعلاهم بدِرَّته، وقال: مَن أنتم؟ قالوا: نحن متوكِّلون. قال: بل أنتم متأكِّلون. ثم قال قولته المشهورة: لا يقعدنَّ أحدكم عن طلب الرزق ويقول: اللهمَّ ارزقني. وقد عَلِم أنَّ السماء لا تُمْطر ذهبًا ولا فضَّة، إنَّما يرزق الله الناس بعضهم من بعض، أَمَا سمعتم الله يقول: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠]؟ ثم علاهم بدِرَّته، وأخرجهم من المسجد[(١)].

الزهد لا يعني ترك العمل، كيف؟ والنبيُّ ﷺ يقول: «**إنْ قامت الساعة وفي يد أحدكم فَسِيلة، فإن استطاع ألَّا تقوم حتَّى يغرِسَها فليغْرسْها**»[(٢)]. انظروا إلى تكريم العمل لذات العمل، المسلم منتج، معطاء للحياة، حتَّى آخر رمق، لماذا يغرس هذه النخلة الصغيرة أو الشتلة أو الفسيلة؟ إنَّه لن يأكل منها، ولن يأكل منها أحد من بعده، كما قال مَن قال: زرع لنا

(١) انظر: إحياء علوم الدين (٦٢/٢).

(٢) رواه أحمد (١٢٩٨١)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والبخاري في الأدب المفرد (٤٧٩)، والضياء في المختارة (٢٧١٥)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٩)، عن أنس.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

من قبلنا فأكلنا، ونزرع ليأكل مَن بعدنا. لن يأكل منها فالساعة قائمة، إنَّما هنا إشـــارة إلى أنَّه يجب أنْ يظلَّ عاملًا مُنْتِجًا، وإن لم يأكل منها هو أو أحد بعده، «**فليغرسْها**»، هذا هو الإسلام.

الزهد إذنْ ليس هو ذلك الزهد الأعجمي، الَّذي انتقل إلى المسلمين من المذاهب النُّسُكية، والمذاهب الزهدية والتقشفية، مثل مانويَّةِ فارس، أو برهميَّة الهند، أو رهبانيَّة النصارى، لا، ليس هناك اعتزال للحياة.

الزهد: إيثار الآخرة على الدنيا. وصـــدق الله: ﴿**فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۞ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۞ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۞ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۞ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ**﴾ [النازعـات: ٣٧ ـ ٤١]، المهـــم ألا يُؤثِر الدُّنْيا على الآخرة، ألا تكون الدُّنْيا أكبر همِّـــه، ومبلغَ علمه، ولذلك ذمَّ الله قومًـــا بقولـــه: ﴿**فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۞ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ**﴾ [النجـــم: ٢٩، ٣٠]. وكان من دعاء النبـــي ﷺ، كما يقول عبد الله بن عمر رضي الله عنه: «**اللهـــمَّ لا تجعل الدُّنْيا أكبـــرَ هَمِّنا، ولا مبلغ علمنا**»[1]. هذا هو الزهد.

هذه هي الأُسُس العمليَّة للحياة الرُّوحيَّة، سواء في جانبها الفعلي، أو الجانب التركي.

الأُسُس الوِجْدانية للحياة الرُّوحيَّة:

ثم هناك أُسُس وِجْدانية وعاطفية وإرادية، وهي ما يسمِّيه الصوفيَّة بـ«الأحوال» أو «المَقَامـــات» أو «المنازل»، ولا أريـــد أنْ أدخل في

(١) جزء من حديث رواه الترمذي في الدعوات (٣٥٠٢)، وقال: حسن غريب. والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠١٦١)، وحسَّنه الألباني في صحيح الترمذي (٢٧٨٣)، عن ابن عمر.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مهيئة
QaradawiBooks.com

بحار هذه المصطلحات، واختلاف الناس فيها، أنا حتَّى في كتبي الفقهية أتجنَّب وُعُورة المصطلحات، وأبتعد عنها إلى السهولة والبساطة، لا داعي لاستعمال هذه المصطلحات التي يشقُّ على الناس فَهمها، وتكفينا المعاني التي جاء بها الإسلام، كالتي ذكرها الإمام الغزالي، في الربع الأخير من كتابه «الإحياء»، وسمَّاها المُنجِيات، أي الأخلاق المُنجِيات: كالتوبة والإخلاص، والورع والزهد، والتوكل على الله، والمحبَّة والأُنس بالله، والرضا، والتفكُّر والتدبُّر، والشكر والصبر، والخوف والرجاء، وذكر الموت والآخرة، إلى آخر هذه المعاني، التي لا بدَّ منها، إذا أردنا أنْ نحيا حياة إيمانية ربَّانيَّة. وكل هذه المعاني تكون أُسسًا وجدانيَّة للحياة الربَّانيَّة أو الرُّوحيَّة. وسأكتفي في هذا المقام بأساسين: أولهما: الإخلاص لله، والثاني: الخوف والرجاء.

الأساس الأول: الإخلاص:

الإخلاص لله قبل كلِّ أمر، لا قيمة للعمل إذا لم يصحبه الإخلاص، الله تعالى يقول: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]. ومن هنا كانت قيمة النية والباعث على الفعل في الإسلام، «**إنَّما الأعمال بالنيَّات، وإنَّما لكلِّ امرئ ما نوى، فمَن كانت هجرته إلى دُنْيا يُصِيبها أو إلى امرأةٍ ينكحها فهجرته إلى ما جاهر إليه**»[(١)].

قد يُثاب الإنسان على العمل وهو لم يعمله، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء: ١٠٠].

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في بدء الخلق (١)، ومسلم في الإمارة (١٩٠٧)، عن عمر.

QaradawiBooks.com

وقد يعمل الإنسان العمل ناقصا فتكمِّله له نيَّته، كالذي تصدَّق على سارق وعلى زانية وعلى غني، فلم يضِعْ عملُه سُدًى، كما في صحيح البخاري[١].

النية لها أهميتها، إخلاص العمل لله تبارك وتعالى، كما يقول ابن عطاء في حِكَمه: الأعمال صور قائمة، ورُوحها وجود سرِّ الإخلاص فيها[٢]. العمل بلا إخلاص تمثال بلا رُوح، لا حياة فيه، جثَّة هامدة، الإخلاص لله تبارك وتعالى، هو ما كان يُعني الصالحين قديمًا، فقد كان يعمل أحدهم ما يعمل من الصالحات، ثم يقول: وما يدريني أن هذا قد قبله الله مني، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧][٣]. والتقوى هاهنا، أي في الصدر، كما ورد بذلك الحديث[٤]. إنَّه يخشى على عمله أنْ يكون قد دخله الرياء أو العجب أو الغرور، فيُفسده ويُدمِّره.

ورحم الله ابن عطاء الله السكندري حينما قال أيضًا: «ربَّما فتح الله لك باب الطاعة، وما فتح لك باب القبول، وقضى عليك بالذنب، فكان

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٤٢١)، ومسلم (١٠٢٢)، كلاهما في الزكاة، عن أبي هريرة.

(٢) انظر: حكم ابن عطاء الله صـ٥٩، شرح الشيخ زروق، تحقيق د. عبد الحليم محمود، ود. محمود بن الشريف، نشر دار الشعب، القاهرة.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في المحتضرين (١٧٩)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٣/٢٦)، عن عامر بن عبد الله.

(٤) إشارة إلى الحديث الذي رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٦٤)، وأحمد (٧٧٢٧)، بلفظ: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانًا؛ المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله ولا يَحْقِرُه، التقوى هاهنا»، ويشير إلى صدره ثلاث مرات، «بحَسْب امرئ من الشر أنْ يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه».

QaradawiBooks.com

سببًا في الوصول، معصيةٌ أورثت ذُلًّا وانكسارًا، خيرٌ من طاعة أورثت عزًّا واستكبارًا»[١].

قد يهلك الإنسان بسبب طاعة لم يتوفَّر فيها الإخلاص، ولم يدُم معها الإخلاص، ولهذا جاء في القرآن الكريم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، وجاء في الحديث، أن أول من تُسَعَّر بهم النار يوم القيامة الثلاثة المعروفون، المجاهد الَّذي قاتل واستشهد، والعالم الَّذي عَلِم وعلَّم، والجَوَاد الَّذي أنفق ماله للناس، ولكنْ كان عملهم كله في غير إخلاص. فعلوا ذلك رياء، فعل الأول ذلك ليقول الناس: هو شجاع. وفعل الثاني ليقول الناس: هو عالم. وفعل الثالث ليقول الناس: هو جواد سخيّ. وقد قيل، فلا عجب أنْ يقال لكلٍّ منهم: اذهب فخذ أجرك من الناس. وهم أول من تسعَّر بهم النار يوم القيامة.

وهذا ما بيَّنه حديث مسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، أنَّه قال: «**إنَّ أوَّل الناس يُقضَى يوم القيامة عليه: رجل استُشهِد فأُتِي به فعرَّفه نعَمَه فعرَفها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: قاتلتُ فيك حتَّى استُشهِدتُ. قال: كذبتَ، ولكنَّك قاتلتَ لأنْ يقال: جَرِيء. فقد قيل، ثم أُمِر به فسُحِب على وجهه حتَّى أُلقِي في النار. ورجل تعلَّم العلم وعلَّمه وقَرأ القرآن فأُتِي به فعرَّفه نِعَمَه فعَرَفها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: تعلَّمتُ العلم وعلَّمْتُه، وقرأتُ فيك القرآن. قال: كذبتَ، ولكنك تعلَّمتَ العلم ليقال: عالم. وقرأتَ القرآن ليقال: هو قارئ. فقد قيل، ثم أُمِر به فسُحِب على وجهه حتَّى أُلقِي في النار. ورجل وسَّع اللهُ عليه وأعطاه من أصناف المال كلِّه، فأُتِي به فعرَّفه نعَمَه فعَرفَها قال: فما عملتَ فيها؟**

(١) انظر: حكم ابن عطاء الله شرح الشيخ زروق صـ٢٢٢ ـ ٢٢٤.

QaradawiBooks.com

قال: ما تركتُ من سبيل تُحِب أنْ يُنفَق فيها إلَّا أنفقتُ فيها لك. قال: كذبتَ، ولكنَّك فعلتَ ليقال: هو جَوَاد. فقد قيل، ثم أُمِر به فسُحِب على وجهه ثم أُلقِي في النار»[1].

فالأمر خطير إذنْ. الإخلاص هو من أهم ما يجب أنْ يحرص عليه مَن يريد أنْ يحيا حياة رُوحية ربَّانيَّة إيمانيَّة إسلاميَّة.

الأساس الثاني: حب الله:

والأساس الثاني من الأسس الوجدانيَّة القلبيَّة، للحياة الروحيَّة عند المسلم: حبُّ الله. وكلمة «الحبِّ» لا تحتاج إلى تفسير، وإنْ حاول بعض المتكلِّمين أنْ يصرفوها عن معناها الحسن إلى معنى مجازي، ظنًّا منهم أنَّ هذا المعنى لا يليق بكمال الله تعالى. والواقع أنَّه لا حاجة إلى ذلك، فكلُّ شيء يحَبُّ بحبِّه، فحبُّ المرأة، غير حبِّ الطعام، غير حبِّ المال، غير حبِّ الشهرة.

وحب الله تعالى: تعلُّق القلب به تعلُّقًا يجعله موصولًا به، ذاكرًا له، هائمًا به، مشتاقًا إليه، راغبًا في قُربه، متطلِّعًا إلى لقائه، ممتثلًا لأمره، مجتنبًا لنهيه. فأصل الحبِّ عاطفيٌّ، وثمرته عمليَّة.

ولماذا يحبُّ المسلم الله جلَّ جلاله؟

حبُّ الله لإحسانه:

إنَّه يحبُّه، حب المرء لكلِّ مَن يحسن إليه، ويصنع له معروفًا، أو يقدِّم له خدمة، فهذه طبيعة الإنسان، حتَّى قال بعض السلف: اللهمَّ لا تجعل لفاجر عليَّ منَّة، فيحبَّه قلبي.

---

(١) رواه مسلم في الإمارة (١٩٠٥)، وأحمد (٨٢٧٧)، عن أبي هريرة.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فكيف إذا كان كلُّ خير، وكلُّ إحسان، وكلُّ نعمة يَنْعَمُ بها الإنسان، إنَّما هي من الله تعالى، هو الَّذي وهبها إياه، ويسَّرها له، بطريق أو بآخر، كما قال ﷻ: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠]. وفي الحديث: «**أحبُّوا الله لما يَغْذُوكم به من نعمةٍ، وأحبُّوني لحبِّ الله، وأحبُّوا أهل بيتي لحُبِّي**»(١).

وكلُّ إنسان ـ بل كلُّ مخلوق ـ لا بدَّ له من نعمتين لكي تستمرَّ حياته، ووجوده: نعمة الإيجاد، ونعمة الإمداد.

فالله هو الَّذي أوجد الإنسان و﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١]، وهو الَّذي أمدَّه بما يحتاج إليه في حياته، من العقل والجسم، والمواهب الرُّوحية، والإدراكية والوجدانيَّة، وهب له وسائل التعلُّم من كتاب الكون المنظور، ومن كتاب الوحي المسطور، كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨]. فبالسمع يعرف علوم الوحي، وبالبصر يعرف علوم الكون القائمة على المشاهدة والتجربة، وبالقواعد يعرف العلوم العقليَّة، التي تحتاج إلى التأمُّل والتفكُّر في الآفاق وفي الأنفس، والنظر في ملكوت السماوات والأرض، وما خلق الله من شيء.

وقد ذكَّر القرآن الإنسان بجملة من النعم في سورة الأنعام، يجدر به أنْ يستحضرها ولا ينساها، ويشكرها ولا يكفرها، وهي خليقة أنْ تهديه إلى محبَّة الله تعالى.

---

(١) رواه الترمذي في المناقب (٣٧٨٩)، وقال: حسن غريب. والحاكم في معرفة الصحابة (١٦٢/٣)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي، وأبو نعيم في الحلية (٢١١/٣)، وضعَّفه الألباني في فقه السيرة (٢٠)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

وكيف لا يحب المرء ربَّه الَّذي خلقه فسوَّاه فعدله، وصوَّره فأحسن صورته، وخلقه في أحسن تقويم، وكرَّمه أعظم تكريم، ونفخ فيه من رُوحه، ونزَّل عليه كتبه، وبعث إليه رسله، ولم يتركه سُدًى، ولم يهمل شأنه، وغمره بالإحسان من قرنه إلى قدمه، منذ كان جنينًا في بطن أمه، كان يرعاه بعينه التي لا تنام، وبعد نزوله منه، أجرى له عرقين في صدر أمه يُجريان لبنًا خالصًا سائغًا لرضاعته، دافئًا في الشتاء باردًا في الصيف، ولم تزل عناية الله تحوطه وترعاه، رضيعًا، وفطيمًا، وصبيًّا، ومراهقًا، وشابًّا، ويافعًا، وكهلًا، وشيخًا، حتَّى يوافيه الأجل، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۞ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ۞ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ۞ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾ [السجدة: ٦ ـ ٩].

هذا الإلٰه من شأنه أنْ يحبَّه المؤمنون، ويخلصوا في حبِّه، فهو خالقهم ورازقهم ومدبِّر أمرهم، والذي لم يكِلهم لحظة واحدة لأنفسهم، ولو فعل لهلكوا.

وإذا كان الإنسان يحبُّ أبويه، لأنهما السبب في خلقه، وهما اللذان رعياه في صغره، حين لم تكن له سنٌّ تقطع، ولا يد تبطش، ولا قدم تسعى؛ فإنَّ الله هو الَّذي خلق أبويه، وأودع في صدورهما هذا الحنان، وهذه الرحمة، فهو أولى أنْ يُحَبَّ.

وإذا كان الوثنيون يحبُّون آلهتهم المزعومة، وهي أصنام لا تبصر ولا تسمع، ولا تعطي ولا تمنع، ولا تخفض ولا ترفع، وهي لا تكلِّمهم ولا تهديهم سبيلًا، فكيف لا يحبُّ المؤمن ربَّه، وهو كما قال إبراهيم

QaradawiBooks.com

الخليل: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ۞ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ۞ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ۞ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحۡيِينِ ۞ وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء: ٧٨ ـ ٨٢]، وقد قال تعالى في موقف المشركين وموقف المؤمنين: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

حب الله لجماله وجلاله وكماله:

وكما يحبُّ المؤمن ربَّه لإحسانه وإنعامه عليه، يحبُّه أيضًا لمجرَّد جماله وجلاله وكماله، فهو سبحانه جميل الجمال، وهو ذو الجلال والإكرام، وهو المتَّصف بكلِّ كمال، المنزَّه عن كلِّ نقص، له الأسماء الحسنى والصفات العلا، سبحانه لا نحصي ثناء عليه، هو كما أثنى على نفسه، لا يشبه شيئًا، ولا يشبهه شيء، بل هو كما وصف نفسه: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۞ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۞ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۞ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ [الإخلاص: ١ ـ ٤]، ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۞ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۞ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٢٢ ـ ٢٤].

فهذا هو الكمال الأعلى، الَّذي لا يشوبه نقص، ولا يتطرَّق إليه

QaradawiBooks.com

تغيير، فهو كمال الكمالات، ومصدر كلِّ كمال وجمال في العالم، ومن طبيعة الإنسان أنْ يحبَّ كلَّ جميل، وكلَّ كامل، ومن هنا تعلَّق الناس بالأبطال، وبنجوم العلم والأدب والفن والرياضة، وغيرهم، وبعضهم يحبُّ الواحد من هؤلاء حبًّا جنونيًّا، وهو لم يره في حياته وجهًا لوجه.

بل ربما كان ميتًا، كما كنا نرى الناس في القرى يتعلَّقون بأبطال القصص التي يسمعونها، مثل قصة عنترة بن شداد، وأبو زيد الهلالي، ونحوها، ويفرحون لفرحهم، ويألمون لألمهم، وقد يمتنع أحدهم عن الطعام إذا أُسر بطل القصة، ووقفت الحلقة عند هذا الحدِّ، كما يفعل مخرجو المسلسلات في عصرنا.

هذا التعلق الوجداني بكل ما هو حسن فطرة إنسانية، وليس هناك من هو أحق بالتعلق والحب من الله تبارك وتعالى، ذي الجلال والإكرام.

وقد وصف القرآن الجيل الَّذي ادَّخره القدر لنصرة الإسلام، حين يرتدُّ المرتدون، بأنَّهم يحبُّون الله كما يحبُّهم الله تعالى، قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ٥٤]. كما جعل القرآن علامته على محبة المكلف لله تعالى: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٣١، ٣٢]. بل جعل محبَّة الله ورسوله، تفْضُلُ كلَّ ما يحرص الناس عليه في الدُّنْيا من علائق القرابة والأُبوَّة والبنوَّة والأخوَّة والزوجية والعشيرة والتجارة والأوطان التي يسكنها الناس ويستحبُّونها. إذا وضِعت كلُّ هذه الأمور في كفَّة، وحبُّ الله ورسوله

QaradawiBooks.com

والجهاد في سبيله في كفَّة أخرى، وجب أن نرجِّح كفَّة حبِّ الله ورسوله والجهاد في سبيله، كما قال ﷻ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

وكثيرًا ما يقترن ـ في القرآن والسُّنَّة ـ حبُّ الله بحبِّ رسوله، فإن حبَّ رسوله، إنَّما هو ثمرة لحبِّه تعالى، فإنَّ من أحبَّ اللهَ، أحبَّ كلَّ مَن يحبُّه الله، وكلَّ مَن يحبُّ الله، وكلَّ مَن يوالي الله، أو من يواليه الله، ومحمد ﷺ أقرب الناس إلى الله، وأحبُّهم إلى الله، وهو المبلِّغ عن الله، والداعي إلى الله، والهادي إلى صراط الله، فلهذا اقترن حبُّه بحبِّه، وطاعته بطاعته، ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، وبيعته ببيعته، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠].

جاء رجل يسأل النبي ﷺ: متى الساعة؟ فقال: «**وماذا أعددتَ لها؟**». قال: لا شيء، إلَّا أنِّي أحبُّ الله ورسوله. فقال: «**أنت مع مَن أحببتَ**». قال أنس: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبيِّ ﷺ: «**أنت مع مَن أحببتَ**». قال أنس: فأنا أحبُّ النبي ﷺ وأبا بكر وعمر، وأرجو أنْ أكون معهم بحبِّي إيَّاهم، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم[(١)].

والله ما أعددتُ لها كثيرَ صلاةٍ ولا صيام، غير أنِّي أحبُّ الله ورسوله. قال: «**إنَّ المرء مع مَن أحبَّ**»[(٢)].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في فضائل أصحاب النبي (٣٦٨٨)، ومسلم في البر والصلة (٢٦٣٩)، عن أنس بن مالك.

(٢) كما في الحديث المتَّفق عليه عن ابن مسعود: رواه البخاري في الأدب (٦١٦٩)، ومسلم في البر والصلة والآداب (٢٦٤٠).

QaradawiBooks.com

لقد فكَّر الناس على اختلاف مستوياتهم، واختلاف ألسنتهم، واختلاف بلدانهم، في هذه «القوة العليا» التي يشعرون بها في أعماقهم، يتجَّهون إليها في الأوقات، ويمدُّون إليها أيديهم داعين ومتضرِّعين في المحن والشدائد، ويسألونها ما تعجز عنه قواهم الظاهرة، وإمكاناتهم المعتادة، فكثيرًا ما تستجيب لهم، وتلبِّي مطالبهم، وتقضي حاجاتهم، ثم سرعان ما ينسَونها، وينشغلون عنها، إذا واتتهم العافية بعد البلاء، والسرَّاء بعد الضرَّاء، وهو الَّذي صوَّره القرآن تصويرًا بليغًا دقيقًا من حياة الإنسان في الشدَّة والرخاء، والبأساء والنعماء، بقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٢ ـ ٢٤]. إنَّ بعض المؤمنين يشعرون أنَّ وجود الله تعالى ليس في حاجة إلى دليل يثبته، بل يحسبون أنَّ وجوده تعالى أظهر من كلِّ حقيقة، ويقولون: كيف يستدلُّون عليك بما هو في وجوده يحتاج إليك؟

الأساس الثالث: الجمع بين الخوف والرجاء:

ثم هناك من الأسس الوجدانيَّة، للحياة الرُّوحيَّة عند المسلم: الخوف والرجاء، أنْ يخاف عذاب الله ويرجو رحمته. النفس الإنسانية تحتاج إلى

QaradawiBooks.com

زمام يقودها، وسوط يسوقها، وكما قال ابن عطاء: «لا يُخرِج الشهوة من القلب إلا خوفٌ مُزْعِج، أو شَوْق مُقلِق»[١]. لا بدَّ من شوق ولا بدَّ من خوف، لا بدَّ من رَغَب ومن رَهَب، لا بدَّ من الأمرين معا، الخوف والرجاء بحيث يتوازنان، كما في القرآن الكريم: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٩]. ووصف القرآن قومًا بأنَّهم: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧]، وقومًا بقوله: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠]، خوفًا وطمعًا، هذا هو شأن المؤمنين، التوازن بين الخوف والرجاء.

حتى قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لو نادى منادٍ يوم القيامة، كلُّ الناس في الجنة إلا واحدًا، لخِفتُ أنْ أكون ذلك الواحد، ولو نادى المنادي، كلُّ الناس في النار إلا واحدًا، لرجوتُ أن أكون ذلك الواحد[٢]. فالرجاء والخوف يتوازنان في نفسه، وهذا هو ما جاء به القرآن، كما نرى في قوله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠]. فجعل الرحمة من أسمائه وصفاته، وجعل العذاب من أفعاله، وفرَّق بين الأمرين. لا بدَّ من الأمرين، ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ﴾، فلم يقل: «وأنِّي أنا المُعَذِّب». لم يصف نفسه بذلك، ولذلك قال ابن تيمية: «جعل المغفرة والرحمة من معاني أسمائه الحسنى، التي يسمِّي بها نفسه، فتكون المغفرة والرحمة من صفاته، وأمَّا العقاب الَّذي يتصلُّ بالعباد فهو مخلوق له، وذلك هو الأليم، فلم يقل: وأنِّي أنا المعذِّب. ولا في أسمائه الثابتة عن النبي ﷺ اسم المنتقم، وإنَّما جاء المنتقم في القرآن مقيَّدًا كقوله: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢]. وجاء معناه مضافًا

(١) انظر: حكم ابن عطاء الله صـ٣٥٩.

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٥٣/١).

QaradawiBooks.com

إلى الله في قولـــه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [إبراهيـــم: ٤٧]. وهذه نكرة في سياق الإثبات، والنكرة في ســـياق الإثبات مطلقة ليس فيها عموم على سبيل الجمع»[١].

ويقول ابن القيم: «أســـماؤه تعالى منها ما يطلق عليه مفردًا ومقترنًا بغيره، وهو غالب الأسماء، كالقدير والسميع والبصير والعزيز والحكيم، وهذا يســـوغ أنْ يُدعى به مفردًا ومقترنًا بغيره، فتقول: يا عزيز، يا حليم، يا غفور، يا رحيم. وأنْ يفرد كلُّ اسم، وكذلك في الثناء عليه والخبر عنه، بما يسوغ لك الإفراد والجمع.

ومنها ما لا يطلق عليه بمفرده، بـــل مقرونًا بمقابله، كالمانع والضار والمنتقم، فلا يجوز أنْ يفرد هذا عن مقابله، فإنه مقرون بالمعطي والنافع والعفو، فهو المعطي المانع، الضار النافع، المنتقم العفو، المعز المذل؛ لأنَّ الكمال في اقتران كلِّ اســـم من هـــذه بما يقابله؛ لأنَّه يـــراد به: أنَّه المنفرد بالربوبيـــة، وتدبير الخلق، والتصرُّف فيهم عطـــاء ومنعًا، ونفعًا وضرًّا، وعفوًا وانتقامًا.

وأمَّا أنْ يُثنى عليه بمجرَّد المنع والانتقام والإضرار، فلا يسوغ، فهذه الأسماء المزدوجة تجري الأسماء منها مجرى الاسم الواحد الَّذي يمتنع فصل بعض حروفه عن بعض، فهي وإن تعدَّدت، جارية مجرى الاســـم الواحد، ولذلك لم تجئ مفردة، ولم تطلق عليه إلا مقترنة فاعلمه.

فلو قلت: يا مذلُّ، يا ضارُّ، يا مانع. وأخبـــرت بذلك، لم تكن مثنيًا عليه، ولا حامدًا له، حتَّى تذكر مقابلها»[٢].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٩٤/١٧، ٩٥).

(٢) انظر: بدائع الفوائد لابن القيم (١٦٧/١) نشر دار الكتاب العربي، بيروت.

QaradawiBooks.com

والحديث الَّذي فيه اسم المُنْتَقِم ضَعَّفَه العلماء من حيث السند[١]، والقرآن الكريم يقول: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [آل عمران: ٤]. وفرق بين ذو انتقام وبين المُنتقِم، المُنتقِم بلام التعريف هذه التي تفيد أنَّها صفة ملازمة، والله تعالى يقول: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٧]. وفي الحديث الصحيح عن الله تبارك وتعالى: «**إنَّ رحمتي سبقت غضبي**»[٢].

---

(١) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ لله تعالى تسعة وتسعين اسمًا مَن أحصاها دخل الجنة، هو الله الذي لا إلٰه إلا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس...». وفيه: «المنتقم العفو الرؤوف». رواه الترمذي في الدعوات (٣٥٠٧)، وقال: حديث غريب... ولا نعلم في كبير شيء من الروايات ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث... وليس له إسناد صحيح. وابن ماجه في الدعاء (٣٨٦١)، وابن حبان في الأذكار (٨٠٨)، والحاكم في الإيمان (١٦/١)، وقال: لم يخرجا الأسامي لتفرد الوليد بها وليس ذا بعلة، فالوليد أوثق وأحفظ من أبي اليمان وعلي بن عياش. ووافقه الذهبي، وتعقبه الحافظ في فتح الباري (٢١٥/١١): وليست العلة عند الشيخين تفرد الوليد فقط، بل الاختلاف فيه والاضطراب وتدليسه واحتمال الإدراج. وذكر له الحاكم شاهد من طريق عبد العزيز بن حصين (١٧/١)، وقال: عبد العزيز بن الحصين بن الترجمان ثقة، وإن لم يخرجاه، وإنَّما جعلته شاهدًا للحديث الأول. قال الذهبي: بل ضعفوه. ورواه البيهقي في الأسماء والصفات من طريق عبد العزيز بن حصين (١٠)، وقال عقبه: يحتمل أن يكون التفسير وقع من بعض الرواة. وكذلك في حديث الوليد بن مسلم، ولهذا الاحتمال ترك البخاري ومسلم إخراج حديث الوليد في الصحيح. وقال البغوي في شرح السنة (٣٥/٥): يحتمل أنْ يكون ذكر هذه الأسامي من بعض الرواة وجميع هذه الأسامي في كتاب الله، وفي أحاديث الرسول ﷺ، نصًّا أو دلالة. وقال ابن كثير في تفسيره (٥١٥/٣): الذي عول عليه جماعة من الحفاظ أن سرد الأسماء في هذا الحديث مدرج فيه. وقال الحافظ ابن حجر فيما نقله عنه الملا علي القاري في مرقاة المفاتيح (١٥٨٧/٤): اختلف الحفاظ في أن سرد الأسماء هل هو موقوف على الراوي أو مرفوع؟ ورجَّح الأول، وأن تعدادها مدرج من كلام الراوي، ومع كل ما تقدم فقد حسنه الإمام النووي في الأذكار صـ١٠٠، ١٠١.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في التوحيد (٧٤٢٢)، ومسلم في التوبة (٢٧٥١)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وفي قوله تعالى: ﴿ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف: ١٥٦]. نجد أنَّ الله تعالى خصَّص في العذاب، وعمَّم في الرحمة، فالرحمة هي الأوسع والأسبق والأغلب، ولكن المؤمن يخاف أنْ يكون لديه من الموانع ما يحول بينه وبين رحمة الله الواسعة، فتغلب عليه الخشية والمخافة من الله؛ ثم يتذكَّر عفو الله تعالى، وعظم مغفرته، وسَعة رحمته، فيغلب عليه الرجاء، وهكذا.

المهم أنْ يتوازن الرجاء والخوف في نفس المسلم، بحيث لا يطغى عليه الخوف حتَّى يبلغ درجة اليأس من رَوْح الله، أو يطغى عليه الرجاء حتَّى يبلغ درجة الأمن من مكر الله، لا بدَّ من الأمرين معًا.

وفي القرآن الكريم: ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٩٨]، ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الرعد: ٦]، ﴿ وَفِي ٱلْأَخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَانٌ ﴾ [الحديد: ٢٠]، ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِي ٱلطَّوْلِ ﴾ [غافر: ٣]. حتَّى قال الإمام الغَزالي: «انظر إلى قول الله تعالى: ﴿ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ [ق: ٣٣]، فعلَّق الخشية باسم الرحمن، دون اسم الجبار أو المنتقم أو المتكبِّر ونحوه؛ ليكون تخويفًا في تأمين، وتحريكًا في تسكين... والمراد من ذلك أنْ يكون الطريق عدلًا، فلا تذهب إلى أمن أو قنوط»[1].

(١) انظر: منهاج العابدين للغزالي صـ٢٥٧، تحقيق محمود مصطفى حلاوي، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

QaradawiBooks.com

الختام:

أيها الإخوة: لا أريد أنْ أطيل أكثر من ذلك، فالإخوة أكرمهم الله، أعطَوني موضوعًا واسعًا رَحبًا، لذا أريد أنْ أجمع الحديث فأقول:

الحياة الرُّوحيَّة الربَّانيَّة الإيمانية في الإسلام، تقوم على أُسُس، منها أساس عَقَديٌّ، هو الإيمان بالله والإيمان بالآخرة، والإيمان بالغيب، ومنه الإيمان بالرُّوح الإنساني. وهناك أساس علمي، لا بدَّ من العلم والفقه في الدين، والرجوع إلى الكتاب والسُّنَّة، وهناك أساس عملي، يتمثَّل ـ من ناحية الإيجاب ـ في التعبُّد لله تعالى، بمعناه الواسع، ويتمثَّل في الإحسان إلى خلق الله، ثم هناك من ناحية السلب، ناحية الترك، الورع عمَّا حرَّم الله، ابتداء من الشرك، إلى الورع عن بعض المباحات، حتَّى يَدَع ما لا بأس به حذرًا مما به بأس، ثم يأتي الزهد، ثم تأتي تلك المعاني الوجدانيَّة، الأخلاق المنجيات، التي فصَّل فيها الإمام الغزالي، هذه هي أُسُس الحياة الرُّوحيَّة الربَّانيَّة في الإسلام.

خصائص الحياة الرُّوحيَّة:

وهذه الحياة لها خصائص، تحتاج إلى حديث آخر، فمن خصائصها: الاتباع، ومن خصائصها الشمول، ومن خصائصها الاستمرار، ومن خصائصها التَّنَوُّع، ومن خصائصها أشياء كثيرة، لا يتَّسع المقام لذكرها[1].

(١) راجع هذه الخصائص في كتابنا: الحياة الربانية والعلم صـ٣١ ـ ٤٨، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط٦، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

QaradawiBooks.com

ثمرات الحياة الرُّوحيَّة:

وللحياة الرُّوحيَّة الربَّانيَّة في الإسلام ثمرات في الآخرة، وثمرات في الدنيا:

من ثمرات الحياة الرُّوحيَّة في الآخرة: مَثُوبَةُ الله تعالى ورضوانُه، قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥].

ومن ثمراتها في الدنيا: سكينة النفس، وطمأنينة القلب، وصدق الله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

ومن ثمراتها: الأمن النفسي، والاطمئنان القلبي: كما قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]. ومن ثمراتها: الهداية، قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١].

ومن ثمراتها: النور القلبي، والفرقان بين الحقِّ والباطل، كما قال تعالى: ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ [الحديد: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩].

ومن ثمراتها: السعادة والرضا، التي سمَّاها الحديث: «حلاوة الإيمان»، كما في الحديث الصحيح: «**ثلاث مَن كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أنْ يكون اللهُ ورسولُه أحبَّ إليه ممَّا سواهما، وأنْ يحبَّ المرء لا يحبُّه إلا لله، وأنْ يكره أنْ يعود في الكفر كما يكره أنْ يُقْذَفَ في النار**»[1].

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣)، كلاهما في الإيمان، عن أنس.

QaradawiBooks.com

وذلك ما عبَّر عنه مَن عبَّر بقوله: إننا نعيش في سعادة، لو علم بها الملوك لجالدونا عليها بالسيوف. وذلك من فضل الله أنَّ الملوك لا يعرفون قيمة هذه السعادة، ولذلك تركوها لهم ينعمون بها، دون أنْ يزاحموهم عليها. وذكر ابن تيمية أنَّ بعض السلف كانوا يقولون: إننا تمرُّ علينا أحيانا ساعات، نحسُّ فيها بالفرح والرَّوح، حتَّى نقول: لو أنَّ أهل الجنة كانوا على ما مثل ما نحن فيه، لكانوا في عيش طيب[1]!

يعيشون في جنة على وجه الأرض، لما يشعرون به من حلاوة الإيمان والعبودية لله، هم في الجنة قبل الجنة، هذه هي السعادة، التي عبَّرت عنها أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب، وزوج عمر، حينما اختلفا في أمر من أمور المنزل، فقال لها: لأُشْقِيَنَّك. قالت: لا تستطيع، لو كانت سعادتي في زينة لقطعتَها عنِّي، أو في مال لحرمتني منه، ولكنِّي أرى سعادتي في إيماني، وإيماني في قلبي، وقلبي لا سلطان لأحد عليه غير ربي.

حاجتنا للحياة الرُّوحيَّة:

هذه هي السعادة، التي لا يستغني عنها أحد، ولهذا نقول مؤكِّدين: نحن في حاجة إلى هذه الحياة الرُّوحيَّة الربَّانيَّة الإيمانية الأخلاقية لنخفِّف بها من غلواء النزعة المادِّيَّة، التي زحفت إلينا، وسارت إلينا عدواها، كما يسري السُّم في الطعام؛ نحن في حاجة إلى هذه الحياة، لنُقِيم بها أمر الله تعالى. هذه الحياة ليست خاصة بطائفة من الطوائف، الحياة الرُّوحية كما جاءت في الكتاب والسُّنَّة، ليست لفئة خاصَّة من

(١) الزهد والورع والعبادة لابن تيمية صـ٧٩، تحقيق حماد سلامة ومحمد عويضة، نشر مكتبة المنار، الأردن، ط١، ١٤٠٧هـ.

QaradawiBooks.com

الناس، كبعض المتصوِّفة المشتغلين بمجاهدة النفس. إنَّ كلَّ مسلم لا بدَّ أنْ يحيا هذه الحياة، فهي حياة ممتدَّة.

شاع عند الكثيرين، أنَّ الحياة الرُّوحيَّة يمثِّلها الإحسان، في حديث جبريل: قال: فأخبرني عن الإحسان؟ فقال: «**أن تعبُدَ اللهَ كأنَّكَ تراه، فإن لم تكن تراه فإنَّه يراكَ**»[١].

وأنا أقول: الإحسان يمثِّل قمَّة الحياة الرُّوحيَّة كلِّها، ولكن الحياة الرُّوحيَّة أولها الإسلام، وأوسطها الإيمان، وآخرها الإحسان، كلُّها تشملها الحياة الرُّوحيَّة، الحياة الرُّوحيَّة هذه لا يختلف فيها اثنان، ولا ينتطح فيها عَنْزان، لا يختلف مَن ينتسب إلى المدرسة السلفية، ومَن ينتسب إلى المدارس الصوفيَّة حول هذه الحياة، المستمدَّة من مُحكَم القرآن وصحيح السُّنَّة.

هذه الحياة ينبغي أن نعضَّ عليها بالنواجذ، ونَدَع ما ابتدع المبتدعون، وما خلَّف المتأخِّرون، لنَعُد إلى العهد الأول، كما قال إمام دار الهجرة، مالك بن أنس: لا يَصلُح آخرُ هذه الأمة إلا بما صَلَح به أولُها[٢]. وقد حفظنا في الأزهر، ونحن ندرس جوهرة التوحيد، هذه المنظومة التي يقول فيها صاحبُها:

وكلُّ خير في اتِّباع مَن سَلَفْ وكلُّ شرٍّ في ابتداع مَن خَلَفْ[٣]

يعني الاتباع في شؤون الدين، لا في شؤون الدنيا.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (٥٠)، مسلم (٩)، كلاهما في الإيمان، عن أبي هريرة.

(٢) مجموع الفتاوى (٢٣١/١).

(٣) جوهرة التوحيد للقاني، انظر: شرح الصاوي على جوهرة التوحيد صـ٤٣٦، تحقيق د. عبد الفتاح البزم، نشر دار ابن كثير، دمشق.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ضرورة الحياة الرُّوحيَّة:

إنَّ الحياة الربَّانيَّة الرُّوحيَّة، هي محور حياة الإنسان المسلم، وهي حاجة وضرورة إيمانية ودينية ودنيوية، نحن في حاجة إليها، المرء في حاجة إليها، ليَطمئنَّ ويَسعد، والمجتمع في حاجة إليها، ليتماسك ويَرْقَى، والبشريَّة كلُّها في حاجة إليها، لتنجو وتسلم وتتزكَّى. نحن في حاجة إليها ليقْوَى اقتصادُنا، وليستقيم أمرنا، ولتتقوَّم أخلاقنا، ولنُقاوِم الوَهْن والضعف، الَّذي مَكَّن منا أعداءنا، والذي أشار إليه الحديث، الَّذي رواه أحمد وأبو داود: «**وليقذفنَّ في قلوبكم الوَهْنَ**». قالوا: وما الوهن، يا رسول الله؟ قال: «**حبُّ الدُّنْيا وكراهيةُ الموت**»[1].

بهذه الحياة الإيمانية نتغلَّب على عوامل الضعف، ونستطيع أن نتبوَّأ مكانتنا تحت الشمس، وأن نعود كما كان الصحابة، الذين وُصِفوا بأنَّهم رُهْبان الليل، وفُرْسان النهار، والذين ذكرهم القرآن فقال: ﴿**أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ**﴾ [الفتح: ٢٩].

نسأل الله أنْ يُنير طريقنا، وأنْ يهدينا سواء السبيل، وأنْ يجمع كلمتنا على الحقِّ والهدى، وأنْ يجعلنا من الذين يعلمون فيعملون، ويعملون فيُخلِصون، ويُخلِصون فيُقْبَلون، اللهمَّ آمين.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(١) رواه أحمد (٢٢٣٩٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الملاحم (٤٢٩٧)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٩٥٨)، عن ثوبان.

QaradawiBooks.com

١٠

الأخلاق في الإسلام[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الَّذي بنعمته تتمُّ الصالحات، الَّذي هدانا لهذا، وما كُنَّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأزكى صلوات الله وتسليماته على رحمة الله للعالمين، وحجته على الناس أجمعين، البشير النذير، والسراج المنير، مُعلِّم الناس الخير، وهادي البشريَّة إلى الرُشد، وقائد الخلْقِ إلى الحق، ومُخرج الناس من الظلمات إلى النُّور بإذن ربِّهم إلى صراط العزيز الحميد، سيِّدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا محمَّد، وعلى آله وصحبه، الذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه واتَّبعوا النور الَّذي أُنزِل معه، أولئك هم المفلحون، ورضي الله عمَّن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهدَ جهادَه إلى يومِ الدِّين.

خير ما أُحيِّيكم به ـ أيَّها الإخوة والأخوات ـ تحيَّةُ الإسلام، وتحيَّةُ الإسلام السَّلام، فالسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حديثنا أيَّها الإخوة عن الأخلاق في الإسلام، وهذه قضيَّة كبيرة نشأ من أجلها هذا المركز، ليركز، ويؤسس، ويصنِّف، ويجهز، عن الأخلاق في الإسلام.

(١) ألقيت في المؤتمر الدولي الأوَّل لمركز دراسات التشريع الإسلامي والأخلاق، بعنوان: السياسة والفن في ميزان الأخلاق: رؤية واقعية. الدوحة، قطر، بتاريخ ٩ مارس ٢٠١٣م.

QaradawiBooks.com

وقضيَّة الأخلاق في الإسلام ليست قضيَّة نافليَّة، أو هامشيَّة، بل هي قضيَّة أصليَّة أساسيَّة، الأخلاق في الإسلام شيءٌ كبير، وشيء أصلي، وشيء أساسي، هذا ما تعلَّمناه في هذا الدين.

الأخلاق والعقائد:

نحن نعرف أنَّ العقائد الإسلاميَّة في القرآن والسُّنَّة هي أساس الدين، تتفرع عن هذا الأساس العبادات، والأخلاق، والتشريع، هكذا علَّمنا الطلبة، ولا زلنا نعلمهم، وألَّفنا الكتب، لنقول لهم: إنَّ أول الإسلام هو العقائد، يتفرَّع عنه عبادات وشعائر، ثم أخلاق وفضائل، ثم تشريعات فردية، واجتماعية، ودولية، إلى آخره.

هذه العقائد الإسلاميَّة أحيانًا يُعبَّر عنها بالأخلاقيَّات، كما في قضيَّة التوحيد والشرك، نجد القرآن يعبر عن الشرك بقوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣]. معروف أنَّ الظلم من الأخلاق السيئة، أي في الجانب السلبي، وأنَّ العدل من الأخلاق الحسنة، أي في الجانب الإيجابي، فالتوحيد عدل، والشرك ظلم.

ونجد النبيَّ ﷺ يقول: «**الإيمان بضعٌ وسبعون شعبةً، فأفضلها قولُ لا إلـه إلا الله، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريق، والحياءُ شُعْبة من الإيمان**»[(١)]. الحياء خُلُق من الأخلاق، ولكنَّه شعبة من الإيمان.

ويقول النبيُّ ﷺ: «**من كان يؤمنُ بالله واليومِ الآخِرِ فلا يُؤْذِ جارَه**»[(٢)].

(١) سبق تخريجه صـ٢٢.

(٢) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠١٨)، ومسلم في الإيمان (٤٧)، عن أبي هريرة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

«**من كان يؤمنُ بالله واليوم الآخر فليُحْسِن إلى جاره، ومن كان يؤمنُ بالله واليومِ الآخر فليُكْرِم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلْيَقُل خيرًا أو لِيَسْكُت**»[1]. هذه كلُّها من مكارم الأخلاق، وهي كذلك دلائل على الإيمان بالله واليوم الآخر، فالإسلام يعبِّر عنه هذه التعبيرات ليدلَّ على أصالتها في الإسلام، حتى إنَّ الإمام البيهقي ألَّف كتابًا كبيرًا في سبعة عشر مجلدًا، سمَّاه «الجامع لشُعب الإيمان»، ألَّف فيما جاء في الشعب الستين، أو السبعين، من أحاديث، وهي كثرة هائلة تدلّ على هذه الشعب الإيمانيَّة.

الأخلاق والعبادات:

وحينما ننظر إلى العبادات في الإسلام نجد أنَّ الله تعالى يُعللها بثمرات أخلاقيَّة، فالصلاة ـ وهي الركن الأول من الأركان العمليَّة في الإسلام ـ يقول الله تعالى فيها: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. فليست مهمة الصلاة فقط أنَّها وعاء لتسبيح المؤمن ودعائه، بل مهمتها أن تنعكس على سلوك المسلم وأخلاقه، فينتهي بها عن الفحشاء والمنكر، تبعده عن هذه المخازي الإنسانية التي نزلت بقيمة الإنسان.

والزكاة ـ وهي الركن الثاني من الأركان العملية ـ يقول الله تعالى فيها: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]. مهمة الزكاة التَّطهير والتَّزكية.

وفي الصيام يقول الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]. مهمَّة الصيام أنْ يهيِّئ

(١) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠١٩)، ومسلم في الإيمان (٤٨)، عن أبي شريح.

QaradawiBooks.com

الإنسان ويربِّيه على تقوى الله، فإذا لم يحقق الصيام هذه المهمة فلا فائدة منه، كما قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَن لم يَدَعْ قولَ الزُّور والعملَ به والجهلَ، فليس للهِ حاجةٌ أن يَدَعَ طعامَه وشرابَه**»(١). وقال: «**رُبَّ صائم ليس له من صيامه إلَّا الجوع والعطش، وربَّ قائمٍ ليس له من قيامه إلَّا السَّهَرُ**»(٢).

وفي الحج يقول الله تعالى: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمۡ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [الحج: ٣٧]. فليس المهم فقط ما يقال في الحج من ألفاظ الذكر والدعاء، وما يقطع في سبيله من الأسفار من بلد إلى بلد، على ما فيها من تعب ونصب، المهم هو ما وراء هذا كله، وهو التحقق بالتقوى واتصال القلب بما يتلوه اللسان من ذكر ودعاء، والإخلاص لله ﷻ، والإنابة إليه.

وهكذا نجد أنَّ الإسلام يعتبر مهمة هذه الشعائر الدينية التي هي أركانه العملية، ومبانيه العظام ـ مهمة أخلاقية، وكلُّ عمل في الإسلام إذا لم يقترن بالأخلاق فلا قيمة له.

الأخلاق والاقتصاد:

أنا ألَّفت كتابًا كبيرًا من حوالي أربعمائة صفحة عن «دور القِيَم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي»، لأني كنت مشغولًا بالاقتصاد الإسلامي، وبالبنوك الإسلامية، وبالشركات الإسلامية، وهذه الأشياء، فطُلِب منِّي أنْ أكتب في هذا الموضوع، فكتبت هذا الكتاب الكبير.

---

(١) رواه البخاري في الأدب (٦٠٥٧)، عن أبي هريرة.

(٢) سبق تخريجه صـ٢٣٨.

QaradawiBooks.com

والغربيون يرون أنَّ الاقتصاد الحقيقي ليس له علاقة بالأخلاق، وليس الاقتصاد فقط، بل يرون أنَّ العلم لا علاقة له بالأخلاق، والسياسة لا علاقة لها بالأخلاق، والحرب لا علاقة لها بالأخلاق، كل شيء لا علاقة له بالأخلاق، فالحياة إذنْ تمضي حسب المصالح، والمصالح الخاصَّة، ليست مصلحة البشريَّة العامَّة كما يريد الإسلام، الإسلام يريد مصلحة تنفع الناس، ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾ [الرعد: ١٧]. فالمنفعة ليست مرفوضة، ولكنهم يريدون المنفعة المحدودة، سواء كانت شخصيَّة، أو حزبيَّة، أو إقليمية، وليذهب الآخرون إلى الجحيم، لا، فالإسلام يريد أن تكون الأخلاق نافعة للناس جميعًا، كل عمل لا بدَّ أن يقترن بالأخلاق، ليس هناك سياسة بلا أخلاق، كما يريد ميكافيلي وجماعته، يريدون أنْ تقوم الحياة على المخلب والنَّاب، القادر يأكل العاجز، والقوي يفترس الضعيف، والغني يلتهم الفقير، وليس هناك قيمة تُلتزم أو تحترم، وهذا ما يرفضه الإسلام تمامًا.

لقد جاء الإسلام بالقيم الأخلاقيَّة، والقيم الإنسانيَّة، والقيم الدينيَّة، فالقيم الإسلاميَّة تحكم كلَّ شيء.

شمول الأخلاق الإسلامية:

نحن نريد أن نكتب عن الأخلاق في القرآن، وهي ليست أخلاقًا دينيَّة فحسب كما يظن بعض الناس، هناك أخلاق دينيَّة، ولكن ليست هي كل الأخلاق، فالدين عندنا هو أحد مقاصد الشريعة الخمسة، أو الستة، فمقاصد الشريعة هي: المحافظة على الدين، وعلى النفس، وعلى العقل، وعلى النَّسل، وعلى المال، وبعضهم أضاف المحافظة على

QaradawiBooks.com

العرض، الشيخ ابن عاشور لم يقبل إضافة العرض، لكنِّي أرى إضافته إلى مقاصد الشريعة، فالعرض شيءٌ مهم جدًّا، لأنَّه يتعلق بكرامة الإنسان، والنبيُّ ﷺ قال: «**كلُّ المسلم على المسلم حرامٌ: دمُه ومالُه وعرضُه**»(١). وقال في حجَّة الوداع: «**إنَّ دماءَكم، وأموالَكم وأعراضَكم حرامٌ عليكم**»(٢).

هذه المقاصد كلها جاء الإسلام ليحرص عليها لنعرضها على الناس، فالدين أحد المقاصد الخمسة أو الستة، وإن كان الإسلام يشمل هذه المقاصد كلَّها، فالأخلاق هي ليست الأخلاق الدينية فقط.

الأخلاق الإسلامية شاملة، ذكرتُ لها في كتابي المرتقب خصائص عديدة، من أول خصائصها: الشمول، أنَّها خصائص جامعة، تشمل الأخلاق الربَّانية، والأخلاق الإنسانيَّة، والأخلاق الفرديَّة، والأخلاق الاجتماعية، فمن الأخلاق ما يتعلق بالله ﷻ، ومنها ما يتعلق بالإنسان، منها ما يتعلق بالفرد، منها ما يتعلق بالأسرة، ومنها ما يتعلق بالجماعة، ومنها ما يتعلق بالأمَّة، ومنها ما يتعلق بغير المسلمين، ومن الأخلاق ما يتعلق بغير الإنسان، بالحيوانات، بالكائنات، بالكون كله، كل هذا يدخل في الأخلاق الإسلامية.

هذه الأخلاق تحتاج منا أن نعطيها حقَّها، وأن نعلِّمها لأبنائنا، ولتلاميذنا، ولأمَّتنا، ولغيرنا، من حقِّ هذه الأخلاق أن تُدرَس، وأن تُعرَف، وأن تأخذ منَّا ما يجب لها من وقت، ومن جهد حتى تتيسر للناس.

---

(١) سبق تخريجه صـ٢٥٣، وفيه: «لا تحاسدوا، ولا تناجشوا».

(٢) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في العلم (٦٧)، ومسلم في القسامة (١٦٧٩)، عن أبي بكرة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الأخلاق والتشريع:

لا شك أنَّ العاملين في التَّشـــريع يمكنهم أن يستفيدوا من الأخلاق الإســـلاميَّة، لا باعتبارها مصدرًا للتشـــريع، مصدر التشريع هو: القرآن، والسُّنَّة، والإجماع، والقياس، والمصادر المختلف فيها عند الأصوليين، ولكن باعتبار الأخلاق جزءًا مما يُشـــرَّع له، فكما نُشرِّع للعبادات، وكما نُشرِّع للمعاملات، وكما نُشرِّع للدولة، كذلك نُشرِّع للأخلاق، فالأخلاق ـ قطعًا ـ أمر أساسيٌّ يجب أن يُعتبر، ليســـت أمرًا هامشيًّا، وليست أمرًا بعيدًا عن المجتهد المســـلم، أو الفقيه المســـلم، أو الَّذي يشـــتغل في التشريع من المسلمين.

لا بدَّ أنْ يرجع العاملون في مجال التشريع إلى الأخلاق، ويعتبروها أمرًا أساســـيًّا في تقييم الأمور، لا يمكن أنْ يقبل المشـــرع المسلم شيئًا يُحل الحرام، أو يجيز المنكر، هذا مرفوض، عن حذيفة بن اليمان قال: ما منعني أنْ أشـــهد بدرًا إلَّا أنِّي خرجت أنا وأبي حُســـيلٌ. قال: فأخذنا كفار قريش، قالوا: إنكم تريـــدون محمَّدًا. فقلنا: ما نريـــده، ما نريد إلا المدينة. فأخذوا منـــا عهد الله وميثاقه لننصرفنَّ إلـــى المدينة، ولا نقاتل معه، فأتينا رســـول الله ﷺ، فأخبرنـــاه الخبر، فقال: «**انصرفـــا، نَفِي لهم بعهدهم، ونستعين الله عليهم**»[1].

فمهما كانت الأهواء، أو كان الغضب، أو كانت الشهوة، الناس عادة في الغضب والشهوة يستبيحون كل شـــيء، لا، الإسلام في هذه الحالة يأمر المســـلم أنْ يبتعد عن كل منكر، ومن هنا كانت الحرب الإسلاميَّة حربًا أخلاقيَّة، تتَّسم بالأخلاق في كلِّ شيء.

---

(١) رواه مسلم في الجهاد والسير (١٧٨٧)، وأحمد (٢٣٣٥٤).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

في سياق الآيات التي تتحدَّث عن القتال، والجزية، ونحوها يقول القرآن الكريم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٢٨].

نهاهم عن أنْ يقترب المشركون من المسجد الحرام، وهذا معناه خسارة آلاف من الناس كانوا يأتون كل سَنَة ويستفيد أهل مكة منهم في أشياء كثيرة جدًّا، فهي خسارة اقتصاديَّة، لكن الله تعالى يقول: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾. إن خفتم فقرًا ونقصًا في الموارد الاقتصاديَّة، ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾. فلا تستعينوا بهؤلاء المشركين، حتى وإنْ كسبتم ماديًّا من ورائهم، لا يجوز أنْ يكون هذا الكسب سببًا في أنْ تنكروا النواحي الأخرى.

وفي شهوة الاكتساب كذلك، يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة: ٩]. فالخير والمنفعة التي تأتي بإضاعة فريضة الجمعة لا اعتبار لها، لا بدَّ من الحفاظ على أداء فريضة الجمعة، ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠].

لهذا نقول: إنَّ نظرية الأخلاق الإسلامية تحافظ على كلِّ المبادئ الأخرى التي يجب الحفاظ عليها، حتى تظل الأمَّةُ الإسلامية أمَّةَ رسالة، ليست أُمَّة نفعيَّة تبحث عن الدرهم والدينار، فهذه النفعيَّة تعود في الحقيقة بالتعاسة على صاحبها، كما قال النبيُّ ﷺ: «**تَعِسَ عبدُ الدِّينار، وعبدُ الدرهم، وعبدُ الخَمِيصة، إنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وإن لم يُعْطَ سَخِط،**

QaradawiBooks.com

تَعِسَ وانتكس، وإذا شِيكَ فلا انْتَقَشَ، طوبى لعبدٍ آخِذٍ بعِنَانِ فَرَسِه في سبيل الله، أشعثَ رأسُه، مُغْبرَّةٍ قدماه، إنْ كان في الحراسةِ، كان في الحراسة، وإن كان في السَّاقَة كان في الساقة، إنْ استأذن لم يُؤْذَن له، وإنْ شفع لم يُشَفَّعْ»[1].

كتابي عن الأخلاق في الإسلام:

أودُّ أنْ أقول ـ أخيرًا ـ أيَّها الإخوة: إنَّني أكتب كتابًا كبيرًا عن الأخلاق في الإسلام، وهذا الكتاب أعلنت عنه من أكثر من أربعين سنة، فهناك للأسف كتابان أعلنت عنهما ولم أتمهما حتى الآن[2]، وهما كتابان أساسيان عندي: «عقائد الإسلام في القرآن والسُّنَّة»، و«أخلاق الإسلام في القرآن والسُّنَّة».

كتبت عن وجود الله، وعن حقيقة التوحيد، وعن القضاء والقدر، ولكن لم أكمل كتاب العقائد في الإسلام إلى اليوم.

وكذلك كتبت في الأخلاق أشياء كثيرة، ومنها القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي، عن رسالة الأخلاق، وعن القيم الإنسانية، وعن أشياء كثيرة في كتب شتى، ولكن كتاب الأخلاق في الإسلام لم أتمَّه إلى الآن، فادعوا لي أنْ أتمَّه قبل الرحيل إلى الله ﷻ، فأنا لم أكتب شيئًا لهذا الملتقى لأني اعتمدت على أنِّي لا بدَّ أنْ أكتب هذا الكتاب، وأهديه إلى أهل هذا المركز، «مركز دراسات التشريع الإسلامي والأخلاق»، ليكون كتابًا في أيديهم عن أخلاق الإسلام.

---

(١) رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٨٦، ٢٨٨٧)، عن أبي هريرة.

(٢) وقد تم طباعته بفضل الله في مركز دراسات التشريع الإسلامي والأخلاق، ودار المقاصد.

QaradawiBooks.com

وإمامي في هذا الكتاب، هو أستاذي الَّذي درَّسَني الأخلاق في تخصُّص التدريس الأزهر الشريف، شيخنا الدكتور محمد عبد الله دراز، كان صديقي، وحبيبي، ولكن أخذه الموت فجأة، فهو أستاذي في هذا، وكتابه «دستور الأخلاق في القرآن».

أكتفي بهذا القدر، وأسأل الله تبارك وتعالى أنْ يُلهمنا رشدَنا، وأنْ يعلِّمنا ما ينفعُنا، وأنْ ينفعنا بما علَّمنا، إنَّه سميع قريب، وصلَّى الله على سيِّدنا محمدٍ، وعلى آله وصحبه وسلَّم، والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

١١

فألهمها فجورها وتقواها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأزكى صلوات الله وتسليماته على مُعلِّم الناس الخير، وهادي البشريَّة إلى الرُّشد، وقائد الخلْقِ إلى الحق، ومُخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد: سيِّدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا محمد، وعلى آله وصحبه، الذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه واتَّبعوا النور الذي أُنزِل معه، أولئك هم المفلحون، ورضي الله عمَّن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

خير ما أحيِّيكم به أيها الإخوة الأحبة تحيةُ الإسلام، وتحيةُ الإسلام السَّلام، فالسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(وبعد)

قال الله تعالى: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا**﴾ [الشمس: ٧ ـ ١٠].

النفس تقبل الفجور كما تقبل التقوى، وربما كان ميلها للفجور أكثر؛ ولذلك قدَّم الفجور هنا على التقوى، قال: ﴿**فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا**﴾.

QaradawiBooks.com

قبضة الطين ونفخة الرُّوح:

خُلِق الإنسان من صلصال من حمأ مسنون، من طين، قبضة من الطين، ونفخة من الرُّوح، هكذا خُلِق آدم، وبنو آدم من آدم. فآدم طين وروح، ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩، ص: ٧٢]. ففيه النفخة من روح الله، وفيه الطين والصلصال والحمأ المسنون.

وقد يغلب على الإنسان الناحية الطينيَّة؛ فينزل وينزع إلى الأرض، فيهوي إلى الأسفل. وقد ترقى به النفخة الروحيَّة؛ فيعلو ويرتفع إلى الأفق الأعلى، ولذلك أحيانًا يصبح الإنسان كالملائكة إذا ارتقى، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٧]. وقد ينزل ويهبط حتى يصبح كالبهيمة العَجْماء، أو أضلَّ سبيلًا، كما قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۞ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣، ٤٤]. وقال الله تعالى عن قوم هم حطب جهنم ووقود النار: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

تعطيل منافذ إدراك الخير:

هؤلاء خرَّبوا الأجهزة الإلهيَّة الَّتي منحها الله لهم: قلوب ما عادوا يفقهون بها، وأعين ما عادوا يبصرون بها، وآذان ما عادوا يسمعون بها. عطَّلوا هذه الأدوات وهذه المنافذ، الَّتي يمكنهم أن يَطَّلِعوا بها على الكون، وعلى الإنسان، وعلى الحقائق؛ لتُوصِّلهم إلى المُكوِّن وإلى الرب الأعلى، الذي خلق فسوَّى والذي قدَّر فهدى، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ أضلُّ من الأنعام، أحطُّ من الأنعام، لماذا؟ لماذا يكون الإنسان

QaradawiBooks.com

أضل سبيلًا من الأنعام، وأحطَّ منزلة من الأنعام؛ إذا أعرض عن الله ﷻ ولم يُؤَدِّ له حقَّه؟ لأنَّ الأنعام لم تُؤْتَ ما أوتي الإنسان، الإنسان أوتي العقل المفكر، والإرادة المرجِّحة، والقدرة المنفذة، وسخَّر الله له ما في السماوات وما في الأرض جميعًا منه، وأنزل عليه الكتب، وبعث له الرُّسل. الأنعام لم تُؤْتَ هذا.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى: فإنَّ الأنعام تؤدِّي مهمَّتها، هل رأيت حمارًا تمرَّد على أنْ يُركَب؟ هل رأيت بقرة تمرَّدتْ على أنْ تُحْلَب؟ الحيوان يُؤدِّي مهمته، ولكن الإنسان لا يؤدِّي مهمَّته.

مهمَّة الإنسان في الكون:

مهمَّة الإنسان أنْ يعبد الله تعالى، ويقيم منهجه في الأرض، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۞ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦ ـ ٥٨]. والأنعام تؤدِّي المهمَّة الَّتي خُلِقت لها، تحرُث الأرضَ، تسقي الزرع، تؤتي الدَّرّ والحليب، تُحقِّق للناس ما أرادوا، تبلغ بهم إلى ما أرادوا: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۞ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۞ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ﴾ [النحل: ٥ ـ ٧]. تؤدي مهمَّتها.

داء الغفلة:

ولذلك، الإنسان إذا لم يُؤدِّ مهمته، وأعرض عن ربه وعن طاعته وعبادته: يكون أحطَّ وأضل سبيلًا من الأنعام. وسرُّ ذلك ـ كما قال الله تعالى ـ الغفلة، قال: ﴿أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]. إنهم غفلوا عن الله، غفلوا عن هداية الله، غفلوا عن لقاء الله، غفلوا عن طريق الله، غفلوا

QaradawiBooks.com

عن هذه المذكرات ونسوا الله فأنساهم أنفسَهم. هذه هي المصيبة الَّتي يقع فيها الناس: أن يغفلوا عن الله ولقائه وحسابه وعما يجب عليهم نحوَ الله؛ فيضيعوا الصلوات ويَتَّبِعوا الشهوات، وبذلك ينحدر الإنسان وينحدر، ويسفل ويسفل إلى أسفل سافلين: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين: ٤ ـ ٦]. فالإنسان بدون الإيمان وعمل الصالحات ينزل إلى أسفل سافلين، إلى الدرك الأسفل والعياذُ بالله.

التحذير من المعاصي والذنوب:

ومن هنا كان على الإنسان أنْ يَحْذَر المعاصي، ويحذرَ الذنوب كلَّ الذنوب، صحيح أنَّ الذنوب تتفاوت، ولا بدَّ للإنسان أنْ يعرف أنواع الذنوب ودرجات الذنوب ـ وإن كانت كل الذنوب خطرة ـ ولكن بعضها أشدُّ خطرًا من بعض.

والذنوب تنقسم إلى ترك المأمور، وفعل المحظور. بعض الناس يظنُّ أنَّ المعاصي والسيئات والذنوب تنحصر في ارتكاب المحظورات: الزنى، وشرب الخمر، والسرقة، والرشوة، هذه قطعًا ذنوب.

إنَّما أحيانًا أيضًا يكون الذنب ترك المأمور: أن تترك الصلاةَ أو الزكاة، أو الصيام أو الحج، أو برَّ الوالدين، أو صلة الأرحام، أو غير ذلك. هنا الخطر.

ترك المأمور أشدُّ من فعل المحظور:

والعلماء قالوا: إنَّ ترْك المأمور أشدُّ من فعل المحظور؛ لأنَّ الله خلقك لتمتثل أمره، فإذا ضيَّعْت أمره فقد ضيَّعت كلَّ شيء. ربنا خلقك

QaradawiBooks.com

لتعبده، إذا لم تؤدِّ عبادته ما قيمتك؟ لا معنى لحياتك ولوجودك إذنْ؛ ولذلك لو نظرنا إلى معصية آدم ومعصية إبليس نجد معصية آدم فعل المحظور، ارتكاب المحظور، ربُّنا نهاه أن يأكل من الشجرة فأكل منها، أمَّا معصية إبليس لعنه الله فكانت معصيته ترك المأمور، ربُّنا قال له: اسجُد لآدم ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]. فكانت معصية إبليس أخطر وأبلغ وأشد من معصية آدم عليه السلام.

المعاصي الظاهرة والباطنة:

المعاصي أيضًا ظاهرة وباطنة، كل المعاصي محرمة، ربنا يقول: ﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡسِبُونَ ٱلۡإِثۡمَ سَيُجۡزَوۡنَ بِمَا كَانُواْ يَقۡتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٠]، ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام: ١٥١]. إنَّما المعاصي الباطنة أشدُّ خطرًا من المعاصي الظاهرة. وعلماء السلوك يسمون المعاصي الظاهرة معاصي الجوارح، معاصي العين والسمع واليدين والرجلين وهذه الأشياء، هذه معاصٍ ظاهرة، معاصي الجوارح.

إنَّما المعاصي الَّتي هي أشدُّ منها خطرًا، وأبلغ منها ضررًا، وأعمق منها أثرًا هي معاصي القلوب؛ لأنَّ القلب هو أساس الإنسان. أنت لستَ هذا الغلاف أو هذا الجسم، أو هذا الهيكل الطيني! أنت هذه المضغة الَّتي جاء في الحديث أنَّها «**إذا صَلَحَت صَلَح الجسدُ كلُّه، وإذا فسدت فَسَدَ الجسدُ كلُّه، ألا وهي القلب**»[1]، أنت هذا القلب، هذه اللطيفة الروحانيَّة، الجوهرة الربَّانيَّة، الَّتي أعطاها الله للإنسان: هي حقيقة الإنسان، سَمِّها القلبَ، أو الفؤادَ، أو العقل، هي حقيقة الإنسان.

(١) سبق تخريجه صـ ٢٤٧.

QaradawiBooks.com

ومدار النجاة في الآخرة، والفلاح في الآخرة على القلب: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۞ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩]، وكذلك دخول الجنة: ﴿مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ۞ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ [ق: ٣٣، ٣٤]، فالقلب هو أساس النجاة والنجاح في الآخرة.

التحذير من معاصي القلوب:

وأعمال القلوب هي الَّتي تُحرِّك الإنسان لأعمال الجوارح؛ سواء في جانب الطاعات أو في جانب المعاصي، ولذلك حذَّر النبي ﷺ من معاصي القلوب أشدَّ التحذير، يقول: «**لا يدخل الجَنَّةَ من كان في قلبه مثقالُ ذرَّةٍ من كِبْر**»(١). ويقول: «**دبَّ إليكم داءُ الأمم من قبلكم: الحسد والبغضاء، والبغضاء هي الحالِقة، لا أقول تحلق الشَّعر، ولكن تحلق الدِّين**»(٢). ويُحذِّر من الغضب: «**لا تغضبْ**»(٣). كلُّها من أعمال القلب.

فالرياء يحبط الأعمال: أعمالَ العلماء والقُرَّاء، وأعمال المجاهدين، وأعمال الأسخياء والمنفقين، الرياء يحبط العمل، هذه كلها أعمال القلوب. فأعمال القلوب ومعاصي القلوب هي المعاصي الخطرة.

قد ترى إنسانًا يصلي ويحرص على الصلوات الخمس، وربما يقوم شيئًا من الليل، ويذهب في رمضان إلى العمرة، ويحج كلَّ عام، ولكنَّه إنسان متكبر، ينظر إلى الناس من طرف أنفه، ثاني عطفه، مُصعِّرًا خدَّه،

---

(١) رواه مسلم في الإيمان (٩١)، وأحمد (٣٧٨٩)، وأبو داود في اللباس (٤٠٩١)، عن ابن مسعود.

(٢) رواه أحمد (١٤١٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف لانقطاعه. والترمذي في صفة القيامة (٢٥١٠)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢١٢٢)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٦١/٣): حسن لغيره. عن الزبير بن العوام.

(٣) رواه البخاري في الأدب (٦١١٦)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

كأنَّ الناس عبيدٌ له! هذا لا يدخل الجنة، «**لا يدخل الجَنَّةَ من كان في قلبه مثقالُ ذرَّةٍ من كِبْر**»[١].

إنسان يعيش حاقدًا على الناس، حاسدًا للناس على نعمة الله، هذه المعاني تأكل الحسناتِ كما تأكل النار الحطب. فالحذر من معاصي القلوب.

معصية آدم ومعصية إبليس:

وهناك إذا نظرنا أيضًا إلى معصية آدم ومعصية إبليس.. معصية آدم كانت معصية ظاهرة، معصية جارحة.. أكَل من الشجرة، الشيطان خدعه وغرَّه وأقسم له، وما زال يغريه حتى أكل من الشجرة، ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥]. وعادةً معاصي الجوارح يكون سببها ضعف الإنسان أمام الشهوات، أمام بعض المغريات، إنَّما معاصي القلوب هذه معاصٍ خطيرة متمكنة من القلوب.

معصية آدم أنَّه أكل من الشجرة، إنَّما معصية إبليس الكبرُ: ﴿أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ﴾ [البقرة: ٣٤]. تمرَّد على الله، رفض أمر الله، تحدَّى الله، ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢]. ولذلك، معصية الجوارح ما أسرع ما يتوب الإنسان منها، ولهذا وجدنا آدم هو وزوجه يسارعان إلى التوبة، إلى غسل ذنبهما تمامًا بالتوبة، ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧]، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢١، ١٢٢]. ولذلك انتهت خطيئة

(١) سبق تخريجه قريبًا.

QaradawiBooks.com

آدم ولم يبقَ منها شيء، ليس كما يقول النصارى: إنَّ خطيئة آدم بقيت وعُلِّقت في رقاب ذريته إلى يوم القيامة، واحتاجوا إلى مُخلِّص يُخلِّصهم؛ فكان المسيح هو الفادي والمخلص!

انتهت خطيئة آدم بالتوبة، وليس الأمر كما يقولون. هذه خطيئة آدم، إنَّما خطيئة إبليس لم تنتهِ بالتوبة، أصرَّ على معصيته وقال: لأُغوِيَنَّهم أجمعين، ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢]، ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۞ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧]، ولذلك كانت نهايته: ﴿ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الأعراف: ١٨]، ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [ص: ٧٨].

هناك معاصي الجوارح، وهناك معاصي القلوب، كلُّ المعاصي خطرة، إنَّما ينبغي أن نحذر من المعاصي الباطنة من معاصي القلوب أشدَّ مما نحذر من معاصي الأبدان.

المعاصي القاصرة والمُتَعَدِّية:

هناك أيضًا معاصٍ قاصرة، ومعاصٍ متعدية. يعني: معاصٍ تضرُّ العاصي وحده، ولكن هناك معاصي تضر الآخرين، هذه خطرة؛ يحمل الإنسان إثمها وإثم من يتضرَّر بها. يعني هناك إنسان يرتكب المعاصي وحده: زنى؛ إثم الزنى عليه، ولكن الإنسان الذي يظلم عبادَ الله على قدر ما يظلم سيتحمل الإثم، ولذلك أتى في بعض الأحاديث: «**يومٌ من إمامٍ عادلٍ أفضلُ من عبادةِ ستِّين سنة**»[1]، لأنَّه يمكن في هذا اليوم يرفع

(١) رواه الطبراني (٣٣٧/١١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧٣٧٩)، وحسَّن إسناده العراقي في تخريج أحاديث الإحياء صـ٢٠٥، وضعفه الألباني في الضعيفة (٩٨٩)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

المظالم عن عباد الله، يقرر من الحقوق، ويقيم من أحكام العدل ما ينتفع به الآلاف والملايين. والحاكم الظالم في يوم واحد أيضًا لعلَّه يفسد في الأرض، ويصدر من قرارات الفساد وأوامر الظلم ما يسيء إلى الآلاف والملايين من خلق الله.

الحديث يقول: «**من سَنَّ سنَّة حسنة؛ فله أجرُها وأجرُ من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سنَّ سنَّة سيئة؛ فعليه وِزْرُها ووزرُ من عمل بها إلى يوم القيامة**»[1]. أحيانًا العمل يكون محدود الأثر، وأحيانًا يكون واسع الأثر، انظر الآن إلى الصحافة مثلًا: لو كتب أحدٌ مقالًا في الصحيفة يُضلِّل بها عبادَ الله، أو يُفْسِد بها أفكار الناس، أو يصدُّ بها عن سبيل الله، على قدر من يقرأ الصحيفة سيكون إثم هذا الإنسان. فهذه ذنوب متعدية. الله تعالى يقول: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: ٢٥]. يحمل وزرَه ووزرَ الذين يضلهم، هكذا. وهذه مصيبة!

التعدي في المكان والزمان:

أحيانًا الإنسان يحمل وزرَه ووزر من يُسأل عنهم، الأب الذي يُهمِل ذريته وتربية أولاده ويتركهم يجترئون على المعاصي، وهو يراهم ولا يُنبِّههم، ولا يؤدِّبهم ولا يردُّهم عن هذا الاعتداء، هو الذي أفسدهم؛ سيتحمل إثمهم يوم القيامة. هذا شأن الأب، وشأن الوالي في ولايته، وشأن الوزير في وزارته، وشأن الأمير في إمارته، وشأن الرئيس في جمهوريته، وشأن الملك في مملكته. هذا تَعدٍّ في المكان.

(١) رواه مسلم في الزكاة (١٠١٧)، وأحمد (١٩١٥٦)، عن جرير.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وهناك تَعـدٍّ في الزمـان أيضًا، هنـاك معاصٍ منقطعـة ومعاصٍ مستمرة، كما أنَّ هناك طاعات مستمرة: الإنسان يموت ويترك طاعاته من بعده، كما جاء في الحديث الصحيح: «**إذا مات الإنسانُ انقطع عنه عملُه إلَّا من ثلاثة: إلَّا مـن صدقةٍ جارية، أو علـمٍ ينتفع به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له**»(١).

في المقابل: إنسـان يموت وتظل ذنوبه بعده؛ ولذلك كان السلف الصالح يقولون: طوبـى لمن إذا مات، ماتت ذنوبـه معه، وويل لمن مات وذنوبه باقية بعده. هذه مشـكلة، مشكلة أهل الفكر وأهل الفن.. واحد مات وكتابه الضلالي الذي أفسد به الناس موجود يقرؤه الناس، وواحـدة ماتـت ورقصاتهـا الخليعة وأغانيهـا الفاجرة يظـل الناس يسمعونها في الإذاعة ويرونها في التلفزيون، وهي ماتت وأكلها الدود من سنين، وهكذا.

هذا خطر، معاصي الذين تبقى معاصيهم بعدهم. النبي ﷺ قال: «**من سنَّ سنَّة سيئة؛ فعليه وِزْرُها ووزرُ من عمل بها إلى يوم القيامة**»(٢)، وجاء في الحديث الصحيح أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**ليس من نفسٍ تُقتل ظلمًا، إلَّا كان على ابن آدم الأول كِفْلٌ منها؛ لأنَّه أوَّل من سَـنَّ القتل**»(٣). تعرفون القصة الَّتي حكاها الله تعالى في سـورة المائدة، قصَّـة ابني آدم اللذَيْن ﴿قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۞ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ

(١) رواه مسلم في الوصية (١٦٣١)، وأحمد (٨٨٤٤)، عن أبي هريرة.

(٢) سبق تخريجه قريبًا.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٣٥)، ومسـلم في القسـامة والمحاربين (١٦٧٧)، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [المائدة: ٢٧ ـ ٣٠].

في فجر التاريخ والإنسانية أسرة واحدة: أولاد آدم، ما كانوا يعرفون إذا مات الإنسان ماذا يُفعل به، لم يرَ الإنسانُ إنسانًا دُفِن قبل ذلك؛ ولذلك بعدما قتل الأخ الشرير أخاه حمل جثته، واحتار ماذا يفعل به، وإكرامًا لآدم بعث الله غرابًا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه.. غراب معه غراب آخر ميت؛ فحفر في الأرض برجله أو بمنقاره ودفن الغراب، فقال ذلك الأخ الظالم: يا ويلتا أعجزتُ أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي؟ هذا أول من سَنَّ القتل؛ فلذلك كلَّما قُتِل قتيل له نصيب من هذا القتل، يعني الحرب العالمية الأولى، والحرب العالمية الثانية، ومن يُقتل في أفغانستان، وفي الجزائر، وفي العالَم.. هذا الإنسان ينال شيئًا من هذا كله؛ «**من سنَّ سنَّة سيِّئة؛ فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة**»[1].

ولذلك، الإنسان يُحَذِّر من المعاصي الممتدَّة في الزمان، والممتدة في المكان.

خطورة المعاصي:

والمعاصي كلُّها خطرة أيها الإخوة، كلُّ المعاصي خطرة على الإنسان، على الفرد وعلى الأسرة وعلى الجماعة، على الإنسان ماديًّا، وعلى الإنسان معنويًّا، على الإنسان في حاضره، وعلى الإنسان في مستقبله، ولهذا يجب أن يحذر الإنسان من المعاصي: كبيرِها وصغيرِها، صحيح أنَّ الكبائر أشدُّ

(١) سبق تخريجه صـ٢٨٩.

QaradawiBooks.com

خطرًا؛ لأنَّ النبي ﷺ قال: «**الصلواتُ الخمس، والجمعةُ إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مُكَفِّراتٌ لما بينهنَّ، إذا اجتُنبت الكبائر**»[١]، تُكفِّر هذه الحسنات ما بينها من سيئات بشرط ألَّا تصل إلى درجة الكبائر، بل قال الله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١]. إذا اجتنبتَ الكبائر مخافة الله ﷻ، ولكن وقعتَ في الصغائر، اللهُ بفضله وكرمه يُكفِّر عنك الصغائر.

الصغيرة تجر إلى الكبيرة:

ولكنَّ الإنسان المؤمن يخاف من الذنوب كلِّها: كبائرِها وصغائرها، لماذا؟ لأنَّ الصغيرة تجرُّ إلى الكبيرة، والألف تجرُّ إلى الباء، وكما قال الشاعر:

نَظْرَةٌ فابتسَامَةٌ فسَلَامٌ ... فكَلامٌ فموعِدٌ فَلِقَاءُ[٢]

وكما قال الآخر:

كُلُّ الْحَوَادِثِ مَبْدَاهَا مِنَ النَّظَرِ ... وَمُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْغَرِ الشَّرَرِ[٣]

الشرارة الصغيرة تؤدِّي إلى حريق كبير إذا لم تنتبهْ إليها، ولهذا المؤمن ينبغي أن يحذر من الصغيرة من أول الأمر، ويسد الباب على الشيطان، فالشيطان يريد أن يجرَّ رِجْله، ويوقعه في أول الأمر في الشبهة، فإذا دخل في الشبهة جرَّأه على الصغائر: صغائرِ المحرمات، فإذا دخل في الصغائر جرَّأه على الكبائر، ثم على أكبر الكبائر، حتى قد يوصِّله إلى الكفر والعياذُ بالله.

---

(١) رواه مسلم في الطهارة (٢٣٣)، وأحمد (٩١٩٧)، عن أبي هريرة.

(٢) انظر: أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (١١٢/٢).

(٣) ذكره من غير نسبة ابن القيم في بدائع الفوائد (٢٧١/٢).

QaradawiBooks.com

خشية المؤمن من ذنوبه:

لا بدَّ للإنسان أن يحذر، ولهذا كان السلف الصالح رضوان الله عليهم يخشون من الذنوب كلِّها، وجاء في حديث ابن مسعود الذي رواه البخاري: «**إنَّ المؤمنَ يرى ذنوبَه؛ كأنَّه قاعد تحت جبل، يخاف أنْ يقع عليه**»؛ كأنَّه يخاف أن ينقضَّ الجبل ويسقط على رأسه، «**وإنَّ الفاجر يرى ذنوبه؛ كذباب مرَّ على أنفه فقال به هكذا**»[1]، ذبابة وقعت على الأنف؛ فأطارها يمينًا أو شمالًا، والمؤمن يخشى من الذنوب.

أحد الصالحين مرض، وكان مرض الموت، فزاره بعض رفقائه وتلاميذه فوجدوه يبكي بكاء مُرًّا، فقالوا له: ما هذا البكاء كله؟ والله ما رأينا منك إلا خيرًا، ما رأينا منك فريضة تركتها، ولا كبيرة انتهكتها. فقال: والله ما أخشى على كبيرة انتهكتها، ولا على فريضة تركتها، لا أبكي على هذا، إنَّما أبكي لأني أخشى أن أكون قد أتيت ذنبًا أحسبه هيِّنًا وهو عند الله عظيم!

كما قال الله للذين أشاعوا حديث الإفك عن أم المؤمنين عائشة: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥]. تتكلَّم عن الناس بالباطل، وتشيع عنهم قولة السوء؟! هذا عند الله عظيم؛ ولهذا جاء في الحديث: ««**إنَّ العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله، لا يُلقي لها بالًا، يهوي بها في جهنم سبعين خريفًا**»[2]. كلمة واحدة لا يهتم بها، هذه الكلمة تنزله في جهنم سبعين سنة، ينزل إلى أسفل جهنم، يهوي بها سبعين خريفًا من كلمة واحدة.

---

(١) سبق تخريجه صـ ٢٤٧.

(٢) رواه البخاري في الرقاق (٦٤٧٨)، عن أبي هريرة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

السيدة عائشة رضي الله عنها كانت تتكلم مع النبي ﷺ، فقالت له فيما قالت: «وما يعجبك من فلانة إلا أنَّها»، أشارت ولم تكمل الجملة، جملة اسمية من دون خبر، «إلَّا أنَّها...» وتشير إلى قصرها، فقال ﷺ: «**يا عائشة، لقد قلتِ كلمة لو مُزجت بماء البحر لمزجتْه**»[1]، كلمة تعكر بحرًا بأكمله، فما بالك بالذين يتركون ألسنتهم كالمناشير؟! (طالع آكل، نازل آكل)، الغيبة أصبحت فاكهة المجالس، وكذلك التفكُّه بأعراض الناس، وسمعة الناس، وكرامات الناس، ماذا تفعل هذه الكلمات؟ تعكر بحورًا، ولذلك الإنسان المؤمن يجب أن يحذر من المعاصي.

شؤم المعصية:

المعاصي شؤم على الإنسان في الدنيا والآخرة، الله تعالى يقول: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]. كل ما يصيبك من بلاء، اعلم أنَّه بسبب الذنوب.

وكان السلف إذا أصابهم أيُّ شيء، يقول: ماذا صنعت هذا اليوم؟ حتى لو رأى عوجًا في سلوك زوجته.. زوجتُه كانت كل يوم جيدة، في هذا اليوم نكَّدت عليه، يقول: ماذا حدث؟ لا بدَّ أنِّي قد صنعتُ شيئًا جعل هذه الزوجة تُغيِّر من سلوكها!

حتى إذا حرنت عليه دابته، ركب حماره، والحمار حرن عليه! يقول: ما سبب خُلُق حماري؟ لا بدَّ أنِّي قد أتيت ذنبًا!

(١) رواه أحمد (٢٥٥٦٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وأبو داود في الأدب (٤٨٧٥)، والترمذي في صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥٠٢)، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٤٢٧).

QaradawiBooks.com

كل شيء يردُّه إلى الذنوب؛ لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾. لا يعاقبنا الله بكل الذّنوب، يقول الله تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم: ٤١]. الفساد في البر والبحر، والخلل والاضطراب، والغلاء والبلاء، والأمراض وهذه الأشياء كلها ما سببها؟ ﴿ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ ﴾، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [يونس: ٤٤]، ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [آل عمران: ١٨٢، الأنفال: ٥١، الحج: ١٠].

﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ ﴾. الفساد هذا ليس الفساد الخُلُقي، الفساد: اضطراب الحياة وخللها، ونزول المصائب بها، سببها ما كسبت أيدي الناس من المعاصي والذنوب، لماذا؟ ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ ﴾. أي: أنَّ الله لا يجزي الناس بكل ما عملوا، لا، يعفو عن كثير، ولذلك يقول الله تعالى: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾ [النحل: ٦١]، ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [فاطر: ٤٥]. ويعفو عن الكثير، ويحاسب على القليل، لماذا؟ ليس انتقامًا منهم ولكن ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾. يعني ربنا ينبِّههم بهذه العقوبات ليرجع إليه الشاردون، ولينتبه الغافلون، وليستيقظ النائمون، وليتذكر الناسون، وليؤوب الشاردون، وليتعلم الجاهلون.. هكذا: ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾.

سبب الهزائم والانتكاسات:

كل ما نراه في الفرد وفي الجماعة، وما نراه في حياة المسلمين الآن من مصائب ومن هزائم ومن انتكاسات، حتى تجرَّأ علينا الجبناء، وتعزَّز

QaradawiBooks.com

علينا الأذِلَّاء، وغلَبنا المغلَّبون، حتى اليهود أحرص الناس على حياة، والذين طالما ضُرِبت عليهم الذلة والمسكنة، أصبحوا يعبثون بنا وبمقدراتنا، ويلعبون بمصايرنا، أصبحنا ألعوبة في يد اليهود، اليهود يأخذون فلسطين، ويبتلعون القدس، ويحفرون تحت المسجد الأقصى ونحن غافلون! لماذا سُلِّط علينا اليهود؟ بذنوبنا ومعاصينا وتقاعدنا.

كلُّ ما نراه من مصائب: فرقة المسلمين وتمزُّقهم، وتسلُّط بعضهم على بعض، حتى يقاتل بعضهم بعضًا، كل هذا بسبب الذنوب والمعاصي، الله تعالى يقول: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ [الأنفال: ٢٥]. الرحمة تخصُّ والنقمة تعم، حينما يجيء البلاء يأخذ المطيعَ والعاصي، ويُحشر كلٌّ على نيته، كما جاء في الحديث: «**يُبعثون على نيَّاتهم**»[1]، إنَّما حينما ينزل الله البلاء بالعباد يأخذ الجميع؛ الذين ارتكبوا المعصية بمعاصيهم، والآخرين بسكوتهم.

خطر المعاصي على الفرد والمجتمع:

المعاصي خطر على الأفراد وعلى الجماعات، النبيُّ ﷺ قال في الحديث، الذي رواه ابن ماجه والحاكم والبيهقي عن ابن عمر: «**يا معشرَ المهاجرين، خمسٌ إذا ابتليتم بهنَّ، وأعوذ بالله أن تُدْركوهنَّ: لم تظهر الفاحشة في قومٍ قطُّ حتى يعلنوا بها؛ إلَّا فشا فيهم الطاعون، والأوجاع الَّتي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا**». هذا أوَّل تحذير من النبيِّ ﷺ: إذا ظهرت الفاحشة وعُمِلت علانية، سُلِّط على الناس الأوجاع والأمراض، وهذا رأينا مصداقه في عصرنا، أمراض الزُّهَري والسَّيَلان، إلى أنْ جاء هذا الذي يسمونه «الطاعون الأبيض»، المرض الذي يرمزون إليه

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في البيوع (٢١١٨)، ومسلم في الفتن (٢٨٨٤)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

بكلمة «الإيدز»، المرض الخطير الذي لم يجدوا له علاجًا حتى الآن، ويُهدِّد عشرات الملايين في العالَم، والمسلمون أقلُّ الناس ابتلاءً به؛ لأنَّه لا زال الإسلام يحفظ المسلمين من الزنى إلى حدٍّ كبير، وإن كان كثيرًا من المسلمين يقع في هذه الفاحشة، وخصوصًا خارج ديار الإسلام!

«**ولم ينقصوا المكيال والميزان؛ إلا أُخذوا بالسنين، وشدَّة المئونة، وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم، إلَّا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يُمْطَروا**». ربُّنا ﷻ يحجب عنهم المطر، لولا أنَّ الله سبحانه يرحمهم بهذه البهائم العجماوات، الَّتي لا ذنوب لها، وكما جاء في بعض الآثار: «**لولا شيوخ رُكَّع، وأطفال رُضّع، وبهائم رتَّع، لصبَّ عليكم العذاب صبًّا**»[(١)]. هؤلاء الشيوخ الرُّكَّع، والأطفال الرضَّع، والبهائم الرتع، يرحمنا ربنا بهؤلاء.

«**ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله؛ إلا سلط الله عليهم عدوًّا من غيرهم، فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله، ويتخيروا مما أنزل الله، إلَّا جعل الله بأسهم بينهم**»[(٢)]. وهذه كلها نرى مصداقها في حياتنا وفي واقعنا.. بأسنا بيننا شديد، يُسلَّط بعضنا على بعض، هل رأيت تمزُّقًا أكثر من تمزُّق الأُمَّة العربية والأُمَّة الإسلامية في عصرنا؟! رغم وجود هذه البلايا، المفروض عند نزول المصائب؛ كما قال شوقي:

إنَّ المَصَائِبَ يجْمَعْنَ المُصَابِينَا[(٣)]

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٩٦٥)، وقال عقبه: إسناد حسن. والطبراني في الكبير (٣٠٩/٢٢)، عن أبي عبيدة الدؤلي.

(٢) رواه ابن ماجه في الفتن (٤٠١٩)، والحاكم في الفتن والملاحم (٥٤٠/٤)، وصحَّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي، وحسَّنه الألباني في الصحيحة (١٠٦)، عن ابن عمر.

(٣) عجزُ بيتٍ له، وصدره: فإن يكُ الجنسُ يا ابنَ الطَّلْحِ فرَّقنا
انظر: أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (١٠٤/٢).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

أيُّ مصيبة أكبر من ابتلاع القدس وتهديد المسجد الأقصى؟ ومع هذا الأُمَّة ممزَّقة، جعل الله بأسها بينها، ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥]، هذا ما تعانيه الأُمَّة.

المعاصي شؤمها كبير في الدنيا والآخرة، الله تعالى منذ أنزل آدم وزوجه إلى الأرض، قال: ﴿ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٣، ١٢٤]. له معيشة ضنك في الدنيا.

كما أنَّ من آثار الإيمان والعمل الصالح الحياة الطيبة، ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]، إنَّما من آثار المعصية والإعراض عن الله المعيشةُ الضنك، قد تكون المعيشة الضنك من الناحية المادية، وقد تكون معيشة ضنكًا من الناحية النفسية، يكون الإنسان غريقًا في الملايين وتموج خزائنه بالذهب كما يموج التنور باللهب، ومع هذا معيشته ضنك، حياته نكدة، يعيش في قلق، في أمراض، في مخاوف، في آلام نفسية!

حقيقة السعادة:

السعادة ليست بالمال، وهي لا تُستورد من الخارج، ولا تُشترى بالملايين، السعادة تنبع من هاهنا، من داخل نفسك، السعادة في السكينة، في الطمأنينة، وهذه لا يُحقِّقها إلَّا الإيمان الحقيقي، ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]. هذه الطمأنينة أساس السعادة.

QaradawiBooks.com

قالوا: إنَّ عمر بن الخطاب تزوَّج أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب؛ حتى يكون بينه وبين رسول الله ﷺ وذريته صلة. ويومًا من الأيام غاضبته كما يتغاضب الرجل وزوجه، فقال لها مهددًا: لأُشقِينَّكِ. فابتسمت وقالت له: لا تستطيع. قال: وكيف لا أستطيع؟ قالت له: لو كانت سعادتي في مالٍ لقطعتَه عنِّي، أو في زينةٍ لحرمتني منها، ولكنِّي أرى سعادتي في إيماني، وإيماني في قلبي، وقلبي لا سلطان لأحد عليه غير ربي! فكيف تستطيع أنْ تشقيني؟!

المؤمن إنَّما يجد سعادته في الداخل هنا، في هذا الإيمان؛ ولذلك قال الصالحون قديمًا: إننا نعيش في سعادة لو علم بها الملوك لجالدونا عليها بالسيوف[1]! السعادة الروحية، نحن نعيش في سعادةٍ الحمد لله أنَّ الملوك لا يعرفون حقيقتها، ولا يعرفون قدرها؛ وإلا لنازَعونا وحاوَلوا أن يأخذوها منا، فنحن نستمتع بها دون أن ينازعونا. نعيش في سعادة لو علم بها الملوك لجالدونا عليها بالسيوف! إنَّما هم واهمون أنَّ السعادة في المال والجاه والمناصب؛ فتركوا لنا هذه السعادة. هذه سعادة الروح.

شقاء الروح:

في مقابل هذه السعادة هناك شقاء الروح، الإنسان يشقى روحيًّا، يشقى نفسيًّا، هذا ما نراه في عصرنا، فعصرُنا يسمونه: عصر القلق، أمريكا هذه الَّتي وصلت إلى القمر وتحاول الآن أن تصل إلى ما هو أبعد، إلى الكوكب الأحمر: إلى كوكب المريخ وغيره من الكواكب، هؤلاء وصلوا إلى القمر ولكنهم لم يستطيعوا أن يسعدوا الإنسان على ظهر الأرض، لماذا؟ لأنَّ العلم والتكنولوجيا الَّتي عندهم تهتم بالآلات

(١) سبق تخريجه صـ ٢٦٨.

QaradawiBooks.com

والوسائل، ولا تهتم بالمقاصد والغايات، تهتم بما يُحقِّق للإنسان المتعة والرفاهية، لا بما يحقق له السكينة والطمأنينة. هذا العلم الذي عندهم لم يُسعِد الإنسان؛ ولذلك كثرت آلاف العيادات النفسية عندهم، عشرات الآلاف من العيادات النفسية، ومعظم الناس مرضى نفسيون عندهم، الإنسان يعيش في قلق؛ هذا من أثر الإعراض عن الله.

الحياة المادية والفلسفة المادية، الَّتي لا ترجو لله وقارًا، ولا تحسب للآخرة حسابًا، هذه الحياة المادية نتيجتها هذه المعيشة الضنك، ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾، الضنك النفسي، فالمعصية تجعل الإنسان يحس بهذا الضنك النفسي، ويعيش في هذا الفراغ الروحي، ويحيا في هذا الذل: ذلِّ المعصية!

فالعزُّ الحقيقي في طاعة الله: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]. أمَّا ذلُّ المعصية فيجعل الإنسانَ عبدًا لشهوته، عبدًا لهَواه، عبدًا للآخرين، هذه عبودية، المؤمن لا يُذِلُّ نفسه أبدًا؛ لأنَّ عنده عزة الإيمان، كما قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨]، وكما قال بعضهم:

وممَّا زادني شَرَفًا وتِيهًا ... وكدتُ بأَخْمُصي أطأُ الثُّريَّا
دُخولي تحتَ قولِكَ: يا عبادي ... وأنْ أرسلتَ أحمدَ لي نبيًّا[1]**!**

يخاطب اللهَ، يناجي اللهَ، يقول:

وممَّا زادني شرفًا وتِيهًا ... وكدتُ بأخمصي أطأُ الثُّريَّا

بأخمصي أطأُ الثُّريَّا: يعني بأخمص قدمي أطأ هذه النجوم.

(١) من شعر القاضي عياض، كما في غذاء الألباب شرح منظومة الآداب للسفاريني (٤٧٥/٢)، نشر مؤسسة قرطبة، مصر، ط٢، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

QaradawiBooks.com

دخولي تحت قولِك: يا عبادي. يعني أنَّ الله إذا يقول: يا عبادي. فأنا واحد من هؤلاء العباد.

وأن أرسلت أحمد لي نبيًّا عليه الصلاة والسلام. هذه هي العزَّة.

وإنَّما ذل المعصية كما قال عبد الله بن المبارك:

رأيتُ الذنوبَ تُميتُ القُلُوبَ وقد يــورثُ الــذُّلَّ إدمانُها[1]

الإدمان على المعصية يورثُ ذلَّ النفس، وكذلك يطفئ نور القلب، الله تعالــى يقــول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا ﴾ [الأنفــال: ٢٩]، نورًا تفرقون به بين الحق والباطل. ﴿وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ﴾ [الحديــد: ٢٨]، ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَا ﴾ [الأنعــام: ١٢٢]. هذا النور تطفئه المعصيــةُ، كأنها عاصفة تأتي على المصابيح فتطفئها، أو على الشــمعة فتطفئها. والإمام الشافعي يقول:

شــكوتُ إلى وكيعٍ سوءَ حِفْظي فأرشــدني إلى تَــرْكِ المعاصي!
وأخبرنــي بــأن العِلْــمَ نــورٌ ونــورُ الله لا يُهــدى لعاصــي[2]

المعاصي تنسي الإنسان نفسه:

المعاصي تنسي الإنسانَ نفسه؛ حينما ينسى ربَّه، كما قال الله: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡ﴾ [الحشر: ١٩]. والإنسان حين ينسى ربه؛ فإنما ينسى نفسه، لأنَّ نفسه ليست الطعام والشراب والثياب، هذه ليست

(١) ديوان الإمام المجاهد ابن المبارك صـ١١٤، ١١٥، تحقيق أ. د. مجاهد مصطفى بهجت، نشر مجلة البيان، ١٤٣٢هـ.

(٢) انظر: المحمدون من الشعراء للقفطي صـ١٣٨، تحقيق حسن معمري وحمد الجاسر، نشر دار اليمامة، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م.

QaradawiBooks.com

نفسك! نسي الإنسان ما يحييه حقيقة، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]، نسي الحياة الحقيقية، حياة الطاعة وحياة الإقبال على الله، نسي الغذاء الحقيقي للنفس، وهو طاعة الله، والعلمُ النافع، والإيمانُ الصادق، والعمل الصالح، نسي هذا كلَّه؛ فأنساه الله نفسه، ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٩].

أثر المعاصي يوم القيامة:

آثار المعاصي على الإنسان في الحياة الدنيا كثيرة وكثيرة جدًّا، ولا يتسع المقام أيها الإخوة لأفصِّل الحديث عنه، ولكن أقول: المعاصي لها آثار في الآخرة أشد وأخطر من الدنيا، تحرم الإنسانَ من دخول الجِنان وتُوقِعه في النيران ـ والعياذُ بالله ـ هل هناك شر من هذا: أن يدخل الإنسان في النار ويُحرَم من الجنة؟!

الله تعالى يقول: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]. أمَّا من لم يُزحزَح عن النار ولم يدخل الجنة فقد ضاع، خسر نفسه، ألَا ذلك هو الخسران المبين.

الخسران المبين حقًّا ليس أن تخسر في صفقة في الدنيا: ألف درهم، أو مليون درهم، أو ملء الأرض ذهبًا، الخسارة الحقيقية أنْ تخسر الجنةَ ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥].

احذر المعاصي؛ هي الَّتي تحرمك من الجنة. إذا كان آدم عليه السلام بسبب معصية واحدة قيل له: اخرجْ من الجنة، اهبط من الجنة، واخرج منها.

QaradawiBooks.com

فما بالــك بمن يداوم علــى المعاصي؟ بمن غرق فــي بحار المعاصي وعاش في سكرة المعاصي؟

يــا ناظــرًا يرنــو بعينَــيْ راقدِ ومُشــاهِدًا للأمــر غيرَ مشــاهِدِ!
تصلُ الذنوبَ إلى الذنوبِ وترتجي نَيْلَ الجِنــانِ، ودَرْكَ فَــوْزِ العَابِد
أنسِــيتَ أنَّ اللهَ أخــرجَ آدمًــا منها إلــى الدُّنْيا بذنــبٍ واحدِ[1]؟!

كيف ترجو الجِنانَ وأنت تعيش في المعاصي، وتستمرئ المعاصي، وتستحلي المعاصي؟!

لابد من وقفة للمحاسبة:

لا بد للإنسان أن يقف وقفة مع نفسه، يراجع حسابه، يراجع رصيده مع الله، يحاسب نفسه قبل أن يُحاسَب، ويسألها قبل أن يصير السؤال إلى غيره. لا بدَّ للإنسان من وقفة مع النفس، ماذا قدَّمتُ وماذا أخَّرتُ؟

كان بعض الأيقاظ المراقبين لأنفسهم من الصالحين في عصرنا، رأيت بعضهم يعمل لنفسه شيئًا يسميه جدول المحاسبة، وكتب فيه قائمة طويلة:

هل أدَّيــت الصلوات في وقتها؟ ويعطي نفســه، مثلًا: عشــرة على عشرة، أو ثمانية على عشرة، أو خمسة على عشرة.

هل أدَّيتها بخشوع كما ينبغي؟

هل أدَّيتها في جماعة؟ وهكذا.

هل وصلت أحدًا من أرحامك؟

هل بررت والديك؟

(١) من أشعار محمود الورّاق، كما في عيون الأخبار (٤٠٣/٢)، نشر دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ.

QaradawiBooks.com

هل ذكرت الله تبارك وتعالى؟

هل قرأت شيئًا من القرآن الكريم؟

هل اغتبت إنسانًا مسلمًا؟

هل نظرت إلى ما حرَّم الله؟ وهكذا.

أربعون أو خمسون سؤالًا، ويجيء في آخر النهار ويعطي لنفسه درجات، ويقول: أنا اليوم أخذت أربعين بالمائة، هذا لا ينفع، يحتاج إلى مزيد من الجهد. يحاول في اليوم التالي أن يأخذ درجة أحسن، يعني خمسين في المائة، وفي اليوم الذي بعده صارت درجته ستين (٦٠)، الحمد لله أحسن، يعني مقبول، الآن في درجة مقبول. بعد قليل يحاول أن ينجح بدرجة جيد، ثم بدرجة جيد جدًّا. يحاول يرقِّي نفسَه.

المسلم يرتقي في الدرجات:

المفروض أنَّ الإنسان المسلم يحاول أن يرتقي بقدر الإمكان، أول ما يسلك الإنسان الطريق إلى الله أقول له: أدِّ الفرائض فقط. البعض يقول مطلوب منه: ركعتين قبل الظهر، وركعتين بعد الظهر، وأربعًا قبل العصر. هذا يؤثر عليه، ثم بعد ذلك أقول: والله هناك ركعتان مؤكدتان قبل الصبح في دقيقتين لو تصليهما! ثم أقول: هناك ركعتان قبل الظهر وركعتان بعد الظهر، وهكذا.

وأول ما يصوم يصوم رمضان فقط، ولكن بعد مدة أقول: والله لا يوجد مانع أنْ تصوم ستة أيام بعد رمضان في شوال، وتصوم تسعة أيام في ذي الحجة، خصوصًا اليوم التاسع الذي هو يوم عرفة، ويوم عاشوراء وتاسوعاء، وهكذا الواحد يرتقي.

QaradawiBooks.com

وأمَّا ما يجب في المال، أقول له: أدِّ الزكاة الفريضة، وبعد مدة أقول له: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [فاطر: ٣٩]، وهكذا يرتقي. المفروض أنَّ الإنسان يحاول أن يترقى.

الموظف في الوظيفة ألَا يحاول أن يترقى؟! يريد أنْ يرتقي من موظف عادي إلى وكيل قسم، إلى رئيس قسم، إلى مدير إدارة.

إذا كان الإنسان طموحًا، يحاول أن يرتقي في سُلَّم الوظيفة، كذلك المسلم يحاول أن يرتقي في سُلَّم الطاعات.

التدرُّج في اجتناب المحرمات:

وكذلك في المعاصي أقول له أول شيء: ابتعد عن الكبائر. بعد مدة أقول له: ابتعد عن الصغائر؛ الصغائر تجر إلى الكبائر. فإذا ارتقى وترك الصغائر أقول له: اتقِ الشبهات، «**فمن اتَّقى الشبهات فقد استبرأ لدِينِه وعِرْضِه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى، يوشك أنْ يرتع فيه**»[(١)].

فإذا ترك الشبهات أقول له الحديث الذي رواه الترمذي: «**لا يبلغ العبد أنْ يكون من المتقين حتى يدَعَ ما لا بأس به؛ حذرًا لما به البأس**»[(٢)]. يترك ما لا بأس به حذرًا لما به بأس. وهكذا يرتقي الإنسان المسلم.

التوبة الصادقة تمحو الذنوب:

فعلى المسلم أنْ يقف يحاسب نفسه هذا الحساب؛ حتى يمتنع عن السيئات والمعاصي والذنوب، إلا ما زلَّت به قدمه. وإن تاب العبد إلى

(١) سبق تخريجه صـ ٢٤٧.

(٢) سبق تخريجه صـ ٢٤٨.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الله، ولم يعد بينه وبين الذنوب شيء، ولكن في يوم من الأيام أغراه الشيطان حتى زلت به قدمه، ووقع في المعصية، هل ييئس ويترك الطريق إلى الله؟! لا، لا ينبغي أن ييئس أبدًا؛ لأنَّ باب الله مفتوح، وليس عليه حاجب ولا بواب، وهو ينادي عباده دائمًا: «**إذا مضى ثلث الليل الأول ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا، فيقول: هل من سائل يُعطى؟ هل من داع يُستجاب له؟ هل من مستغفر يُغفر له؟ حتى ينفجر الصبح**»[(١)].

وهو يقول لرسوله ﷺ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]. انظروا إلى هذه الرقة، إلى هذا اللطف، إلى هذه النداوة، عباده الذين أسرفوا، هؤلاء العصاة الذين ظلموا أنفسهم بالمعاصي، وأسرفوا على أنفسهم بالتمادي في الذنوب، يقول لهم: ﴿يَٰعِبَادِيَ﴾ ينسبهم الله إلى نفسه، لم يحرمهم من شرف العبودية له، هؤلاء مهما فعلوا عبادي، ليسوا أجانب عني؛ هو الذي خلقهم، وهو الذي رزقهم، ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

يا أيها الإخوة، ما أحوجنا إلى أن نقرع باب الله، وأن نقف على أعتابه تائبين مستغفرين، كلنا في حاجة إلى التوبة.. هناك من يتوب من الكبائر، وهناك من يتوب من الصغائر، وهناك من يتوب من الغفلات، فعلينا أن نتوب إلى الله، وقد قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]. وجاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: «**يا أيُّها الناس، توبوا إلى الله، فإنِّي أتوبُ في اليوم إليه مائة مرَّة**»[(٢)].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في التهجد (١١٤٥)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٥٨)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه مسلم في الذكر (٢٧٠٢) (٤٢)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

أســأل الله ﷻ أنْ يتوب علينا توبــة نصوحًا، وأن يتقبلنــا في عباده الصالحين، وأن يغفر لنا ما مضى، وأن يصلح لنا ما بقي، وأن يعيننا على شهوات أنفسنا، وأن يصلح فساد قلوبنا، وأنْ يجعل يومنا خيرًا من أمسنا وغدنا خيرًا من يومنا، وأن يحســن عاقبتنا في الأمور كلها، ويجيرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة. اللهم آمين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله تعالى لي ولكم، إنَّه هو الغفور الرحيم.

وصلى الله وســلم وبــارك على عبده ورســوله محمــد، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۞ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الصافات: ١٨٠ ـ ١٨٢].

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

إجابة أسئلة المحاضرة

السؤال الأول: ما الفرق بين البلاء وبين المعصية أو الانتقام، والمؤمن يُبتلى والكافر يُنتقم منه؟ هل من ضابط بينهما؟

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم، نحن ذكرنا قول الله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]. وهذه قاعدة عامة، الله ﷻ ينزل البلاء بالمؤمنين لا للانتقام.

أمَّا الكفار فإن الله تعالى ينتقم منهم إذا تمادَوا في ظلمهم؛ فينزل بهم بلاءَه انتقامًا كما أنزل بالذين كذَّبوا رسله، في سورة هود نجد أنَّ الله أنزل العذاب على قوم نوح، بعد أن أغرقهم الطوفان قيل: ﴿بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ٤٤]، وأنزل العذاب بعاد: ﴿أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ [هود: ٦٠]، ﴿أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾ [هود: ٦٨]، ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ [هود: ٩٥]. كلهم هلكوا، ثم قال الله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ۝ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠١، ١٠٢]. حينما تظلم القرى، وتتعدى الحدود وتفجر: يكون أخْذ الله لها أخْذَ عزيز مقتدر، وجاء في هذا الحديث الصحيح: «**إنَّ الله ليُملي للظالم حتى إذا أخذه لم يُفلتْه**» ثم تلا هذه الآية: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[1]. فالإنسان الظالم الفاجر ربنا

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٦٨٦)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٣)، عن أبي موسى.

QaradawiBooks.com

يأخذه انتقامًا، إنَّما الإنسان الذي على قدر من الإيمان ربنا يبتليه، يبتليه بهذه الأشياء ليردَّه إليه.

وقد يكون الابتلاء أساسًا بدون أن يرتكب شيئًا، كما نجد أنَّ الأنبياء ابتُلُوا وعُذِّبوا، وكما جاء في الحديث: «**أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلى الرجل على حَسَب دينه**»[1]. وأصحاب الدعوات يُبتلون وإن لم يرتكبوا ذنبًا، ربنا ذكر لنا قصة المؤمنين في سورة البروج: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۞ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۞ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۞ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾. لماذا؟ قال: ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۞ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البروج: ٤ ـ ٩].

أصحاب الدعوات: الأنبياء، ووَرَثة الأنبياء ربما لم يكن لهم ذنب قط، ولكن يُعذَّبون من أجل دعوتهم!

وقد يخطئون في الطريق فيؤدَّبون، ربما لم يراعوا سُنَن الله ﷻ أو نحو ذلك، كما رأينا الصحابة في غزوة أحد لمَّا لم يراعوا سُنَن الله، وكشفوا ظهورهم للمشركين، وخالفوا أمر النبي ﷺ، كانت النتيجة أن قدَّموا سبعين من الصحابة من أمثال حمزة بن عبد المطلب، ومصعب بن عمير، إلخ، ولهذا قال الله ﷻ: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

السؤال الثاني: ما هو الخلاص من معصية خطيرة، أنا مصرٌّ عليها؟ وما العلاج منها، وما هي طرق الوقاية؟ والإثم الواقع عليَّ؟ ثم إنِّي قتلت رجلًا عن طريق الخطأ ـ رجلًا غير مسلم ـ بالسيارة، هل عليَّ صيام شهرين متتابعين؟

---

(١) سبق تخريجه صـ ٨٧.

QaradawiBooks.com

الجواب: أمَّا علاج المعصية؛ فأنصحه أنْ يبحث عن قوم صالحين، ويجلس إليهم. الإنسان وحده مُعرَّض للمعصية، ولكنَّه في حاجة إلى جماعة خَيِّرة تُرغِّبه في الخير، وتُحذِّره من الشر، ويد الله مع الجماعة، المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه، ضعيف بمفرده قويٌّ بجماعته. ويبحث عن رجل صالح أيضًا يجلس إلى دروسه ليُرغِّبه، إنَّما إذا ترك نفسه وحدها سيفترسه الشيطان، والشيطان ذئب الإنسان، وكما جاء في الحديث: «**إنَّما يأكلُ الذئبُ من الغنمِ القاصيةَ**»[1]. إذا وجد النعجةَ وحدها ينفرد بها، إنَّما هي في وسط القطيع محمية به. هذا بالنسبة للسؤال الأول.

أمَّا بالنسبة لقتل الخطأ وإن كان غير مسلم؛ ففيه كفارة، الله تعالى يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢]. قتل غير المسلم ما دام غير حربي، قتل الحربي الإسرائيلي ما عليه، إنَّما ما دام ليس بيننا وبينه حرب هنا عليك دِيَة مُسَلَّمة إلى أهله وكفارة، ﴿فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

---

(١) رواه أحمد (٢١٧١٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الصلاة (٥٤٧)، والنسائي في الإمامة (٨٤٧)، والحاكم في التفسير (٤٨٢/٢)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وصحَّحه النووي في المجموع (١٨٧/٤)، عن أبي الدرداء.

QaradawiBooks.com

السؤال الثالث: اغتبتُ غير مسلم، واحتقرته وتكبَّرتُ عليه، هل عليَّ إثم في ذلك؟ وكيف يفعل الذي لم يصلِّ فترة من الزمان؟ هل تُقضى هذه الصلوات؟ وكيف يكون ذلك؟ لأنَّ وقتها قد مضى.

الجواب: بعض العلماء قالوا: غيبة غير المسلم أشد من غيبة المسلم. قيل: لماذا؟ قالوا: لأنَّ غير المسلم في المجتمع الإسلامي ضعيف، وظلم الضعفاء يكون أشد إثمًا. الإنسان حينما يظلم إنسانًا ضعيفًا يكون إثمه أشدّ عند الله! لو ظلمت إنسانًا قويًّا؛ القوي قادر على أن يدافع عن نفسه، إنَّما تظلم من لا يجد له ناصرًا غير الله؛ فالله ينتصر له؛ لذلك بعض العلماء خصوصًا علماء الأحناف نصوا على أنَّ غيبة غير المسلم أشد من غيبة المسلم.

ثم المهم ألَّا يكون إنسانا معاديًا للمسلمين، ولا مؤذيًا لهم، الله تعالى يقول: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

ترك الصلاة لمدة طويلة:

المذاهب الأربعة تقول: هي دَيْن في عنقك، عمرك الآن خمسون سنة، وفاتت عليك صلوات خمس وثلاثين سنة، تصلي خمسًا وثلاثين سنة، ولو عمرك الآن ستون سنة تصلي خمسًا وأربعين سنة، وهكذا. وتصلي كيف استطعت، مع كل صلاةٍ صلاة، ومع كل صلاة صلاتين، إلخ.

وهناك مذهب آخر ذهب إليه الظاهرية وأيَّده شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم، قالوا: إنَّ الإنسان تارك الصلاة لمدة طويلة؛ حينما يعود إليها كأنَّما يدخل الإسلام من جديد، هو بدأ صفحة جديدة مع الله، خصوصًا

QaradawiBooks.com

إذا أخذنا بظاهر الأحاديث الَّتي ترى ترك الصلاة كفرًا. وهي رواية شهيرة عن الإمام أحمد، وذهب إليها عدد من علماء السلف، فكأنه إذا صلى، كأنه بدأ الإسلام من جديد.

وأنا أرى مع هذا المذهب، أنَّه ما دام فاتت الصلوات، وفاتت هذه المُدَد والسنون الطويلة، يبدأ المسلم صفحة جديدة؛ على شرط أن يُكثِر من النوافل والتطوعات، ويحاول أنْ يعوض السنين الَّتي فاتت بالإكثار من الخيرات، ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٤٨]. يصلي السنن، ويصلي النوافل، ويصلي الضحى، ويقوم من الليل، ويُكثِر من الخير؛ حتى يزداد رصيده عند الله ﷻ، ويعوض السنوات الَّتي فاتت.

هذا ما أرجِّحه، والله أعلم.

السؤال الرابع: أرجو من فضيلتكم تحديد معنى دقيق للبدعة، خصوصًا أننا نرى البعض يطلقها على كلِّ شيء مستحدث، مع أنَّ أغلب أحوالنا اليوم مستحدثة.

الجواب: الموضوع طويل، ولكن البدعة ليست كل ما يُستحدث، وإلا كان استخدام هذا الميكروفون بدعة. أول ما ظهر الميكروفون وأول ما ظهر التليفون كان بعض المشايخ في السعودية يقول: هذه بدعة، كيف يدخل المسجد هذا الميكروفون؟ ما فعله رسول الله ﷺ.

وبعض العلماء ناقشوا في هذا، كان بعضهم يلبس نظارة وقال له: طيب يا شيخ فلان، أنت تلبس النظارة، والرسول ﷺ لم يلبس النظارة!

قال: النظارة تُكبِّر لي الكتاب، نظري ضعيف، والنظارة تُكبِّر السطور أمامي.

QaradawiBooks.com

قالوا: نفس الشيء، النظارة تُكبِّر المقروء، والميكروفون يُكبِّر المسموع. فاقتنع.

وقيل: إنَّ الملك عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حينما أراد أن يُدخِل التليفون قالوا: هذا شيطان، هذا لازم وراءه شيطان؛ كيف يتم الحديث عبره؟ لا بدَّ أن يكون وراءه شياطين. قالوا: طيب، لو واحد يسمع القرآن: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، قال: سمعت؟ هل الشيطان يقرأ القرآن؟

بعض الناس يبالغ في مسألة البدعة ويجعل كلَّ جديد بدعة، لا.

بعض الإخوة يقرؤون القرآن ثم يقولون: صدق الله العظيم. قالوا: صدق الله العظيم هذه بدعة. لماذا؟

المسلمون ظلوا قرونًا في أنحاء العالَم وفيهم العلماء وفيهم الفقهاء وفيهم القراء ظلوا يتوارثون هذا، كلهم اتفقوا على هذا. هل الأُمَّة اجتمعت على الضلالة طوال هذه القرون؟! غريب.

أرى أنَّ هناك مبالغة في التوسع في مسألة البدعة، ولا يتسع المقام لهذا.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

١٢

مراتب جهاد النفس (١)[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصَّلاة والسَّلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومَنْ والاه، ربنا لا تُزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمةً؛ إنَّك أنت الوهَّاب، اللهمَّ علِّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علمًا، نحمدك اللهم على كلِّ حال، ونعوذ بك من حال أهل النار.

خير ما أحيِّيكم به أيها الإخوة تحيةُ الإسلام، وتحيةُ الإسلام السَّلام، فالسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(وبعد)

ثلاث شُعَبٍ لرسالة المسلم:

كنَّا قد تحدَّثنا في الدرسين الماضيَيْن عن مُهِمَّة المسلم، عن رسالة المسلم، رسالة الفرد المسلم، ورسالة المجتمع المسلم في هذه الحياة، مستلهمين قول الله تبارك وتعالى في خواتيم سورة الحج: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ﴾ [الحج: ٧٧، ٧٨].

(١) ألقيت في قطر.

غير مرخص
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقلنا في ضوء هاتين الآيتين الكريمتين: إنَّ مُهِمَّة المسلم، ورسالة المسلم تنقسم إلى شُعَبٍ ثلاث:

الشعبة الأولى عبادة الله:

الشعبة الأولى تُحَدِّد علاقة المسلم بربِّه، وتتجلَّى في عبادة الله تعالى، حيث يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ﴾. وما خلق الله الناس إلا ليعبدوه، ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. فالغاية من خلق الناس هي أنْ يعرفوا الله تعالى حق معرفته، وأنْ يقوموا بحق عبادته، فهو وحده الذي يستحق أن يُعبَد، ولا معبود بحقٍّ سواه، وهذا ما دعا إليه رسل الله جميعًا، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]. ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]. هذه هي الشعبة الأولى.

الشعبة الثانية فعل الخير:

والشعبة الثانية هي الَّتي تحدد علاقة المسلم بالمجتمع، وهي تتجلى في فعل الخيرات، ﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾، فعل الخير على كل مستوى، وكل صعيد، وبكل ما يمكن للإنسان من بذل مال، أو بذل جهد، يقدمه للناس، للمسلم والكافر، وللبر والفاجر، بل للإنسان والحيوان، فعلى كلِّ مسلم صدقة؛ بل على كل سُلامَى من الناس، كل مفصل من المفاصل، كل عظم من العظام، كل عضو من الأعضاء، عليه في كل يوم تشرق فيه الشمس صدقة، زكاة، ضريبة اجتماعيَّة، يؤديها خدمة للمجتمع.

QaradawiBooks.com

المسلم منتج معطاء:

إنَّ المسلم لا يعيش كلًّا، ولا عالة على الناس، وإنَّما يعيش منتجًا معطاءً، باذلًا لمجتمعه، فهو كما يستهلك يُنتج، وكما يأخذ يُعطي، ففعل الخير هو شأن الإنسان المسلم، عليه أن يتصدق على مجتمعه بكل ما يستطيع، ليست صدقة معينة ـ مالية أو علمية ـ بل هي صدقة على كل إنسان بحسب وسعه، يبذلها للمجتمع، ولو بإزالة الأذى عن الطريق، فـ«**إماطةُ الأذى عن الطريقِ صدقةٌ**»(١).

ومَنْ لم يستطع أن يفعل الخير فليدل على الخير، فـ«**الدَّالُّ على الخير كفاعله**»(٢). ومَنْ لم يستطع أنْ يدلّ على الخير فلينوِ الخير، و«**ليُمسِكْ عن الشرِّ؛ فإنَّه له صدقة**»(٣).

الإخلاص في فعل الخير:

والمسلم يفعل الخير، ولا ينتظر الأجر إلا من الله تبارك وتعالى، قيل لبعض السلف: لا تصنع المعروف في غير أهله. فقال: لا؛ بل اصنع المعروف في أهله، وفي غير أهله، أمطر الخير مطرًا، فإنْ أصاب الكرام كانوا له أهلًا، وإن أصاب اللئام كنت له أهلًا(٤). وكان من سبقونا يقولون: اعمل المعروف وارْمِه في البحر. يقصدون لا تنتظر الجزاء إلا من الله، فالله هو الذي سيجزيك، ولن يضيع المعروف، لا في الدنيا، ولا في الآخرة.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٩١، ٢٩٨٩)، ومسلم في الزكاة (١٠٠٩)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (٢٣٠٢٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. عن بريدة.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠٢٢)، ومسلم في الزكاة (١٠٠٨)، عن أبي موسى.

(٤) المقولة لعبد الله بن جعفر، كما في إحياء علوم الدين (٢٤٧/٣).

QaradawiBooks.com

نظام الوقف الخيري:

ولهذا ينبغي علينا أن نفعل المعروف، وأن نبذل الخير، وأن يكون خيرًا دائمًا ما استطعنا، كان السلف الصالح يحرصون على الصدقة الجارية، أو الدائمة، وعرف المسلمون نظامًا لم تُعرف في المجتمعات الأخرى أمثالُه ـ في مستواه وسعته ـ هو نظام الوقف الخيري.

كان المسلمون ـ وخاصة أصحاب المال والغِنَى ـ يحاولون أن يقفوا شيئًا من أموالهم لله ﷻ: على مدرسة، أو مسجد، أو الفقراء، أو المساكين، أو الأرامل، أو اليتامى، أو العميان، أو طلبة العلم، وأحيانًا على الكلاب الضالة، أو على الخدم إذا كسروا صحنًا من الصحون، يذهب أحدهم إلى هذا الوقف ويعطي صاحبه الصحن المكسور، ويأخذ صحنًا جديدًا، حتَّى لا يتعرض للأذى من سيده.

انظروا إلى أدق المشاعر، وإلى أعمق العواطف، وفي كل مجالات الإنسانية وقفوا عليها أوقافًا خيريَّة، ومَنْ يقرأ حجج الوقف في دوائر الأوقاف في البلاد الإسلامية: يرى العجب العُجَاب مما صنعه المسلمون.

هذه هي الرحمة الَّتي أدخلها الإسلام في قلوب المسلمين، وغرسها في أنفسهم، حتَّى صنع هذا المجتمع الخيِّر، الذي يعطف بعضه على بعض، يأخذ فيه القوي بيد الضعيف، ويساعد فيه الغني الفقير، ويصب المليء فيه على الفارغ، إنَّه مجتمع متراحم، «**والراحمون يَرْحَمُهم الرحمنُ، ارحموا مَنْ في الأرض يَرْحَمكم مَنْ في السماء**»[1].

---

(١) رواه أحمد (٦٤٩٤)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وأبو داود في الأدب (٤٩٤١)، والترمذي في البر والصلة (١٩٢٤)، وقال: حسن صحيح. والحاكم في البر والصلة (١٥٩/٤)، وقال بعد أن ذكره مع أحاديث عدة في الباب: وهذه الأحاديث كلها صحيحة. ووافقه الذهبي. وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٩٢٥)، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

نظام الوصايا:

وكما عرف المسلمون نظام الأوقاف؛ عرفوا أيضًا نظام الوصايا، كثير من الخيِّرين كانوا يوصون قبل موتهم بثلث أموالهم، أو بربعه، أو خُمُسه، أو سُدُسه: هذه الوصية الَّتي جعلها الله للإنسان طهورًا قبل موته، ربما قصَّر في حياته في الإنفاق، والبر والخيرات، فيتدارك هذا قبل الممات: بأنْ يهب ثلث ماله بحد أعلى، يوصي به للخير.

تراجع العمل الخيري:

وهكذا يوصينا الإسلام بالأعمال الاجتماعيَّة الخيريَّة، تلك الَّتي قصَّر فيها المسلمون في هذا العصر، وسبقهم فيها غيرهم من أهل الديانات الأخرى، أصبحنا مُتَخَلِّفين في ذلك مع أنَّ عندنا أموالًا كثيرة، عندنا أناس يملكون الملايين، ولكن أين نصيب الله منها؟ أين حظ الخيرات فيها؟ للشيطان فيها حظوظ وحظوظ، فأين حظ الرحمن؟ ماذا وقف هؤلاء؟ وبماذا أوْصَوْا؟ للأسف قلة مَنْ تجود بالخير، هناك خيِّرون، ولكن بالنسبة إلى مَنْ يملكون الأموال الكثيرة يُعتبَرون قليلين!

إيثار القُرُبات الاجتماعيَّة على القُرُبات الفرديَّة:

والعجيب أنَّ الإسلام يؤثر القُرُبات الاجتماعيَّة على القُرُبات الفرديَّة، العبادات المُتَعَدِّية النفع على العبادات القاصرة، فأنت حين تحجُّ أو تعتمر فهذا أمر طيِّب، ولكنَّه لنفسك، أمَّا حين تنفق فهذا يتعدَّى إلى الغير.

هناك كثيرون يحجُّون في كلِّ عام، ويعتمرون في كلِّ رمضان، وهذا خير، ولكن لو أنفق الإنسان هذا المال في مساعدة إخوانه، الَّذين يموتون

QaradawiBooks.com

جوعًا في إفريقيا، أو آسيا، أو في مقاومة الغزو الديني والفكري الذي يغزو المسلمين في عُقر دارهم: لكان خيرًا، ولكان أجره أعظم عند الله ﷻ، ففعل الخيرات هو الشعبة الثانية من رسالة المسلم.

الشُّعْبة الثالثة الجهاد:

بقيت الشُّعبة الثالثة من رسالة المسلم في هذه الحياة، وهي الَّتي تُحَدِّد علاقته بأعداء الله، وأعداء هذه الأمَّة، أعداء الإسلام والمسلمين، الشعبة الَّتي تحدد علاقته بالشر وأهله، وقد حدَّدها القرآن في الجهاد حينما قال: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾.

أُمِر المسلم بالجهاد، كما أُمِر بالركوع والسجود والعبادة، فهو من ناحية راكع ساجد عابد، وهو من ناحية ثانية محسن خيِّرٌ بارٌّ في المجتمع، وهو من ناحية ثالثة مكافح مجاهد، يقاوم الشر والكفر، والفسوق والعصيان.

الجهاد في سبيل الله:

وهو يجاهد في الله، تحددت غايته، إنَّه لا يجاهد من أجل كسب دنيوي، من أجل مغنم، من أجل مال، من أجل إطراءات الناس، حتَّى يُقال عنه: مجاهد. حتَّى يثني الناس عليه، حتَّى يشار إليه بالبنان، ولو قصد شيئًا من هذا فقد أحبط عمله؛ لأنَّ الله لا يقبل من الجهاد إلا ما كان خالصًا لوجهه.

سُئل النبيُّ ﷺ عن الرجل يُقاتل ليُرَى مكانُه، ليراه الناس ويقولوا: ما أشجعه، وما أعظمه! والرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل حميَّة، أي

QaradawiBooks.com

عصبية لقومه؛ فأيُّهم في سبيل الله؟ فكان جوابه ﷺ الجواب الجامع، قال: «**مَنْ قاتل لتكونَ كلمةُ اللهِ هي العُلْيَا فهو في سبيل الله**»[1].

وكلمة الله هي كلمة الحقِّ، وكلمة العدل، وكلمة الخير، كلمة الله هي الَّتي جاءت في القرآن والسُّنَّة، أمرًا ونهيًا، وتحليلًا وتحريمًا، فمَنْ قاتل ليعلي كلمة الله في الأرض، ليرفع راية التوحيد، ليُعزَّ دين الله، ليُعزَّ الحق، ويُذلَّ الباطل ـ فهو في سبيل الله.

ليس المهم أن تجاهد، ولكن المهم: فيمَ تجاهد؟ في سبيل مَنْ تجاهد؟ لأيِّ غاية تجاهد؟ من هنا قال القرآن: ﴿**وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ**﴾. أي في سبيل الله، في إرضاء الله ﷻ، في طريق الله ﷻ، جاهدوا ابتغاء مرضاته.

وهذا ما كان يفعله الصحابة رضوان الله عليهم، كان جهادهم نصرة لله تعالى، نصروا الله فنصرهم الله.

صدق الله فصدقه الله:

ورد في الحديث أنَّ رجلًا مِنَ الأعراب جاء إلى النَّبيِّ ﷺ، فآمنَ به واتَّبعَهُ، ثمَّ قال: أُهاجرُ معَكَ. فأوصى بِهِ النَّبيُّ ﷺ بعضَ أصحابِهِ، فلمَّا كانت غزوةٌ غنمَ النَّبيُّ ﷺ سبيًا، فقسمَ وقسمَ له، فأعطى ما قسمَ له، وَكانَ يرعى ظهرهم، فلمَّا جاءَ دفعوهُ إليه، فقال: ما هذا؟ قالوا: قِسْمٌ قَسَمَهُ لك النبيُّ ﷺ. فأخذه فجاء به إلى النبيِّ ﷺ، فقالَ: ما هذا؟ قالَ: «**قَسمتُه لكَ**». قالَ: ما علَى هذا اتَّبعتُكَ، ولكنِّي اتَّبعتُكَ على أن أُرمَى إلى هاهُنا ـ وأشارَ إلى حَلقِهِ ـ بسَهْمٍ، فأموتَ فأدخلَ الجنَّةَ. فقالَ: «**إنْ تَصدقِ اللهَ يَصدقْكَ**». فلبِثوا قليلًا، ثمَّ نَهَضوا في قتالِ العدوِّ، فأتيَ بِهِ النَّبيُّ يُحملُ، قَد أصابَهُ

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في العلم (١٢٣)، ومسلم في الإمارة (١٩٠٤)، عن أبي موسى.

QaradawiBooks.com

سَـــهْمٌ حيثُ أشـــارَ، فقال النبيُّ: «**أَهوَ هوَ؟**» قالوا: نعم. قال: «**صدقَ اللهَ فصدقَهُ**». ثمَّ كفَّنه النبيُّ في جبَّته، ثـــمَّ قدَّمه فصلَّى عليه، فكان فيما ظهر من صلاتِهِ: «**اللَّهمَّ هذا عبدُكَ، خرجَ مُهاجِرًا في سبيلِكَ، فقُتِلَ شَهيدًا، أَنا شَـــهيدٌ على ذلِكَ**»[1]. هؤلاء هـــم المخلصون الَّذين أخلصـــوا دينهم لله، وأخلصهم الله لدينه، فالمهمُّ أن يكون جهادك لله.

بذل الوُسْع في الجهاد:

علـــى أنَّ الله تعالى لم يطلب من المؤمنين مجـــرد الجهاد، على أي وجه كان علـــى هامش الحياة، لا؛ إنَّما طلب منهـــم الجهاد حق جهاده، ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾، كمـــا أمرهم أنْ يتقوه حق تقاته، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. وقال السلف: إنَّ حق التقوى هنا أن يُشكَر الله فلا يُكفَر، وأن يُذكَر فلا يُنسَى، وأن يُطاع فلا يُعصَى[2]. أن تبذل جهدك في تقوى الله ﷻ.

وحق الجهاد هنا أن يجاهد الإنسان نفسه وشيطانه، وأعداء الله، حتَّى يُسلمَ قلبُه، ولسانُه، وجوارحُه لله، فيكون كُلُّه لله وبالله، لا لنفسه ولا بنفسه، ولا للناس ولا بالناس، فالجهاد لله، يجاهد نفسه حتَّى يصبح عبدًا خالصًا لله وحده، ليس فيه شركاء متشاكســـون، ولكن يكون سَلَمًا لله ﷻ، فحق الجهاد هو أن يجاهد الإنسان حتَّى تصبح نفسه كلها لله، ويصبح الدين لله، ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].

---

(١) رواه النَّسائي في الجنائز (١٩٥٣)، والطبراني (٢٧١/٧)، والحاكم في معرفة الصحابة (٥٩٦/٣)، وسكت عنه هو والذهبي، وصحَّحه الألباني في صحيح النَّسائي (١٨٤٥)، عن شداد بن الهاد.

(٢) رواه النسائي في الكبرى في المواعظ (١١٨٤٧)، والحاكم في التفسير (٢٩٤/٢)، وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

دعوى النسخ:

بعض الناس قالوا عن آية: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾: إنَّها منسوخة! وكذلك قالوا عن آية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]: إنَّها منسوخة! لأنَّهم قالوا: مَنْ يستطيع أن يتقي الله حق تقواه؟ ومَنْ يستطيع أن يجاهد في الله حق جهاده؟

ونحن نقول: إنَّ نسخ القرآن لا يثبت بمجرَّد الاحتمال، وحينما أمر الله تعالى المؤمنين أن يتَّقُوه حقَّ تقواه، ويجاهدوا فيه حق جهاده لم يكلفهم بما ليس في وسعهم، ولا بما لا تحتمله طاقتهم، كل إنسان عليه أن يجاهد في الله حق الجهاد بحسب وسعه، بمقدار ما آتاه الله من طاقة.

ولذلك يختلف الجهاد من شخص لآخر، فمَنْ كان عنده مال؛ عليه أن يجاهد بماله أكثر ممن ليس عنده مال، ومَنْ كان عنده علم؛ عليه من عبء الجهاد ما ليس على الأمي، ومَنْ كان عنده سلطة وجاه؛ عليه أن يجاهد بجاهه وسلطانه أكثر ممن ليس عنده ذلك، كل واحد يجاهد حسب استطاعته، فلا يمكن أن تكون الآية منسوخة، بل هي مُحكمة، وكل مؤمن مطالب بحق الجهاد، ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾.

والجهاد أنواع ومراتب ذكرها الإمام ابن القيم في كتابه «زاد المعاد»، فبلغت ثلاث عشرة مرتبة[1]، فللجهاد مجالات وميادين، والأعداء الَّذين يُجاهَدون أنواع وأصناف، وأدوات الجهاد أيضًا شتَّى، هناك جهاد داخل المجتمع المسلم، وهناك جهاد خارج المجتمع المسلم.

(١) انظر: زاد المعاد (٣/٥ ـ ١١)، تحقيق شعيب الأرناؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢٧، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

QaradawiBooks.com

جهاد النفس:

وأول أنواع الجهاد جهاد داخل النفس، جاهد نفسك، جاهد هواك، فأعدى أعدائك نفسك الَّتي بين جنبيك، للنفس أهواؤها وغرائزها، وميولها وشهواتها، والنفس أمارة بالسوء إذا تُركت وحدها؛ دون أن يعصمها عاصم من الإيمان والتقوى، وقد قالوا: إنَّ النفس عدو خطير، ومجاهدتها تحتاج إلى كفاح طويل؛ لأنَّها عدو محبوب، وإذا كان العدو محبوبًا شقَّ على الإنسان جهاده، وهي عدو من الداخل، إذا كان هناك لصٌّ خارج بيتك؛ فأنت تُحْكِم إغلاقَ الأبواب والمنافذ دونه، لكن ماذا تصنع إذا كان اللص داخل بيتك؟ الأمر خطير، ولهذا قال الشاعر الصالح:

قَلْبِي إِلَى مَا ضَرَّنِي دَاعِي يُكْثِرُ أحزاني وأَوْجَاعِي
كيف احتراسي من عَدُوِّي إذا كان عدوِّي بينَ أَضْلَاعِي[1]؟!

من هنا كانت النفس عدوًّا خطيرًا.

مراتب جهاد النفس:

جهاد النفس على أربع مراتب، تتمثل في مجاهدتها على تعلم الهُدى ودين الحق، ثم على العمل بهذا الهُدى والحق، ثم على تعليمه الغير، ودعوته إليه، ثم على الصبر على هذا الحق ومشاقِّ الطريق.

(١) جهاد النفس على التفكُّر والتعلُّم:

لا بدَّ أن تجاهد نفسك حتَّى تتعلَّم الهُدى ودين الحق، وتصبر على القراءة، وسماع المحاضرات، وحضور الدروس، والندوات الدينية، فالنفس ملول، تحب قراءة الصحف، والجرائد، والمجلات الخفيفة، أمَّا

(١) من شعر العباس بن الأحنف، كما في العقد الفريد (٣٢/١).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

أن تصبر على قراءة كتاب حتَّى تتعلم، أو حضور دروس أو محاضرات دينيَّة بانتظام، فالنفس تملُّ من ذلك، فلا بدَّ أن تجاهدها حتَّى تتعلَّم.

نحن للأسف أُمَّة لا تقرأ، مع أنَّ أول آية في قرآننا: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]. ولكن أقل الأمم قراءة هي الأُمَّة العربية والإسلامية، قلَّما نصبر على قراءة كتاب دَسِم حتَّى نتعلَّم منه، ولا نتفقه في ديننا إلا بالقراءة والسماع معًا، فلا بدَّ أن تجاهد نفسك حتَّى تتعلَّم، حتَّى تكون على بيِّنة من دينك، بيِّنة من ربك، ولا يكن تديُّنك مجرد تقليد، كالذين قالوا: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢]. فتأخذ الدين عن كل مَنْ هبَّ ودبَّ؛ ممن هم على غير تفقُّه!

الفقه في الدين:

لا، بل عليك أن تتفقَّه في الدين، وأن تكون على بصيرة من أمرك، فطلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، فتعلَّم من دينك ما تُصحح به عقيدتك، وما تصحح به عبادتك، وما تضبط به سلوكك، وتعرف الحلال من الحرام، فتقف عند حدود الله، وعند أمره ونهيه، وتعرف مراتب الأعمال، أن هذا من الفضائل، وهذا من الفرائض، وهذا من الواجبات، وهذا من السنن المُؤَكَّدة، وهذا من المستحبَّات، وهذا من الشرك الأكبر، وهذا من الشرك الأصغر، وهذا من كبائر المُحَرَّمات، وهذا من صغائرها، وهذا من المشتبه فيه، وهذا من المكروه تحريمًا، وهذا من المكروه تنزيهًا، تعرف مراتب الأعمال، وأن هذا العمل أفضل من هذا، فلا تؤخر العمل الأفضل، وتعمل بالعمل المفضول! والعلم هو الذي يُعرِّفك هذا، ولذلك عليك أن تجاهد نفسك حتَّى تتعلم، وهذه أول مرتبة من مراتب جهاد النفس.

QaradawiBooks.com

(٢) العمل بالعلم:

ثمَّ عليك أن تجاهد نفسك حتَّى تعمل بما علمت؛ لأنَّ غاية العلم العمل، فلستَ مستشرقًا يقرأ في الإسلام، تقول متباهيًا: قرأتُ كتبًا كثيرة في الإسلام. وماذا عملت بها؟!

إن كلَّ ما تعلَّمته يمكن أن يكون حجة لك، أو حجة عليك يوم القيامة، ولن تزولَ قدماك يوم القيامة حتَّى يسألك الله ﷻ عن علمك: ماذا عملت به؟ قرأت كتاب كذا، وحضرت محاضرة في كذا، واستمعت إلى خطبة الجمعة، فما نصيبك مما تعلمته؟

لا تكن مثل هؤلاء الَّذين ضرب الله بهم أسوأ الأمثلة في القرآن: مثَّل الله اليهود بالحمار في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ﴾ [الجمعة: ٥]. يحملون الكتب، ولا يعون ما فيها، ولا يعملون بما فيها.

ومثَّل الَّذين يؤتون الكتاب فينسلخون منه بالكلب في قوله تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ۝ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۡۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦]. فالمسلم يعلم ليعمل.

وقد كان النبيُّ ﷺ يستعيذ بالله من علمٍ لا ينفع، ومن قلب لا يخشع[(١)]. وروى الحسن البصري عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**العلم عِلْمان: علم في القلب، فذلك العلم النافع؛ وعلم على اللسان، فذلك حُجَّة الله على ابن آدم**»[(٢)].

---

(١) سبق تخريجه صـ٨١.

(٢) سبق تخريجه صـ٨٠.

QaradawiBooks.com

فإيَّاك أن يكون علمك مجرَّد علم على اللسان، كلمات تحفظها لتلوك بها لسانك، وتتشدق بها، وتظهر التعالم على الآخرين، فلن ينفعك هذا.

وكان عمر رضي الله عنه يقول: استعيذوا بالله من المنافق العليم. فقالوا: يا أمير المؤمنين؛ كيف يكون منافقًا وعليمًا؟ فقال: عالم اللسان، جاهل القلب[1]. لم ترقق قلبَه خشيةُ الله عز وجل، إنَّما العلم الخشية كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]. فالعلم الحقيقي هو الذي يُثمر الخشية.

ولذلك ينبغي على المسلم بعد أن يتعلَّم: أن يجاهد نفسه على العمل، كما قال النبي ﷺ في حجة الوداع: «**المسلمُ من سلمَ النَّاسُ من لسانِهِ ويدِهِ، والمؤمنُ من أمِنهُ النَّاسُ على أموالِهم وأنفسِهم، والمهاجرُ من هجرَ الخطايا والذُّنوبَ، والمجاهدُ من جاهدَ نفسَهُ في طاعةِ اللهِ تعالى**»[2]. فإذا تعلمت شيئًا فجاهد نفسك حتَّى يصبح علمك عملًا، فعلم بلا عمل كشجر بلا ثمر، أو كسحاب بلا مطر، كما كان السلف رضوان الله عليهم يقولون، هذه هي المرتبة الثانية من مراتب جهاد النفس.

(٣) تعليم الآخرين ودعوتهم:

ثم تأتي المرتبة الثالثة، وهي أن تجاهد نفسك على تعليم الآخرين، ودعوتهم إلى الحقِّ الذي تعلمته وعملت به، إنْ تعلمت شيئًا فادعُ الناس إليه، فالمسلم بطبيعته داعية.

---

(١) سبق تخريجه صـ٨٠.

(٢) رواه أحمد (٢٣٩٥٨)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. والترمذي في الجهاد (١٦٢١)، وقال: حسن صحيح. وابن حبان في السير (٤٨٤/١٠)، والحاكم في الإيمان (٥٤/١)، وصحَّحه على شرط مسلم، وسكت عنه الذهبي، عن فضالة بن عبيد.

QaradawiBooks.com

يظن بعض النـــاس أنَّ الدعاة هم حملة الشـــهادات الدينية: خريجو الأزهر، أو كليات الشريعة، وأصول الدين والدعوة، ونحو ذلك، وأن مَنْ عداهم ليســـوا دُعاة، وهذا غير صحيح، فكل مسلم يجب أنْ يدعو؛ لأنَّ كلَّ مســـلم مخاطب بقوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥].

الدعوة على بصيرة:

وكل مســـلم مخاطب بما قاله الله تعالى لرســـوله: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ [يوسف: ١٠٨]. فـــإذا كنت ممن اتبع رسول الله ﷺ فيجب عليك أن تدعو إلى الله، وأن تكون دعوتك إليه على بصيرة، وعلى بيِّنة ونور، ولذلك قدَّمنا العلم أولًا، حتَّى لا يكون عملك على غير علم، ولا دعوتك على غير علـــم؛ لأنَّ من عمل على غير علم ربما أفسد أكثر مما أصلح.

وكما قـــال الحســـن: إنَّ قومًا طلبـــوا العمل قبل العلـــم؛ فخرجوا بأسيافهم على أُمَّة محمد ﷺ، ولو طلبوا العلم لدلَّهم على غير ذلك[١]. أي أنَّهم لم يتفقهوا في الدين، فلم يعرفـــوا متى تُباح الدماء والأموال، ومتى لا تُباح، فكانـــوا كما وصفهم الحديث: «**يقتلون أهلَ الإســـلام، ويدَعون أهل الأوثان**»[٢]. ولذلك كان لا بدَّ من الدعوة على بصيرة، فإذا تعلم المســـلم دعا، ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣].

---

(١) جامع بيان العلم (٩٠٥)، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، نشر دار ابن الجوزي، السعودية، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٤٤)، ومسلم في الزكاة (١٠٦٤)، عن أبي سعيد.

QaradawiBooks.com

طرائق الدعوة:

وتكون الدعوة عند كلِّ إنسانٍ بحسَب مقدرته، هناك مَنْ يدعو الناس بتأليف كتاب أو رسالة، أو بإلقاء خطبة أو محاضرة، وهناك مَنْ يدعوهم بالكلمة الطيِّبة، وهناك مَنْ يدعوهم بالقدوة الحسنة، وهناك مَنْ يدعوهم بحُسْن الصحبة، وبالمعاشرة الطيِّبة، فادعُهم بأيِّ طريقة كانت، ليس كلُّ الناس خطباء ولا مُؤَلِّفين، لكنَّكَ تستطيع أن تُؤثِّر في غيرك بسلوكك، بكلمة حسنة.

الدعوة الفرديَّة:

أعظم الدعوات تأثيرًا هو ما يُسمَّى الدعوة الفرديَّة، تدعو صاحبك أو صديقك، أو قريبك أو جارك أو زميلك، أو ابنك أو ابنتك أو زوجتك، أو تدعو المرأة ابنها أو ابنتها أو زوجها، هذه الدعوة الفرديَّة لا تحتاج إلى تأليف، أو إلى خطب، ولكن تحتاج إلى الكلام الطيِّب الحسن، خاصَّةً إذا خرج من القلب، فالكلام إذا صدر من القلب وقع في القلب، وإذا خرج من طرف اللسان لم يتجاوز الآذان، المهمُّ أن يكون في الكلام حرارة وصدق، وستجد تأثير هذا عند الآخرين، فجاهدْ نَفْسَك على دعوة الآخرين إلى الله.

وابدأ في الدعوة بأقرب النَّاس إليك، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]. الرجل يدعو امرأته، والمرأة تدعو زوجها، والجميع يدعون أبناءهم وبناتهم، ثمَّ يدعون أقاربهم، ويدعون جيرانهم، الأقرب فالأقرب، ثمَّ يوسِّع النطاق بعد ذلك، هذه هي المرتبة الثالثة من مراتب جهاد النفس: جهاد النفس على الدعوة، وتحمُّل أعباء الدعوة.

QaradawiBooks.com

(٤) الصبر والثبات:

ثمَّ تأتي المرتبة الرابعة، وهي الصبر والثبات، والاستمرار في هذا الطريق: طريق العلم والعمل، والتعليم والدعوة، طريق الربَّانيِّين. كان السلف يقولون: لا يكون الرجل ربَّانيًّا حتَّى يَعلَم، ويعمل، ويُعَلِّم[١]. وقد جاء في الحديث: «**إنَّ اللهَ وملائكتَه، وأهلَ السماواتِ والأرضِ، حتَّى النملةَ في جُحرِها، وحتَّى الحوتَ، ليصلُّون على مُعلِّمِ الناسِ الخَيْرَ**»[٢].

وهذه مرتبة عظيمة، ولكنَّها تجلب على الإنسان أذًى كثيرًا، لأنَّ مَنْ دعا الناس إلى الخير، ونهاهم عن الشرِّ، ومَنْ أمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر؛ فسيصيبه أذًى كثير، كما قال الله تعالى للمؤمنين: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦]. فلا بدَّ من الصبر والتقوى.

إنَّ الطريق طويل، ولن تجد كلَّ النَّاس مُصَدِّقين لك، أو مُؤَيِّدين لك، ستجد الكثيرين يقفون ضدَّك، هذه سنة الله تعالى، فقد خلق آدم وإبليس، وإبراهيم والنمروذ، وموسى وفرعون، ومُحَمَّدًا وأبا جهل، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١]. ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]، فهناك شياطين من الإنس والجن يقفون في سبيلك،

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب (٢٤٦/١)، تحقيق د. عاصم إبراهيم الكيالي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م، وذكره ابن حجر عن ابن الأعرابي، انظر: فتح الباري (١٦٢/١)، نشر دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

(٢) رواه الترمذي في العلم (٢٦٨٥)، وقال: حديث حسن صحيح غريب. والطبراني (٢٣٤/٨)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (١٨٣٨)، عن أبي أمامة.

QaradawiBooks.com

فلا بدَّ أنْ يؤذوك، فعليك أنْ تحتمي منهم، هذا نوع من الجهاد، جهاد تبليغ الدعوة، واحتمال الأذى في سبيلها.

لقد أوذي المسلمون كثيرًا في فجر الدعوة الإسلامية، فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآيات في أوائل سورة العنكبوت: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٢، ٣]. إلى قوله: ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۞ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٥، ٦].

كان هذا الجهاد في مكة، فهو جهاد التبليغ واحتمال الأذى، فقد صُبَّ عليهم الأذى صبًّا، وأُذِيقوا الصاب والعلقم، أحميت الصخور ووضعت على صدر بلال؛ ليقول كلمة تُرضي المشركين، ويمدح بها آلهتهم، أو يذم رسول الله ﷺ، فلم يُمكِّنهم من ذلك، قال: والله لا أدنس لساني بكلمة الكفر. بعد أن طهَّره الله بكلمة الإيمان، ولم يزد على قوله: أحد، أحد[1]. فهذا من الجهاد في سبيل الله، الجهاد في سبيل الدعوة، لأنَّ الدعوة حمل ثقيل، وتحتاج إلى صبر طويل، ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥]، فلا بدَّ أن يُحتمل الأذى في سبيلها.

ومن هنا حينما أوصى لقمان ابنه قال له: ﴿يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧]. فما دمت ستأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر فاصبر على ما يصيبك، ولذلك ربط الله تعالى بين الحق والصبر في القرآن حينما

(١) رواه أحمد (٣٨٣٢)، وقال مخرِّجوه إسناده حسن. وابن ماجه في المقدمة (١٥٠)، وابن حبان في مناقب الصحابة (٧٠٨٣)، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

قال: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۞ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣]. لماذا ربط بينهما؟ لأن الحق لا بدَّ له من صبر، طريق الحق طويل، وطعم الحق مر، لا يتجرعه إلا حر، ولا يصبر عليه إلا مؤمن، ولذلك كان لا بدَّ من التواصي بالصبر بعد التواصي بالحقِّ، فلا حقَّ بغير صبر.

هذه هي المراتب الأربع من جهاد النفس، تتمثَّل في مجاهدتها على تعلُّم الهدى ودين الحقِّ، ثُمَّ على العمل بهذا الهدى والحقِّ، ثم على تعليمه الغير، ودعوته إليه، ثمَّ على الصبر على هذا الحقِّ ومشاقِّ الطريق، أمَّا أنواع الجهاد الأخرى ومراتبها، فموعدنا معها في درس قادم إن شاء الله.

نسأل الله تعالى أن يُفَقِّهنا في ديننا، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، وأن يجعلنا من المجاهدين فيه حق جهاده؛ إنَّه سميع قريب، وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

١٣

من مراتب جهاد النفس (٢)
فعل الخيرات

بسم الله الرحمن الرحيم

تحدثنا عن رسالة المسلم في هذه الحياة، رسالة الفرد المسلم، ورسالة المجتمع المسلم، انطلاقًا من قول الله تعالى في خواتيم سورة الحج ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ﴾ [الحج: ٧٧، ٧٨].

رسالة المسلم في الحياة ذات شعب ثلاث:

هذا النص القرآني المعجز حدد للمسلم: للفرد المسلم، وبالتالي للمجتمع المسلم، رسالة ذات شُعب ثلاث: شعبة تحدد علاقته بالله تعالى، وشعبة تحدد علاقته بالمجتمع الذي يعيش فيه، وشعبة تحدد علاقته بأعداء هذا المجتمع، أعداء الله وأعداء الأُمَّة.

الشعبة الأولى: تحدد هذه العلاقة بالركوع والسجود وعبادة الله تبارك وتعالى، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ﴾.

والشعبة الثانية: تحدد علاقة الإنسان بمجتمعه الذي يعيش فيه في

QaradawiBooks.com

فعل الخير، حيث يقول الله تعالى: ﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ فالمسلم كما هو مأمور بعبادة الله تبارك وتعالى، مأمور بفعل الخير، ولن يدرك الفلاح في الدنيا والآخرة، إلا بهذين الأمرين: عبادة الله وفعل الخير ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ لتكونوا على رجاء الفلاح، والفلاح: أن تظفر بما تحب وتنجو مما تكره، فمن أراد الفلاح في دنياه وأخراه، فليعبد الله تعالى، وليفعل الخير ﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

الحقُّ والخير من القِيَم العليا في كل الأديان:

ما الخير؟ الخير كلمة جامعة، وهي من القيم العليا التي اتفقت عليها الأديان كل الأديان، واتفقت عليها كل الفلسفات المثالية، قيمتان عظيمتان، تجمع هاتين القيمتين كلمتان، الحقُّ والخيرُ، أن تعرف الحقَّ وتؤمن به، وتذود عنه، وأن تعرف الخير وتحبَّه وتفعله. قيمتان عظيمتان: الحق، والخير.

الله تعالى مصدر الحقِّ كله:

ومصدر الحقِّ كله هو الله ﷻ؛ لأنَّ الحق هو الثابت الذي لا يتغير، وحقَّ يعني ثبت، والشيء الثابت الذي لا يتغيَّر ولا يتحوَّل ولا يزول: هو الله تبارك وتعالى؛ ولذلك الحق هو الله، ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣٢]. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

ومن لم يعرف هذه الحقيقة في هذه الحياة، سيعرفها يوم ينكشف الغطاء، يوم يجمع الناس ويعلمون ما لم يكونوا يسمعون، وما لم يكونوا يُبصرون: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٥].

QaradawiBooks.com

الحقُّ هو الله، وكل ما جاء من عند الله تعالى هو الحق، وقد أمرنا الله تعالى أن نعرفه ونؤمن به، ونعتقده ونتمسك به، وأن ندعو إليه وننصره.

ما هو الخير؟

ثم يأتي بعد الحق الخير، والخير كلمة جامعة لكل ما يجلب على الناس نفعًا، وما يدرأ عنهم ضررًا، وكل ما يحقق لهم صلاحًا، وما يدفع عنهم فسادًا، في دينهم أو في دنياهم، أفرادًا أم أسرًا أم جماعات، كل ما يجلب هذا النفع ويدفع هذا الضرر، فهو خير.

وكلمة الخير كلمة كبيرة، كلمة واسعة، تشمل كلَّ ما يحتاج الناس إليه، وكلّ ما فيه مصلحة حقيقية للناس؛ لأنَّ الناس أحيانًا يتوهمون أشياء، يظنونها مصلحةً.. وما هي بمصلحة، إنَّما هي مفسدة خالصة أو راجحة، كالخمر والميسر التي كانت رائجة عند العرب، الخمر يتبعها الميسر، والميسر دائمًا يتبع الخمر، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩].

ما كان فيه نفع خالص أو راجح فهو خير.

فعل الخير:

والمسلم مأمور أنْ يفعل الخير على كلِّ صعيد، وفي كلِّ اتجاه، وعلى كل مستوى، ولكل الناس، المسلم ينبوع يفيض بالخير فيضًا، ويتدفق في الخير تدفقًا، ينفع حيثما توجه، وليس كذلك الذي ذمَّه الله تعالى وقال فيه: ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: ٧٦].

ولكن المسلم أينما وجَّهْته أتى بالخير، فَعَلَ الخير، وقال الخير.

QaradawiBooks.com

وقول الخير جزء من فعل الخير؛ لأنَّ قول الخير هو فعل اللسان. فهو يقول خيرًا، ويفعل خيرًا، هذا هو شأن الإنسان المسلم، وشأن المجتمع المسلم، يقول الخير، ويفعل الخير.

غير مرخصة للطباعة

مراتب فعل الخير:

هناك مرتبتان: مرتبة كف الشر عن الناس، وهذه هي المرتبة الدنيا، فأول ما يطلب من المسلم أن يكفَّ أذاه عن غيره، ولا إسلام ولا إيمان بغير هذا، فـ«**المسلم من سلم الناس من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على أموالهم ودمائهم**»[1]. فالمسلم مصدر سلام، إسلامه سلام لمن حوله وما حوله. والمؤمن مصدر أمان، إيمانه أمان لمن حوله وما حوله. ولكن لا يُكتفى منه بهذا، أن يكف عن الناس أذاه وشره، ويسلم الناس من لسانه ويده؛ بل لا بدَّ أن يُعطي، هو يأخذ من الحياة فلا بدَّ أن يعطيها، لا بدَّ أن يفعل الخير في المجتمع بكل ما يستطيع.

الإنسان المثالي في نظر الإسلام:

الإنسان المثالي في نظر الإسلام ليس هو المتعبد في زاوية أو في مسجد، أو مترهب في صومعة، قد يكون هذا هو الإنسان المثالي في نظر بعض الأديان، والمذاهب والفلسفات الزُّهديَّة أو التنسكيَّة.

الإنسان المثالي في نظر الإسلام، إنسان يعبد الله، ويعمل لخير المجتمع، يعمل الخير للمجتمع بكل ما يستطيع. كيف يفعل الخير للمجتمع؟ يفعل الخير للمجتمع؛ فيبذل من ماله؛ ولذلك فرض الإسلام

(١) رواه أحمد (٨٩٣١)، وقال مخرِّجوه: إسناده قويٌّ. والترمذي (٢٦٢٧)، وقال: حسن صحيح. والنسائي (٤٩٩٥)، وابن حبان (١٨٠)، ثلاثتهم في الإيمان، عن أبي هريرة.

نسخة مرخصة
QaradawiBooks.com

الزكاة، والزكاة هي الحد الأدنى الواجب الدوري الثابت في المال، ولكن في المال حقوق سوى الزكاة؛ كما دلت على ذلك آية البر، ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ١٧٧]. فهو حق بعد الزكاة، وكما جاء في حديث الترمذي أنَّ في المال حقًّا سوى الزكاة[1].

هناك الصدقات المندوبة، وهناك الإيثار، والإيثار أن تجود بالشيء وأنت محتاج إليه، تجوع ليشبع غيرك، وتتعب ليرتاح غيرك، كما مدح الله تعالى الأنصار بقوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

هذه معانٍ لا تعرفها المجتمعات المادية: أن يجود الإنسان بالشيء وهو يحبه، هذا من خصائص المؤمنين ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]، ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾ [البقرة: ١٧٧]، لماذا؟ يجيب على ذلك القرآن عندما يكشف عن حقيقة بواعثهم، وطوايا نفوسهم، ويقول معبِّرًا عن لسانهم: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [الإنسان: ٩، ١٠]. فعلوا ذلك رغبة فيما عند الله، وخشية من يوم يكون فيه الحساب.

---

(١) رواه الترمذي في الزكاة (٦٦٠)، عن فاطمة بنت قيس مرفوعا، وقال: هذا حديث إسناده ليس بذاك، وأبو حمزة ميمون الأعور يضعف، وصحَّحه من قول الشعبي. وقال القرطبي: والحديث وإن كان فيه مقال فقد دلَّ على صحته معنى ما في الآية نفسها من قوله تعالى: ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾، فذكر الزكاة مع الصلاة، وذلك دليل على أنَّ المراد بقوله: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ [البقرة: ١٧٧]، ليس الزكاة المفروضة، فإن ذلك كان يكون تكرارا. تفسير القرطبي (٢/٢٤٢)، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، نشر دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م.

QaradawiBooks.com

منع الخير من طبيعة المجتمع الجاهلي:

هذا هو المجتمع المسلم، ليس كذلك المجتمع الجاهلي الذي يعيش كل فرد فيه لنفسه، ويردد: أنا وليخرب العالم! لا يهمه أن يصنع قصرًا من جماجم البشر، وأن يزخرفه من دماء الناس، هو وحده، أنا ومن بعدي الطوفان، هذا هو المجتمع الجاهلي وليس المجتمع المسلم، وصف الله المجتمع الجاهلي وخاطبهم بقوله: ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ۞ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۞ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ۞ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ١٧ ـ ٢٠].

هؤلاء هم الجاهليون، لا يكرمون اليتيم، ولا يتحاضُّون على طعام المسكين، ويأكلون التراث أكلا لمًّا، لا يبقون على شيء منه، ويحبون المال حبًّا شديدًا، ينسيهم حق الغير فيه.

عمل الخير من عبادة الله:

أمَّا المجتمع المسلم فمجتمع متآخٍ، يُحب بعضه بعضًا، كالبنيان المرصوص، «**المؤمنُ للمؤمنِ كالبنيانِ يشدُّ بعضُه بعضًا**»[1]. كل فرد فيه يعمل على خدمة الآخرين، يعمل على مساعدتهم، ويرى ذلك جزءًا من عبادة الله، هو من عبادة الله في الحقيقة، هناك العبادات الشعائرية مثل الفرائض من الصلاة والصيام، والزكاة والحج، والعمرة والجهاد، والذكر والتلاوة، وغير ذلك.

ولكن هناك عبادة بالمعنى العام يستطيع الإنسان المسلم أن يجعل كل عمل اجتماعي عبادة، كل خدمة تؤديها للمجتمع عبادة، كل عمل

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الصلاة (٤٨١)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٥)، عن أبي موسى.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

تمسح به دمعة محزون، أو تُخفِّف به كربة مكروب، أو تُضمِّد به جراح منكوب، أو تسدُّ به رمق محروم، أو تشدُّ به أزر مظلوم، أو تقيل به عثرة مغلوب، أو تقضي به دين غارم مثقل، أو تأخذ بيد فقير متعفِّف ذي عيال، أو تهدي حائرًا، أو تعلِّم جاهلًا، أو تؤوي غريبًا، أو تدفع شرًّا عن مخلوق أو أذى عن طريق، أو تسوق نفعًا إلى ذي كبد رطبة: كلُّ ذلك عبادة وقربة إلى الله.

الصدقة الاجتماعية اليومية:

المسلم ينبغي أن يكون إنسانًا فعَّالًا للخير، لا ينتظر حتى يكون هو الآخذ، فيخدمه الناس وهو لا يخدم، النبي ﷺ جعل على كل مسلم في كل يوم صدقة؛ كما في حديث أبي موسى الأشعري، أنَّ النبي ﷺ قال: «**على كل مسلم صدقة**»، ظنَّ الصحابي أنَّ الصدقة صدقة مالية؛ فقال: أرأيت إن لم يجد؟ قال: «**يعتمل بيديه، فينفع نفسه ويتصدق**». ليس عنده مال مكتسب أو مورث، عليه أن يعمل ويشتغل، ويحصِّل مالًا فينفع نفسه ويتصدق منه. قال: أرأيت إن لم يستطع؟ لم يستطع أن يعمل. قال: «**يُعين ذا الحاجة الملهوف**» يعين ويساعد إنسانًا، يغيث ملهوفًا. قال له: أرأيت إن لم يستطع؟ قال: «**يأمر بالمعروف، أو الخير**». قال: أرأيت إن لم يفعل؟ قال: «**يمسك عن الشر فإنها صدقة**»[1]. إذا لم يستطع أن يقدِّم خيرًا فعلى الأقل لا يفعل شرًّا.

وفي حديث أبي ذرٍّ: ماذا يُنَجِّي العبد من النار يا رسولَ الله؟ قال: «**الإيمانُ بالله**». قلت: يا نبيَّ الله، مع الإيمان عمل؟ قال: «**أن تَرْضَخَ ممَّا خَوَّلَكَ الله، وتَرْضَخَ ممَّا رزقك الله**». يعني تعطي ممَّا أعطاك الله ورزقك به.

(١) متفقٌ عليه: رواه البخاري (١٤٤٥)، ومسلم (١٠٠٨)، كلاهما في الزكاة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

قال: يا نبيَّ الله، فإن كان فقيرًا لا يجد ما يَرْضَخُ؟ قال: «**يأمرُ بالمعروف، وينهى عن المنكر**». قال: إن كان لا يستطيع أن يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر؟ قال: «**فَلْيُعِنِ الأخرقَ**» يعلم إنسانًا لا صنعة له أو لا يحسنها صنعة، يدربه على عمل ينتفع به، وهذا أيضًا من خدمة المجتمع.

قال: يا رسول الله أرأيتَ إن كان لا يُحسن أن يصنع؟ إذا كان هو نفسه ليس عنده صنعة يُعلِّمها، ففاقد الشيء لا يعطيه، قال: «**فَلْيُعِنِ مظلومًا**». قلت: يا نبيَّ الله، أرأيت إن كان ضعيفًا لا يستطيع أن يعين مظلومًا؟ قال: «**ما تريدُ أن تتركَ لصاحبِكَ من خير؟! لِيُمْسِكْ أذاه عن الناس**». قلت: يا رسولَ الله، أرأيت إن فعل هذا يدخله الجنة؟ قال: «**ما من عبدٍ مؤمنٍ يُصيب خَصْلَةً من هذه الخِصَالِ إلَّا أخذتْ بيده حتى تُدخلَه الجنَّة**»[1].

فأقل ما يقوم به المسلم من الخير أن يمنع شرَّه عن الناس، من لم يستطع أن يفعل الخير فليمسك عن الشرِّ.

نيَّة عمل خير:

من لم يستطع أن يفعل الخير ينوِ الخير، وكل إنسان يملك أن ينوي الخير، وأحيانًا ربما تكون النية خيرًا من العمل، وذلك إذا صدقت النية وخلصت لله تعالى، بل أحيانًا يؤجر الإنسان على العمل ولم يعمله، يؤجر عليه بنيته، كما جاء في الحديث الذي رواه الترمذي عن أبي كبشة الأنماري: أنَّ النبي ﷺ جعل ممن يؤجرون يوم القيامة رجلًا آتاه الله مالًا، فهو يتَّقي فيه ربه، ويصِلُ فيه رحِمه، ويعلم لله فيه حقًّا، فهو عند الله

(١) رواه الطبراني (١٥٦/٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٠٥٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٧٤٤): رواه الطبراني في الكبير، ورجاله ثقات.

QaradawiBooks.com

بأفضل المنازل. ورجل ليس عنده مال، ولكن الله رزقه علمًا، أنار الله بصيرته، العلم هنا ليس بعلم شهادة، وإنَّما هو علم بصيرة، عرف به حق الله في المال، وتمنى أن يكون مثل هذا الرجل، فهو صادق النية يقول: لو أن لي مالًا لعملتُ بعمل فلان. فهو بنيَّته، فأجرهما سواء[١].

انظروا: فأجرهما سواء، هذا بعمله وجهده وسعيه، وهذا بنيته وصدقه، فإذا لم تستطع أن تفعل الخير، فانوِ الخير.

الإسلام يفتح أبواب الخير أمام المسلم:

الإسلام فتح لنا أبواب الخير، كل يوم عليك صدقة، ليست صدقة واحدة، بل صدقات كثيرة، وقد جاء في الحديث: «**كل سُلامى من الناس عليه صدقة**». السلامى: عظام المفاصل وعظام الجسم، وقالوا: في الإنسان ثلاثمائة وستون مفصلًا في جسده، فالمسلم عليه أنْ يتصدق في كل يوم صدقة عن كل واحدة من هذه العظام، يعني ثلاثمائة وستون صدقة في كل يوم. ولما استكثر الصحابة رضوان الله عليهم هذه الصدقات، قال لهم النبي ﷺ: «**كلّ يومٍ تطلعُ فيه الشمس: تعدلُ بين الاثنين صدقة، وتُعين الرجل في دابَّته فتحمله أو ترفع عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيِّبة صدقة، وكلُّ خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتُمِيط الأذى عن الطريق صدقة**»[٢].

وعن أبي ذَرٍّ رضي الله عنه، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**ليس من نَفْسِ ابنِ آدم إلَّا عليها صدقةٌ في كلِّ يومٍ طلعت فيه الشمسُ**». قيل: يا رسولَ الله، من أين

(١) رواه أحمد (١٨٠٣١)، وقال مخرِّجوه: حسن. والترمذي في الزهد (٢٣٢٥)، وقال: حسن صحيح. عن أبي كبشة الأنماري.

(٢) سبق تخريجه صـ٣١٦.

QaradawiBooks.com

لنا صدقةٌ نتصدَّق بها؟ فقال: «**إنَّ أبواب الخير لكثيرةٌ: التسبيح والتحميد، والتكبير والتهليل، والأمر بالمعروف والنَّهْيُ عن المنكر، وتميط الأذى عن الطريق، وتُسْمِعُ الأصمَّ، وتَهدي الأعمى، وتَدُلُّ المُسْتَدِلَّ على حاجته، وتَسْعى بشدَّة ساقَيْكَ مع اللَّهْفانِ المُسْتَغِيثِ، وتَحْمِلُ بشدَّة ذراعَيْك مع الضعيف، فهذا كلُّه صدَقةٌ منك على نفسك**»[1].

هذه كلها صدقات يومية، ضريبة يومية عن جسدك وصحتك، لم يجعلها النبي ﷺ صدقة مالية؛ فيختص بها الأغنياء، ولم يجعلها ثقافية علمية فيتميز بها المتعلمون، ولم يجعلها بدنية فيختص بها الأقوياء، وإنَّما جعلها عامة يقدر عليها كلُّ إنسان.

كل إنسان قادر على أن يقدِّم للمجتمع، أمِطْ الأذى عن الطريق، لو أنَّ المسلمين تعلَّموا هذا، تعلموا إماطة الأذى عن الطريق، بدل أنْ يرموا الفضلات في الطريق، والأشواك في الطريق، وما يبقى من الأكل أو فضلات الطعام، أو غير ذلك من الأشياء التي تؤذي الناس، وتسبب لهم مشكلات كثيرة، ولكن للأسف المسلمون لم يتعلموا من دينهم هذا، ولذلك كانت بلدانهم من أقذر بلدان العالم.

الدين الذي يجعل النظافة من الإيمان، ويجعل الطهارة شرطًا لصحة الصلاة، وأول ما يقرأ المسلم في كتب الفقه كتاب الطهارة! لو أننا عرفنا أنَّ إماطة الأذى عن الطريق صدقة، وأنَّ رجلا عزل شوكًا عن طريق الناس فشكر الله له وغفر ذنبه، لو أننا عرفنا هذا ما وجدنا هذا الأذى في الطرقات، لو أنَّ المصالح والدوائر والوزارات عرفت هذا الحديث

(١) رواه ابن حبان في الزكاة (٣٣٧٧)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم. والبيهقي في شعب الإيمان (٧٢١٢)، وقال الألباني في صحيح الترغيب (٢٩٧٠): صحيح لغيره.

QaradawiBooks.com

وعملت به، البلدية والصحة والأشغال وكل من له علاقة بهذا، لوجدنا بلاد المسلمين من أنظف بلاد العالم.

غير مرخصة للطباعة

فعل الخير يشمل الجميع:

المسلم مُطالَب بأن يفعل الخير، أن يقدِّم الخير للناس، كل الناس، للمسلمين وغير المسلمين، حتى غير المسلمين؛ لأنَّ المسلم يفيض بالخير على عباد الله جميعًا: مسلمهم وكافرهم، برِّهم وفاجرهم، تخلُّقًا بأخلاق الله تعالى، الله ﷻ يُطلع شمسه على المؤمن والكافر، ويُنزل مطره على البر والفاجر، لو عامل الناس بمعاصيهم وكفرهم، ما ترك على ظهرها من دابة، ولكنَّه ﷻ برحمته وكرمه وفضله يرزق الجميع.

فالمسلم يفعل الخير للجميع، إلَّا من كان مؤذيا للمسلمين وحربًا عليهم، فهذا له موقف خاص، أمَّا من لم يؤذِ المسلمين ولو كان غير مسلم فالله سبحانه يقول فيه: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

ولذلك رأينا ابن عمر رضي الله تعالى عنه عندما كان يذبح أضحيته يقول لغلامه: أهديتم لجارنا اليهودي؟ أهديتم لجارنا اليهودي؟ ويكثر عليه في السؤال، فقال له: لقد أكثرت بالوصية لهذا اليهودي؟ فقال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتَّى ظننتُ أنَّه سيورثه**»[1]. انظروا: يقول ذلك ويفعل هذا، مع أنَّه يهودي.

---

(١) رواه أبو داود في الأدب (٥١٥٢)، والترمذي في البر والصلة (١٩٤٣)، وقال: حديث حسن غريب من هذا الوجه. والبخاري في الأدب المفرد (١٠٥)، وصحَّحه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٧٨)، وقد روي المرفوع من طرق كثيرة، وعن عدد من الصحابة، وفي الصحيحين وغيرهما.

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

المسلم يفعل الخير للجميع، الله تعالى حين يقول: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨]. كان الأسير من المشركين، ولكن المسلمين كانوا يحسنون إلى أسرارهم.

الإسلام رسالة الرحمة:

المسلمون أهل الرحمة، والرحمة خُلق إسلامي عظيم، والرسالة الإسلامية عنوانها الرحمة ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. فهو رحمة للناس جميعًا، بل هو رحمة للناس ولغير الناس، حتى للحيوانات، كلنا يحفظ الحديث الذي جاء فيه «**أنَّ امرأةً دخلت النَّار في هِرَّة حبستها، فلا هي أطعمتها، ولا هي تركتها تأكلُ من خشاش الأرض**»[(١)]. عذَّبتها وحبستها حتى ماتت، فدخلت النار بسببها، وفي المقابل رجلٌ سقى كلبًا فغفر الله له، وامرأة بغيٌّ سقت كلبا فغفر الله لها، الرجل الذي سقى كلبًا، اشتدَّ به العطش، فوجد بئرًا فشرب منه، ثمّ مشى في الطريق فوجد هذا الكلب يلهث، يُخرج لسانه من شدة العطش، يلهث يأكل الثرى من شدة العطش، فنبضت عروق الرحمة في قلبه، وعَزَّ عليه أن يَدَع هذا الكلب في حَرَقه وشدة ظمئه، فقال: لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي، فذهب به إلى البئر، فنزع خفَّه، وملأه منها، فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له. سمع الصحابة هذه القصة، فقالوا في عجب: وإنَّ لنا في البهائم لأجرًا يا رسول الله؟ معنى جديد، فلسفة جديدة جاء بها الإسلام، إنسان يسقي حيوانًا فيغفر الله له، معقول أن يكون لنا أجر في الناس، وإنَّما يكون في البهائم والكلاب! فقال: «**في كلِّ كبد رطبة ـ أي فيها حياة ـ أجر**»[(٢)].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في المساقاة (٢٣٦٥)، ومسلم في السلام (٢٢٤٢)، عن ابن عمر.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في المساقاة (٢٣٦٣)، ومسلم في السلام (٢٢٤٤)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

كل كبد فيها حياة، كل كائن حي، تحسن إليه لك فيه أجر، ولذلك ليس هناك دين أمر بالرفق بالحيوان ـ قبل أن تعرف الدنيا جمعيات الرفق بالحيوان ـ مثل الإسلام، «**اتقوا الله في البهائم العجماوات، فاركبوها صالحة، وكلوها صالحة**»[1].

حقوق الحيوان في الإسلام:

المسلمون تحدَّثوا عن البهائم العجماوات في كتب الفقه، ففي كتاب النفقات يتحدثون عن نفقة الابن، ونفقة الزوجة، ونفقة الأمهات، ونفقة الأرحام، ونفقة البهائم، وأنَّه من حق المحتسب أن يرفع على الإنسان دعوى إذا أهمل في شأن حيوانه: بقرته، أو شاته، أو حماره، أو دابته.

وتحدَّثوا في الرفق بالحيوان حديثًا عجيبًا، حتى قالوا في ذلك: تُضرب الدابة على النفار ولا تضرب على العثار، يعني إذا نفرت الدابة ولم ترضَ أن تمشي، تضرب في هذه الحالة، ولكن إذا عثرت لا تضرب؛ لأن العثار لا ذنب لها فيه، ولكن إذا نفرت ولم ترضَ أن تمشي فهذا سوء خلق منها، فتضرب من أجل ذلك، فهذه الأشياء الدقيقة التي ربما لا يُلتفت إليها، تحدَّث عنها الإسلام؛ لأنَّه دين الرحمة، دين الخير.

المسلم يفعل الخير ولو كان صغيرًا:

جاء الإسلام يأمر الإنسان بفعل الخير كيف استطاع، وعلى قدر ما يستطيع ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧]. يقول سعيد بن جبير: كان بعض الصحابة لا يرى أن يتصدق إلَّا بشيء ذي

(١) رواه أحمد (١٧٦٢٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح، رجاله ثقات. وأبو داود في الجهاد (٢٥٤٨)، وابن خزيمة في المناسك (٢٥٤٥)، وصحَّح إسناده النووي في رياض الصالحين (٩٦٦)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٢٣)، عن سهل ابن الحنظلية.

QaradawiBooks.com

قيمة، فكانوا يستقلون الكسرة والخبزة، والتمرة والجوزة، فإذا جاءه سائل وليس عنده إلا شيء من هذه الأشياء فيرده، فالنبي ﷺ قال لهم: «**لا تردُّوا السائل، ولو ظِلْفًا مُحَرَّقًا**»، «**يا نساءَ المسلمات، لا تَحْقِرَنَّ جارةً لجارتها، ولو فِرْسِنَ شاةٍ**»[١]، «**لا تحقرنَّ من المعروف شيئًا، ولو أن تلقى أخاك بوجه طَلْق**»[٢]، «**لا تَحْقِرَنَّ من المعروف شيئًا، ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المُسْتَسْقي، ولو أن تُكَلِّم أخاك ووجهك إليه منبسط**»[٣] بوجه مبتسم، و«**تَبَسُّمُكَ في وجهِ أخيكَ صدقةٌ**»[٤]، فلا تحتقرْ من المعروف والخير شيئًا، ولذلك جاءت الآية تقول: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة: ٧].

ومن هنا جاء هذا الحديث: «**ما منكم من أحدٍ إلَّا وسيُكَلِّمه اللهُ يومَ القيامة، ليس بين الله وبينه تَرْجُمان، ثمَّ ينظر فلا يرى شيئًا قُدَّامه، ثمَّ ينظر بين يديه فتستقبله النار، فمن استطاع منكم أن يتَّقي النار ولو بشقِّ تمرة**» وفي رواية: «**فبكلمةٍ طيِّبة**»[٥]. فالكلمة الطيبة من المعروف والخير.

وفي الموطأ عن مالك، قال: بلغني أن مسكينا استطعم عائشة أم المؤمنين وبين يديها عنب، فقالت لإنسان: خذ حبة، فأعطه إياها، فجعل ينظر إليها ويعجب، فقالت عائشة: أتعجب كم ترى في هذه الحبة من

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الهبة (٢٥٦٦)، ومسلم في الزكاة (١٠٣٠)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه مسلم في البر والصلة (٢٦٢٦)، وأحمد (٢١٥١٩)، عن أبي ذر.

(٣) رواه أحمد (٢٠٦٣٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. عن جابر بن سليم الهجيمي.

(٤) رواه الترمذي في البر والصلة (١٩٥٦)، وقال: حسن غريب. وابن حبان في البر والإحسان (٥٢٩)، وقال الأرناؤوط: صحيح. وقال الألباني في الصحيحة (٥٧٢): حسن لغيره. عن أبي ذر الغفاري.

(٥) متَّفق عليه: رواه البخاري في الرقاق (٦٥٣٩، ٦٥٤٠)، ومسلم في الزكاة (١٠١٦)، عن عدي بن حاتم.

QaradawiBooks.com

مثقال ذرَّة[١]. فمثقال الذرة يُرى من الله، ويُجزى عليه من الله ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]. آية فاذّة جامعة.

افعل الخير على قدر ما عندك، كان الليث بن سعد من العلماء الأسخياء؛ حتى إنَّ امرأة سألته مرة عن شيء من العسل، فأمر لها بزقٍّ من العسل، جرة كبيرة من العسل، فقال بعض جلسائه: تسألك شيئًا من العسل فتعطيها زقًّا؟! فقال: هي تسأل على قدر حاجتها، ونحن نعطيها على قدر نعمة الله علينا[٢]!

وكان عبد الله بن جعفر بن أبي طالب من أثرياء المسلمين، من كبار الأغنياء، ومن كبار الأسخياء، كان سخيًّا حتى قالوا: لا تجب عليه زكاة، لماذا؟ لأن كلَّما جاءه من دراهم ودنانير أنفقه في سبيل الله، لا يدخر شيئًا، والزكاة لا تجب إلا إذا حال الحول، وهو لا ينتظر بالمال حتى يحول عليه الحول؛ بل ينفقه في سبيل الله تعالى، ولمَّا لامه بعض الناس من بطانة السوء، ألا تدخر شيئًا، ألا تترك لأولادك شيئًا، ألا ألا، فقال لهم: يا قوم، إنَّ الله عوَّدني عادة، وعودتُ عباده عادة، عوَّدت عباده أن أعطيهم، وعوَّدني ربي أنْ يعطيني، فأخشى إن قطعت عادتي عن عبادي، أن يقطع عادته عني، فسكتوا عنه[٣]! الله هو الذي يعطيه ويُخلف عليه، و«**في كلِّ يومٍ يصبح فيه العباد، ينادي مَلَكان فيقول أحدهما: اللهمَّ أعطِ منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهمَّ أعطِ مُمْسكًا تلفًا**»[٤].

(١) رواه مالك في الصدقة (٣٦٥٦)، تحقيق الأعظمي.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في المرض والكفارات (٢٥٩).

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان (١٠٣٨٥).

(٤) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠)، كلاهما في الزكاة، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

التعاون على فعل الخير:

المسلم عليه أن يفعل هذا الخير، يساهم فيه هو ومن على شاكلته، يقومون بإقامة جمعية أو مؤسسة لعمل الخير، لرعاية الأيتام، لإيواء المشردين، لعلاج المرضى: جمعية الهلال الأحمر، جمعية تعليم الأميين، أمامنا فرص كثيرة لعمل الخير.

المسلمون للأسف متأخرون، أصبح غيرنا يعمل الخير، ونحن لا نعمل، مع أننا قادرون على أن نعمل كثيرًا، وبعض الناس ينتظر من غيره أن يعمل، لماذا لا تبدأ؟ ضع يدك في يد أخيك، المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه، ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ﴾ [المائدة: ٢].

يجب أن نفعل الخير، نقدم لمجتمعنا كل خير ينهض به ويرقى، كلُّ إنسان يقدم مما عنده، المعلم يُعلم الجاهل، والقوي يأخذ بيد الضعيف، والغني يحمل الفقير، والطبيب يداوي المريض، ليس من الضروري أن يداوي من يدفع له فقط، كل واحد يُقدِّم على قدر ما عنده، لو فعلنا ذلك لكانت مجتمعاتنا أفضل المجتمعات.

بعض الناس يقول: ليس هذا من مهمتنا، هذا من مهمة الدولة الإسلامية، ونحن نقول: لا، فعل الخير من مهمة الدولة ومن مهمة الأفراد، مهمة الفرد عليه أن يقوم بها: افعلوا الخير.

الدلالة على الخير:

ومن لم يستطع أن يفعل الخير يدلُّ عليه، يدلُّ على الخير، «**من دلَّ على خيرٍ فله مثلُ أجرِ فاعلِه**»[1]، كما قال ﷺ. ادعوا إلى الخير:

(١) رواه مسلم في الإمارة (١٨٩٣)، وأحمد (١٧٠٨٤)، عن أبي مسعود الأنصاري.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

المسارعة إلى الخير:

الله ﷻ ذكر في كتابه جماعة من الأنبياء والمرسلين: إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، ثمَّ قال: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ ۖ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٣].

وقال عن زكريا وامرأته، وابنه يحيى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

نحن مأمورون أن نفعل الخير، وأن نستبق الخير، نتسابق فيه، في مثل هذا فيعمل العاملون، ويتنافس المتنافسون، نتسابق كما قال الله تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [المائدة: ٤٨]. وقال سبحانه: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [الحديد: ٢١].

يجب أن نعمل الخير، فأعمال الخير كثيرة جدًّا، انظروا: إلى النبي ﷺ يروي لنا مشهدًا من المشاهد البديعة العميقة يوم القيامة، في صورة حوار بين الله وعباده: «**إنَّ الله ﷻ يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تعدني. قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أَمَا علمت أن عبدي فلانًا مرض فلم تعده، أَمَا علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟ يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني. قال: يا رب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أَمَا علمت أنَّه استطعمك عبدي فلان، فلم تطعمه؟ أَمَا علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي، يا ابن آدم استسقيتك، فلم**

QaradawiBooks.com

تسقني، قال: يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أَمَا إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي»[١].

انظروا: من أدَّى شيئًا إلى الناس فكأنما أداه إلى الله، يتقبله الله بيمينه؛ ولذلك يقول القرآن: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥]. يقرض الله ﷻ!

أعطى سيدنا عمر رضي الله عنه بعض المساكين شيئًا ثمينًا، فقال له بعض مَنْ حوله: إنَّ المسكين لا يدري قيمة ما أعطيته، فلو أعطيته شيئًا آخر لكان أوْلى. فقال: إذا كان المسكين لا يدري قيمة ما أعطيته، فإنَّ ربَّ المسكين يدري، إنَّما أُقرض الله ﷻ[٢].

هذه هي النفسية التي يصنعها الإسلام، نفسية الإنسان الفاعل للخيرات، وهذا هو شأن المجتمع المسلم، إنَّه مجتمع خير، مجتمع يؤدي كل فرد فيه خدمة لمجتمعه كيفما استطاع: لا يدخر وسعًا، ولا يألو جهدًا، ولا يبخل بمال ولا بوقت ولا بطاقة، حتى يبذلها في خدمة المجتمع.

يا أيّها الإخوة: علينا أن نبذل لمجتمعاتنا، علينا أن نعمل الخير، علينا أن نكون مسلمين حقًّا إذا أردنا الفلاح.

فالشعبة الثانية: افعلوا الخير، فعل الخيرات، هي مهمة الفرد المسلم، والأسرة المسلمة، والمجتمع المسلم، والأُمَّة المسلمة كلها ﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

أمَّا الشعبة الثالثة: الجهاد في الله حق الجهاد، فموعدنا بها الدرس القادم إن شاء الله.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) رواه مسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٦٩)، عن أبي هريرة.

(٢) تفسير القرطبي (٥٨/١٩).

QaradawiBooks.com

الإجابة عن الأسئلة

السؤال: ما حكم العمل في المؤسسات التجارية، التي تتعامل مع البنوك الربوية، والراتب يكون غالبا مشوبًا بهذا التعامل الربوي؟

الجواب:

هذه آفة منتشرة في العصر كله، لو قلنا للمسلم لا تتعامل مع شركة تتعامل بالربا، لتوقَّف الناس عن العمل، وإنَّما علينا أن ننصح هذه المؤسسات، وهذه الشركات، وهؤلاء التجار، وهؤلاء الأفراد الذين يتعاملون مع هذه البنوك الربوية، وهذا من عمل الخير المطلوب منا، دلالة المسلمين على الخير، أن نعرفهم بالحلال والحرام، حتى يبتعدوا عن الربا، ولا يأذنوا بحرب من الله ورسوله، وخاصة أنَّ الله تعالى قد هيَّأ البدائل، كنا فيما مضى نقول. ماذا نفعل؟ ليس هناك بنك إسلامي يتعامل بغير الربا، أمَّا وقد وجد البديل الشرعي، أمَّا وقد وُجد مصرف قطر الإسلامي، أمَّا وقد وجدت المؤسسات الإسلامية، فلا عذر للإنسان المسلم.

فنحن لا نقول للمسلم: اترك هذه الشركة؛ لأننا لو قلنا للمسلمين ذلك لتعطلت الدنيا، وإنَّما عليه أن يعمل وينكر المنكر، وينصح أصحابه، بالحكمة والموعظة الحسنة، عسى أن يتحول المجتمع بنصح الناصحين، وعمل العاملين، وإخلاص المخلصين، إلى مجتمع يلتزم بأحكام الإسلام، ووصايا الإسلام، إن شاء الله.

السؤال: ما حكم تقصير الثوب وإطالته؟

الجواب:

هذا الموضوع ورد فيه بعض أحاديث، فيها وعيد على من يسبل

QaradawiBooks.com

إزاره، أو يسبل ثوبه، أي: يطيله حتى يجر على الأرض أحيانًا، وبعض المتدينين يأخذون بظاهر هذه الأحاديث، ويرون أنَّ تقصير الثوب واجب، مع أن هذا أمر تكلم فيه الفقهاء من قديم، هناك من أخذ بإطلاق هذه الأحاديث، وهناك من رأى أنّ هذه الأحاديث مقيدة. مقيدة بماذا؟ مقيدة بقصد الخيلاء، كما جاء في حديث ابن عمر: «**من جرَّ إزاره، لا يريد بذلك إلَّا المَخيلة، فإنَّ الله ﷻ لا ينظرُ إليه يوم القيامة**»[1]. والمخيلة: الاختيال والفخر والكبرياء.

وأبو بكر رضي الله عنه لمَّا سمع وعيد النبي ﷺ قال: يا رسول الله، إنَّ إزاري يسترخي إلَّا أنْ أتعاهده، فقال له رسول الله ﷺ: «**إنَّكَ لستَ ممَّن يفعله خُيَلاء**». فدلت هذه الأحاديث على أنَّ هذا الوعيد لمن يفعل ذلك خيلاء، لأنَّ هذا كان من عادة العرب، كانوا يرون الأبهة والعظمة في جرِّ الإزار، فكان هذا مرتبط بهذا.

ومما يدل على هذا القولِ الوعيدُ الشديد؛ لأنَّ مثل هذا الوعيد الشديد بالنار لمن فعل هذا، يدلُّ على أنَّ الأمر يتعلق بكبيرة من الكبائر، وهذا لا يكون إلا في الكبر، والكبر كبيرة من الكبائر وأمراض القلوب، وفي الحديث: «**لا يدخل الجنَّة من كان في قلبه مثقال حبَّة من كِبْر**».

فالمطلق في هذه الأحاديث يحمل على المقيد، فمن فعل ذلك اختيالًا وفخرًا وكبرًا، كان مستحقًّا للوعيد. ومن لم يفعل ذلك ولكنَّه رأى الناس يطيلون ثيابهم ويفعلون ذلك، ففعل مثلهم بلا كبر أو اختيال، فلا يلحقه الوعيد.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (٥٧٨٣)، ومسلم (٢٠٨٥)، كلاهما في اللباس.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وفي عصرنا هذا اختلفت الأحوال، لم يعد الأمر كما كان من قبل، الناس اليوم يركبون السيارات، وكانوا في الماضي يمشون بالطرقات وفيها التراب، وفيها الوحل وغير ذلك، فكان تقصير الثوب أطهر وأنقى، إنَّما الآن يمشون بطرقات مكشوفة، بل قلما يمشون، يركبون السيارات، فما عاد الأمر يحتاج لمثل هذا الثوب القصير، لقد رأيت بعض الشباب في أوربا وأمريكا، فقلت لهم: ماذا تفعلون في شتاء أوربا وأمريكا؟ هل تلبسون ثوبًا قصيرًا، قالوا: لا. ولذلك كانوا يلبسون الثوب القصير وتحته بنطلون!

فالصحيح في فقه الأحاديث أنَّه من فعل ذلك على وجه الخيلاء.

وصلى الله على سيِّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

١٤

فضيلة الإخلاص[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والعاقبة للمتقين، وصلوات الله وسلامه على مَنْ أرسله ربُّه رحمة الله للعالمين، سيِّدنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومَنْ دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

ربَّنا آتنا من لدنك رحمةً، وهيِّئ لنا من أمرنا رشدًا، ربَّنا لا تُزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهبْ لنا من لدنك رحمةً؛ إنَّك أنت الوهَّاب، اللهمَّ اجعلْنا من الَّذين يعلمون فيعملون، ويعملون فيخلصون، ويخلصون فيقبلون.

ضرورة الإخلاص:

حديثنا اليوم عن الإخلاص، وهو الركن الثاني من الأركان الَّتي ذكرها الإمام الشهيد حسن البنَّا في رسالة التعاليم، الركن الأوَّل هو الفهم، تصحيح الفهم، تصحيح العقل، نريد العقل المسلم، وهذا الركن الثاني هو تصحيح النيَّة، نريد القلبَ المسلم أيضًا، الإنسان عقل وقلب، فلا بدَّ أنْ تصح نظرته قبل كل شيء، يصح فهمه، ويصح تصوُّره حتَّى

(١) ألقيت في قطر.

QaradawiBooks.com

يكون على بيِّنة من أمره، ويسير في الطريق الصحيح، لا ينحرف يمينًا أو شمالًا، ثمَّ يأتي بعد ذلك صدق النيَّة، لأنَّ المرء قد يسير في الطريق الصحيح، ولكنَّه لا يدري ماذا يريد؟ ما هي نيته؟ ما الحافز وراء عمله؟ ما الدافع الَّذي حرَّكه؟ ما الغاية الَّتي يسعى إليها؟

هنا يأتي الإخلاص، فلا بدَّ أنْ يكون نيَّة المسلم، وقوله، وعمله، وجهاده، وجهده لله ﷻ، أنْ تُخلِّص نيَّتك، وقولك، وعملك، وكل شيء من شوائب الرياء، وحب الذات، وحب الجاه، وحب المال، وحب الشهرة، وحب المَحْمَدة، وحب الدنيا، والسعي وراء الأغراض الزائلة، وأنْ تجعل همَّك هو إرضاء الله تبارك وتعالى، هذا هو معنى الإخلاص.

معنى الإخلاص:

والإخلاص مأخوذ من مادَّة «خ. ل. ص»، أي سلم وصفا من كلِّ ما يشوبه، وفي القرآن: ﴿مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [النحل: ٦٦]. فتصفية النيَّة وتجريدها، بحيث يكون الإنسان لله وحده، لا لغيره، هذا هو معنى الإخلاص الَّذي ركَّز عليه الإمام الشهيد، بحيث تكون وجهة الإنسان لله ﷻ، كما قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]. فلا بدَّ من هذا الإخلاص.

الإخلاص غاية المسلم:

وهذا الَّذي جعل الإمام الشهيد يجعل أول شعارات جماعته الَّتي يهتف بها إخوانه وجنوده، ليُعلنوا بها عن أنفسهم، ويُعبِّروا بها عن دعوتهم: الله غايتنا. ومعنى هذه الكلمة أنَّ الغاية القصوى الَّتي يسعى

QaradawiBooks.com

إليها الأخ المسلم من وراء قوله وعمله وحركته ونشاطه وبذله هي وجه الله، أنْ يرضى الله تبارك وتعالى عنه، هذه هي الغاية الَّتي نُسَمِّيها غاية الغايات، وهدف الأهداف.

غاية الغايات:

هناك غايات قريبة، وغايات بعيدة، فمثلًا لو سألت إنسانًا: لماذا تدرس؟ يقول: لأحصل على شهادة. ولماذا؟ لأحصل على وظيفة. ولماذا؟ لأحصل على مال. ولماذا؟ لأبني بيتًا وأتزوَّج. وهكذا، فلا بدَّ أنْ تكون وراء هذه الغايات غاية ليس بعدها غاية، يقف الإنسان عندها.

يقولون: يعيش الأحمق ليأكل، ويأكل العاقل ليعيش. وظنَّ بعض الناس أنَّ العقدة انحلَّت بقولهم: يأكل العاقل ليعيش. وهي لم تنحل؛ لأنَّ السؤال يظل قائمًا: لماذا يعيش العاقل؟ العيش ليس غاية، صحيح الأحمق هو الَّذي يعيش ليأكل، كالبهائم الَّتي ليس لها شيء تفكر فيه، ولكن لماذا يعيش العاقل؟

لا بدَّ أنْ يكون هناك شيءٌ وراء العيش، فإذا كان الأحمق يعيش ليأكل، والعاقل يأكل ليعيش؛ فإنَّ المؤمن يعيش ليعرف الله تبارك وتعالى ويعبده ويقوم بحقِّه، الإخلاص ـ إذنْ ـ هو المنتهى، ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢]. فمعنى الله غايتنا أنَّ إرضاء الله ﷻ هو غاية الغايات.

ولذلك يمكن أنْ تكون هناك غايات قبل هذه الغاية القصوى، فنحن نريد أن نقيم بجهدنا وجهادنا حياة إسلامية، أن نقيم مجتمعًا إسلاميًّا، أن نقيمَ دولة إسلاميَّة، أن نوحِّد كلمة المسلمين تحت راية الإسلام، أن نحرِّر الأرض الإسلامية، أن نعيد الخلافة الإسلامية، هذه كلها غايات، ولكن لماذا نريد هذا كله؟

QaradawiBooks.com

نريد ذلك ليرضى الله تبارك وتعالى عنا، فرضوانُ الله هو غاية الغايات، الله غايتنا، وهذا هو الإخلاص، أنْ تعمل عملك لترضي الله ﷻ قبل كلِّ شيء، تريد به وجهَه تعالى، لا وجه فلان، ولا علان من الناس، ولا تريد عرَضًا قريبًا، ولا تريد دنيا يتهافت الناس عليها تهافت الذباب، ويتهارشون عليها تهارش الذئاب.

قيمة الإخلاص:

الإخلاص معنى كبير، وقد حكى لنا القرآن عن المخلصين، كما في سورة الإنسان: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۞ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۞ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [الإنسان: ٨ ـ ١٠]. ينفقون ما ينفقون لله ﷻ، والإنفاق الَّذي يُقبل هو ما ابْتُغي به وجهُ الله ﷻ.

والجهاد الَّذي يُقْبل هو ما ابتُغي به وجهُ الله ﷻ، وهو الَّذي سئل عنه رسول الله ﷺ: إنَّ الرجل يقاتل ليُرى مكانُه، والرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل حميَّة؛ فأيُّهم في سبيل الله؟ فأجاب النبي ﷺ بجواب جامع فقال: «**مَنْ قاتل لتكونَ كلمةُ اللهِ هي العليا فهو في سبيل الله**»[1]. فمن المهم أنْ يُحَرِّر الإنسانُ عملَه لتكون كلمة الله هي العليا، وبذلك يكون في سبيل الله.

الإخلاص أول الواجبات:

الإخلاص هو أول ما يجب على الإنسان الَّذي يعمل عملًا إسلاميًّا، نحن نعبر الآن عن الحركة الإسلامية بالعمل الإسلامي، أو العمل لإقامة دين الله في الأرض، وإعلاء كلمة الله، والتمكين لشرع الله في حياة الفرد،

(١) سبق تخريجه صـ٣٢٠.

QaradawiBooks.com

والأسرة، والمجتمع، والدولة، ونشر شعاع الإسلام في العالمين، الأصل في هذا العمل أنَّه عبادة وجهاد، ولذلك لا بدَّ أنْ تتحرَّر فيه النيَّة لله ﷻ، كما تتحرَّر النيَّة في العبادات المعروفة والجهـاد، لا تقبل عبادة إلَّا بنيَّة خالصة لله، ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البيِّنة: ٥]. ولا يقبل جهاد إلا بنيَّة خالصة لله، «**لتكونَ كلمةُ الله هي العليا**».

ولذلك لو قدَّم إنسان عبادة، ولم تكن نيَّته خالصة لله، لا تُقبَل، فالله لا يَقبل من العمل إلا ما ابْتُغِي به وجهه، وخاصة الأعمال الدِّينيَّة، مثل العبادة، والجهاد، والهجرة الدِّينيَّة، لا تقبل صلاة، ولا زكاة، ولا صيام، ولا حج، ولا ذكـر، جهاد، ولا الهجرة الدِّينيَّـة إلا إذا كان هذا خالصًا لوجه الله.

ومن هنا كان الحديث الَّذي بدأ به الإمام البخاري جامعه الصحيح، وبدأ به كثير مـن المصنفين كتبهـم، الحديث الشـهير: «**إنَّما الأعمال بالنيَّات، وإنَّما لكلِّ امـرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى دُنْيا يصيبها، أو إلى امرأة يَنْكِحُها، فهجرته إلى ما هاجر إليه**»[1].

الهجرة الدِّينيَّة والدُّنْيويَّة:

وطلب الدنيا ليس مذمومًا، وطلب الزواج ليس مذمومًا، ولكن أنْ تهاجر من أجل هذا وتريد أنْ يُحسـب لك ذلك هجـرة دينيَّة إلى الله ورسوله، هذا تزوير، إنْ كان ولا بدَّ من ذلك فلتكن رحلة عادية بعيدًا عن الهجرة الدِّينيَّة، لا تُحسب في عداد المهاجرين في سبيل الله، الَّذين قال الله عنهم: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحشـر: ٨]،

(١) سبق تخريجه صـ٢٥٢.

QaradawiBooks.com

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ مَاتُواْ لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝ لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٞ﴾ [الحج: ٥٨، ٥٩]، ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ [الحج: ٤٠]. فهذا صنف آخر غير الَّذين يهاجرون بهدف الزواج، أو الحصول على المال، ولا حرج في ذلك، لكن أنْ يهاجر أحدهم ليتزوَّج امرأة ثمَّ يقول: أنا مهاجر في سبيل الله! كما فعل مهاجر أم قيس، ذلك الَّذي رحل وراءها قائلًا: ولِمَ أبقى بعد أنْ رحلت؟ فكانوا يُسَمُّونه مهاجر أمِّ قَيْس، وليس مهاجرًا لله ورسوله، ولو ادَّعى ذلك لكان مُزوِّرًا، وكان كاذبًا على الله.

تُسعَّر النارُ بالمرائين:

ولذلك كان الَّذين يكذبون على الله هم أول مَنْ تُسعَّر بهم النار يوم القيامة، كما ورد في الحديث الَّذي رواه مسلم، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**إنَّ أوَّل الناس يُقضى يَوْمَ القيامة عليه رجلٌ استشهد، فأُتيَ به، فعرَّفه نعمَه فعرَّفها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: قاتلتُ فيكَ حتَّى استُشْهِدْتُ. قال: كذبتَ؛ ولكنَّكَ قاتلتَ لأنْ يقال: هو جريءٌ. فقد قيل. ثمَّ أُمِرَ به فسُحبَ على وجهه حتَّى أُلْقِيَ في النَّار.**

ورجلٌ تعلَّم العلمَ وعلَّمه وقرأ القرآنَ، فأُتِيَ به فعرَّفه نعمَه فعرفها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: تعلَّمتُ العلمَ وعلَّمتُه، وقرأتُ فيك القرآن. قال كذبتَ؛ ولكنَّك تعلَّمت ليقالَ: عالمٌ، وقرأتَ القرآنَ ليُقالَ: هو قارئٌ؛ فقد قيل. ثمَّ أُمِر به فسُحِبَ على وجهه حتَّى ألقي في النَّار.

ورجلٌ وسَّع اللهُ عليه وأعطاه من أصناف المال، فأُتِيَ به، فعرَّفه نِعَمَه فعرفها، قال: فما عَمِلْتَ فيها؟ قال: ما تَرَكْتُ من سبيلٍ تحبُّ أنْ يُنْفَقَ

QaradawiBooks.com

فيها إلَّا أنفقتُ فيها لك. قال: كذبتَ؛ ولكنَّك فعلتَ ليُقَالَ: هو جَوَاد؛ فقد قيل. ثُمَّ أُمِرَ به فسُحبَ على وجهه، ثمَّ أُلْقِيَ في النَّار»[1]. فليست المشكلة أنَّ هؤلاء الثلاثة ليس لهم أجر عند الله، بل المشكلة أنَّهم أول من تُسعَّر بهم النار، لأنَّهم يكذبون على الله، يتظاهرون أنَّهم يريدون الله، وهم لا يريدون إلا الناس.

أهميَّة الإخلاص:

من هنا كان الَّذين يتعرضون للدعوة، وللجمهور، في فتنة كبيرة، وخطر عظيم، ولذلك كان السلف يقولون: الدنيا كلها ظلام؛ إلا موضع العلم، والعلم كله هباء؛ إلا موضع العمل، والعمل كله ضياع؛ إلا موضع الإخلاص. فالعمل بلا إخلاص لا قيمة له، كما قيل: الناس هلكى إلا العالمين، والعالمون هلكى إلا العاملين، والعاملون هلكى إلا المخلصين، والمخلصون على خطر عظيم.

ولشدَّة خطورة الإخلاص كان بعض الصَّالحين يقول: طُوبى لمن صحَّت له خطوة لا يريد بها إلا وجه الله ﷻ[2]. ولذلك ينبغي أنْ أسأل نفسي: حينما جئت إلى هذا المكان هل أريد وجه الله، أم أريد القربى من الحاضرين، أو الزُّلفى إليهم، أو ليمدحوني بكلمة، أم أنا متورِّط، أو خجلان من أنْ أقول: لا؟ فتفتيش الإنسان عن دوافعه لتصحيح نيَّته أمر لا بدَّ منه.

ولذلك كان بعض الصَّالحين يبكي عند مرض موته، فقيل له: لِمَ تبكي؛ ولك أعمال صالحة عظيمة مثل الجبال؟ فيقول: وما يدريني أنَّ

---

(١) سبق تخريجه صـ٢٥٥.

(٢) انظر: إحياء علوم الدين للغزالي (٣٧٨/٤).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

شيئًا من هذا قد قُبِل؟ والله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]. فهو ليس عنده ثقة بأنَّ شيئًا من أعماله الصَّالحة قد قبل، أساس التَّقوى هو القلب كما قال النبيُّ ﷺ: «**التَّقوى هاهنا**»[(١)]. فليست التَّقوى مجرَّد شعارات تُقال، أو مظهر يخدع الآخرين، بل أساس التَّقوى القلب.

ولذلك كان الإخلاص هو الفرق بين المؤمن والمنافق؛ فالمنافق يعمل السيِّئات ويقول: أطْمعُ أن يُغْفَرَ لي. والمؤمنُ يعمل الحسنات ويقول: أخشى ألَّا يُقبَلَ منِّي. وقد سألت السيِّدة عائشةُ رضي الله عنها النبيَّ ﷺ عن قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]. أهو الرجل يزني ويسرق ويشرب الخمر؟ قال: «**لا يا بنت أبي بكر** ـ أوْ لا يا بنت الصِّدِّيق ـ **ولكنَّه الرجلُ يصومُ ويُصَلِّي ويتصدَّقُ، وهو يخاف ألَّا يُقْبَلَ منه**»[(٢)]. يخافون ألَّا يُقبل منهم، كما قال ابن عطاء: «ربَّما فتح اللهُ لك باب الطَّاعة، وما فتح لك بابَ القَبول، وربَّما قدَّر عليك المعصيةَ فكانت سببًا في الوصول. معصيةٌ أورثت ذُلًّا وانكسارًا خيرٌ من طاعة أورثت عُجْبًا واستكبارًا»[(٣)].

فليست كلُّ طاعة تُقبَل، فالجهاد إذا لم يكن قصدك فيه أنْ تكون كلمة الله هي العليا فليس في سبيل الله، وقد يكون صاحبه ـ والعياذ بالله ـ ممَّن تُسعَّر بهم النار.

---

(١) سبق تخريجه صـ٢٥٣.

(٢) رواه أحمد (٢٥٢٦٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف لانقطاعه. والترمذي في تفسير القرآن (٣١٧٥)، وابن ماجه في الزهد (٤١٩٨)، والحاكم في التفسير (٣٩٣/٢)، وصحَّحه ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في صحيح الترمذي (٢٥٣٧).

(٣) حكم ابن عطاء الله شرح الشيخ زروق صـ٢٢٤.

QaradawiBooks.com

لا بدَّ أولًا أنْ تكون عندك نيَّة، ولذلك كان يُقال لبعض الصالحين: تعال نزور فلانًا. فيقول: لا. فيقال له: لماذا؟ فيقول: ليست لي نيَّة. وبعد لحظات يقول: حضرتني نيَّة. لا يريد أنْ يعمل عملًا إلَّا أنْ تكون له فيه نيَّة فيثاب عليه، فالنيَّة مطلوبة جدًّا، «**إنَّما الأعمال بالنِّيَّات، وإنَّما لكلِّ امرئٍ ما نوى**»، فبحَسَبِ نيَّة المرء يكون ثوابه، بمقدار إخلاصه لله تبارك وتعالى، لأنَّ الإخلاص يتفاوت أيضًا.

وربَّما سامح الله في بعض الأمور، لصعوبة تجريد النيَّة تمامًا، ولكن المطلوب أنْ تكون غالب النيَّة لله، يمكن أنْ تشوبَ النيَّة شائبة قليلة من الدنيا، لكن لولا الله، والرغبة فيما عند الله ما تحرَّك المرء حركته، قد يوجد عنده شيء بسيط من الدنيا، لكن ليس هو الدافع الأساسي، ولا المُحرِّك الأول، فلا بدَّ من وجود النيَّة الصَّالحة لقبول العمل.

النيَّة الصالحة تُكمل العمل الناقص:

والنيَّة الصالحة هي الَّتي تجعل العمل الناقص يُقبل حتَّى مع نقصه، قبل أنْ يكمله، كما جاء في القرآن: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٠]. لم يكمل الهجرة؛ مات في الطريق، ويُحسب له أجرها.

وكم من الأعمال تُكتَب للإنسان دون أنْ يعملها، جاء في الحديث أنَّ الإنسان إذا كان له حظٌّ من الليل، يقوم في الليل ليُصَلِّي ركعات من الليل، ثمَّ غلبته عيناه يومًا، ربَّما كان مُجْهدًا فنام حتَّى طلع الفجر، قال النبيُّ ﷺ: «**من أتى فراشَه وهو ينوي أنْ يقوم يُصَلِّي من الليل فغلبته عيناه حتَّى أصبح، كُتِب له ما نوى وكان نومه صدقةً عليه من ربِّه** ﷻ»[(١)].

(١) رواه النَّسائي في قيام الليل (١٧٨٧)، وابن ماجه في إقامة الصلاة (١٣٤٤)، وابن خزيمة في =

QaradawiBooks.com

كذلك إذا كان الإنسان يعمل أعمالًا صالحة ثمَّ سافر أو مرض ـ والسفر والمرض رخصتان ـ فلم يعد يعمل ما كان يعمله صحيحًا مقيمًا، فإنه يُكتَب له بنيته ما كان يعمله وهو صحيح مقيم[١]، فقد تعمل أعمالًا لا تكملها، أو لا تعملها بالمرة ولكن عندك نيَّة لها فيكتب لك أجرها.

كذلك الأعمال الَّتي يتمنَّاها الإنسان بصدق، ولكن لم يستطع أن يحققها لعذر من الأعذار، يكتب له أجرها، كما جاء في الحديث الَّذي رواه مسلم في صحيحه، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**مَنْ سأل الله الشَّهادة بصدق بلَّغه الله منازلَ الشهداء، وإنْ مات على فراشه**»[٢]. وكثير من الَّذين يموتون على فرشهم شهداء، «**ورُبَّ قتيلٍ بين الصفَّيْنِ اللهُ أعلمُ بنيَّته**»[٣].

وفي غزوة تبوك، وكان بينها وبين المدينة مسافات ومسافات، وكانت الغزوة في ساعة العسرة، وفي شدَّة الحر، قال النبي ﷺ لأصحابه: «**إنَّ بالمدينةِ أقوامًا، ما سرتم مسيرًا، ولا قطعتم واديًا إلَّا كانوا معكم**». قالوا: يا رسولَ الله، وهم بالمدينة؟ قال: «**وهم بالمدينة، حبسهم العذر**»[٤].

كانوا يتمنَّون أنْ يكونوا مع المجاهدين، ولكن أعذارًا منعتهم، من مرض، أو فقر، أو عدم وجود حمولة تحملهم، كما ذكر القرآن:

= الصلاة (١١٧٢)، وابن حِبَّان في قيام الليل (٢٥٨٨)، وقال الأرناؤوط: إسناده جيد. وصحَّحه الألباني في الإرواء (٤٥٤). عن أبي الدرداء.

(١) رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٩٩٦)، عن أبي موسى الأشعري.

(٢) رواه مسلم في الإمارة (١٩٠٩)، وأبو داود في الصلاة (١٥٢٠)، عن سهل بن حنيف.

(٣) رواه أحمد (٣٧٧٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وقال الحافظ في فتح الباري (١٩٤/١٠): رجال سنده موثقون. عن ابن مسعود.

(٤) رواه البخاري في المغازي (٤٤٢٣)، عن أنس.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴾ [التوبة: ٩١، ٩٢]. فهؤلاء بنيَّتهم شاركوا في الأجر، فللنيَّة مكانة عظيمة في الإسلام.

النيَّة الصالحة تُصحِّح الخطأ:

وقد يفعل الإنسان فعلًا لا يضعه موضعه الصحيح، لا يصيب موقعه، ولكن بركة النيَّة تصحِّح له الخطأ، كما جاء في الحديث المشهور: «**قال رجلٌ: لأتصدقنَّ بصدقةٍ. فخرج بصدقته، فوضعها في يدِ سارقٍ، فأصبحوا يتحدَّثون: تُصُدِّق على سارقٍ. فقال: اللهمَّ لك الحمدُ، لأتصدقنَّ بصدقةٍ. فخرج بصدقته فوضعها في يَدَيْ زانيةٍ، فأصبحوا يتحدَّثون: تُصُدِّقَ الليلةَ على زانية. فقال: اللهمَّ لك الحمد، على زانيةٍ؟ لأتصدقنَّ بصدقةٍ، فخرج بصدقته، فوضعها في يَدَيْ غَنِيٍّ، فأصبحوا يتحدَّثون: تُصُدِّق على غنيٍّ، فقال: اللهمَّ لك الحمدُ، على سارقٍ وعلى زانيةٍ وعلى غنيٍّ. فأُتِيَ فقيل له: أمَّا صدقتُكَ على سارقٍ فلعلَّه أنْ يستعفَّ عن سرقته، وأمَّا الزانيةُ فلعلَّها أنْ تستعفَّ عن زناها، وأمَّا الغنيُّ فلعلَّه يعتبر فينفق ممَّا أعطاه الله**»[1].

تأمَّل! لقد اختار الرجل الليل ليتصدَّق فيه بصدقاته ليبتعدَ عن الرياء، ولكن صدقته لم تقع في كل مرة موقعها، وأصبح الناس يتحدَّثون خاصة في البلاد الصغيرة، أنَّ فلانًا تُصدِّق عليه، ممَّن لم يكن يقصدهم بصدقته،

(١) سبق تخريجه صـ ٢٥٣.

QaradawiBooks.com

لكن جاءته الرؤية بأنَّ صدقاته مقبولة، صدقة السر الخفيَّة، وهي أعظم من صدقة العلانية، ولذلك جاء في السبعة الَّذين يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله: «**ورجلٌ تصدَّق بصدقةٍ فأخفاها حتَّى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه**»[1]. كناية عن المبالغة في الإخفاء، فهذا من بركة الإخلاص في النيَّة، تُصَحِّح للإنسان خطأه، وتكمل له نقصه.

الإخلاص قوَّة:

ومن بركة الإخلاص أنَّه قوة لصاحبه، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

وقد ذكر الإمام ابن الجوزي قصة، لعلَّها قصة رمزيَّة، إذ ليس من الضروري أنْ تكون كل القصص واقعيَّة، بل يمكن أنْ تكون القصة رمزيَّة لتثبيت معنى معيَّن، قال: كانت هناك شجرة تعبد من دون الله، فجاء إليها رجل فقال: لأقطعنَّ هذه الشجرة. فجاء ليقطعها غضبًا لله، فلقيه إبليس في صورة إنسان فقال: ما تريد؟ قال: أريد أنْ أقطع هذه الشجرة الَّتي تعبد من دون الله. قال: إذا أنت لم تعبدها فما ضرُّك مَنْ عبدها؟ قال: لأقطعنها. ودخل في مصارعة مع الشيطان فصرعه الرجل، فقال له الشيطان: هل لك فيما هو خير لك؛ لا تقطعها ولك ديناران كل يوم إذا أصبحت عند وسادتك. قال: فمن أين لي ذلك؟ قال: أنا لك. فرجع فأصبح فوجد دينارين عند وسادته، ثمَّ أصبح بعد ذلك فلم يجد شيئًا، فقام غضبًا ليقطعها، فتمثَّل له الشيطان في صورته وقال: ما تريد؟ قال: أريد قطع هذه الشجرة الَّتي تعبد من دون الله تعالى. قال: كذبت؛

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأذان (٦٦٠)، ومسلم في الزكاة (١٠٣١)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

مالك إلى ذلك سبيل. فذهب ليقطعها فضرب الشيطان به الأرض، وخنقه حتَّى كاد يقتله، قال: أتدري من أنا؟ أنا الشيطان جئتَ أول مرة غضبًا فلم يكن لي عليك سبيل، فخدعتك بالدينارين فتركتها، فلما جئت غضبًا للدينارين سُلِّطتُ عليك[1]. فهذه القصة الرمزية تدلُّ على أنَّ الإخلاص قوة.

وكان الإمام الشهيد حسن البنَّا يذكر في حديث من أحاديث الجمعة قصة صاحب النقب، وتتلخص قصته في أنَّ المسلمين في إحدى معاركهم وقفوا أمام حصن منيع من حصون عدوهم، وطال حصارهم لهذا الحصن، ثمَّ فكر أحد الجنود في فتح ثغرة أو نَقْب في جدار الحصن، يتسلل منه، ويفتح الباب للمقاتلين المسلمين. فعل ذلك الجندي المسلم، ونقب النقب وحده في هدوء وصمت، ممَّا مكن المسلمين من تحقيق النصر المنشود بأقل التضحيات.

المهمُّ أنَّ قائد المعركة بحث عن صاحب النقب الَّذي كان وراء هذا النصر، ولم يتقدم أحد يقول: أنا هو. فخطب في جنوده قائلًا: أقسمت بالله على من نقب النقب أو عرف صاحبه إلا دلَّني عليه. وبينما القائد في خيمته دخل عليه رجل، وقال له: هل تريد أنْ تعرف صاحب النقب؟ قال: نعم والله. قال: أنا أدلُّك عليه، ولكن له شروطًا يطلبها. قال: له كل ما يشترط، فما شروطه رحمك الله؟ قال: ألا تسأله عن اسمه، ولا تعلن عنه في الناس أو إلى الخليفة، ولا تكافئه على عمله. قال: له ذلك، فأين هو؟ قال: أنا هو! فقام القائد وعانقه، فطالبه بالوفاء بالشرط، فلم يملك القائد إلا الاستجابة، وذاب هذا الجندي المجهول في المحيط الكبير،

(١) تلبيس إبليس صـ٣٠، ٣١.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فلم يره أحد بعد ذلك، فكان القائد يدعو الله أنْ يحشره مع صاحب النقب، وأنْ ينصر دينه به وبأمثاله من أهل الإيمان والإخلاص[١].

فلصاحب الإخلاص مثل هذه القوَّة، القوة في التفكير، والقوة في التدبير، والقوة في التنفيذ، هذا هو شأن الإخلاص، يعطي الإنسان الشجاعة، والقدرة على نفسه، والقدرة على البذل، ولذلك لا يبالي الإنسان المخلص بما يصيبه، يتحمَّل المصائب، والمحن، والآلام من أجل الله ﷻ، ويتغنى كما كان يتغنى الصالحون:

فلَيْتَ الَّذي بَيْنِي وبَيْنَكَ عَامِرٌ ... وبَيْنِي وبَيْنَ العالَمِينَ خَرَابُ
فليتَكَ تحلو والحياةُ مَرِيرَةٌ ... وليتَكَ تَرْضَى والأنامُ غِضَابُ
إذا صحَّ منكَ الوُدُّ فالكلُّ هيِّنٌ ... وكلُّ الَّذي فوق التُّرَابِ تُرَابُ(٢)

لا يبالي المخلص بالناس، فما قيمة رضا الناس بجانب رضا الله؟ فلا يهمك سخط الخلق إذا رضي عنك الخالق، ولا تهمك الدنيا إذا كسبت الآخرة، ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

الإخلاص بين القيادة والجنديَّة:

من أجل هذا كان الإخلاص أمرًا عظيمًا، وخاصة لأصحاب الدعوات، أنْ يجرِّدوا أنفسهم لله ﷻ، عندما يتوفر الإخلاص لا يبالي الإنسان في أي موقع يكون؟ أهو في موقع الجندية، أم في موقع القيادة؟

(١) انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٦/٥٨)، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، نشر دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م

(٢) ديوان أبي فراس الحمداني (٢٤/٢، ٢٥)، جمع سامي الدهان، نشر المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ١٩٤٤م.

QaradawiBooks.com

أهو في المقدمة، أم في المؤخرة؟ كما جاء في الحديث الَّذي رواه البخاري، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**تَعِسَ عبدُ الدينار وعبدُ الدِّرْهم وعبد الخَمِيصَة، إن أُعْطِيَ رَضِيَ، وإن لم يُعْطَ سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش، طوبى لعبدٍ آخذ بعِنَانِ فرسه في سبيل الله، أشعثَ رأسُه، مُغْبَرَّةٍ قدماه، إن كان في الحراسة، كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يُؤْذَنْ له، وإن شفع لم يُشَفَّعْ**»[1]. حيث وُضِع المسلم عمل.

كان سيدنا خالد بن الوليد أميرًا على الجيوش، ونصر الله به المسلمين في معركة اليرموك، حتَّى قيل له: ارجع خطوة إلى الوراء، فقال: سمعًا وطاعةً. وكان نِعْم العون لأميره أبي عبيدة بن الجراح، وعمل جنديًّا في سبيل الله، لم يجد في ذلك غضاضة، وكثير من الناس يُفضِّل أنْ يكون في موقع الجنديَّة عن أنْ يكون في موقع القيادة.

إنَّ كثيرًا من المصائب الَّتي تحيق بالدعوات وأهلها تكون نتيجة التَّزاحم على السلطة، والقيادة، أنْ يريد كل أحد أنْ يكون في موقع الرأس، والشيطان يدخل له في ذلك من مداخل شتَّى، يقول له: هذا من مصلحة الدعوة، وأنت الأهل، وأنت الكفؤ، إلى آخره. وتكون النتيجة تفرق الكلمة، وتمزق الصفوف، ولو رضي الإنسان أن يكون في موقع الصفوف، بعيدًا عن الأضواء لكان مثل صاحب النقب.

ولذلك عندما ذهب عمر بن الخطاب عند قبر النبي ﷺ وجد معاذ بن جبل يبكي عند القبر، فقال: ما يبكيك يا معاذ؟ قال: حديث سمعته من

(١) سبق تخريجه صـ٢٧٩.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

رسول الله ﷺ، يقول: «**اليسيرُ من الرِّياءِ شركٌ، ومن عادَى أولياءَ اللهِ فقد بارز اللهَ بالمحاربةِ، إنَّ اللهَ يحبُّ الأبرارَ الأتقياءَ الأخفياءَ، الَّذين إنْ غابوا لم يُفتقدوا، وإنْ حضروا لم يُعرفوا، قلوبُهم مصابيحُ الهدَى، يخرجون من كلِّ غبراءَ مُظلمةٍ**»[(١)]. ليسوا مشاهير، لا يُشار إليهم بالبنان، من عوام الناس، لا يقال: أين فلان، وفلان؟

في إحدى المعارك أرسل القائد إلى عمر بن الخطاب يقول: يا أمير المؤمنين؛ استشهد فلان، وفلان، وفلان، وأناس آخرون لا تعرفهم. فبكى عمر وقال: ولكن الله تعالى يعرفهم[(٢)]. هؤلاء الأتقياء الأخفياء، فالإخلاص في القلوب كالجذور من الشجرة، لولاها لما كانت الشجرة، فكثير من الناس ضعفاء ولكنهم مخلصون، وكان سعد بن أبي وقاص يقول: «**وهل تُرزقون وتُنصرون إلا بضعفائكم؟**»[(٣)] بدعوتهم وإخلاصهم، فهؤلاء الضعفاء بمثابة الجذر من الشجرة، أو الأساس من البناء، كما قال شوقي في أحد أبياته:

خَفِيَ الأَسَاسُ عن البِنَاءِ تَوَاضُعًا مِنْ بَعْدِ ما رفع البِنَاء مَشِيدًا[(٤)]

---

(١) رواه ابن ماجه في الفتن (٣٩٨٩)، والحاكم في الإيمان (٤/١)، وقال: صحيح لا علة له. وفي الرقاق (٣٢٨/٤)، وصحَّحه، وضعَّفه البوصيري في زوائد ابن ماجه بابن لهيعة (١٤١٠)، مع أنَّ الراوي عنه هو عبد الله بن وهب. والتحقيق: أنَّه إذا روى عنه أحد العبادلة ـ ومنهم ابن وهب ـ فحديثُه مقبول، ويصحِّحه كثيرٌ من المحقِّقين. وكان الأولى أنْ يُضعَّف في سند ابن ماجه بعيسى بن عبد الرحمن؛ فهو متروك. وسند الحاكم في الموضع الأول ليس فيه ابن لَهِيعة ولا عيسى، فهو العُمْدة.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في التاريخ (٣٤٤٨١)، وصحَّح إسناده ابن حجر في الإصابة (١٢٨/٥)، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

(٣) رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٩٦)، عن سعد بن أبي وقاص مرفوعًا.

(٤) أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (١١١/١).

QaradawiBooks.com

فالأساس الَّذي قام عليه البناء يكون تحت الأرض، وليس هو الظاهر، ولكن لولاه لما قام البناء، وهذا حال الأتقياء الأخفياء.

المشكلة في الناس الَّذين يُشار إليهم بالأصابع، والذين تُسلط الأضواء عليهم، كما يعبرون في عصرنا، هل تصفو نيتهم وتتجرد لله ﷻ، أم لا؟ فقد يعمل الإنسان أعمالًا كبيرة، ولا يدري هل قُبلت أم لا؟ لأنَّه لا بدَّ أن يتوفر فيها عنصر الإخلاص حتَّى تنال القبول.

أمران أساسيَّان لقبول العمل:

هناك أمران أساسيَّان لا بدَّ منهما حتَّى تُقبل الأعمال الدِّينيَّة: النيَّة الخالصة، والصورة المشروعة. وهناك حديثان من أحاديث الأربعين النووية، يسمون أحدهما ميزان الباطن، وهو حديث: «**إنَّما الأعمال بالنيَّات، وإنَّما لكلِّ امرئٍ ما نوى**»[(١)].

والآخر ميزان الظاهر، وهو حديث: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرُنا فهو ردٌّ**»[(٢)]. وحديث: «**من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو ردٌّ**»[(٣)]. لأنَّه لا بدَّ أيضًا أنْ يكون العمل على الصورة المشروعة، لا بدَّ من الأمرين معًا: ألا يُعبد إلا الله، وألا يُعبد إلا بما شرع.

ولذلك لمَّا سئل أبو عليٍّ الفُضَيْلُ بن عِيَاض، أحد زهَّاد هذه الأمَّة الأوائل، عن قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]. قيل له: يا أبا عليٍّ، ما أحسن العمل؟ قال: أحسن العمل أخلصُه وأصوبُه. قيل: وما أخلصه وأصوبه؟ قال: إنَّ الله لا يقبل العمل إلَّا إذا كان خالصًا

(١) سبق تخريجه صـ٢٥٢.

(٢) رواه مسلم في الأقضية (١٧١٨)، وأحمد (٢٥٤٧٢) (١٨)، عن عائشة.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في الصلح (٢٦٩٧)، ومسلم في الأقضية (١٧١٨) (١٧)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

صوابًا، فإذا كان صوابًا ولم يك خالصًا لم يُقْبل، وإذا كان خالصًا ولم يك صوابًا لم يُقْبل، وخُلوصه أنْ يكون لله، وصوابه أنْ يكون على السُّنَّة[1]. فلا بدَّ من الأمرين، وبدونهما لا يُقبل العمل، وخاصَّة في الأعمال الدِّينيَّة، الصلاة، والصيام، والشعائر، والهجرة، والجهاد.

وعملنا للإسلام هو عمل ديني، ولذلك لا بدَّ أنْ يتوفر فيه الإخلاص لله تبارك وتعالى، وقد ذكر القرآن الَّذين اتخذوا مسجدًا ضرارًا، ونعى عليهم، ونددَ بهم: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ۞ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًاۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ۞ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التوبة: ١٠٧ ـ ١٠٩]. لأنَّه بنيان أُسس على غير التقوى، صحيح أنَّه مسجد، لكنَّه أريد به أنْ يكون ضرارًا، وأنْ تُفرَّق به كلمة المسلمين، فحتى لو كان مسجدًا، ولكن لم تكن النيَّة من ورائه لله تعالى، تزول عنه المسجدية، والواجب أنْ يُهدم، وقد هدم فعلًا، فلا بدَّ من النيَّة الخالصة في كل عمل عبادي ديني يراد به وجه الله تعالى.

النِّيَّة الصالحة تقلب العادات إلى عبادات:

ومن فضل النيَّة الصالحة الخالصة أنَّها تقلب العادات إلى عبادات، فإذا دخلت إلى أيِّ عمل من أعمال الدنيا يصبح عبادة وقربة لله تعالى، كما

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٩٥/٨).

QaradawiBooks.com

جاء في حديث الصحيحين: «**وإنَّكَ مهما أنفقت من نفقةٍ، فإنَّها صدقة، حتَّى اللقمةُ الَّتي ترفعها إلى في امرأتِكَ**»[١]. وفي الحديث الآخر: «**وفي بُضْعِ أحْدِكم صدقة**». قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: «**أرأيتُم لو وضعها في حرامٍ أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر**»[٢]. يفعل ذلك من باب المُلاطَفة والمُمَازحة والإسعاد والإحصان، إذا قصد بذلك وجه الله صار له به أجر.

والأكل والشرب نفسهما يصبحان بهذه النية طاعة، وكذلك كلُّ الأعمال الدُّنْيويَّة يمكن أنْ تكون طاعة إذا كان من ورائها نيَّة صالحة، وهذا من فضل النيَّة، أنَّها تجعل الأعمال الدُّنْيويَّة طاعات، وتجعل العادات عبادات، فإذا وجَّه الإنسان المسلم حياته لله، وجعل حياتَه للإسلام، ونذَر نفسَه لربِّه، فأصبحت صلاتُه ونُسكه ومحياه ومماته لله، يستطيع بذلك أنْ يكسب كثيرًا من الحسنات، هذا كله من فضل الإخلاص.

الإخلاص في الحقيقة من أعظم الفضائل الَّتي جاء بها الإسلام، وهو ليس سهلًا ولا ميسورًا إلا على مَنْ يسره الله تعالى له، فربما دخلت النوازع الدُّنْيويَّة إلى قلب الإنسان وهو لا يشعر بها، كحب الثناء، حب المَحْمَدة، وحب الظهور الَّذي طالما قصم الظهور.

رقابة المسلم نفسه:

من هنا كان على المسلم أنْ يراقب نفسه رقابة داخليَّة، رقابة ذاتيَّة، أنت بنفسك رقيب على نفسك، فلا أحد من البشر يعلم ما يدور

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجنائز (١٢٩٥)، ومسلم في الوصية (١٦٢٨)، عن سعد بن أبي وقاص.

(٢) سبق تخريجه صـ ٢٤٣.

QaradawiBooks.com

بداخلك، وما يعتمل بين حناياك إلا أنت، فعلى الإنسان أنْ يكون رقيبًا على نفسه، فبدون الإخلاص لا تقبل الأعمال، كما قال العبد الصالح: الأعمال صور قائمة، وروحها وجود سر الإخلاص فيها[١]. والله ﷻ يقول: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]. وهذا هو ما قاله الإمام عياض من قبل: وخُلوصه أن يكون لله، وصوابه أن يكون على السُّنَّة[٢].

ويقول ابن عطاء: إنَّ الله لا يقبلُ العمل المُشْتَرَك، ولا القلب المشترك، العمل المشترك لا يقبله، والقلب المشترك لا يُقْبِلُ عليه[٣]. لا يحبُّ الله الشريك، بل يقول لك: اذهبْ وخذ أجرك ممَّن عملتَ له. لا يقبل الله العمل إلَّا ما كان خالصًا لوجهه.

ومن الآفات الَّتي يعاني منها المادِّيُّون تشعب الوجهات، يعيشون في حَيْرة: أيُشَرِّقون أم يُغَرِّبون؟ أي الغايات أهم: المال أم الجاه؟ المرأة، أم الكأس، أم المنصب؟ أمر مُحيِّر.

أمَّا المسلم فهو الَّذي تتوحَّد بالإخلاص وجهته، لأنَّه يعرف طريقه، ويعرف غايته، فعاش مستريحًا، لأنَّ له سيدًا واحدًا، كما أشار إلى ذلك القرآن في قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ [الزمر: ٢٩]. عبدٌ له عدة أسياد، فأحدهم يأمره أنْ يذهب يمينًا، والآخر يأمره أنْ يذهب يسارًا، فهو في حيرة أيهما يرضي؟ همُّه شعاع، وقلبه أوزاع!

---

(١) حكم ابن عطاء الله بشرح الشيخ زروق صـ٥٩.

(٢) سبق تخريجه صـ٣٧٠.

(٣) حكم ابن عطاء الله شرح الشيخ زرّوق صـ٣٦٠.

QaradawiBooks.com

وأمَّا العبد الآخر فله سيد واحد، عرف ما يرضيه وما يسخطه، فلزمه واستراح، هذا هو شأن الإنسان المؤمن، أمَّا الَّذي يريد إرضاء الناس فهو في حيرة أي نوع من الناس يرضي؟ كما يقول الشاعر:

إذا رَضِيَتْ عَنِّي كرامُ عَشِـيرَتي فلا زال غضبانًـا علـيَّ لئامُها[1]

ومَنْ في النَّاسِ يُرضي كلَّ نفسٍ وبين هوى النُّفُوسِ مَدًى بَعِيدُ[2]؟

ولذلك قالوا: رضا الناس غاية لا تُدرَك.

والقصة مشهورة عن الرجل وابنه: ركب الرجل حماره، ومشى ابنه بجانبـه، فمرَّا على مجموعة مـن الناس فقالوا: ما أقسـى هذا الرجل؛ يركب ويترك ابنه ماشيًا! فنزل يمشـي وأركب ابنه، ومرَّا على مجموعة أخرى من الناس فقالوا: ما أقل حياء هذا الولد؛ يركب ويترك أباه ماشيًا! فركبا الاثنان الحمار، ومرَّا على مجموعة ثالثة فقالوا: ما أقسـى هذين الرجلين على هـذا الحيوان، يركبـان فوقه! فنزلا عن الحمار ومشـيا بجواره، ومرَّا على مجموعـة رابعة فقالوا: ما أحمـق هذين الرجلين؛ أعطاهمـا الله حمارًا فتركاه ومشـيا بجواره! لماذا خُلِـق الحمار إذا لم يُركَب؟ فقال له ابنه: تعال يا أبت نحمل الحمـار. فقال له: يا بني؛ لو فعلنا ذلك لقالـوا: ما أحمقنا؛ خلق الحمار ليحمـل فجعلوه محمولًا. فرضا الناس غاية لا تُدرك، من المستحيل أن ترضي كل الناس، ولذلك علينا أن نرضي الله وحده.

إذا صـحَّ منك الودُّ فالـكلُّ هينٌ وكل الَّذي فـوق التراب تراب[3]

(١) من شعر أبي العيناء، انظر: زهر الآداب وثمر الألباب للحصري (٣٢٧/١)، نشر دار الجيل، بيروت.

(٢) من شعر ناصيف اليازجي.

(٣) ديوان أبي فراس الحمداني (٢٤/٢، ٢٥).

QaradawiBooks.com

الإخـــلاص ـ أيها الإخوة ـ فضيلـــة عظيمة، لا يُرزَقُهـــا إلا من أحبه الله ﷻ ورضي عنـــه، وهي من خصال النبيين، والصديقين، والشـــهداء، والصالحين، ولذلك ينبغي على الإنسان أنْ يسعى حتَّى يحقق هذا الركن في حياته، وأنْ يجعل حياته كلها لله، ويجعل قوله وعمله خالصًا لله ﷻ.

وهذا الأمر وإنْ كان صعبًا، ولكن من طلب شـــيئًا وجده، ومن لجأ إلى الله تعالى أنْ يرزقه الإخـــلاص كان أهلًا لأنْ يقبـــل الله تعالى منه، فنســـأل الله ﷻ أنْ يجعلنـــا من الَّذيـــن يعلمـــون فيعملـــون، ويعملون فيخلصون، ويخلصون فيقبلون؛ إنَّه سميع قريب.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

١٥

من أعظم النعم (الأخوة في الله)

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد إليكم الله تبارك وتعالى الذي بنعمته تتم الصالحات، وأصلي وأسلِّم على خير أنبيائه وخاتم رسله، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

(أمَّا بعد)

خير ما أحييكم به أيها الإخوة تحيَّة الإسلام، وتحيَّة الإسلام السلام، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بعد حديث لنا عن الصبر، جاء حديثنا عن الشكر، والشكر يقتضي شاكرًا، ومشكورًا، ومشكورًا عليه.

والشاكر والشكور هو المؤمن، والمشكور هو الله ﷻ، والمشكور عليه هو النعم التي ينعم الله بها على الإنسان، وهي كلها من الله ﷻ، ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، حتى وإن جاءتك عن طريق عبد من عباد الله فالذي سخر هذا العبد من عباده، وساقه إليك وبعثه ليؤدي إليك هذه الخدمة، أو يسوق إليك هذه النعمة هو الله ﷻ، وهو صاحبها وواهبها وخالقها، فالنعم كلها من الله ﷻ، ولذلك ينبغي أن ترد الأمور

QaradawiBooks.com

كلها إلى صاحبها، إلى الله، فالشكر الحقيقي ينبغي أن يوجه إلى الله، وإن كان الإسلام علمنا أن نشكر من جاءتنا النعمة على يديه من الناس، وجاءنا الحديث النبوي: «**لا يشكر الله من لا يشكر الناس**»[1].

نعمة الإيمان:

والنعم ـ كما ذكرنا ـ نعم دنيوية، ونعم دينية، والناس تتعلق قلوبهم وأنظارهم عادة بالنعم الدنيوية: المال، الولد، الصحة، الذكاء، القوة، المنصب، الجاه، المنزلة الاجتماعية، هذه كلها نعم، وهي نعم ذات قيمة، ولكن أعظم منها النعم الدينية، النعم التي تتعلق بالدين، مثل نعمة الإيمان، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗ﴾ [الحجرات: ٧، ٨]، فأعظم نعمة هي نعمة الإيمان، نعمة الهداية إلى الإيمان، ﴿يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧].

نعمة الأخوة في الله:

ومن النعم الدينية نعمة الأخوة في الله، أن تجد من يحبك لله، من يؤاخيك في الله، من يزورك في الله، من يجالسك لله، من يدعو لك بظهر الغيب دون أن ينتظر أي جزاء منك، هذه نعمة عظيمة، نعمة الحب في الله، وقد أشار إلى ذلك القرآن الكريم حينما قال: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

---

(١) رواه أحمد (١٠٣٧٧)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وأبو داود في الأدب (٤٨١١)، والترمذي في البر والصلة (١٩٥٤)، وصحَّحه، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

فنعمة الأخوة هذه.. أن تجد من يحبك ويعمل على مصلحتك، ويحفظك في غيبتك، ويرد عنك الأذى، ويستعد أن يحمي ظهرك، ويذود عنك الشر بنفسه وبما يملك، لا لشيء إلا لله، أي نعمة بعد الإيمان أعظم من هذه النعمة؟ نعمة عظيمة؛ لأنَّ معظم علاقات الناس في الدنيا علاقات مادية، لأسباب وأعراض زائلة، وأغراض زائفة، يحبك لمالك، فإذا زال عنك المال، وأصابك فقر بعد غنى، أو عُسر بعد يُسر لم يعد يعرفك، كما قال الإمام الشافعي:

ولا خيرَ في ودِّ امرئٍ مُتلونٍ إذا الريحُ مالتْ مالَ حيثُ تميلُ!
جوادٌ إذا استغنيتَ عن أخذِ مالِهِ وعند زوالِ المالِ عنك بخيلُ!
فما أكثرَ الإخوانَ حين تعدهمْ ولكنهم في النائباتِ قليل[1]!

هذا الإنسان لا يصلح، إنَّما الذي يصلح هو الذي يؤاخيك في السرَّاء والضراء، والنعماء والبأساء، والشدة والرخاء، والعسر واليسر، والمحنة والمنحة، هو معك دائمًا؛ لأنَّه أحبك لله، وما كان لله دام واتصل، وما كان لغير الله انقطع وانفصل، وكما قال الشاعر الصالح:

إن أخاكَ الحقَّ من كان معكْ ومن يضرُّ نفسه لينفعكْ
ومن إذا رَيْبُ الزمانِ صَدَعَكْ شتَّتَ فيك شملَه ليجمعكْ[2]

إنَّ أخاك الحقَّ، حق الحق، من يضرُّ نفسه لينفعك، لا يبالي أنْ يصيبه الضرر لينفع أخاه، لا كما يقول بعض الناس: نفسي نفسي. أنت ما لك وما للناس، حسبك نفسك ومصلحتك! بل هناك من الناس من يريد أن

(١) ديوان الإمام الشافعي (٣٢٦/١)، تحقيق محمد الطاهر بن عاشور، نشر وزارة الثقافة الجزائرية.
(٢) البيتان منسوبان لسيدنا علي بن أبي طالب، انظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي حديد (١١٣/١٨)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر عيسى البابي الحلبي وشركاه.

QaradawiBooks.com

يبني نفسه، ولو هدم في ذلك بلدًا بأكمله، يبني نفسه من جماجم الخَلْق، هذا هو الإنسان الأناني!

إنَّما الذي يحب لله ويبغض لله، هذا الذي أحبك لأنك تطيع الله وتعمل لدينه، هذا حبٌّ باقٍ، سيعيش بهذا الحب، ويموت بهذا الحب، ويدخل معه القبر، ويبعث معه يوم القيامة، ويظل الله أصحابه في ظله يوم لا ظل إلا ظله، حين تدنو الشمس من الرؤوس، وحين يُلجم الناسَ العرقُ، ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]، ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٦]، في هذا اليوم لا شجرة يستظل تحتها، ولا مظلة ولا بناء، لا ظلَّ إلا ظل الله ﷻ.

هناك سبعة يظلهم الله في ظله، ليسوا سبعة أشخاص، وإنَّما سبعة أصناف، «**سبعة يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله**»، من هؤلاء السبعة: «**رجلان تحابَّا في الله: اجتمعا عليه، وتفرَّقا عليه**»[1]. اجتمعا على الحب في الله، وتفرَّقا على الحب في الله، والحديث حينما يقول: «**رجلان تحابَّا في الله**» لا يعني هذا أنَّ هذا خاص بالرجال وحدهم، وليس للإناث فيه نصيب! لا، كلمة الرجال لأن النبي ﷺ كان يخاطب الرجال، ولكن لو أنَّ امرأتين تحابتا في الله ﷻ، كان ذلك من الحب في الله، وكانا ضمن السبعة الذين يظلهم الله في ظله.

الحب في الله نعمة عظيمة، والأخوة في الله نعمة عظيمة بعد نعمة الإيمان، يجب أن ترعى هذه النعمة، وأن توفى حقها، الذي ألَّف هذه القلوب على كلمته وعلى محبته، وعلى توحيده وعلى طاعته هو الله، لا يستطيع أن يؤلف بين القلوب إلا الله تبارك وتعالى، حتى إنَّ الله ﷻ

(١) سبق تخريجه صـ٣٦٤.

QaradawiBooks.com

قال لرسوله ﷺ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِى ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣].

النصر يتنزل على المؤمنين المترابطين:

الخطاب لرسول الله ﷺ، ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، النصر من عند الله، ولكن قوانين الله في النصر أنَّه لا ينصر إلا بالمؤمنين، لا بد من مؤمنين يتنزل عليهم نصر الله، فهم هدف النصر وهم وسيلة النصر وأداته، هم عُدة النصر؛ فالنصر للمؤمنين، والنصر بالمؤمنين، ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢]. ولذلك لا يُتصور أن ينزل نصر الله إلا على جماعة مؤمنة، هناك الملائكة التي نزلت في بدر، والتي نزلت في الخندق يوم الأحزاب، والتي نزلت في حنين، هذه الملائكة موجودة، ويمكن أن تنزل اليوم وغدًا، ولكن على من تنزل الملائكة؟ على من تتنزل ومعها نصر الله؟ إنَّها تتنزل على المؤمنين، كما قال الله تعالى في سورة الأنفال في غزوة بدر: ﴿إِذۡ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الأنفال: ١٢]. إذن قد وُجد الذين آمنوا، وهم في حاجة إلى التثبيت، في حاجة إلى غطاء جوي، ينزل الغطاء من السماء، ينزل جبريل ويقود قافلة من الملائكة تثبت الذين آمنوا، الذين آمنوا لا بدَّ منهم، ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

وعادةُ السيفِ أن يُزْهَى بجوهره ... وليس يعمل إلا في يدَيْ بطلِ[1]!

الحقُّ لا ينتصر وحده، وإنَّما ينتصر بأهله وبرجاله، فإذا لم يكن له رجال ـ ورجال مؤمنون ـ فلن ينتصر بذاته، لا بدَّ من أناس يحملونه،

(١) ديوان الطغرائي صـ٣٠٧.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وأي نوع من المؤمنين ينتصر بهم الحق؟ المؤمنون المترابطون، الملتقون على كلمة الله، وعلى محبة الله، المتراصون كالبنيان، كما قرأنا الليلة في سورة الصف: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

انظر إلى الجدار، جدار هذا المسجد، هو عبارة عن لبنة فوق لبنة، وحجر فوق حجر، حتى تكوَّن هذا البنيان، ولكنَّه بنيان مرصوص، مرصوص بنظام وتماسك، بميزان لا يميل ولا ينحني، برابط يربط بين كل حجر وحجر؛ بما نسميه المونة، من طين أو إسمنت.

وهذا الشيء الذي يُجمّع الحجارة واللبنات بعضها ببعض، وهو لا بدَّ منه، وهو المحبة والأخوة بالنسبة للمؤمنين، العقيدة والرابطة، لا بدَّ من هذا الترابط، ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾.

محاولة إثارة النعرات في مجتمع المدينة:

انظر إلى المجتمع الذي أنشأه رسول الله ﷺ في المدينة، كيف كوَّنه النبي ﷺ، كيف أصبح مجتمعًا في قمة الإخاء، أخوة تجمع الجميع في رحابها، رغم وجود الفوارق التي يمكن أن تفرق بين أفراد هذا المجتمع، هناك أهل البلد الأصليون: أهل يثرب من الأوس والخزرج، وهناك القادمون المهاجرون، هؤلاء قحطانيون، وهؤلاء عدنانيون، هؤلاء من عرب الجنوب، وهؤلاء من عرب الشمال، كان يمكن أن تنشأ بينهم نزعات عنصرية تفرق بينهم؛ بل كان بين الأوس والخزرج وهما أبناء عمومة ما بينهم في الجاهلية.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقد حاول بعض اليهود أن يوقظ بعض ثـــارات الجاهلية ونعراتها، ويذكرهم بما كان بينهم من حروب ودماء، ومن انتصر منهم ومن انهزم، ومن كذا ومن كذا، يريد أن يحيي الميت في قلوبهم، وفعلا استطاع أن يوقظ الفتنة؛ حتى تنادوا إلى الســـلاح، وقال هؤلاء: يا للأوس. وهؤلاء: يا للخزرج. وبلـــغ ذلك النَّبيَّ ﷺ، فجاء وقال: «**أبدعـــوى الجاهليَّة وأنا بين أظهركم؟ اللهَ اللهَ، دعوها فإنها مُنتنة**»(١).

دعوا دعـــوى الجاهليَّـــة: يا لفـــلان ويا لفـــلان، لم يعـــد يا لفلان ولا يا لفلان؛ بل أصبح المهاجـــرون والأنصار، انتهت قبيلة فلان وقبيلة فلان، بل أخوة في الله، ونزلت الآيات في سورة آل عمران: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ۞ وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [آل عمران: ١٠٠، ١٠١]، ﴿إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾، مثل «شاس بن قيس» هذا اليهودي الذي أثار الفتنة، وكانت نائمة، ولعن الله من أيقظها، وكاد أن ينجح في ذلك ولكن الله سلَّم.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٠٠]، أي بعد أخوتكم متعادين، وبعد وحدتكم متفرقين، ﴿وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ ﴾؟ كيف تفعلون فعل الكفـــار وأهل الجاهليَّة؟ تتنادون: يا للسلاح ويا لفلان ويا لفلان؟! ﴿وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ۞ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٩٠٥)، ومسلم في البرِّ والصِّلة (٢٥٨٤)، عن جابر بن عبد الله.

QaradawiBooks.com

جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠١ ـ ١٠٣].

ووجّههم إلى أن يشتغلوا بأمر أكبر من هذه النعرات الجاهليَّة، أن يشتغلوا بالدعوة: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وحذَّرهم مما وقع فيه من كان قبلهم فقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥، ١٠٦]، وعرفهم بمهمة الأمة التي هم طليعتها، وهي خير الأمم، وهي ذات رسالة إنسانية؛ لأنَّها أُخرجت للناس، ولم تُخرج لنفسها، ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، إلى آخر الآيات.

المجتمع المدني قائم على الأخوة:

بالأخوة الإسلامية بنى النبي ﷺ مجتمعًا أخويًّا، على الرغم مما فيه من عوامل مفرقة بين أهله بعضهم وبعض، عوامل نسبية عنصرية، فهؤلاء من الشمال وهؤلاء من الجنوب، وهناك بلال الحبشي، وصهيب الرومي، وسلمان الفارسي، وعوامل طبقية؛ لأنَّ هناك الغني والفقير، وهناك إنسان من أعرق الأُسر، والإنسان الذي لا يُعرف له أسرة ينتسب إليها، هناك البدوي وهناك الحضري، عوامل مفرقة عديدة، ولكن هذه لم تؤثر إطلاقًا.

كان المسجد النبوي يضم الحضري والبدوي، والفقير والغني، والمتعلم والأمي، والعربي والعجمي، والكبير والصغير، والرجل

QaradawiBooks.com

والمرأة، الكل ضمهم المسجد في صدره الحنون، وصلوا خلف رسول الله ﷺ، يتلون كتابًا واحدًا، ويتجهون إلى قبلة واحدة، ويؤمنون برب واحد، ومصير واحد، ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨]، فكانت الأخوة الإسلامية التي بلغت بهم حد الإيثار.

من مراتب الأخوة سلامة الصدر:

تعرفون للأخوة مراتب، أدنى مراتب الأخوة: سلامة الصدر، أن يسلم صدرك من الحقد والغل والحسد والبغضاء للناس، هذا أول ما يُطلب من الإنسان، أن يصفي قلبه من هذه الأمراض، التي سمَّاها النبي ﷺ «داء الأمم»، فقال: «**دبَّ إليكم داء الأمم من قبلكم: الحسد والبغضاء. والبغضاء هي الحالقة، لا أقول: تحلق الشَّعر، ولكن تحلق الدين**»[(١)]. علام يبغض الناس بعضهم بعضًا؟ ويعادي بعضهم بعضًا؟ أعَلى الدنيا وهي لا تزن عند الله جناح بعوضة؟! على أي شيء؟ على الحياة وليس بين الحياة والموت إلا خيط رفيع؟! علام يتعادى الناس؟!

فأدنى مراتب الأخوة: سلامة الصدر من الحقد، من الغل، من الحسد، من البغضاء هذه الحالقة، ليبقى الصدر نقيًّا.. أن يبيت الإنسان وليس في قلبه غل لأحد، كما علمنا الله تعالى أن نقول: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، وهذا الصفاء هو صفاء أهل الجنة، ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧].

الأخوة التي يريدها الإسلام أن يسلم الصدر ويصفو القلب من الحقد والغل والحسد، كما كان بعض السلف يقول: علام أحسد أخي؟ إن كان

(١) سبق تخريجه صـ٢٨٦.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

من أهل النار فكيف أحسد إنسانًا مصيره إلى النار؟ وإن كان من أهل الجنة فكيف أحسده على شيء من الدنيا وهو صائر إلى الجنة؟ يعني لا أحسد أحدًا: لا من أهل الجنة، ولا من أهل النار! فالمؤمن مشغول بنفسه، فلماذا يفكر في بغض غيره؟ أو حسد غيره؟ أو الحقد على غيره؟ لا بدَّ أن تكون صافي النفس، نقي القلب، سليم الصدر، هذه الدرجة أول درجات الأخوة.

المرتبة الثانية أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك:

بعد هذا تأتي درجة أعلى، وهي التي قال فيها النبي ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه**»[1]. يعني لا يكمل إيمانه، ولا يكون مؤمنًا حقًّا حتى يحب لأخيه المؤمن ما يحب لنفسه، المراد بالأخ هنا أخوه في الإيمان، في العقيدة، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، فهي أخوة الإيمان.

وكثيرًا ما تعلو هذه الأخوة على أخوة النسب، فيفضل الإنسان أخاه في الدين على أخيه في النسب، كما رأينا كثيرًا من الصحابة رضوان الله عليهم، مثل مصعب بن عمير وأخيه أبي عزيز بن عمير، مصعب مع رسول الله ﷺ في جيش المؤمنين في بدر، وأبو عزيز في جيش أبي جهل مع المشركين، والتقى الجيشان في بدر، جند الله وجند الطاغوت، معسكر محمّد ﷺ، ومعسكر أبي جهل. وكانت النتيجة أن أعزَّ الله جنده، ونصر عبده، وهزم المشركين وحده، وقُتل منهم سبعون وأُسر منهم سبعون، وكان من الأسرى أبو عزيز بن عمير، شقيق مصعب بن عمير. ومصعب بن عمير هو مبعوث النبي ﷺ إلى المدينة، ذلك الشاب المدلل

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥)، كلاهما في الإيمان، عن أنس.

QaradawiBooks.com

الذي تــرك النعمة والرفاهية، وترك كل شــيء في ســبيل الله، ولم يبالِ بتهديد أمه، ولا بحرمانه من المال، ولا من الغنى ولا من النعمة، وعاش لله ومات لله.

موقف مصعب بن عمير الخالد:

المهم أن مصعب بن عمير مرَّ على الأسرى؛ فوجد فيهم أخاه وشقيقه أبا عزيز بن عمير، وكان الذي أســره أحد الأنصار اسمه أبو اليسر، فقال مصعب للأنصاري أبي اليسر: اشــدد يدك عليه، فإنَّ أُمّه ذات مال وفير. يعني مهما طلبت من فدية ســتدفع أمه؛ فهي غنية، فبدل ما تطلب ألفًا اطلب ألفين، وبدل ما تقول ألفين قل ثلاثة!

فقال أبو عزيز: أهذه وصاتــك بأخيك يا مصعب؟ فقال: يا أبا عزيز، إنَّه اليوم أخي دونك[1]. هذا الأنصاريّ هو أخي اليوم، ولست أنتَ أخي، لم تعد أخي؛ فقد فــرّق بيني وبينك إصرارك علــى الكفر، فاقت أخوةُ الدين أخوةَ النسب.

لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه أي فــي الدين والعقيدة ما يحب لنفســه، ويكره له ـ طبعًا ـ ما يكره لنفســه، إذا كان يحب لنفسه الغنى يحب له الغنى، إذا كان يحب لنفســه الستر يحب أيضًا لأخيه الستر، إذا كان يحب لنفسه التعلم يحب لأخيه التعلم، فكل خير يحبه لنفسه يجب أن يحبه لأخيه المؤمن، هذا هو الميزان فــي المعاملة بينه وبين إخوانه المؤمنين، أن يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه.

(١) انظر: سيرة ابن هشــام (١ ٦٤٦)، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، نشر مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م.

QaradawiBooks.com

ولما جاء شاب إلى النبي ﷺ، فتى من قريش يستأذن النبيَّ ﷺ في أمر غريب جدًّا هو الزنى، يريد أن يأخذ منه رخصة بالزنى، فهاج عليه الصحابة، كيف يستأذن النبيَّ ﷺ في الزنى، والزنى كبيرة؟! ولكن النبي ﷺ كان نعم المعلم، كان معلمًا ومربيًّا حقًّا، والتربية ليست بالصوت العالي، ولا بالأمر والنهي فحسب، لا، التربية أُبوّة ورحمة، وهداية ومعرفة بدخائل النفوس.

ولذلك النبيُّ ﷺ ضمَّ هذا الشاب إليه، وقرَّبه منه، وقال له: تستأذنني في الزنى؟! «**أتحبه لأمك؟**» قال: لا يا رسول الله. قال: «**كذلك الناس لا يحبونه لأُمهاتهم**». قال: «**أتحبه لأختك؟**» قال: لا. قال: «**كذلك الناس لا يحبونه لأخواتهم**». قال: أتحبه لعمتك؟ قال: لا. قال: «**كذلك الناس لا يحبونه لعماتهم**». أتحبه لخالتك؟ أتحبه لابنتك؟ لزوجتك، وظل النبيُّ ﷺ يُعدِّد عليه كل من يغار عليه ويحرص على سمعته، والشاب يقول: لا. والنبي ﷺ يقول له: «**كذلك الناس لا يحبونه**». ثم بعد ذلك مسح النبي ﷺ على صدره، ودعا له أن يطهر الله قلبه، ويحصن فرجه، فخرج من عند رسول الله ﷺ؛ ولا شيء أبغض إليه من الزنى[1].

هذه طبعًا هي بركة النبي ﷺ، ولكنَّه أثر الطريقة أيضًا. وأي معلم نبوي، محمدي الروح يمكن أن يكون له مثل هذا الأثر، إذا استخدم هذه الطريقة النبويَّة في الرفق والتقريب، والمناقشة الهادئة، والمنطق الرصين، والدعاء في النهاية، وهذه المسحة واللمسة الحانية تكون له هذه النتيجة

(١) رواه أحمد (٢٢٢١١)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. والطبراني (١٦٢/٨)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٤٣): رجاله رجال الصحيح. عن أبي أمامة الباهلي.

QaradawiBooks.com

حسب سنن الله ﷻ، خرج الشاب ولا شيء أبدًا أبغض إليه من الزنى، إذا كنت لا تحب هذا الزنى لأمك ولا لأختك، ولا لعمتك ولا لخالتك، ولا أحد من محارمك وأقاربك كذلك الناس لا يحبونه لهؤلاء.

المرتبة الثالثة الإيثار:

فالمرتبة الثانية في الأخوة أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك، والمرتبة الثالثة والأعلى: هي أن تؤثر أخاك على نفسك، أن تقدمه على نفسك، أن تجود بالشيء وأنت محتاج إليه، أن تسهر لينام، أن تتعب ليرتاح، أن تقدم صدرك في الحرب لتتلقى السهام لتحمي أخاك من ورائك، وهذا هو الإيثار الذي مدح الله تعالى به الأنصار حينما قال الله تعالى في شأنهم: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

وقد مدح الله قبلهم المهاجرين الذين بذلوا وضحوا، وأخرجوا من ديارهم وأموالهم لا لشيء إلا لله فقال تعالى: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحشر: ٨]. هؤلاء هم المهاجرون، ثم ذكر الله الأنصار وفضل الأنصار قال: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾، والمراد بالدار دار المدينة: دار الهجرة، ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ﴾. الناس عادة يضيقون بالمهاجرين، يسمونهم الخارجية، أو الجماعة الأجانب، لكن هؤلاء ﴿يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ﴾، لا يحسدونهم على نعمة أقبلت عليهم، ولا يغارون منهم أو يحقدون عليهم، ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةً مِّمَّآ

QaradawiBooks.com

أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ أي: مجاعة وشدة حاجة. يقدمون إخوانهم على أنفسهم، ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾. هذا هو الإيثار.

كما وصف الله الأبرار بقوله: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨]. يقدمون الطعام لغيرهم مع حبهم لهذا الطعام، وشوقهم إليه، وحاجتهم له، ولكن قدموه لغيرهم، ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۞ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۞ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۞ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۞ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: ٩ ـ ١٢]. هذه هي الأخوة، وهذه بعض ملامحها، مراتب ودرجات الأخوة، أمَّا حقوق الأخوة وآداب الأخوة فهي كثيرة، لعلَّنا نعود إليها فيما بعد إن شاء الله.

الأخوة التي تبقى:

كان هذا بعض ما فتح الله عن مراتب الأخوة؛ فأرجو أن ينفع الله به، وأن يجعلنا من أهل الأخوة في الله، يحاول كل منا أن يجعل معرفته لإخوانه هؤلاء معرفة لله، تعرف عليهم لله، كان سيدنا علي يقول: استكثروا من الإخوان في الله؛ فإنهم ينفعون في الدنيا وفي الآخرة، ألا ترون قول أهل النار: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۞ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٠٠، ١٠١]! مع أنَّهم كان لهم أصدقاء كثيرون في الدنيا، ولكن ذهبوا، ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٥].

الأخوة التي تبقى هي أخوة الإيمان، كما قال الله تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧]. وما عدا ذلك فكل

QaradawiBooks.com

الأصحاب والأصدقاء يوم القيامة أعـداء، كلهم أعداء؛ لأنَّ كل واحد منهم يحاول أن يُحمّل التبعة للآخر، ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ۞ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۞ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾ [الفرقان: ٢٧ ـ ٢٩]، فلان هذا هو السـبب، هو الـذي أضلني وأرداني في مهالك الردَى، ﴿ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ﴾. يقول متحسـرًا: ﴿ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۞ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾.

هناك صديق يأخذ بصاحبه إلى الجنة، وآخر يقوده إلى النار والعياذ بالله، فليتخير الإنسـان من الناس من يدلُّه علـى الله مقاله، ومن يذكره بالآخرة عمله، ومن إذا رآه ذكر الله ﷻ.

نسـأل الله تعالى أن يجعل اجتماعنا هذا خالصًا لوجهه، وأن يجعل لقاءنا على محبته، وأن يجعلنا مـن الذين يظلهم في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وأن يجعل يومنا خيرًا من أمسـنا، وأن يجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأن يغفر لنا ما مضى، وأن يصلح لنا ما بقـي، وأن يجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم نلقاه.

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠]، اللهم آمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الإجابة عن أسئلة المحاضرة

سؤال عن عدد ركعات الوتر:

الجواب: الوتر يكون ركعة واحدة، ويكون ثلاث ركعات، وممكن يكون خمسة، وممكن يكون سبعة، وبعض المذاهب يقول: يصلى الوتر ثلاث ركعات متصلة بسلام واحد، كما هو مذهب أبي حنيفة، والبعض يقول ركعتين منفصلتين بسلام، ثم ركعة مستقلة بسلام، وهذا لعله أرجح. ولو فعل المسلم أي الأمرين فهو جائز، وهذه الأشياء التي اختلف فيها تدلُّ على أن هذا ورد وهذا ورد، فإذا صلى المسلم الشفع والوتر، ومعنى كلمة شفع يعني زوج (اثنان)، ووتر يعني فرد، فإذا صلى ركعتين منفصلتين ثم صلى ركعة فقد أحسن. وهذا يبدأ من بعد صلاة العشاء إلى الفجر، يصح أن يصلى هذا بعد صلاة العشاء مباشرة، ويصح أن يؤخر هذا إلى ما قبل الفجر إذا كان ممن يقومون قبل الفجر ليصليها قبل الفجر، وإذا كان لا يستوثق من نفسه فالأحوط أن يصلي هذا قبل أن ينام.

سؤال عن قضاء الفوائت:

تسأل الأخت مريم: فاتني الكثير من الصلاة، فهل أستطيع أن أعوض ذلك بأن أصلي مع الظهر ظهرًا آخر، ومع العصر عصرًا آخر، وهكذا؟

الجواب: هذا الكلام عرضنا له من قبل، وهو: من فاتته صلاة هل عليه قضاؤها؟ خاصة إذا فاتته سنين طويلة؟ المذهب المعروف وهو رأي المذاهب الأربعة: أن عليه أن يقضي ما فاته وهو دين في عنقه. وهناك مذهب آخر يقول إنَّه بتوبته ورجوعه إلى الله كأنه يبدأ صفحة جديدة،

QaradawiBooks.com

وعليه أن يكثر من صلاة النوافل والتطوع، وليس عليه أن يقضي ما فات؛ لأنَّ الصلاة لها وقتها وقد انتهى الوقت وفات، فلم تعد صالحة لقضائها، وإنَّما عليه أن يكثر من صلاة النوافل.

وصلاة النوافل هي صلاة السنن الرواتب: ركعتين قبل الصبح، وركعتين قبل الظهر، وركعتين بعد الظهر، وركعتين بعد المغرب، وركعتين بعد العشاء. وكذلك من النوافل صلاة الوتر، وصلاة الضُّحى، وصلاة الليل، وصلاة النافلة في غير الأوقات المكروهة.

والأوقات المكروهة يعني بعد صلاة الصبح إلى أن تطلع الشمس، وبعد صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس، وعند الزوال عند الظهيرة، هذه هي الأوقات المكروهة، وما عدا ذلك له أن يصلي ما شاء، فيكثر من الصلاة.

وهذا مذهب ابن حزم والذي اختاره ابن تيمية وابن القيم، ولعلَّ هذا هو المقبول، خاصة لمن فاتته سنوات طويلة من عمره؛ لأنَّه في هذه الحالة كأنه يجدد إسلامه من جديد، ويبدأ من جديد، بأي الأمرين أخذ المسلم فلا حرج عليه، المهم أن يصدق التوبة مع الله، وأن يحسن الصلاة، بأن تكون صلاته صلاة الخاشعين، وأن يحافظ على صلاته فلا يضيعها، ولا يسهو عنها ويتشاغل عنها حتى يفوت وقتها، فيكون له الويل كالذين قال الله فيهم: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤، ٥]، أي يسهون ويتشاغلون بأمور الدنيا حتى يفوت الوقت، فويل لهم، ثم ويل لهم.

بل عليه أن يكون من المحافظين، ومن الخاشعين الذين كتب الله لهم الفلاح: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١، ٢].

QaradawiBooks.com

وختم أوصافهم بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ۞ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ۞ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ٩ ـ ١١].

نسأل الله أن يجعلنا منهم، وأن يكتب لنا الفردوس الأعلى إنَّه سميع قريب، أقول قولي هذا أيها الإخوة، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

١٦

صلة الرَّحم[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

أرسل إليَّ أحد الإخوة يطلب إليَّ أنْ أتحدَّث عن صلة الأرحام، يقول الأخ: إنَّ الكلام في هذا الموضوع ضروري، لتفشي القطيعة بين ذوي الأرحام، والجفوة بين الأقارب، وسوء العلاقات بين بعضهم وبعض، حتى في هذه الأيام المباركة، والمواسم الطيبة التي ينبغي أنْ يتواصل فيها الناس بعد قطيعة، وأنْ يتعارفوا بعد نكران.

ومن المؤسف حقًّا أنْ تكون العلاقة بين المسلمين على هذه الصورة، وخصوصًا بين الأقارب بعضهم وبعض.

الترغيب في صلة الأرحام:

وقد أكَّد الله تعالى، وأكَّد رسوله ﷺ حقوق ذوي القربى، أحيانًا تأتي هذه التأكيدات باسم صلة الأرحام، كما قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]. وكما جاء في هاتين الآيتين: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣].

---

(١) من دروس رمضان.

QaradawiBooks.com

وفي الحديث: «**مَنْ سرَّه أنْ يُبسط له في رزقه، وأنْ يُنسأ له في أثره ـ يُطال في عمره ـ فليصلْ رَحِمَه**»[١]. أي إنَّ صلة الرحم، يبارك الله بسببها، في الأرزاق والأعمار، وبعض الناس عملوا إشكالًا حول هذا الأمر، «**يُنسأ له في أَثَرِه**»، وقالوا: هل القَدَر يتخلَّف أو يتغيَّر؟

والمهمُّ في الحقيقة هو البركة؛ فإنّك قد تعيش مائة عام، ولكن لا بركة فيها، وقد تعيش عمرًا ليس طويلًا، ولكنَّه عمر عريض مبارك، يبارك الله تعالى فيه، تكون السَّنَة فيه خيرًا من عشرة، بل خيرًا من خمسين عند غيرك، هذا معنى: «**يُنسأ له في أثره**». فمن أراد أنْ يُبسطَ له في رزقه فليَصِلْ رَحِمَه، قد يكون رزقه ليس واسعًا بالملايين، ولكن فيه البركة بسبب صلة الأرحام.

ويقول النبيُّ ﷺ: «**إنَّ الرحم معلَّقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله**»[٢]. وجاء في الأحاديث القدسية الصحيحة: أنَّ الله تعالى يقول: «**أنا الرحمن، خلقتُ الرَّحِم، وشققت لها اسمًا من اسمي، فمَنْ وصلها وصلتُه، ومَنْ قطعها قطعتُه**»[٣]. أي: مَنْ وصل الرَّحم وصَلَه الله بالخير والبركة، ومن قطع الرحم قطع الله عنه كلَّ خير وبركة وفضل.

وكثيرًا ما يتكلَّم القرآن عن الرَّحم باسم القربى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٦]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النحل: ٩٠]، ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النساء: ٣٦]. الكلام

---

(١) رواه البخاري في الأدب (٥٩٨٥)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٥٥)، عن عائشة.

(٣) رواه النسائي في الصدقات (١٣٥٩٥)، وابن حبان في صلة الرحم (٤٤٣)، وصحَّحه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب (٢٥٢٨)، عن عبد الرحمن بن عوف

QaradawiBooks.com

عن ذي القربى وذوي القربى، وأولي القربى، أو الأقربين، ﴿قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٥].

غير مرخصة للطباعة

الأقربون أولى بالمعروف:

فيجعل الأقربين أولى بالمعروف، كما هو شائع ومقرَّر ومتوارث عند المسلمين، الأقربون أولى بالمعروف، والنبيُّ ﷺ يقول: «**الصَّدقةُ على المسكينِ صدقةٌ، والصدقةُ على ذي الرَّحم اثنتانِ: صَدَقَةٌ، وَصِلَةٌ**»[(١)]. الصدقة على المسكين الغريب صدقة، أمَّا على ذي الرَّحم ـ إذا كان فقيرًا ومحتاجًا ـ تكون صدقتين، أو يكون فيها أجران: أجر الصدقة، وأجر صلة الرحم، وخصوصًا ذي الرحم الكاشح، بل «**أفضل الصدقةِ على ذي الرَّحِم الكاشح**»[(٢)]، الكاشح: الَّذي يُضمر لك عداوة، لأنَّ القريب الَّذي بينك وبينه مودة، أو الَّذي تكون العلاقة بينكما سمنًا على عسل أنت تبادله بطبيعة الحال الإحسان بالإحسان، والمودة بالمودة، لكن الفضل يتحقق حينما تكون الحبال مقطَّعة بينكما، فحينما تجود عليه حينذاك بصدقة أو هبة أو تبرع يكون الأجر مضاعفًا، لأنك في هذه الحالة تتغلب على نفسك الأمَّارة بالسوء، وتعطي هذا القريب الكاشح، ذي الرحم الكاشح لوجه الله تبارك وتعالى.

---

(١) رواه أحمد (١٦٢٣٣)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. والترمذي (٦٥٨)، والنسائي (٢٥٨٢)، وابن ماجه (١٨٤٤)، ثلاثتهم في الزكاة، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٣٨٥٨)، عن سلمان بن عامر الضَّبي.

(٢) رواه أحمد (٢٣٥٣٠)، وقال مخرِّجوه: صحيح. والطبراني في الكبير (١٣٨/٤)، والأوسط (٣٢٧٩)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (١١١٠)، عن أبي أيوب الأنصاري.

QaradawiBooks.com

من الواصل الحقيقي لرحمه؟

جاء في صحيح البخاريِّ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**ليس الواصلُ بالمكافئ، ولكنَّ الواصلَ الَّذي إذا قُطعت رَحِمُه وصلها**»[1]. الواصل الحقيقي هو الَّذي ذكره الله في القرآن، ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ﴾ [الرعد: ٢١]. والذي ذكره النبي ﷺ في الحديث، هذا الواصل لرحمه ليس هو المكافئ، أي: الَّذي يكافئ زيارة بزيارة، وهديَّة بهديَّة، ومودَّة بمودَّة، وإحسانًا بإحسان، ليس هذا هو الواصل الحقيقي.

وإنَّما الواصل الحقيقي هو الَّذي إذا قُطعت رحمه وصلها؛ لأنَّ الوصل في اللغة لا يكون إلَّا مع القطع، فلا يكون الإنسان واصلًا إلَّا إذا كان هناك شيء مقطوع وتصله ببعضه، فمعنى واصل الرحم، كأنَّ هناك قطيعة أو جفوة وهو يصلها، هذا هو الواصل الحقيقي، هذا هو الَّذي يستحق أنْ يسمَّى واصلًا لرحمه، هكذا أكَّد الإسلام على صلة الأرحام تأكيدًا بليغًا.

الأسرة في نظر الإسلام:

إنَّ الأسرة في نظر الإسلام ليست هي الأسرة المعروفة عند الغربيِّين، فالأسرة عند الغربيِّين تتمثَّل في الرجل وزوجته وأولاده، أمَّا الأسرة عندنا نحن المسلمين فتشمل مع ذلك الأقارب، كلُّهم يدخلون في الأسرة.

ولذلك أدخلت الشريعة الإسلاميَّة الأقارب في الميراث، فهناك نظام التوارث بين الأقارب بعضهم وبعض، وأدخلت نظام العاقلة في الدِّيَات،

(١) رواه البخاري في الأدب (٥٩٩١)، عن عبد الله بن عمرو.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

إذا قتل أحدهم شخصًا قتلًا خطأ تتولى عاقلته عنه الدية، تدفعها عنه؛ لأنَّه لا يستطيع، تدفع عنه الدية على ثلاث سنوات.

وهناك نظام النفقات، إذا كان هناك قريب موسر وله قريب معسر، فمن حق القريب المعسر أن يأخذ النفقة من قريبه الموسر، ومن الممكن أنْ يرفع عليه دعوى في المحاكم، هذا نظام إسلامي، أنَّ التكافل يبدأ بالأسرة، ثم بأهل الحيِّ أو القرية، كما ورد في الحديث: «**ليس بمؤمنٍ من بات شَبْعَانَ وجارُه إلى جنبه جائعٌ وهو يعلم**»[(١)]. ثمَّ بالإقليم، ثمَّ بالأُمَّة كلها، لأنَّ الأُمَّة الإسلاميَّة متكافلة، «**يسعى بذمَّتهم أدناهم وهم يدٌ على من سواهم**»[(٢)]. والله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]. لكن البداية تكون من الأسرة الضيقة التي تشمل الأقارب والأرحام، ثم تمتد إلى الأسرة الواسعة الممتدة.

التحذير من قطع الأرحام:

المسلم مطالب أن يكون وَصُولا لرحمه، وإلا حقَّت عليه اللعنة، كما قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣]. يستحقُّون أنْ يلعنهم الله، ويرميهم بالصمم والعمى، صمم العقول، وعمى القلوب والعياذ بالله، ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]. صلة الأرحام، وخصوصًا في هذه الأيام الطيبة، أيام رمضان التي تليها أيام العيد.

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (١١٢)، وأبو يعلى (٢٦٩٩)، والطبراني (١٥٤/١٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٥٥٥): رجاله ثقات. وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١٤٩)، عن ابن عباس.

(٢) رواه أحمد (٦٩٧٠)، وقال مخرّجوه: حديث صحيح. وأبو داود في الجهاد (٢٧٥١)، وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود (٢٣٩٠)، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

علامَ يتقاطع الأقارب؟

يجب أن يتصافى الناس، عَلَام يتقاتل الناس: على الدنيا؟! والله للدنيا أهون عند الله من جناح بعوضة، على جناح بعوضة يتقاتل الناس، ويجافي الأخ أخاه، وابن العم ابن عمه، والقريب قريبه، كان الشاعر قديمًا يقول:

أَخَاكَ أخاكَ إنَّ من لا أخَا له كساعٍ إلى الهَيْجَا بغير سِلَاحِ
وإنَّ ابنَ عَمِّ المرءِ فاعْلَمْ جَنَاحُهُ وهلْ يَنْهَضُ البَازِي بغَيْرِ جَنَاحِ[1]

هل هناك بازي ـ صقر، نَسْر ـ يطير بغير جناح؟ ابن عمك وقريبك هو جناحك، وأخوك هو سلاحك، هكذا ينبغي، لكن الناس أصبحوا يقولون: الأخ فخ، والعم غم، والخال وبال، والأقارب عقارب! وأصبحت هذه الكلمات هي التي تُتَدَاول، أنَّ الأقارب هؤلاء هم العقارب، فاحذر منهم، لا. ليس هذا هو الإسلام، الأقارب يجب أنْ يتواصلوا فيما بينهم، هذا هو الدين الَّذي جاء الله به.

مقابلة الإساءة بالإحسان:

بل إذا قابلك أقاربك بالإساءة، قابلهم أنت بالإحسان، وستكون أنت المنتصر، كما فعل سيدنا يوسف عليه السلام، أساء إخوته إليه فكانت النتيجة أنَّهم هم الذين احتاجوا إليه، وهو الَّذي أصبح ممكَّنًا في الأرض، وهم الذين جاؤوا يطلبون المؤونة من عنده، ثم بعد ذلك كشف لهم عن نفسه، ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ۞ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۞ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا

(١) القائل: مسكين الدارمي، كما في الاقتضاب في شرح أدب الكتاب (١٣٤/١)، نشر دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٦م.

QaradawiBooks.com

﴿وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ۝ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝﴾ [يوسف: ٨٩ ـ ٩٢]. لا لوم، ولا تعنيف، يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين، هذا شأن الناس الكبار، فالكبير لا يحمل الحقد، كما قال ذلك الشاعر العربي المسلم:

وإنَّ الَّذي بَيْنِي وبَيْنَ بَنِي أَبِي ... وبني عَمِّي لَمُخْتَلِفٌ جِدًّا
إِذَا أَكَلُوا لَحْمِي وَفَرْتُ لُحُومَهُمْ ... وإنْ هَدَمُوا مَجْدِي بَنَيْتُ لَهُمْ مَجْدَا
وإنْ زَجَرُوا طَيْرًا بنَحْسٍ تمُرُّ بِي ... زَجَرْتُ لَهُمْ طَيْرًا تمُرُّ بِهِمْ سَعْدَا
وَلَا أَحْمِلُ الْحِقْدَ الْقَدِيمَ عَلَيْهِمُو ... ولَيْسَ كَبِيرُ الْقَوْمِ مَنْ يَحْمِلُ الحِقْدَا[1]

الَّذي يحمل الحقد هو الإنسان الصغير، الإنسان التافه، تحاول أنْ تعتذر له فلا يقبل العذر، تحاول أنْ تصفِّي قلبه فيظل قلبه أسودًا والعياذ بالله، لا ينسى الإساءة أبدًا، أمَّا الإنسان الكبير فسرعان ما ينسى الإساءة، ويُصفِّي ما بينه وبين أقاربه أو إخوانه أو أصدقائه أو جيرانه، وعفا الله عمَّا سلف، هكذا ينبغي أنْ يكون الإنسان الكبير، فليس كبير القوم من يحمل الحقد.

وكما قال عَنْتَرة قديمًا وهو في الجاهليَّة:

لَا يَحْمِلُ الحِقْدَ مَنْ تَعْلُو بِهِ الرُّتَبُ ... ولَا يَنَالُ العُلَا مَنْ طَبْعُهُ الغَضَبُ[2]

لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب، من علت منزلته وسما مقامه لا يحمل حقدًا في قلبه، إنَّما يستعلي على الأحقاد الصغيرة ذوو النفوس الكبيرة من الناس.

---

(١) من شعر المقنَّع الكندي، انظر: الحماسة لأبي تمام (٦٠٣/١، ٦٠٤)، تحقيق د. عبد الله بن عبد الرحيم العسيلان، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٩٨١م.

(٢) ديوان عنترة بشرح الخطيب التبريزي صـ٢٥، تقديم وفهرسة مجيد طراد، نشر دار الكتاب العربي، ط١، ١٩٩٢م.

QaradawiBooks.com

خيركما الَّذي يبدأ بالسلام:

أمَّا هذا الحقد والعياذ بالله، فالله ﷻ ينزل المغفرة في مناسبات مختلفة، ويغفر لكلِّ مَنْ لا يشرك بالله شيئًا، إلا أهل الأحقاد والضغائن، أهل الأحقاد والضغائن، جاء في الحديث: «**تُفتح أبوابُ الجنَّة يوم الاثنين ويومَ الخميس، فيُغْفَرُ لكلِّ عبدٍ لا يشرك بالله شيئًا، إلَّا رجلًا كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أنظروا هذين حتَّى يصطلحا، أنظروا هذين حتَّى يصطلحا، أنظروا هذين حتَّى يصطلحا**»[(١)].

يوزع الله المغفرة كلَّ يوم اثنين وكلَّ يوم خميس، حين تُعرض عليه الأعمال، وتُفتح أبواب الجنة، يغفر لكلِّ من لا يشرك بالله شيئًا، إلَّا امرأ كانت بينه وبين أخيه شحناء خصومة قطيعة، فيقول: إلَّا هذين الاثنين، إلى أن نرى لهما مخرجًا ويصطلح كلاهما على الآخر. فلا يُضيِّع هذه المغفرة إلا خاسر، فحاول أنْ تكسب مغفرة الله، وخصوصًا في رمضان، وخصوصًا في العيد، ولا تكن حقودًا، صفِّ قلبك من الحقد، وحاول أنْ تكون خير الاثنين.

جاء عن النبيِّ ﷺ قوله: «**لا يحلُّ لمسلمٍ أنْ يهجر أخاه فوق ثلاث، فيُعْرِضُ هذا ويُعْرِضُ هذا، وخيرُهما الَّذي يبدأ بالسلام**»[(٢)]. سمح الشرع بثلاثة أيام للهجر حتى تهدأ الثائرة، وتسكن نار الغضب وتنطفئ، ثلاثة أيام فقط، فيُعرض هذا ويُعرض هذا، وخيرهما الَّذي يبدأ بالسلام، يقابل أحدهما الآخر فيعرضان، فأفضلُ الاثنين قويُّ النفس الَّذي ينتصر على نفسه، ويقول لأخيه: السلام عليكم. هذا الَّذي ينبغي.

---

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٦٥)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٦٠)، وأبو داود في الأدب (٤٩١١)، عن أبي أيوب الأنصاري.

QaradawiBooks.com

الحد الأدنى في العلاقة بين الأقارب:

بعض الناس يقولون: يا أخي، يوجد ناس عندما نقترب من بعض تقع المشكلات. والجواب: يا أخي لا داعي أنْ توسِّعوا في الصلة، وفي نفس الوقت لا تكون بينكما عداوة، ألق السلام ويرد أخوك عليك، وكذلك التهنئة في المناسبات، والتعزية في المصائب، وفي الأمور المعتادة، هذا الحدّ هو الأدنى.

ولكن أنْ تأتي المناسبات، وتأتي الأعياد، وتأتي الأفراح، والقلوب مُكدَّرة، والأواصر مُمزَّقة، والروابط مُقطَّعة، فما ينبغي هذا للمسلم، وإذا جاز في أيّ وقت فلا يجوز في مثل هذه الأوقات، فاللهَ اللهَ ـ أيها الإخوة المسلمون ـ في أرحامكم، وفي ذوي قرباكم، لا ينبغي للإنسان أن تأتي عليه هذه الأيام وهو مجاف لأخيه، أو ابن عمه، أو ابن عمته، أو ابن خاله، أو ابن خالته، أو عمه أو خاله، فضلًا عن أبيه أو أُمِّه أو ابنه أو ابنته، فهؤلاء أحق من الأقارب الآخرين.

نسأل الله تعالى أنْ يُصفِّي قلوبنا، وأنْ يجعلنا من الواصلين لأرحامنا، آمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

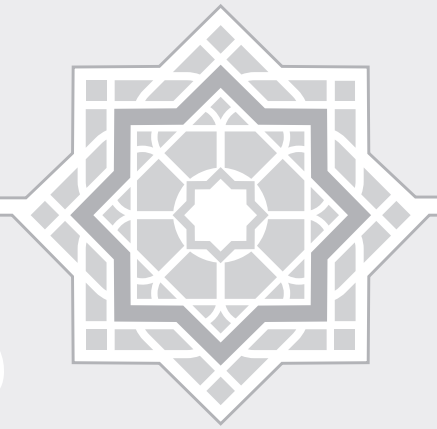
* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي



التربية الإسلامية والتعليم



غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

من الدستور الإلٰهي للبشريَّة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٩].

﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۞ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ۞ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ۞ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ۞ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۞ [لقمان: ١٣ ـ ١٩].

﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [المجادلة: ١١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦].

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

من مشكاة النبوة الخاتمة

عن أبي هُرَيْرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ الله قال: من عادى لي وليًّا فقد آذَنْتُــه بالحرب، وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ ممَّا افترضْتُ عليه، وما يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أُحِبَّه، فإذا أحبَبْتُه: كنتُ سَمْعه الَّذي يسمع به، وبصره الَّذي يبصر به، ويده الَّتي يبطش بها، ورجله الَّتي يمشي بها، وإنْ سألني لَأُعْطِيَنَّه، ولئن اســتعاذني لَأُعِيذَنَّه**». رواه البخاري.

عن عبد الله بن مسعود: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**كلكم راع فمســؤول عن رعيته، فالأمير الــذي على النــاس راع وهو مسؤول عنهم، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعيــة على بيت بعلها وولده وهي مســؤولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**» متَّفق عليه.

عن أبي أُمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رســولُ الله ﷺ: «**إنَّ الله وملائكتَــه وأهل السَّــماوات والأرض، حتَّــى النَّملة في جُحرها، وحتَّى الحوت ليُصَلُّون على معلِّــم النَّاس الخير**». رواه الترمذي.

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

١٧

الربَّانيَّة أبرز خصائص التربية الإسلاميَّة[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الَّذي بنعمتــه تتمُّ الصالحات، وبرحمتــه تتنزَّل الخيرات والبركات، وبتوفيقه تتحقَّق المقاصد والغايات، الَّذي هدانا لهذا وما كنَّا لنهتدي لولا أنْ هدانا الله.

والصلاة والسلام على البشير النَّذير والسِّراج المُنير، الرحمة المُهْداة، والنعمة المُســداة، مُعَلِّم الناس الخير، وهادي البشريَّة إلى الرشد، وقائد الخلق إلى الحقِّ، ومخرج النَّاس من الظلمات إلى النور بإذن ربِّهم إلى صراط العزيز الحميد، سيِّدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا محمد، وعلى آله وصحبه، الَّذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه، واتَّبعوا النور الَّذي أنزل معه، أولئك هم المفلحون، ورضــي الله عمَّن دعا بدعوته، واهتدى بسُــنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدِّين.

خير ما أُحيِّيكم به أيُّها الإخوة والأبناء، بالأصالة عن نفْسِي، وبالنيابة عن إخوانكم بالمشــرق العربي، وخصوصًا في دولة قطر، الَّتي جئتُ مُمَثِّلًا لها ولجامعتها، وزائرًا سعيدًا بالزيارة لهذه الندوة المباركة الطيِّبة، خير ما أُحيِّيكم به، تحية الإسلام، وتحية الإسلام السلام، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(١) ألقيت في جامعة دار العلوم، ندوة العلماء، الهند، في أكتوبر ١٩٩٦م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

(وبعد)

زياراتي لندوة العلماء بالهند:

سماحة شيخنا العلَّامة مولانا أبي الحسن الندوي، حفظه الله ورعاه، ونفع الأُمَّة بعلمه وعمله، أيُّها الإخوة الأحبة، والأبناء الأعزة، يطيب لي أنْ ألتقي بأبناء هذه الندوة، ودار العلوم بهـا، للمرة الثالثة أو الرابعة، فقد أكرمني الله بزيارة هذه الندوة أول مرة فـي مهرجانها، الَّذي أقامه الشيخ أبو الحسـن حفظه الله، وجمع فيه علماء المسـلمين والعرب، وبعدها زُرْتُ هذه الندوة وهذه الدار، ومعهدها الفكري والعلمي لمدة عشرة أيام، وذلك في سنة ألف وأربعمائة للهجرة تقريبًا، ثم زرتها زيارة ثالثة، وهذه هي المرة الرابعة الَّتي أزور فيها دار العلوم وندوة العلماء، وشـيوخها وتلاميذها وأبناءها، بحضور شـيخنا وحبيبنا العلَّامة أبي الحسن، حفظه الله[1].

وما أَحَبَّ إلـيَّ أن أزور هذه الدار! وشـيوخها وتلاميذها، فهي دار عزيزة عليَّ، وحبيبة إليَّ، وأتفيأ ظلال الخير والبركة كلَّما زرتها، فأسأل الله ﷻ، الَّذي جعل يومها خيرًا من أمسـها، أنْ يجعـل غدها خيرًا من يومها، وأنْ يحسن عاقبتنا في الأمور كلِّها، وأنْ يجيرَنا جميعًا من خزي الدُّنْيا وعذاب الآخرة.

الفرق بين التربية والتعليم:

اليوم أُحدِّثكم عن التربية الإسـلاميَّة، وخصائص هذه التربية، ذلك لأننا أحوج ما نكون إلى التربية، لا يكفينا مجرَّد التعليم، فالتعليم يتعلق

(١) في الفترة من ١٧ ـ ٢١ أكتوبر ١٩٩٦م.

QaradawiBooks.com

أكثر ما يتعلق بالرؤوس، والتربية تتعلق أكثر ما تتعلق بالنفوس، ولا يكفي أنْ تحشو رأسك بالمعارف والمعلومات، إذا لم يكن وراء هذه الرأس نفس زكيَّة.

صلاح الأفراد والمجتمعات بتغيير النفس:

الأمم إنَّما تتغير بتغيُّر أنفُسِها، فصلاح المجتمعات بصلاح أفرادها، وصلاح الأفراد بصلاح أنفُسها. عند الماركسيين ـ أو الشيوعيين ـ قاعدة تقول: «غَيِّر الاقتصاد، أو غَيِّرْ علاقات الإنتاج يَتغيَّر التاريخ»، ونحن المسلمين عندنا قاعدة أخرى تقول: «غَيِّرْ نفسك يَتغيَّر التاريخ»، أو بالتعبير القرآني: غَيِّرْ ما بنفسك يَتغيَّر التاريخ. قرَّر الله تعالى هذه القاعدة النفسية الاجتماعية الأساسية، في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]. لهذا كان تغيير النفس ـ أو ما بالنفس ـ أمرًا أساسيًّا. لا يكفي أنْ تحشو رأسك بالمعلومات إذا لم تُزكِّ نفسك، لأنَّ الفلاح في الدُّنْيا والآخرة مرهون بتزكية النفس، والقرآن الكريم يقول: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٧ ـ ١٠].

التعليم والتزكية من مُهمَّة النبيِّ ﷺ:

كان من مُهمَّة النبيِّ ﷺ: التعليم والتزكية، كما جاء ذلك في أربع آيات من كتاب الله، في سورة البقرة وآل عمران والجمعة. في سورة البقرة يدعو سيدُنا إبراهيم ربه فيقول: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [البقرة: ١٢٩]، وفيها: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١].

QaradawiBooks.com

وفي سورة آل عمران يقول الله تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وفي سورة الجمعة يقول الله تبارك وتعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]، يُزكِّيهم ويُعلِّمهم.

معنى التزكية:

والتزكية أمر أخص من التعليم وأعمق، فالتزكية في اللغة العربية، مأخوذة من «زَكَا»، أي طَهُر ونَمَا. والفقهاء حينما يُعرِّفون الزكاة يقولون: الزكاة في اللغة: الطهارة والنماء. فمعنى ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾: يُطهِّرهم ويُنمِّيهم، يُطهِّرهم من الشرك، ويُنمِّيهم بالتوحيد، يطهرهم من النفاق، وينميهم بخصال الإيمان، فهي تطهير وتنمية، كما قال الصوفية: تخلية وتحلية. تخلية من الرذائل، وتحلية بالفضائل، فهو ﷺ مُزَكٍّ ومُعلّم.

في البلاد العربية كانت الوزارات الَّتي تقوم على التعليم تسمى قديمًا: «وزارات المعارف»، ثم وجدوا أنَّ المعرفة وحدها ليست كافية، وأنَّ مهمتها يجب أنْ تكون أشمل وأعمق من هذا، فغيروها إلى «وزارات التربية والتعليم»، إذ المهم أن تُربِّي الإنسان لا أنْ تملأ رأسه وذهنه بالمعلومات والمعارف فقط. لهذا كنا في حاجة إلى التربية عمومًا، والتربية الإسلاميَّة خصوصًا. نحن لسنا في حاجة إلى أي تربية، بل نحن في حاجة إلى تربية إسلاميَّة، قائمة على أساس الإسلام، تستمد أصولها من مصادره الأساسيّة: القرآن والسُّنَّة، وشروح أئمة الأُمَّة الثقات، وعلمائها الربانيين الراسخين في العلم.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

التربية ضروريَّة لتنهض الأُمَّة:

نحن في حاجة إلى هذه التربية، لا يمكن أنْ تنهض أمتنا، وتقوم بعبء رسالتها الَّتي كلفها الله بالعمل بها والعمل لها، والدعوة إليها، والجهاد في سبيلها، لا يمكن أنْ تقوم بكل ذلك إلا إذا زُكِّيَتْ ورُبِّيَت تربية سليمة قويمة، كما فعل إمام المربين، ورسول رب العالمين محمد ﷺ. وخير التلاميذ الَّذين تربوا في المدرسة المحمديَّة، وتخرجوا في الجامعة النبويَّة، هم أصحاب رسول الله ﷺ، الَّذين ربَّوا الأمم، فالله تعالى هو الَّذي ربَّى رسوله ﷺ، وهو الَّذي أدَّبه فأحسن تأديبه، وعلَّمه فأحسن تعليمه، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل: ٦]، وكما قال: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٥].

تلاميذ المدرسة المحمديَّة:

فربَّاه الله ليربي به الصحابة، ثم ربَّى الصحابةُ الأممَ بعد ذلك، وهذا الجيل النموذجي، الجيل المثالي، هو خير الأجيال، وأفضل التلاميذ، وخير القرون، كما صح في الحديث: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير أُمَّتي القرن الَّذين يلوني، ثم الَّذين يلونهم، ثم الَّذين يلونهم**»[1].

فهم خير الأجيال، يليهم في الخيرية الجيل الَّذي تربى على أيديهم وأخذ منهم، ثم الجيل الَّذي جاء بعده، فالصحابة هم الجيل المثالي الَّذي تربى في المدرسة المحمديَّة، فإذا أردنا تحقيق التربية كما يحبها الله ورسوله، وكما ينشدها الإسلام، فلننظر إلى المربِّي محمد ﷺ، وإلى تلاميذ هذه التربية وخريجيها، وهم أصحاب النبي ﷺ، الَّذي أثنى عليهم

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الشهادات (٢٦٥٢)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٥٣٣).

QaradawiBooks.com

في كتابه، في أواخر سورة الأنفال بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ﴾ [الأنفال: ٧٢]. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ [الأنفال: ٧٤].

وفي سورة التوبة بقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وفي أواخر سورة الفتح بقوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ﴾ [الفتح: ٢٩].

وفي سورة الحشر بقوله ﷻ: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۩ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞ﴾ [الحشر: ٨، ٩].

وأثنى عليهم النبي ﷺ في أحاديثه، فهم الَّذين نقلوا إلينا القرآن، ورووا لنا السنن، وهم الَّذين نشروا الإسلام في العالم، لولاهم ما دخلنا نحن الإسلام، لولا الصحابة الَّذين حملوا المصاحف في أيديهم، وذهبوا بالإسلام إلى آفاق العالم، ما عرفنا نحن الإسلام، لولا همة عمرو بن العاص ومن معه من الصحابة، ما عرفنا نحن المصريين الإسلام، ولولا عقبة بن نافع ومن معه من الصحابة، ما عرفت أفريقيا الإسلام، وهكذا، فهؤلاء هم تلاميذ التربية المحمديَّة.

نحن في حاجة إلى أنْ نعرف التربية الإسلاميَّة المحمديَّة، في حاجة إلى أنْ نتحدَّث عن المربِّي، ونتحدث عن المربَّى، ونتحدَّث عن المربَّى

QaradawiBooks.com

له، أي عن أهداف التربية، ونتحدث عن المربَّى به، أي عن وسائل التربية وأساليبها، وعن أنواعها، وهي بضعة عشر نوعًا[١] أو تزيد، وهذا حديث يطول. وإنَّما أحببت أنْ أحدِّثَكم عن أهم وأبرز خصائص التربية الإسلاميَّة كما ينشدها هذا الدين العظيم.

خصائص التربية الإسلاميَّة:

وأعني بخصائص التربية الإسلاميَّة: الخصائص الَّتي تميزها عن غيرها من الفلسفات التربوية الأخرى، فهي تربية متميزة، ليست كتربية اليهود، ولا كتربية النصارى، ولا كتربية الهندوس، ولا كتربية البوذيين، ولا كتربية الشيوعيين، ولا كتربية الرأسماليين، بل هي تربية نسيجة وحدها، تربية فريدة تخالف كل هذه الألوان والأنواع من التربية.

الربَّانيَّة أبرز خصائص التربية الإسلاميَّة:

أبرز وأول خصائص التربية، ما نسميه: «الربَّانيَّة». وهذه كلمة استخدمها سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي حفظه الله، وجعلها عنوانًا لأحد كتبه «ربَّانيَّة لا رهبانيَّة» لعلَّكم قرأتموه، ولا بدَّ أن تكونوا قرأتموه، فكُتُب الشيخ جديرة أنْ تُقرأ.

كلمة «ربَّانيَّة» مصدر صناعي، منسوب إلى الرب تبارك وتعالى، زيدت فيه الألف والنون، كما يقال «روحانية» نسبة إلى الروح، أو «نورانية» نسبة إلى النور، فالربَّانيَّة نسبة إلى الرب ﷻ، وفي القرآن الكريم: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩].

(١) هناك التربية الدينيَّة، والتربية العقليَّة، والتربية الخُلُقيَّة، والتربية البدنيَّة، والتربية العلميَّة، والتربية المهنيَّة، والتربية السياسيَّة، والتربية الاقتصاديَّة، والتربية العسكريَّة، والتربية الفنيَّة، والتربية الجنسيَّة، وغيرها.

QaradawiBooks.com

ماذا تعني الربَّانيَّة؟

الربَّانيَّة الَّتي جاء بها الإسلام تعني: أنْ تكون موصولًا بالربِّ تبارك وتعالى، أو مع الله تبارك وتعالى. هذه المعية هي أساس ما سمَّاه النبي ﷺ: «الإحسان»، حينما سأله جبريل في الحديث المشهور: «ما الإحسان»؟ قال: «**أنْ تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[1]. لا بدَّ أنْ تشعر برقابته ﷻ عليك، وأنَّه مطلع عليك، يسمع ويرى، ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ [المجادلة: ٧].

استشعار رقابة الله ﷻ:

الشعور بمعية الله تبارك وتعالى، أنْ تستشعر في كل قول تقوله، جهرًا كان أو سرًّا، في كل عمل تعمله، خيرًا كان أو شرًّا، في كل خطوة تخطوها، بحرًا كانت أم برًّا، في كل خطوة من خطواتك، في كل سكنة من سكناتك، في كل حركة من حركاتك، تستشعر أنَّ عين الله تعالى تراك.

لذلك حينما راود أحد الشباب إحدى الفتيات عن نفسها فأبَتْ، قال لها: ويحك ممن تخافين ولا يرانا إلَّا الكواكب؟ قالت: ويحك وأين مُكَوْكِبُها[2]؟! تنظر إلى الكوكب وتنسى مكوكبه، ومدبِّر أمرهِ! لا بدَّ أنْ تشعر أنَّ الله معك، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]. في السفر والحضر، في المشرق والمغرب، في الخلوة والجلوة، وحدك أو مع الناس، ينبغي أنْ تشعر في كل وقت وكل مكان أنَّ الله معك يراك.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٥٠)، ومسلم في الإيمان (٩)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٨٥٣).

QaradawiBooks.com

الشعور بمعيَّة الله يجعل المسلم يقظ الحس:

الشعور بمعية الله يجعل المسلم يقظ الحس، يقظ الضمير. الناس ينظرون إلى الناس، هل يراهم أحد أو لا يراهم، هل يسمعهم أحد أو لا يسمعهم؟ ويقول بعضهم لبعض: إنَّ للحيطان آذانًا، الجدران لها آذان تسمع فاحذر، ولكن المسلم لا يحذر من الحيطان، ولا ممن وراء الحيطان، ولكن يحذر من الواحد الديان، ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الملك: ١٣]. الشعور بمعية الله، هو ما ينبغي أنْ يكون عليه الإنسان المسلم.

مصدر القوة في مواجهة الأعداء:

الشعور بمعية الله يعطي الإنسان قوة في مواجهة الأعداء والطواغيت، ومتاعب الحياة، وكوارث الدنيا، إنَّه معتصم بالحصن الحصين، ولائذ بالركن الركين، نجد هذا في قول الله لسيدنا موسى وهارون عليهما السلام، حينما بعثهما إلى فرعون: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ۝ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ۝ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٣ ـ ٤٦]. هذه المعية أعطتهما طمأنينة بالغة، أعطتهما روح القوة، وقوة الروح، ولذلك حينما أمر الله موسى عليه السلام أنْ يسري بقومه ليلًا، ويترك مصر، وذهب بقومه حتى وصلوا إلى البحر، وجدوا البحر أمامهم، وفرعون وجنوده من خلفهم، أين المفر؟ وأين الوزر؟ هنا قال أصحاب موسى: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشعراء: ٦١]، سيدركنا فرعون بجنوده لا محالة، ويفعل بنا الأفاعيل. حينها قال لهم موسى عليه السلام في ثقة المؤمن، وإيمان الواثق: ﴿كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢].

QaradawiBooks.com

ثقة في وعد الله:

وفعلًا ثقته بالله لم تذهب هباء، فكانت النتيجة أنَّ الله أوحى إليه: ﴿أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَ﴾ [الشعراء: ٦٣]. شيء لم يخطر بباله ولا ببال أحد، اضرب بعصاك البحر. وماذا تفعل العصا بالبحر؟! فضرب بعصاه البحر، ﴿فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣]. وأنجى الله موسى ومن معه من المؤمنين، وأغرق فرعون وجنوده أجمعين. ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾.

وما أشبه هذه الكلمة بكلمة نبينا وإمامنا محمد ﷺ، حينما أوَى إلى الغار في رحلة الهجرة، اختبأ هو وصاحبه أبو بكر فيه، وظلَّ المشركون يبحثون عنه حتى وصلوا إلى الغار، ووقفوا على بابه، وقال أبو بكر مشفقًا وخائفًا على رسول الله ﷺ وعلى الدعوة: يا رسول الله، لو أنَّ أحدهم نظر تحت قدميه لرآنا. فقال: «**يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما**»[1]. لو كلف أحدهم خاطره أنْ يطأطئ رأسه وينظر تحت قدميه لاستطاع أنْ يرى محمدًا وصاحبه داخل الغار، فماذا قال له النبي ﷺ؟ قال: «**يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما، لا تحزن إنَّ الله معنا**». ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [التوبة: ٤٠].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في أصحاب النبي (٣٦٥٣)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٣٨١)، عن أبي بكر الصديق.

QaradawiBooks.com

الصدق مع الحق والخُلُق مع الخَلق:

وهكذا فإنَّ المسلم يستشعر رقابة ربِّه، يعبد الله كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإنه يعلم أنَّ الله يراه. هذه الرقابة الربَّانيَّة هي حقيقة التصوف الإسلامي. التصوف ليس أشكالًا ولا مراسم. لُباب التصوف، كما عبر عنه بعض الصوفية الكبار: الصدق مع الحق تبارك وتعالى، والخُلُق مع الخَلْق[1]. بل هذا هو الدين كله، كما أشارت إليه آخر آية في سورة النحل، هي قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]. فهم مع الله بالتقوى، ومع خلقه بالإحسان.

المؤمن دائم الرقابة على نفسه:

جاء إلى بعض الصالحين أحد تلاميذه، وقال له: أوصني وصية موجزة وجامعة، فقال له: عليك بآخر آية من سورة النحل.

لا بدَّ من استشعار معية الله، وهذا الاستشعار يجعل العبد دائم الرقابة على نفسه، والرقابة على عمله، والرقابة على أهدافه وبواعثه ونيته. لا يكفي أنْ يكون العمل صالحًا، بل لا بدَّ أنْ يكون صالحًا وخالصًا، كما قال سليمان عليه السلام: ﴿رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ﴾ [النمل: ١٩]. صالحًا ترضاه، فلا يرضى الله العمل الصالح إلا إذا كان خالصًا لوجهه، لهذا بدأ الإمام البخاري جامعه الصحيح بهذا الحديث المشهور: «**إنَّما الأعمال بالنيات، وإنَّما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو إلى امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه**»[2].

---

(١) انظر: طبقات الشافعية للسبكي (٢٩٥/١٠)، تحقيق د. محمود محمد الطناحي ود. عبد الفتاح محمد الحلو، نشر دار هجر، ط٢، ١٤١٣هـ.

(٢) سبق تخريجه صـ٢٥٢.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

يهاجر الناس جنبًا إلى جنب، فهذا مهاجر في سبيل الله، وهذا مهاجر في سبيل الدنيا، كالذي سمَّاه الصحابة «مهاجر أم قيس»[١]، الَّتي كان يتوق إلى الزواج بها، هاجرت فهاجر وراءها، لم يهاجر إلى الله ورسوله.

المهم في العمل هو النية، أنْ تصدق النية، أنْ تجرد بواعثك من رغبات الدنيا، وشهوات النفس، وتجعلها لله ﷻ. وهذا ليس بالأمر السهل، هو يحتاج من المسلم أنْ يجاهد نفسه، حتى قال بعض الصالحين: طوبى لمن صحت له خطوة لا يريد بها إلا وجه الله ﷻ[٢].

أنا جئت إلى هنا، إلى «ندوة العلماء»، فهل يا ترى جئت لأجل الله؟ أم جئت لأتفسَّح وأتنزَّه في رحاب الهند، وأستمتع برؤية الشيخ وتلاميذه وأبنائه؟! هل خالطتْ هذه النية نيَّات دنيوية أو لا؟ ما أكثر ما يُدخل الشيطان في عمل الإنسان بواعث دنيوية أو شخصية عاجلة، من حيث لا يشعر. لذا كان من المهم مراقبة الإنسان لبواعثه وإخلاص نيته لله تعالى.

رضا الله غاية الغايات:

لعلَّكم قرأتم أو سمعتم عن الشيخ حسن البنَّا، مؤسِّس جماعة «الإخوان المسلمين» في مصر وفي العالَم كله، وكان رجلًا ربانيًّا، وكان من أول الشعارات الَّتي علَّمها لأتباعه وأصحابه، يرددونها ويهتفون بها، بل أوّلها شعار: «الله غايتنا». ما معنى الله غايتنا؟ يعني نحن نريد وجه الله، رضوان الله تعالى ومثوبته، فهي غاية الغايات. هناك غايات قريبة، وهناك غايات بعيدة، الغاية القصوى، نسميها غاية الغايات.

---

(١) رواه الطبراني (١٠٣/٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٥٨٠): رجاله رجال الصحيح. وقال ابن حجر في فتح الباري (١٠/١): إسناده صحيح على شرط الشيخين. عن ابن مسعود.

(٢) انظر: الإحياء للغزالي (٣٧٨/٤).

QaradawiBooks.com

بعض الناس تقول له: لماذا تتعلم؟ يقول: والله أتعلم لأحصل على شهادة. ولماذا تحصل على شهادة؟ يقول: لأحصل على وظيفة. ولماذا تحصل على وظيفة؟ يقول: لأحصل على المال. طيب، ولماذا تحصل على المال؟ وهكذا، فلا بدَّ أنْ تكون هناك غاية أخيرة. الغاية الأخيرة عند الإنسان المؤمن يجب أنْ تكون هي رضا الله ﷻ، ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢].

الصالحون قديمًا أخذوا كلام أبي فراس الحمداني، الَّذي خاطب به سيف الدولة الحمداني، وخاطبوا به الله ﷻ، فقد كان يقول أبو فراس لسيْف الدولة:

فليتَ الَّذي بيني وبينك عامرٌ ... وبيني وبين العالَمِين خرابُ
وليتك تحلو والحياةُ مريرةٌ ... وليتك ترضى والأنام غضابُ
إذا صحَّ منك الوُدُّ فالكلُّ هَيِّنٌ ... وكل الَّذي فوق التُرابِ ترابُ[1]

هذا لا ينبغي أنْ يخاطب به إلا رب العزة تبارك وتعالى، ولا يكون تعلق الإنسان المؤمن إلا بربه تبارك وتعالى، فَرِضا الله غاية الغايات.

يقولون: الأحمق يعيش ليأكل، والعاقل يأكل ليعيش، كما قال الله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [محمد: ١٢]. ولكن سيظل هناك سؤال، وهو: ولماذا يعيش العاقل؟ هل العيش في حد ذاته غاية؟

العيش ليس غاية، ولكنَّه وسيلة، فلماذا يعيش الإنسان إذن؟ نقول: إذا كان الأحمق يعيش ليأكل، والعاقل يأكل ليعيش، فإنَّ الإنسان المؤمن

(١) ديوان أبي فراس الحمداني (٢/٢٤، ٢٥).

QaradawiBooks.com

يعيش ليعبد الله تعالى، ويقوم بخلافته في الأرض، فالغاية هي الله، كما قال الله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦ ـ ٥٨].

خلق الكون للإنسان وخلق الإنسان للرحمن:

إنَّ الله خلق كل ما في هذا الكون للإنسان، كما قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣]، ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠]، ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ۝ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۝ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٢ ـ ٣٤]. كل ما في هذا الكون مُسخَّر من الله تبارك وتعالى للإنسان. إذا كان الكون كله مُسخَّرًا للإنسان، فالإنسان مُسخَّر لله، خلق الله الكون للإنسان، وخلق الإنسان للرحمن، فالإنسان لربه، ولا ينبغي أنْ يكون إلا لله.

إنَّ خطيئة الشرك الكبرى هي قلب الأوضاع والحقائق، وجعْل الإنسان الَّذي سخر له الكون عابدًا لهذا الكون، يعبد الأشجار، أو الأنهار، أو الأبقار، يعبد الشمس أو القمر، يعبد الوثن أو الحجر أو البشر! وهو لم يخلق إلا لعبادة الله وحده، هذا هو ما جاء به الإسلام.

العبودية لله غاية الحرية:

الإسلام جاء يحرر الإنسان من العبودية للأشياء، والعبودية للأهواء، والعبودية للأوهام، والعبودية للطبيعة، والعبودية للأفلاك، والعبودية للحيوان، والعبودية للإنسان؛ ليكون عبدًا لله وحده. وهذه العبودية لله

QaradawiBooks.com

وحده هي غاية الحرية، أنْ يتحرر الإنسان من كل ما سوى الله، ومن كل من سوى الله، فلا يعَفِّرُ جبهته إلا لله ساجدًا، ولا يحني ظهره إلا لله راكعًا، فالذي يطلبه الإسلام من الإنسان المؤمن هو أنْ يتحرر من كل شيء إلا من العبودية لله ﷻ فتكون صلاته ونسكه ومحياه ومماته لله رب العالمين، لا شريك له، هذه العبودية هي الحرية الحقيقية، هي السيادة الحقيقية.

الأدنى يخدم الأعلى:

كل ما في الوجود الَّذي نراه مراتب، يخدم بعضها بعضًا، الأدنى يخدم الأعلى، فالجماد يخدم النبات، الأرض وعناصرها من الأملاح والمعادن وغيرها، والمطر والهواء والضوء وغيره، كل ذلك يخدم النبات، والنبات يخدم الحيوان، ﴿كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ﴾ [طه: ٥٤]، وكل من النبات والحيوان والجماد يخدم الإنسان، كما قال الله تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ۞ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ۞ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ۞ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۞ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ۞ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ۞ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [النازعات: ٢٧ ـ ٣٣]. والإنسان من يخدم؟ لا يجوز للإنسان أنْ يخدم مَنْ دونه، لا يجوز للإنسان أنْ يخدم الكون، لأنَّ الكون يخدم الإنسان، ولا يجوز للإنسان أنْ يخدم مثله، فهما سواء، وإنَّما يخدم الإنسان الله تبارك وتعالى، فلا ينبغي للإنسان ألا يكون إلا في خدمة ربه الأعلى، ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۞ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى: ٢، ٣].

الربَّانيَّة ارتقاء بالإنسان:

الربَّانيَّة ترتقي بالإنسان، من حضيض الطين إلى أفق الروح. تعلمون أنَّ الإنسان مخلوق مزدوج الطبيعة، كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم،

QaradawiBooks.com

في الآيات الكثيرة في خلق آدم عليه السلام، كقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۞ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٨، ٢٩]. الإنسان قبضة من طين، ونفخة من روح الله، والذي جعله يستحق سجود الملائكة له ليس الجانب الطيني الأرضي، وإنَّما الجانب الروحي السماوي. ولا بدَّ أن نعترف بهذين الجانبين كليهما، وهذه مزية الإسلام، وخصيصة أخرى من خصائص التربية، هي «التوازن» أو «الاعتدال»، الطين له حقه، والروح لها حقها، «**إنَّ لبدنك عليك حقًّا، وإنَّ لربِّك عليك حقًّا**»(١).

ما الَّذي يهبط بالإنسان إلى حضيض البهائم؟

قد يهبط الإنسان إلى الطين والتراب، فينزل إلى أسفل، والعياذ بالله، يسفل ويسفل، حتى يصبح في الدرك الأسفل، يصبح طينًا لا قيمة له، تراب خُلِق من التراب، ويأكل من التراب، ويمشي على التراب، وما يرتقي عن التراب، كما قال تعالى عن بعض الناس: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ۞ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦]. كان يمكن أن ترتفع به الآيات الَّتي آتاه الله وترتقي به، ولكن للأسف لم ترتق به، ولكنَّه هبط وأخلد إلى الأرض واتبع هواه، فالإنسان يمكن أنْ يرقى إلى أعلى عليين، أو يهبط إلى أسفل سافلين، إما أنْ ينزل إلى حضيض البهائم، أو يرقى إلى أفق الملائكة، كما قال الله تعالى عن قوم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]،

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٩٧٥)، ومسلم (١١٥٩)، كلاهما في الصيام، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۞ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣، ٤٤].

الغافلون أضل سبيلًا من الأنعام:

لماذا كان الغافلون أضل سبيلًا من الأنعام، وأحط منزلة من البهائم؟ لأنَّ البهائم لم تؤت ما أوتي الإنسان. الإنسان أعطاه الله العقل الَّذي به يفكر، والإرادة الَّتي بها يرجح، والقدرة الَّتي بها ينفذ، وأعطاه المواهب المختلفة، وسخر له ما في السماوات وما في الأرض، وأنزل عليه الكتب، وأرسل إليه الرسل، فالإنسان له هدايتان، هداية من داخله هي العقل، وهداية من خارجه هي الوحي، أمَّا الأنعام فلم تؤت شيئًا من ذلك، فإذا ضلت فهي معذورة.

الأنعام تقوم بمهمتها خير قيام:

ومن ناحية أخرى، فإنَّ الأنعام لها مهمة في الحياة، لم تتمرَّد على القيام بها، ولم ترفضها، ما رأينا حمارًا تمرد ورفض أنْ يركب، وما رأينا بقرة تمردت أنْ تحلب، بل نجد ذا الضرع يحلب، وذا الظهر يركب، فالأنعام والبهائم والمواشي تقوم بمهمتها خير قيام، تخدمنا وهي صحيحة، ونأكلها وهي ذبيحة.

أمَّا الإنسان فهو الَّذي لم يؤد مهمته الَّتي خلق من أجلها، الإنسان له رسالة خلقه الله من أجلها، ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، فإذا لم يعبد الإنسان الله ﷻ، وإذا لم يقم بخلافته في الأرض، تكون الأنعام أفضل منه، وأهدى سبيلًا، لأنَّها أدَّت مهمتها وهو لم يؤد مهمته، ﴿أُولَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

QaradawiBooks.com

الغفلة عدو الإنسان:

أشار القرآن في هذه الآية إلى مفتاح القضيَّة، وسر البلاء الَّذي أصيب به هؤلاء، فبين أنَّه الغفلة: الغفلة عن الله، عن الدار الآخرة، عن حقيقة الإنسان، ومهمته في الحياة، فلما غفلوا عن هذا ضلوا السبيل.

الربَّانيَّة الَّتي نريدها، أنْ يكون عند الإنسان الحسُّ المرهف، الَّذي يراقب به نفسه، يضعها على مشرحة التحليل، يحلل بواعثها، ويعرف أيريد وجه الله أم يريد وجوه الناس؟ وهو في نفس الوقت يحاسب نفسه، يحاسبها قبل العمل، وأثناء العمل، وبعد العمل، هذا هو الَّذي ينبغي للإنسان المؤمن.

النفس الإنسانية في القرآن الكريم:

حدَّثنا القرآن الكريم عن النفس على لسان امرأة العزيز، فقال ﷻ: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [يوسف: ٥٣]. والصحيح أنَّ هذا من كلام امرأة العزيز، وليس من كلام يوسف، لأنَّ كلام يوسف انتهى قبل ذلك، ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣]. الأصل في النفس إذا تركت وغرائزها وأهواءها وميولها فإنها تأمر بالسوء، بل إنَّ التعبير القرآني يفيد أنَّها كثيرة الأمر بالسوء، كما تشير إليه كلمة «أمَّارة»، فهي تكثر من أمر الإنسان بالسوء، كما قال تعالى: ﴿أَمۡ تَأۡمُرُهُمۡ أَحۡلَٰمُهُم بِهَٰذَآۚ أَمۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ﴾ [الطور: ٣٢].

حاجة النفس إلى المحاسبة:

النفس تأمر بالسوء والشر والضلال، وعلى الإنسان أنْ يراقبها، ويزكِّيها ـ كما قلنا ـ ويحاسبها، كما جاء عن عمر رضي الله عنه: «حاسبوا أنفسكم قبل أنْ تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أنْ توزن عليكم»[1]. قبل أنْ تُنشر

(١) رواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٥٦٠٠)، عن عمر بن الخطاب.

QaradawiBooks.com

الدواوين، وتُنصب الموازين، ويقوم جميع الخلق لله رب العالمين. انصب أنت الآن ميزانك، وانشر ديوانك، وحاسب نفسك قبل الحساب، اسأل نفسك قبل أنْ يصير السؤال إلى غيرك. جاء في الحديث الَّذي رواه أبو برزة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه**»[(١)].

فحَضِّر للسؤال جوابًا، واسأل نفسك قبل أنْ يصير السؤال إلى غيرك، وحاسب نفسك بنفسك، حاسبها بدقة، لا تغش نفسك، لذلك قال ميمون بن مهران، من علماء التابعين رحمهم الله: المؤمن أشد حسابًا لنفسه من سلطان غاشم، ومن شريك شحيح[(٢)]. هو يحاسب نفسه على الصغيرة والكبيرة.

المؤمن يخاف الله ويحذر ذنوبه:

بعض الناس يستسهل بعض الذنوب ويقول: هذا ذنب بسيط، ليت كلَّ الذنوب الَّتي أفعلها مثل هذا. وهذا ما حذر منه السلف رضوان الله تعالى عليهم، وفي الحديث الَّذي رواه البخاري، عن ابن مسعود: «إنَّ المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أنْ يقع عليه، وإنَّ الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه فقال به هكذا»[(٣)].

---

(١) رواه الترمذي في صفة القيامة (٢٤١٧)، وقال: حسن صحيح. وأبو يعلى (٧٤٣٤)، والبيهقي في المدخل (٤٩٤)، وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٢٦).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في محاسبة النفس (٩)، عن ميمون، بلفظ: التقيُّ أشد محاسبة لنفسه من سلطان عاص.

(٣) سبق تخريجه صـ ٢٤٧.

QaradawiBooks.com

وجاء عن أنس[١] وأبي سعيد الخدري[٢]، أنَّهم كانوا يقولون لتلاميذهم من التابعين: إنكم لتعملون أعمالًا هي أدق في أعينكم من الشعر، كنا نعدها في عهد النبي ﷺ من الموبقات. لأن صحوة القلوب والضمائر في العهد النبوي كانت تنظر إلى الأعمال بميزان دقيق، بل تنظر إليها بما يسمى في العلوم الحديثة «الميكروسكوب»، وهو جهاز يُكبِّر المواد الصغيرة ويضخمها، فهم يرون الصغائر موبقات، والكبائر مهلكات، وهذا من رهافة حسهم الديني، وهم يعيبون على تلاميذهم وأتباعهم أنَّ الأمور هانت عندهم. فماذا نقول نحن في عصرنا؟

ذهب بعض التلاميذ الصالحين إلى شيخهم، يزورونه في مرضه، فوجدوه يبكي، فقالوا له: ما يبكيك؟ والله إنك لتفعل كذا وتفعل كذا، والله ما رأينا حرمة انتهكتها، ولا فريضة ضيعتها. فقال لهم: والله ما أبكي على فريضة ضيعتها، ولا على حرمة انتهكتها، ولكن أبكي لأني أخشى أن أكون قد أتيت ذنبًا أحسبه هينًا وهو عند الله عظيم. هذا هو الَّذي كانوا يخشونه.

الإنسان المسلم ينبغي أنْ تصل رهافة حسه إلى حد أنْ يحاسب نفسه على الكبيرة والصغيرة، كما يقول الشاعر:

خَلِّ الذُّنُوبَ صغيرها وكبيرَها، ذاك التقى
واصنع كماشٍ فوقَ أرضِ الشوكِ يحذرُ ما يرى
لا تحقرنَّ صغيرةً إنَّ الجبال من الحَصَى[٣]

الجبال من مجموع حصيات، والبحر مجموع قطرات، فجاهد

(١) رواه البخاري في الرقاق (٦٤٩٢).
(٢) رواه أحمد (١٠٩٩٥)، وقال مخرِّجوه: صحيح.
(٣) ديوان ابن المعتز صـ٢٩، نشر دار صادر، بيروت.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

نفسك وحاسبها، ولا تستصغرن معصية. فالمسلم مع نفسه دائم المجاهدة والمحاسبة.

أشد أنواع الجهاد جهاد النفس:

الإمام الغزالي في كتابه «منهاج العابدين»[١]، يذكر أن جهاد النفس ثقيل عليها. لماذا؟ قال: لأمرين:

أولهما: أنَّ النفس عدو محبوب، وحينما يكون عدوك محبوبًا تتساهل معه، ولا تحترس منه، أعدى أعداءك نفسك الَّتي بين جنبيك، النفس الأمارة هي محبوبة الإنسان، كل إنسان يحب نفسه، فيتَّبع أهواءها، ويضعف أمام ميولها، فهي عدو محبوب، وهذا خطر.

الأمر الثاني: أنَّها عدو من الداخل، حينما يكون العدو من الخارج، فاللص تستطيع أن تغلق دونه الباب وتحكم إغلاقه، فلا يمكنه أنْ يدخل عليك، ما دام الباب قويًّا، والإغلاق محكمًا، لكن المشكلة إذا كان اللص من داخل الدار، ويعيش معك، من هنا يقول الشاعر الصالح:

نفسي إلى ما ضرني داعي ... تكثر آلامي وأوجاعي
كَيْفَ احتيالي من عَدُوِّي إذا ... كان عدُوِّي بين أضلاعي[٢]؟

وأقول: إنَّ الله ابتلى الإنسان بأعداء أربعة: النفس والشيطان والدنيا والخَلْق، لهذا يقول الشاعر الآخر:

إنِّي بُلِيتُ بأربعٍ يَرْمِينَنِي ... بالنَّبْلِ عن قوسٍ له تَوْتِيرُ
إبليسُ والدُّنيا ونَفْسي والورى ... يا رب أنت على الخلاصِ قَدِيرُ[٣]

(١) انظر: منهاج العابدين للغزالي صـ١١٩.
(٢) العقد الفريد (٣٢/١).
(٣) ذكرهما القرطبي ولم ينسبهما لأحد. انظر: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة =

QaradawiBooks.com

أربعة أعداء، وأنت محتاج إلى مجاهدتها جميعًا، وأول ما ينبغي أنْ تجاهده، نفسك الَّتي بين جنبيك، حتى تنتقل بالمجاهدة والمحاسبة من النفس الأمارة إلى النفس اللوَّامة، الَّتي جاء القسم بها، في سورة القيامة: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۞ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: ١، ٢]، أي الأمر أوضح من أنْ يُقسِم به.

النفس اللوَّامة هي الَّتي يكثر أنْ تلوم صاحبها، فكلمة «لوَّامة» صيغة مبالغة، وكذلك كلمة «أمَّارة». إذا اقبل الإنسان على فعل محذور، أو ترك مأمور، إذا فعل ما لا يجوز فعله، أو ترك ما لا يجوز تركه، فإن نفسه تلومه، كأنَّما تضربه بسياط، وهو ما نسميه في عصرنا «تأنيب الضمير»، يعبرون عن النفس اللوامة بقولهم: «الضمير الحي». نحن في حاجة إلى هذه النفس اللوَّامة، وهذا الضمير الحي.

والنفس اللوَّامة إذا استمرت على ذلك، فإنها ترتقي إلى درجة أعلى، هي النفس «المطمئنة»، وهي الَّتي خاطبها الله بقوله: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ۞ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ۞ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ۞ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٢٧ ـ ٣٠].

استصحاب النية شرط لقبول العمل:

فمن المعاني الربَّانيَّة، المحاسبة والمراقبة للنفس وبواعث أعمالها، وينبغي أنْ يبقى الباعث مستمرًّا على ما يحب الله تبارك وتعالى، لا يتغيَّر. كما قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حينما سئل عن قول الله تعالى: ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا﴾ [هود: ٧]، قيل له: يا أبا علي، ما أحسن العمل؟ قال: أخلصه وأصوبه. قيل: وما أخلصه وما أصوبه؟ قال: إنَّ الله

= للقرطبي صـ٨٨٠، تحقيق د. الصادق بن محمد بن إبراهيم، نشر مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ.

QaradawiBooks.com

لا يقبل العمل إلَّا إذا كان خالصًا صوابًا، فإذا كان صوابًا ولم يك خالصًا لم يقبل، وإذا كان خالصًا ولم يك صوابًا لـم يقبل، وخلوصه أنْ يكون لله، وصوابه أنْ يكون على السُّنَّة[١].

وفي الصحيحين عن عائشة، عن النبي ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[٢]. «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**»[٣]. «**إياكم ومحدثات الأمور فإنَّ كل بدعة ضلالة**»[٤]. من هنا يجب أنْ يحاسب الإنسان نفسه، ويبقى محافظًا على صلاح عمله وحسن نيته.

هل تعني الربَّانيَّة عصمة الإنسان؟

هل هذه المعاني الربَّانيَّة، تعني أنَّ الإنسان الرباني إنسان معصوم من الخطأ والخطيئة؟ هل هو مَلَك مُطهَّر؟ أو نبيٌّ معصوم؟ لا، فمن المعلوم من الدين بالضرورة، أنَّ المعصومين هم الأنبياء والرسل، عليهم جميعًا صلوات الله وسلامه، وأنَّ المطهَّرِين هم الملائكة، أمَّا الإنسان فكما قلنا: مخلوق من طين وروح، فلا غرو أنْ يقع في المعصية، لكنَّه إذا وقع في المعصية سرعان ما يتوب إلى ربه، كما قال النبي ﷺ: «**كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون**»[٥].

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٩٥/٨).

(٢) سبق تخريجه صـ٣٦٩.

(٣) سبق تخريجه صـ٣٦٩.

(٤) رواه أحمد (١٧١٤٤)، وقال مخرِّجوه: صحيح. وأبو داود في السُّنَّة (٤٦٠٧)، والترمذي في العلم (٢٦٧٦)، وقال: حسن صحيح. والحاكم في العلم (١٧٤/١)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، عن العرباض بن سارية.

(٥) رواه أحمد (١٣٠٤٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والترمذي في صفة القيامة (٢٤٩٩)، وقال: حديث غريب. وابن ماجه في الزهد (٤٢٥١)، وحسَّنه الألباني في المشكاة (٢٣٤١)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

لهذا ينادي الله عباده التائبين بقوله: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣]. وانظروا إلى قوله ﴿يَٰعِبَادِيَ﴾ لم يحرمهم شرف الانتساب إليه، لم يحرمهم من عبوديته، ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِ﴾.

التوبة مطلوبة من الجميع:

كل الناس مدعوون للتوبة، ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]. كلُّ المؤمنين مدعوون إلى التوبة، وجاء في الحديث: «**يا أيُّها الناس توبوا إلى الله، فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة**»[1]. بل إنَّ رسول الله ﷺ الَّذي لم يغفل عن ربه طرفة عين، في حركاته أو سكناته أو غدواته أو روَحاته، كان إذا نامت عيناه فإن قلبه لا ينام، وكان مع الله في كل حال، ويذكر الله على كل أحيانه، ومع ذلك يقول: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللهِ فَإِنِّي أَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ**».

هناك من يتوب من الشرك، ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣٨].

وهناك من يتوب من الكبائر، كما قال تعالى بعد أن ذكر الشرك وقتل النفس بغير الحقِّ والزنى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ۞ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ۞ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [الفرقان: ٦٨ ـ ٧٠].

---

(١) سبق تخريجه صـ٣٠٦.

QaradawiBooks.com

وهناك من يتوب من الصغائر، ومن يتوب من الشبهات، ومن يتوب من مجرد الغفلة لإحساسه بالتقصير، وهذه توبة النبي ﷺ، فهو يحس أنَّ حق الله أعظم مما يؤديه، فيشعر دائمًا بالتقصير، فيتوب إلى الله ويستغفره تبارك وتعالى، كما مـرَّ في الحديث «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُـوا إِلَى اللهِ فَإِنِّي أَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَـرَّةٍ**». فكل الناس مدعوون إلى التوبة، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨].

ليس عجيبًا أنْ يذنب ابن آدم، وإنَّما العجيب أنْ يتمادى في الذنوب والعصيان، آدم عليه السلام نفسـه قد أخطأ، وأكل من الشجرة، وقد قال له الله: ﴿وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ [البقرة: ٣٥، ٣٦]. وكما قال الله: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ﴾ [طـه: ١٢١، ١٢٢]. وقع آدم في المعصية، ولكن سـرعان ما رجع إلى ربـه، تائبًا نادمًـا، قائـلًا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]. فكل ذنب قابل للتوبة، والتوبة تمحو الذنوب، كما يمحـو الماء الدَّرَن. الله تعالـى يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]. ولا يـردُّ الله تائبًا، لأنَّه ليس على باب الله حاجب ولا بوَّاب، إذا أذنبت وقلـت: رب اغفر لي وتب عليَّ. فإنَّ الله أهل لأنْ يتوب عليك، ويفتح لك باب التوبة والمغفرة.

الفرق بين معصية آدم ومعصية إبليس:

الفرق بين آدم وإبليس، أنَّ آدم أذنب، وسرعان ما ندم وتاب فتاب الله عليـه، ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقـرة: ٣٧]. وانتهت هذه الخطيئة بالتوبـة، وليس كما يقول النصارى بأنَّ خطيئة آدم ظلت معلقة في بنـي آدم إلى اليـوم، وإلى يوم القيامـة، وتحتاج إلى

QaradawiBooks.com

مخلص يخلصهم، والمسيح قام بهذا، والقرآن يقول: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢١، ١٢٢]. أذنب آدم فتاب، أمَّا إبليس لعنه الله فقد أذنب ولم يتب.

معاصي الجوارح ومعاصي القلوب:

ومعصية آدم غير معصية إبليس من وجه آخر. علماء السلوك قالوا: هناك معاصي الجوارح، وهناك معاصي القلوب، كما أنَّ هناك طاعات الجوارح، وهناك طاعات القلوب، معاصي القلوب هي الأشد خطرًا، والأبعد أثرًا، معصية آدم عليه السلام، من جنس معاصي الجوارح، اشتهى الأكل فأكل من الشجرة، لوسوسة إبليس وتزيينه، ونسي أنَّ إبليس عدوٌّ له ولزوجه، وأن الله قد حذَّره منه، وخدعه بالقسم، حيث قاسمه وزوجه أنَّه لهما من الناصحين، ولكنَّه سرعان ما أعلن التوبة، ولجأ إلى ربه، وتلقى من ربه كلمات فقالها، فتاب الله عليه.

مشكلة إبليس أنَّ معصيته من معاصي القلوب، الكبر والغرور بالنفس: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ [الأعراف: ١٢]، ﴿أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]. فرق بين معصية تدفع إليها شهوة عارضة، وبين معصية يدفع إليها استكبار عن أمر الله، ورفض لحكم الله، هذه معصية خطيرة، ولذلك انتهت بطرده من رحمة الله، ﴿ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗا﴾ [الأعراف: ١٨].

وهذا ينبغي أن نأخذ منه درسًا في الحذر من معاصي القلوب، وهذا ما جعل الإمام الغزالي في الربع الثالث من كتابه «إحياء علوم الدين»، يحمل على معاصي القلوب، ويسميها «المهلكات»؛ وذلك لخطرها وبعد أثرها، وغفلة الناس عنها، وفي الحديث عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ

QaradawiBooks.com

قال: «**ثلاث مهلكات: شُحٌّ مطاع، وهوًى متبع، وإعجاب المرء بنفسه**»[١]. فلنحذر خطر هذه المهلكات على أنفسنا، فهي الحالقة، لا تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين.

وفي الختام أقول:

أيها الإخوة والأبناء: هذه هي بعض معالم الربَّانيَّة الَّتي نريدها، ولا يمكن أنْ تستقيم حياتنا إلا بها، فلا بدَّ أن نُربِّي أنفسنا عليها، ونأخذ أنفسنا بها، ونكون أيقاظًا لها، ونجاهد حق الجهاد في هذا الأمر، حتى تزكو الأنفس، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤، ١٥]. ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩، ١٠]. وكما قال الله على لسان سحرة فرعون لما خالط الإيمان قلوبهم: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ۝ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [طه: ٧٤ ـ ٧٦]. لا تستقيم الحياة إلا بهذه المعاني، يسميها الناس تصوفًا، يسمونها سلوكًا، يسمونها ما يسمونها.

جناية المصطلحات على الحقائق:

سماحة الشيخ أبو الحسن الندوي في كتابه «ربَّانيَّة لا رهبانيَّة» ذكر قضيَّة مُهمة، وهي جناية المصطلحات على الحقائق[٢]. بعض الناس من

(١) رواه البزار (٧٢٩٣)، والطبراني في الأوسط (٥٤٥٢)، وأبو نعيم في الحلية (١٦٠/٢)، والبيهقي في الشعب باب الخوف من الله (٧٤٥)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٦٥٤): هو مرويٌّ عن جماعة من الصحابة، وأسانيده وإن كان لا يسلم شيء منها من مقال فهو بمجموعها حسن إن شاء الله تعالى. وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٤٥٣): حسن لغيره. عن أنس.

(٢) انظر: ربانية لا رهبانية للشيخ أبي الحسن الندوي صـ١٣ وما بعدها، نشر دار القلم دمشق، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

QaradawiBooks.com

أجل مصطلح شائع، أو تسمية خاطئة لكلمة، يرفض حقائق لا ريب فيها، فمن أجل أنَّ هناك بعض المتصوفة المبتدعة، أو المنحرفة، أو المرتزقة، يرفض من أجل ذلك التصوف كله! لا ينبغي هذا، وبعض هؤلاء ينتسبون إلى مدرسة شيخ الإسلام «ابن تيمية» وتلميذه «ابن القيم».

مع أنَّ شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ من الناحية النظرية كتب في التصوف، فهناك جزءان في مجموعة «فتاويه»[1]، جزء تحت عنوان: «التصوف»، وجزء آخر تحت عنوان: «السلوك». وكان رَحِمَهُ اللَّهُ من الناحية العملية رجلًا ربانيًّا، ذواقًا للمعاني الروحية، حينما أدخل سجن القلعة، ورأى سور السجن الَّذي سيسجن فيه، قرأ قول الله تعالى: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣]. ولما حدَّثه بعضهم في هذا، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: المحبوس من حبس قلبه عن ربه، والمأسور من أسره هواه[2]. وقال لمَّا هُدد بالسجن: ماذا يصنع أعدائي بي، إنَّ جنتي في صدري، إنْ سجنوني فسجني خلوة، وإنْ نفوني فنفيي هجرة، وإن قتلوني فقتلي شهادة[3]. هكذا كان رَحِمَهُ اللَّهُ.

وكان تلميذه ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ، أكبر اهتمامًا منه بعلم السلوك، وله عدة كتب في هذا المجال، مجال فقه السلوك، مثل كتابه: «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي»، وعبر عنه أحيانًا باسم: «الداء والدواء»، وكتابه: «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين»، وكتابه: «روضة المحبين»، وأعظم كُتُبه كتاب: «مدارج السالكين شرح منازل السائرين إلى مقامات إياك نعبد وإياك نستعين».

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ من الذوَّاقين الربَّانين، وحياته وأقواله وأفعاله تدل على

(١) وهما الجزآن العاشر والحادي عشر.

(٢) نقل ذلك عنه تلميذه ابن القيم في الوابل الصيب من الكلم الطيب صـ٤٨.

(٣) انظر: الوابل الصيب صـ٦٧.

QaradawiBooks.com

ذلك، فلا ينبغي أنْ ينتسب إلى هؤلاء من يرفض التصوف جملة وتفصيلًا. نحن نقبل التصوف، وكما قال بعض العلماء: نحن نريد أن نُسلِّف الصوفية، وأن نُصوِّف السلفية. فأكثر السلفية إلا ما رحم ربي، فيهم جمود وجفاء، ليس فيه العاطفة الندية، ولا الروحانية الربَّانيَّة، فهؤلاء في حاجة إلى روحانية القلوب، وعاطفية التصوف. والمتصوفة فيهم تسيب وتساهل، يحتاجون إلى انضباط القرآن والسُّنَّة وأحكام الشرع.

فنحن في حاجة إلى هذا التقعيد: نصوف السلفية، ونسلف الصوفية. وهذا هو المنهج الَّذي ندعو إليه.

وأقول للإخوة الَّذين ينفرون من كلمة «التصوف»، لما اقترن به مبتدعات فكرية وسلوكية: لا تكونوا أسرى الألفاظ والمصطلحات، فقد قال علماؤنا: لا مشاحَّة في الاصطلاح. ولكن العبرة بالمضمون، وما يحويه من قِيَم ومفاهيم، وليس كل تصوف مبتدعًا، بل هناك تصوف سني ملتزم. فلنسمه «التزكية» أو «الإحسان» أو «التقوى» أو «الاستقامة»، أو نحو ذلك، ولنأخذ خير ما فيه، ولندع شر ما فيه.

أيها الإخوة والأبناء: ما أحوجنا إلى هذه الربَّانيَّة، وما أحوجني قبلكم إليها، لا تظنوا أنِّي من الربانيين، بل أنا من المقصِّرين في جنب الله، والمفرطين في حقه، أسأل الله تعالى أنْ يغفر لي ما لا تعلمون، وأسأله تعالى أنْ يتوب علينا توبة نصوحًا، وأنْ يجعلنا من الَّذين يتعلمون فيعملون، ويعملون فيخلصون، ويخلصون فيقبلون، إنَّه نعم المولى ونعم النصير.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، وصلى الله وسلم على سيِّدنا ونبينا وإمامنا وحبيبنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

QaradawiBooks.com

١٨

كيف نُربِّي أولادَنا تربية إسلاميَّة؟(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصَّالحات، الذي هدانا لهذا، وما كنَّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأزكى صلوات الله وتسليماته على مُعلِّم النَّاس الخير، وهادي البشريَّة إلى الرُّشد، ومُخْرج النَّاس من الظلمات إلى النُّور، سيدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا محمَّد، وعلى آله وصحبه، ومَنْ دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

خير ما أحيِّيكم به ـ أيها الإخوة والأخوات ـ تحيَّةُ الإسلام، وتحيَّةُ الإسلام السلام، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

رمضان مدرسة تربويَّة:

نحن الآن في آخر العشر الأواسط من شهر رمضان المبارك، وغدًا نبدأ أوَّل العشر الأواخر منه، نحن إذنْ في زمن عبادة وطاعة واستباق في الخيرات، فقد أنعم الله تبارك وتعالى على هذه الأُمَّة بشهر رمضان، ليكون ربيعًا للحياة الإسلاميَّة، تتجدَّد فيه العقول بالمعرفة، وتتجدَّد فيه

(١) ألقيت في مؤسسة قطر للتربية والعلوم وتنمية المجتمع، يوم الأربعاء ١٩ رمضان١٤٢٧هـ ـ الموافق ١ أكتوبر ٢٠٠٦م.

QaradawiBooks.com

القلوب بالإيمان، ويتجدَّد فيه المجتمع بالترابط والتواصل، وتزدهر فيه الحياة الإسلاميَّة، وكأنَّما يولد الناس من جديد خلال هذا الشهر الكريم، وما يقوم به المسلم والمسلمة من صيام وقيام، يتطهَّر به، أو يُغفر له: «**من قام ليلةَ القدر إيمانًا واحتسابًا، غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه، ومن صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه**»[(١)]، «**ومن قام رمضانَ إيمانًا واحتسابًا غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه**»[(٢)].

في هذه المدرسة التربويَّة العلميَّة الثقافيَّة الاجتماعيَّة اخترت أنْ أحدِّثكم عن موضوع تربوي، وهو: كيف نربِّي أولادنا تربية إسلاميَّة؟

مَنْ يُربِّي؟

كيف نُربِّي؟ الحديث عمَّنْ يُربِّي؟ هل المراد: كيف نُربِّي في مدارسنا؟ بمعنى: كيف تُربِّي الدولة، كيف تُربِّي وزارة التربية، كيف تُربِّي الجامعات، كيف تُربِّي المؤسَّسات الأبناء تربية إسلاميَّة؟ أم كيف نُربِّي ـ نحن الآباء والأمهات ـ أبناءنا تربية إسلاميَّة؟

كل هؤلاء يقومون بالتربية، ولكن المعنى الأخير هو ما أردته حقيقة؛ لأنَّ موضوع التربية المدرسيَّة موضوع طويل الذيول، فأردت أنْ أتحدَّث عن دور الآباء والأمَّهات، عن دور المنزل، عن دور الأسرة في التربية، ولكن أولًا: ما معنى التربية؟

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الصوم (١٩٠١)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٦٠)، عن أبي هريرة.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٣٧)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٥٩)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

معنى التربية:

التربية كلمة مشتقة في اللغة العربية من «رَبَا، يربو»، بمعني «زاد، يزيد»، فهي أشبه بكلمة «نَمَا، ينمو»، فالتربيةُ أخت التنمية في المعنى اللغوي، كلاهما تعني الزيادة، ولو أنَّهم عندما ترجموا كلمة التربية من الإنجليزية أو الفرنسية إلى كلمة التنمية، أو ترجموا التنمية إلى التربية، لكان صحيحًا.

وقد كنت أرى أنَّ أقرب الكلمات إلى كلمة التربية هي كلمة التزكية، ففي التزكية معنيان: معنى النَّماء الذي تتضمَّنه كلمة التربية والتنمية، والمعنى الآخر هو الطهارة، فزكا يزكو: طهر ونما، ففي التزكية المعنى الذي يقوله الصوفية: التَّخلية والتَّحلية. عمليَّة تطهير بإزالة الأنقاض، وعمليَّة بناء، لهذا كنت أودُّ لو أنَّ الذين تولَّوْا ترجمة الكلمة أنْ يجعلوها التزكية بدلًا من التربية، وهي من مهمَّات الرسول ﷺ، كما قال الله تعالى في أربع آيات من القرآن الكريم: ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [البقرة: ١٢٩]، ﴿يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١]، ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: ١٦٤، الجمعة: ٢].

فالتعليم يتعلَّق بالرؤوس، والتزكية تتعلَّق بالنفوس، ولذلك كانت وزارة التربية والتعليم حين نشأنا في صبانا ودخلنا المدارس تُسمَّى وزارةَ المعارف ـ وحتى أول ما جئنا إلى هنا كانت تُسمَّى في قطر وزارة المعارف ـ ثم سُمِّيت وزارة التربية والتعليم؛ حتَّى لا تكون مهمتها تنوير الرؤوس والعقول فقط، ولكن تضم إلى ذلك تزكية النفوس.

QaradawiBooks.com

اتِّساع مفهوم التربية الإسلاميَّة:

هذا هو مرادهم من التربية، ولكن المراد من التربية الإسلامية معنًى أوسع سنتحدث عنه، لأنَّ بعض الناس لا يفهم من التربية الإسلاميَّة إلا إنَّها التربية الدينيَّة، مع أنَّ التربية الدينيَّة هي عنصر من سبعة عشر عنصرًا من التربيَة الإسلامية، فالتربية الإسلامية تشمل: التربية البدنيَّة، والتربية العقليَّة، والتربية العلميَّة، والتربية اللغويَّة، والتربية الخُلقيَّة، والتربية المهنيَّة، والتربية الجنسيَّة، والتربية الجَماليَّة أو الفنيَّة، والتربية العسكريَّة، والتربية الاجتماعيَّة، والتربية الاقتصاديَّة، والتربية السياسيَّة، إلى آخره، كل هذه الأنواع تشملها التربية الإسلاميَّة، ولا يكون الإنسان مُربَّى تربية إسلاميَّة إذا أُهمل في تربيته جانبٌ من هذه الجوانب، فالإسلامُ يُريد شخصيَّة متكاملة: جِسميًّا بالصحة والرياضة، وعقليًّا بالعلم والثقافة، وعِلميًّا بالتعلُّم والدراسة، وروحيًّا بالعقيدة والعبادة، وخُلُقيًّا بالإحسان والفضيلة، كل هذه النواحي يريدها الإسلام، فلا بدَّ للآباء والأمَّهات أنْ يعملوا على تربية أطفالهم تربيةً متكاملة.

متى تبدأ تربية الأولاد؟:

نحن نريد أن نربِّي أطفالنا تربية إسلاميَّة، فمنذ متى تبدأ هذه التربية؟ منذ سنِّ دخول المدارس، بعد أن يكمل الطفل ست سنوات أم منذ يُطلب منه الصَّلاة «**مُرُوا أولادَكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين**»[1]؟

(١) رواه أحمد (٦٦٨٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الصلاة (٤٩٥)، وحسَّن إسناده النووي في خلاصة الأحكام (٢٥٢/١)، وصحَّحه ابن الملقن في البدر المنير (٢٣٨/٣)، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

التربية قبل الزواج والإنجاب:

الواقع أنَّ التربية تبدأ قبل ذلك، تبدأ منذ الولادة، بل نقول: تبدأ قبل الولادة؛ حتَّى الجنين ينبغي أنْ يُراعى وهو في بطن أُمِّه، بل نقول: إنَّها تبدأ قبل الزواج، منذ بَدْء الاختيار، حينما يبحث الرجل عن زوجة لا بدَّ أن يقدِّر أنَّ هذه الزوجة ليست مُجرَّد امرأةٍ يستمتع بها، لا، المسألة أكبرُ من ذلك، ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾ [النحل: ٧٢]. هناك أولاد وذريَّة قادمة، فلا بدَّ أنْ ينظر الرجل: هل هذه المرأة تصلح أنْ تكون أمًّا فاضلة، تحسن إلى أولادها، وتؤْتمن عليهم؟ ولذلك جاء في الحديث: «**تخيَّروا لنطفكم، وانكحوا الأكْفاء، وأنكحوا إليهم**»[(١)]. ابحث عن المرأة الصَّالحة، كما جاء في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**الدنيا متاعٌ، وخيرُ متاع الدنيا المرأةُ الصالحةُ**»[(٢)].

وكلمة المرأة الصَّالحة تعني: المرأة الصَّالحة في دينها، في عقلها، في خُلقها، ذات الدين وذات الخُلق، التي تُؤْتمن على الرجل في غيبته، تُؤْتمن على أولاده، وعلى ماله، وعلى عِرضه، فمن قبل الزواج يتخيَّر الرجل أُمًّا لأولاده، فليست مُهمَّتُه أنْ يتخيَّر امرأةً جميلةً فقط، تلك التي تُسمَّى خضراء الدِّمَن، المرأة الحسناء في المنْبَت السُّوء، فالدِّمَن هي المزابل والأماكن القذرة، التي تنبت فيها أحيانًا نباتات خضراء، شكلها جميل، ولكن غذاءها غير طيِّب، ورائحتها كريهة، وسيِّئة الطعم لا تُؤْكل، فهي بهيجة اللون فقط، فلا يكون همُّ الإنسان

(١) رواه ابن ماجه (١٩٦٨)، والدارقطني (٣٧٨٨)، كلاهما في النكاح، وحسَّنه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٦٠٢)، عن عائشة.

(٢) رواه مسلم في الرضاع (١٤٦٧)، وأحمد (٦٥٦٧)، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

في اختيار الزوجة مجرَّد المنظر والمظهر، بل يبحث عن الجوهر والمخبر، ولذلك قال أحد الشعراء لأولاده:

فأوَّلُ إحساني إليكم تَخَيُّري لماجِدَةِ الأعراقِ بادٍ عَفَافُها[1]

يقول لهم: أوَّل إحساني إليكم أنِّي اخترتُ لكم أمًّا صالحةً، فلا تنسوا هذا. فمن يكون صاحب الفضل حينما تكون الأمُّ صالحةً؟ إنَّه الأب الذي أحسن الاختيار، فهذا من فضل الآباء على الأبناء، ومن هنا أقول: إنَّ التربية تبدأ من قبل الزواج، ثم في حالات الحمل، فالجنين يتأثَّر بما يحدث في الأسرة، ولذلك ينبغي أنْ تُراعى حالة الحامل.

التربية منذ الولادة:

ثم تكون التربية عند الولادة، فللإسلام آدابٌ عند ولادة المولود، جمعها الإمام ابن القيم في رسالة سمَّاها «تُحفة المودود في أحكام المولود»، فمن أحكام المولود: أنْ تُؤذِّن في أذنه اليمنى، لماذا، وهو لا يفهم معاني الأذان؟ ذلك لما له من إيحاء، وحتى يقال له بعد ذلك: إنَّ أوَّل كلمة طرقت أذنك هي: الله أكبر، الله أكبر، أشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأشهد أنَّ محمدًا رسول الله. ولهذا معنى: أنَّ المسلم يستقبل حياته بالتوحيد، ويودِّع حياته بالتوحيد؛ عندما يُحتَضَر الإنسان على فراش الموت يُلقَّنُ كلمةَ التوحيد، كما قال النبيُّ ﷺ: «**لَقِّنوا موتاكم لا إلٰه إلَّا الله**»[2]. فيولد عليها، ويموت عليها، فلهذا دلالة في الإسلام.

---

(١) نسبه الماوردي للرياشي في أدب الدنيا والدين صـ١٥٨.

(٢) رواه مسلم في الجنائز (٩١٦)، عن أبي سعيد الخدري.

QaradawiBooks.com

حسن تسمية المولود:

ومن أحكام المولود: أنْ تُحسن تسميتَه، هناك بعض الناس يُسيء تسميةَ أبنائه، وخصوصًا بعدما يموت له أكثر من ولد، يسمي اللاحق مثلًا: خِيشة، أو اسمًا نصرانيًّا، أو يهوديًّا؛ لأجل أنْ يعيش، وكان العرب يُسمُّون عبيدهم أسماء جميلةً، مثل: جَوْهر، ياقوت، رزق، فرج، أمَّا أبناؤهم فيُسمُّونهم مثلًا: فهد، سبع، أسد، فلمَّا سئل بعضهم عن ذلك، قال: نحن نُسمِّي عبيدنا لأنفسنا، ونُسمِّي أبناءَنا لأعدائنا، وعند المعارك نقول: اهجم يا فهد، يا سبع، يا أسد.

إنَّ الإسلام يأمرنا أن نُحْسن تسمية أبنائنا، كما رُوِي في الحديث: «**إنَّكم تُدعَوْن يومَ القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحْسِنُوا أسماءَكم**»[1]. وحتى لا يتأذَّى الولد من اسمه في الدنيا، ولذلك يُغيِّر بعضهم اسمه عندما يكبُر، وقد كان لنا زملاء ونحن صغار، سُمِّي بعضهم «عدس، أو دشيش، أو بصارة»؛ لأجل أنْ يعيشوا، بناء على خرافات تشيع بين الناس. فيجب على الوالد أنْ يُحسِن اسم ولده.

الاحتفال بالمولود:

ثم بعد ذلك ينبغي أنْ يُستَقْبَل المولود استقبالًا حافلًا، ذكرًا كان أو أنثى، وقد كان العرب في الجاهليَّة يُحسنون استقبال الذكور البنين، ولا يُحسنون استقبال البنات، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ

(١) رواه أحمد (٢١٦٩٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف لانقطاعه. وأبو داود في الأدب (٤٩٤٨)، وقال عقبه: عبد الله بن أبي زكريا لم يدرك أبا الدرداء. وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٥٧٧/١٠): رجاله ثقات، إلا أنَّ في سنده انقطاعًا. عن أبي الدرداء.

QaradawiBooks.com

﴿أَمْ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النحل: ٥٨، ٥٩]. يدخل في الأزقَّة والمنعطفات؛ حتَّى لا يلقى الناس ولا يقابلوه، كأنَّما ارتكب جرمًا، ويظلُّ يفكر: ﴿أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِ﴾ هل يرضى بالذل ويقبل هذه المصيبة على عِلَّتِها، أم يتخلَّص من هذا المخلوق ويئده حيًّا في التراب؟ ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨، ٩]، ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.

المفروض أنَّ المولود هبة من الله تعالى، فيجب أنْ ينظر أبواه إليه على أنَّه هِبةٌ ونعمةٌ، كما قال الله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠]. فالبنتُ هِبةٌ من الله، كما أنَّ الولد هِبةٌ من الله. قال أحد العرب في الجاهلية لآخر: إنَّ امرأتك وَلَدتْ. قال: وما وَلَدتْ؟ قال: وَلَدتْ أنثى. قال: ما هي بنعم الولد؛ نصرها بكاء، وبرُّها سرقة. أي: إذا أرادت أنْ تنصرني لا تركب الجواد، ولا تحمل السيف، ولا الرمح، وإنَّما تبكي وتصرخ، هذا كل ما تنصرني به؛ وإذا أرادت أنْ تبرَّني تستلُّ من مال زوجها. هذه نظرته إلى الأنثى، لكن القرآن يعتبر الأنثى هِبةً من الله، بل بدأ بذكرها قبل الذكور: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾. ولذلك يقول المصريُّون في أمثالهم: خير النساء من بَكَّرت بأنثى. يستبشرون بها خيرًا، أخذًا من هذه الآية، لقد أبطل القرآن عادة الجاهليَّة وفكرة الجاهليَّة هذه.

حتى عندما كانوا يهنِّئون بالزواج يقولون: بالرِّفاء والبنين. الرِّفاء: هو الوصل والارتباط، كرفاء الثوب، فغير النبي ﷺ هذه التهنئة إلى تهنئة أخرى، هي: «**بارَك اللهُ لك، وبارَك عليك، وجمع بينكما في خير**»[1].

(١) رواه أحمد (٨٩٥٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده قويٌّ. وأبو داود (٢١٣٠)، وابن ماجه (١٩٠٥)، كلاهما في النكاح. عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

فينبغي على الوالدين أنْ يفرحا بمولودهما، ويحتفلا به ـ ذكرًا كان أو أنثى ـ ويحمدا الله عليه، ويذبحا عنه عقيقة بعد أسبوع من ولادته إن استطاعا، وإن لم يستطيعا يقيموا «سُبوعا» كما يقول المصريُّون. يأتون فيه بالحلوى، ويغنون له، ويظهرون الفرح بنعمة الله تعالى عليهم.

المولود نعمة وأمانة:

ومن ناحية أخرى ينبغي أنْ يعتبروا هذا المولود أمانةً ووديعةً عندهم، فهو نعمة يجب أنْ تُقابَل بالشكر، وأمانةٌ يجب أنْ تُقابَل بالشكر والرعاية، «**كُلُّكم راع وكُلُّكم مسؤولٌ عن رَعِيَّتِه... والرجل راعٍ على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأةُ راعيةٌ على بيت بعْلِها وولده وهي مسؤولةٌ عنهم**»[1]. فهو أمانةٌ يجب رعايتُها وحفظُها، وتضييع الأمانة من أسباب هلاك الأمَّة، والعياذ بالله، ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨، المعارج: ٣٢].

حقوق الطفل:

ثم إنَّ هذا الطفل إنسان، وما دام إنسانًا فله حقوق ينبغي أنْ تُرعى.

حياة الطفل:

وأول حقوقه: حقُّ الحياة، ولذلك نهى الإسلام عن قتل الأولاد، سواء من إملاق أو خشية إملاق، والإملاق يعني: الفقر. أي: لا تقتلوا أولادكم من فقر واقع، أو خشية فقر متوقع، لم يُعطَ الأب سلطة القضاء على حياة ولده، فهو لا يملك حياته حتَّى يضيعها، فحقُّ الحياة للمولود مكفول.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في العتق (٢٥٥٤)، ومسلم في الإمارة (١٨٢٩)، عن ابن عمر.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

بل إنَّ الإسلام يحافظ على حياته جنينًا، ونحن نعرف لو أنَّ امرأة فعلت ما تستحق عليه القصاص وكانت حاملًا لا يُقتص منها حتَّى تلد؛ احترامًا لحقِّ الجنين، كما لو قتلت قتيلًا عمدًا، أو ارتكبت جريمة الزنا وهي محصنة، واستحقَّت الرجم، مثل المرأة التي جاءت إلى النبيِّ ﷺ، وقالت: أصبتُ حَدًّا يا رسول الله فطهِّرني. فقال: «**اذهبي حتَّى تلدي**». فلمَّا وَلدتْ وجاءت قال: «**اذهبي حتَّى تفطميه**»[1]. فإذا كان للإسلام سبيل على المرأة فلا سبيل له على ما في بطنها، حتَّى وإن نشأ من حرام، إنَّه مخلوقٌ له حقُّ الحياة، فلا يجوز العدوان عليه.

إرضاع الطفل:

كما أنَّ له حقَّ الرضاعة، لأنَّها من حقِّ الأولاد، ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ﴾ [البقرة: ٢٣٣]. وفي عصرنا أصبحت الكثيرات من النساء يستنكفن من إرضاع أولادهنَّ من ثديهن؛ حتَّى لا يتهدَّل؛ فتظل كأنها بكر أو عذراء، فتُضيِّعَ بذلك حقَّ مولودها، وقد أثبت علم الطب أنَّه لا بديل عن لبن الأم، ثم إنَّ فائدة الرضاعة الطبيعيَّة ليست في الغذاء المادِّي فقط، بل إنَّ الالتصاق والاحتضان المصاحِب للرضاعة فيه غذاء عاطفي، فالأُمُّ لا تُغذِّي طفلَها باللبن فقط، بل بالحنان والحُبِّ، وفي هذا معنًى له قيمة، من حقِّ الطفل أنْ يُرضع، وأنْ يُغذى الغذاء الكافي.

لباس الطفل:

ومن حقِّه أنْ يُلبس اللباس الواقي المناسب له، لقد كنت أرى الأمَّهات في الريف ـ وهنَّ أميَّات ـ حين تُلبس إحداهن طفلها تستبدل

(١) رواه مسلم في الحدود (١٦٩٥)، عن بريدة بن الحصيب.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ملبسًا بآخر، وتقول: هذا الملبس خشن عليه لا يناسبه. وكانت تُلبسه الملبس مقلوبًا؛ حتَّى لا تؤذيه مواضع الخياطة فيه، لقد كنَّ جاهلات، ولكنهنَّ حريصات على أطفالهنَّ، وعلى حساسية جلودهم، فالاهتمام بملابس الأطفال من حقوقهم.

دواء الطفل:

ومن حقوق الأطفال: الاهتمامُ بتوفير الدواء اللازم لهم عندما يحتاجون إليه، ومنه التطعيم في أوانه، ربما لو تغافلت الأم عن تطعيم طفلها ضد مرض «شلل الأطفال» مثلًا، لَظلَّ بقية عمره عاجزًا يعاني ممَّا يعاني منه المرضى بهذا الشلل.

وللأسف في بعض بلاد المسلمين يمتنعون من تطعيم الأطفال ضد هذا المرض، أفتاهم بعض العلماء الذين يعيشون في الزمن الماضي ولا يعيشون في عصرهم، بأنَّ هذا التطعيم لا يجوز؛ لأنَّه دواء يستخلص من الخنزير، إلخ. وترتَّب على ذلك أنَّ الناس في بعض الولايات في نيجيريا، وفي الهند، وفي بنجلاديش، وغيرها امتنعوا عن التطعيم فأصيب الأطفال.

ويريد المختصون في منظمة الصحة العالميَّة أنْ يقضوا نهائيًّا على مرض «شلل الأطفال» لينتهي من العالم، كما انتهى مرض «الجدري»، لكنهم يقولون: للأسف بعض بلاد المسلمين هي التي تقف ضد ذلك. واستعانوا بي، وبنا في الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، قالوا: هل من فتوى في ذلك تبيح التَّطعيم؟ فإنهم في تلك البلاد قالوا: ائتونا بفتوى من فلان لنرجع عن ذلك. فكتبتُ لهم فتوى بأنَّهم بامتناعهم عن التطعيم يعرِّضون أولادهم لأخطار مرض يظلُّ يلازمهم طول حياتهم، وهذه

QaradawiBooks.com

جريمة يرتكبها الآباء في حق الأبناء، فمن حقِّ الطفل أن نحميَه ما استطعنا من الأمراض.

إنَّ الطفل إنسان له كلُّ حقوق الإنسان، إنَّه في الحقيقة مشروع رجل أو امرأة، فيه خصائص الرجل أو المرأة، فيه غرائزه الفطريَّة، فيه المَلَكات التي تجعل منه رجلًا، فإذا أحسنَّا تربيته يمكن أن نجعل منه رجلًا صالحًا، أو امرأة صالحة، ونحن نتكلم عن تربية الطفل، ذكرًا كان أو أنثى: كيف نجعل منه إنسانًا صالحًا في الكبر؟

من عناصر التربية الإسلامية:

يقولون: التعليم في الصغر كالنقش على الحجر. لهذا كانت فترة الطفولة مهمة في التعليم، وأنا ـ أيها الإخوة والأخوات ـ أقول: إنَّ التربية الإسلامية التي يريدها الإسلام ليست هي التربية الدينية كما يتصور الكثيرون، فالتربية الدينية ـ كما أشرت في أول المحاضرة ـ هي عنصر من سبعة عشر عنصرًا من عناصر التربية الإسلامية، نذكر هنا بعض نماذجها:

(١) التربية البدنيَّة:

من عناصر التربية المطلوبة للأطفال: التربية البدنيَّة، لا بدَّ من الحرص على أنْ ينشأ الطفل نشأة جسمية سليمة، من الناحية الصحيَّة، ومن ناحية التَّغذية، يُغذَّى غذاءً كاملا يشمل الأنواع الذي يتطلَّبها الجسم، أحيانًا تريد بعض الأمهات لأطفالهنَّ أنْ يسمنوا، فتُكثِر من بعض الأنواع التي تحقق ذلك، وليس المهم كثرة الطعام ليسمنوا، بل المهم الطعام الذي يُكسِبهم الصحَّة والقوة، فينبغي أن نُحسن التغذية بالطعام المتكامل، وأن نُعَوِّد الطفل من صغره على ذلك، البعض تقول له: كُلْ «سَلَطَةً» أو فاكهةً. فيقول: لمْ أتعوَّد أكلها. بينما يُكثر من طعامٍ ربما أضرَّ به، فينبغي

QaradawiBooks.com

أن نرعى الطفل رعاية صحية جيدة، بحسن التغذية، والبعد به عن الميكروبات، لا نبالغ في ذلك، لكن لا بدَّ من النظافة؛ فالنظافة من الإيمان، والإسلام يعلمنا ذلك، ولكن لا ينبغي أن تصيبنا الوسوسة أكثر من اللازم؛ لأن حياة الطفل لا تكون دائمًا على الوجه المثالي، بل تقابله فيها الشدَّة واليسر، والصفاء والكدر، كما وصف الشاعر أحدهم فقال:

خَطَـرَاتُ النَّسِـيمِ تُدْمِـعُ عَيْنَيْهِ ولَمْـسُ الْحَرِيـرِ يُدْمِـي بَنَانَهْ[1]

مثل هذا لا يصلح لطبيعة الحياة، فيجب أن يتعوَّد على الخشونة، كما قال سيدنا عُمر: «تمعددوا واخشوشنوا...»[2]. لا تدوم الرفاهية، فيجب أنْ يتعوَّد على بعض الخشونة؛ فإنَّ الإسلام يريد جسمًا سليمًا قويًّا خشنًا، خاصَّة بالنسبة للذكور، ولذلك حرَّم الإسلام على الرجال لبس الحرير، وأباحه للمرأة؛ لأنَّ في طبيعة المرأة التَّزيُّن والتَّجمُّل، وفي طبيعة الرجل قدرٌ من الخشونة، ولهذا نُميِّز بين الجنسين في هذا الأمر، وقد ميَّزت الفطرةُ بينهما، ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾ [النجم: ٤٥]. فلا نُذيب الفوارق بينهما، كما تفعل الحضارة الغربية الآن، فهم لا يريدون ذكرًا وأنثى، ولذلك يبيحون الزواج المثلي ونحوه، وهذا خروج عن الفطرة، فينبغي الاهتمام بالتربية الجسمية في ضوء ما ذكرنا.

(٢) التربية العقليَّة:

ومن عناصر التربية المطلوبة كذلك: التربية العقليَّة، فكما نُربِّي جسم الطفل نُربِّي عقله، نريد جسمًا قويًّا وعقلًا قويًّا، فلا نربِّيه على قبول

(١) بلفظ مشابه لشهاب الدين الإعزازي، انظر: نفح الأزهار في منتخبات الأشعار لشاكر شقير البتلوني صـ٩، تحقيق إبراهيم اليازجي، نشر المطبعة الأدبية، بيروت، ط٣، ١٨٨٦م.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في الأدب من مصنفه (٢٦٨٥٤).

QaradawiBooks.com

الخُرافات، كبعض الأمَّهات اللّاتي يحكينَ لأطفالهن حكايات كلها خرافات، ما أنزل الله بها من سلطان، عن العفاريت والأشباح، وفي صغرنا كانت تشيع في حارتنا حكاية عفريتة اسمها «أم جلاجل»، وفي الحارة مدرسة تعمل كالعادة بالنهار، وليس بها في الليل أحد، فشاع أنَّ تلك العفريتة تسكن في البدروم حيث المراحيض ودورات المياه، فكنَّا نخاف من هذه الحكاية، حتَّى إننا نسرع إذا اقتربنا ليلًا من المدرسة، إلا في رمضان؛ اعتقادًا أنَّ العفاريت لا تخرج فيه.

فهكذا تشيع الخرافات، ويلقِّنها الناس للأطفال فيخافون ويرتعبون، لهذا ينبغي أن نُعَوِّد الأولاد على ألا يقبلوا شيئًا إلا إذا قبلته عقولهم، ولا نعرض عليهم إلا الأمور المنطقيَّة، فللأطفال عقول كالكبار، ولا بدَّ أن نُعَوِّدهم منذ الطفولة على ألا يقبلوا ما خرج عن نطاقه، لينشؤوا على عقلية واعية.

(٣) التربية اللغوية:

ومن التربية المطلوبة: التربية اللغوية، ينبغي أن نُربِّي الأطفال على أنْ يتعلَّموا لغة قومهم، المشكلة هنا في الخليج: أنَّ الأم تترك ولدها للخادمة، لقد قلنا: إنَّ الولد نعمة وأمانة، لكن هذه الأمانة تُسلِّمها الأم كُليًّا للخادمة الهندية، أو الفلبينيَّة، أو الإندونيسيَّة، أو غيرها، وقد تسلمها لأكثر من واحدة، كلٌّ منهنَّ تكلّمه بلغتها، فيحتار الولد، وتضيع اللغة العربية.

ويزيد من ضياعها حين يُذهب به إلى المدرسة الأجنبيَّة: الأمريكيَّة أو الفرنسيَّة أو الإنجليزية أو الألمانيَّة، وهذا ما يفكر فيه دائمًا عِلِيَة القوم، فهم يتصوَّرون أنَّ أولادهم لا يكونون من الطبقة الراقية إذا درسوا في مدارس عربية، ثم هو يتعلم فيها العلوم والرياضيات وأمثالها باللغة الأجنبية، ويتعلم تاريخًا غير تاريخ بلاده وأُمَّته، ولا يتعلم التاريخ العربي

QaradawiBooks.com

ولا الإسلامي، ولا يدرس إلا حصةً في اللغة العربية، وحصةً في العلوم الدينيَّة، قلَّما يفهم فيهما شيئًا، وأنا قابلت بعض الأولاد في تلك المدارس لا يعلمون اللغة العربية، وبعضهم قريبين مني، أسألهم: هل فهمتم شيئًا من خُطبتي اليوم؟ يقولون: أبدًا. إنهم يفهمون اللغة العامية، لكن لا يفهمون اللغة الفصحى، ولا يعرفون قراءة كتاب فصيح، لا يعرفون قراءة المصحف، كتاب الإسلام، إنهم بذلك غرباء، واللغة العربية أساس الارتباط بهذا الدين.

كنت في الجزائر من عدة أشهر، وقلت لهم: إنَّ الصحوة الإسلامية في الجزائر هي بنت التعريب. الذي أحدث الصحوة الإسلامية في الجزائر هو تعريب التعليم؛ كان التعليم في الجزائر باللغة الفرنسيَّة كما يعلم الجميع، وحين تخرج الجيل الأول الذي تعلم اللغة العربية بدأ يقرأ الكتب الإسلامية، وأول ما ذهبت إلى الجزائر سنة (١٩٨٢م) طلبوا مني أنْ تُطبع كتبي عندهم، فطبعتها، وكانوا يطبعونها بعشرات الآلاف، فقرأ الشباب الجديد الكتب باللغة العربية، وفهموا الإسلام بلغته، فحدثت الصحوة الإسلامية الهائلة، فلا يُمكن أن نُربِّي أبناءً مرتبطين بأمتهم، مرتبطين بتاريخهم، مرتبطين بتراثهم وجذورهم، مرتبطين بحضارتهم، مرتبطين بدينهم؛ إلا بتعليم اللغة العربية.

التربية اللغوية مطلوبة إذنْ، حتَّى إنَّ سيدنا عمر بن الخطاب يقول: علموا أولادكم السباحة والرماية، ومُروهم فليثبوا على ظهور الخيل، ورؤُوهم ما يجْمُل من الشِّعر[1]. اروا لهم الشعر الجميل،

(١) رواه أبو يعقوب القراب في فضائل الرمي في سبيل الله (١٥)، تحقيق مشهور حسن، نشر مكتبة المنار، الأردن، ط١، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

QaradawiBooks.com

الممتلئ بالمعاني الراقية ليحفظوه، مثل شعر المتنبي، الذي يقول في بعضه:

لا يَسلَمُ الشّرَفُ الرّفيعُ منَ الأذى حتَّى يُـرَاقَ عَلى جَوَانِبِـهِ الدّمُ[1]

أو الذي يقول فيه:

إذا أنتَ أكْرَمتَ الكَريـمَ مَلَكْتَهُ وَإنْ أنْـتَ أكْرَمتَ اللّئيـمَ تَمَرّدَا
وَوَضْعُ النَّدى في موْضعِ السّيفِ بالعُلا مُضِرٌّ كوضْعِ السيفِ في موضع النَّدى
وَلكنْ تَفُـوقُ النّاسَ رَأيًا وَحِكمةً كما فُقتَهمْ حالًا وَنَفسًـا وَمحْتِدَا[2]

وهكذا، روُّوهم ما يجْمُل من الشِّعر، ويلزم ذلك أنْ يتعلموا اللغة العربية.

(٤) التربية الدينيَّة:

ومن عناصر التربية المطلوبة: التربية الدينيَّة، فنُعَلِّم الطفل العقيدة السليمة، تعليما مُيسَّرًا، ولا تكون مهمَّتنا أن نُحفِّظه كلمات، أذكر ونحن في الكُتَّاب كانوا يُحفِّظوننا أن نقول: نعتقد أنَّ لله تعالى صفاتٍ عشرين، هي القدرة، والحياة، والسمع، والبصر، والوحدانيَّة، وقيامه تعالى بنفسه، ومخالفته تعالى للحوادث، وكونه تعالى سميعًا وبصيرًا ومتكلمًا، إلى آخره. فنحفظ هذه الكلمات ولا نفهم عنها شيئًا، وإلى اليوم نرى من يقولون: نحن نلقِّن الطفل العقيدة! كيف ذلك؟ هل تُحفِّظه كلمات وهو لا يعلم عنها شيئًا؟

(١) انظر: ديوان المتنبي صـ٥٧١.
(٢) المرجع السابق صـ٣٧٢.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

التفهيم لا التلقين:

إنَّ العقيدة ليست كلماتٍ نلقنها الأطفال، العقيدة أفكار لا بدَّ أنْ تكون واضحة، وأن ننزل إلى مستوى عقولهم في سبيل توضيحها، فنقول للطفل مثلًا: مَنْ صنع هذا الباب؟ فيقول: النجار. ومَنْ بنى هذا البيت؟ فيقول: المهندس. فنقول له: ومن أنشأنا، وأنشأ السماء، والشمس، والقمر؟ هنا نُعلِّمه أنَّ الله تعالى هو الذي خلقنا، وخلق كلَّ الموجودات، فهكذا نخاطبه بعقليَّته حتَّى يفهم عنا.

التحبيب لا التخويف:

ولا ينبغي أنْ يكون كلُّ همِّنا أن نُخوِّف الأطفال من النَّار، فالتخويف ليس هو الأسلوب الأمثل في التربية الدينيَّة، وقد شكا إليَّ ذات مرة أحد الآباء، فقال: إنَّ ابنته ـ وعمرها سبع سنوات تقريبًا ـ تقوم من الليل فتصرخ فزعة. قلت له: هل تعرف سبب ذلك؟ قال: لا أعرف، لكنها منذ فترة سمعت لأحد الوعَّاظ شريطًا في عذاب القبر. وهذا الواعظ طبعًا أخذ يتكلم عن عذاب القبر، وأنَّ فيه حيَّات كالأفيال، وعقارب كالبغال، تلدغ الميت لدغة فيبقى ألمها سبعين عامًا، فسمعت البنت هذا الكلام وأصْغَت إليه بكل جوارحها وجوانحها، فامتلأت خوفًا ورعبًا، فأصبح ذلك يؤثِّر عليها في نومها.

وأنا في شهر رمضان يكون عندي كل ليلة درس في المسجد، فكثيرًا ما تأتيني التساؤلات، وترسل إليَّ مَنْ تقول: أرجو أنْ تحدِّثنا عن عذاب القبر.

والقرآن لم يحدِّثنا عن عذاب القبر إلا لمامًا، وبأسلوب غير صريح، كما في قوله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ۝ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥، ٤٦].

QaradawiBooks.com

قالوا: غُدُوًّا وَعَشِيًّا في الدنيا، فهي التي بها غداة وعشيّ. فاستدلوا بهذه الآية على وجود عذاب القبر، مع أنَّها غير صريحة، وتوجد أحاديث في ذلك، والصحيح الصريح منها محدود العدد، أمَّا أكثرها فأحاديث ضعيفة، ومنكرة، وموضوعة، ومكذوبة على رسول الله ﷺ، تتضمَّن أساطير وتهاويل ومبالغات، ما قام عليها برهان، وما أنزل الله بها من سلطان، ينبغي أن نُجنِّب أولادنا سماعها.

يجب أن نُعلِّم أولادنا محبَّة الله، أكثر من مخافة الله، نُعلِّمهم أنَّ العلاقة بيننا وبين الله قائمة على الحب، فهو الذي أنعم علينا بنِعَمٍ لا تُعَدُّ ولا تُحصَى، فهو الذي أنعم علينا بالعقل، وأنعم علينا بالحواسّ، وهو الذي أنعم علينا بهذا الكون، ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُ﴾ [الجاثية: ١٣].

كلُّ ما في الأرض مُعَدٌّ لخدمة الإنسان، الشمس ضياء، والقمر نور، والأرض بساط ومِهاد، والمياه سقاء، كلُّ ما في الكون مُعَدٌّ خصيصًا ليخدم الحياة الإنسانيَّة، وعلماء الكون يقولون: من ينظر إلى الكرة الأرضيَّة يجد أنَّها أُعدَّت إعدادًا خاصًّا من أجل حياة الإنسان، لو كانت أكبر من حجمها، أو كانت أسرع في دورانها، أو أبطأ ممَّا هي عليه، ما قامت الحياة عليها، كل شيء في الكون مُرتَّبٌ لكي تصلح الحياة على هذه الأرض، والله ﷻ هو الذي فعل هذا.

ينبغي أن نعُلِّم أولادنا أنَّ كلَّ النِّعم التي حولنا من الله ﷻ، فَنُحبِّبَ الله تعالى إليهم بدل أن نُخوِّفهم منه، إذا ذكرنا لهم عذابَ الله نذكره بِخِفَّةٍ، ونذكره مع الرحمة، ونُقدِّم الرحمة عليه، ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠]. يجب أن نُحسن تربية أولادنا دينيًّا.

QaradawiBooks.com

وعندما يبلغ الطفل سبع سنين نأمره بالصلاة، لأنَّه أصبح بذلك في سنٍّ قابل للتعليم، وعندما يبلغ عشر سنين نقول له: صَلِّ أو تُضْرب. وأنا عوَّدت أولادي وأحفادي على أن نحتفل بالطفل عند سنِّ سبع سنوات، فليس من الضروري أن نحتفل كلَّ سنة على طريقة الغربيين، إنَّما حين يبلغ الطفل سبعًا نقيم له حفلًا، ونقول له: لقد كبرت، وهذه سنُّ الصَّلاة، فمطلوب منك أنْ تصلِّي. وعندما يبلغ عشرًا نقيم له حفلًا ثانيًا، ونقول له: هذه حفلة الضرب يا بطل، إذا لم تُصَلِّ ستُضْرَب؛ فقد صرت الآن أكبر. وهكذا؛ بأسلوب يجمع بين الجِدِّ والمَزح كي يستوعب الطفل ويستقيم، ثم عندما يبلغ خمس عشرة سنة نقيم له حفلًا ثالثًا، ونقول له: لقد بلغت سنَّ التكليف، وستُحْصى عليك أعمالُك من الآن. هكذا نربط الحفلات بمعَانٍ معيَّنة، هذه هي التربية الدينيَّة التي نربي أطفالنا عليها.

(٥) التربية الجنسيَّة:

التربية الإسلامية تربية واسعة جدًّا، وأنا لا أريد أنْ أطيل، هناك مثلًا التربية الجنسيَّة، قد يظن البعض أنَّ الإسلام ليست له علاقة بها، وهذا غير صحيح، فالإسلام يهتم بالتربية الجنسية، وينبغي أنْ يُربَّى الأبناء والبنات تربية جنسية نظيفة، جدية، إيجابية، ولا نترك الأولاد على غُماهم وعَماهم، ثم يتعلموا هذا الأمور من أصدقائهم وصديقاتهم، فلا يبذل الأب، ولا الأم، ولا المدرسة جهدًا في ذلك، مع أنَّ الإسلام جعل هذه التربية تأتي في فقه الطهارة، وقد تعلمنا هذه الأمور ونحن ندرس نواقض الوضوء، وموجبات الغسل، والحيض والنفاس.

QaradawiBooks.com

لكن الآن قد لا تشرح المُعلِّمة للبنات معنى الحيض والنفاس، وتترك البنت لا تعرف شيئًا، وقد ينزل الحيض عليها، ولا يعرف أهلها، وقد تصوم وهي حائض، والصوم مُحرَّم عليها، لم يُعلِّمها أحدٌ شيئًا عن ذلك، الآن قد تجد البنت أو الولد يخطئ فيقرأ: نُزول المُنَى. لا أحدٌ منهما يعلم أنَّها نُزول المَنِيّ ـ وليس المُنَى ـ وأنَّه إذا تزوَّج الرجل المرأة يحدث بينهما وقاع، وبهذا ينشأ الولد، فماذا لو أخذنا الأمر بجديَّة، كما كان يُدرَّس ذلك في المساجد ويستقبله النَّاس بغير تعقيد، إننا نستطيع أن نعلِّم أولادنا وندرسهم هذه الأمور على وجه إيجابي وجِدّي وسريع، وفي جوٍّ إيجابي وجِدِّي ونظيف، حتَّى لا ينشؤوا وهم في غفلة تامَّة عن الناحية الجنسيَّة.

منهج التربية الإسلامية:

إنَّ التربية الإسلامية ـ أيُّها الإخوة والأخوات ـ تشمل كلَّ هذه العناصر من التربية، سبعة عشر عنصرًا في التربية الإسلامية، لكننا نكتفي بما ذكرناه هنا لضيق الوقت.

نحن نريد أن نربِّي أولادنا تربية إسلامية شاملة خالصة، تقوم على منهج سليم.

بين التدليل والقسوة:

هذا المنهج وسط بين التدليل والقسوة، هناك من يدلِّل الأولاد، فكل ما يطلبونه مُجَاب، كل ما يرغبون فيه يُلبَّى، وهذه الطريقة تفسدهم، لكن ينبغي إذا أراد الولد أنْ يأكل شيئًا معيَّنًا نقول له: لا يا بُني؛ هذا الشيء ضارٌّ، دعك منه. أمَّا إذا كانت إشارته أمر، وطاعته غُنْم فهذا إفساد له،

QaradawiBooks.com

مثل ولدٍ عمره خمس عشرة سنة، يعطيه والده السيارة ليركبها، فينطلق بها ويفعل الحوادث، وهذا من أثر التدليل المفسد.

وكذلك هناك آباء يُربُّون أولادهم بقسوة، يتعاملون معهم بشدَّة، كما كان كثير من الأعراب في الجاهليَّة، لا يُقَبِّلون أولادهم، حتَّى مجرَّد التقبيل لا يفعلونه، ودخل أحدهم على النبي ﷺ وهو يُقبِّل الحسن والحسين، فقال: أوَتقبِّلون أولادَكم؟! إنَّ لي عشرة من الولد ما قبَّلت واحدًا منهم قط. فقال له النَّبي ﷺ: «**أوَأملكُ لك أن نزع الله من قلبك الرحمة**»[(١)]. وقال: «**مَن لا يَرْحم لا يُرحم**»[(٢)]. كيف تستحقُّ الرحمة، إن كنتَ لا ترحم أولادك؟ الذي يستحقُّ الرحمة هو من يرحَم الخَلْق، «**الراحمون يرحمهم الرحمنُ، ارحموا مَنْ في الأرض يرحمكم من في السماء**»[(٣)].

فهذا الرجل لا يرحم ولده وفلذة كبده، حتَّى القُبْلَة لا يمنحها إيَّاه، والنبيُّ ﷺ كان يُقبِّل الأولاد، وخصوصًا أحفاده، وكان يرحم الأولاد ويلاعبهم، وينزل إلى مستواهم، دخل أحد الصحابة عليه ﷺ وقد وطَّأ ظهره، ليركب فوقه اثنان من أحفاده، فقال لهما: نِعْمَ المركب ركبتما. فقال النبي ﷺ: «**ونِعْمَ الفارسان هما**»[(٤)].

وقال أحد الصحابة: خرج علينا رسول الله ﷺ في إحدى صلاتَي العشي ـ الظهر أو العصر ـ وهو حامل أحد ابنيه ـ الحسن أو الحسين ـ

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٥٩٩٨)، ومسلم في الفضائل (٢٣١٧)، عن عائشة.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٥٩٩٧)، ومسلم في الفضائل (٢٣١٨)، عن أبي هريرة.

(٣) سبق تخريجه صـ٣١٧.

(٤) رواه البزار (٢٩٣)، وأبو يعلى كما في المطالب العالية (٣٩٦٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٠٧٨): رواه أبو يعلى في الكبير، ورجاله رجال الصحيح، ورواه البزار بإسناد ضعيف. عن عمر بن الخطاب.

QaradawiBooks.com

فتقدَّم رسول الله ﷺ فوضعه عند قدمه اليُمنى، فسجد رسولُ الله ﷺ سجدةً أطالها، قال: فرفعتُ رأسي من بين الناس، فإذا رسول الله ﷺ ساجد، وإذا الغلام راكب على ظهره، فعُدت فسجدت، فلمَّا انصرف رسول الله ﷺ قال الناس: يا رسول الله، لقد سجدتَ في صلاتك هذه سجدةً ما كنت تسجدها، أفشيءٌ أُمِرتَ به؟ أو كان يُوحَى إليك؟ قال: «**كُلُّ ذلك لم يكن، ولكنَّ ابني ارتحلني، فكرهت أنْ أُعْجِلَه حتَّى يقضي حاجته**»(١).

كان يمكن أنْ يهتز فيوقع الولد، لكنَّه لم يحب أنْ يفعل هذه الفعلة العنيفة، بل تركه حتَّى يشبع فينزل، تركه يُنهي نهمته وينزل باختياره، وكان ﷺ إذا لقي الصبيان يسلِّم عليهم(٢). وكان لابن أبي طلحة طائر مثل العصفور يلعب به، اسمه النُغير، فدخل عليه النبيُّ ﷺ ذات يوم فرآه حزينًا، فقال: «**ما شأنه؟**» قالوا: مات نُغَرُه. فقال: «**يا أبا عُمَيْر ما فعل النُّغير؟**»(٣).

انظر إلى أيِّ حدٍّ يتحبَّب النبي ﷺ إلى الأطفال ويلاطفهم، ويخاطبهم مثل الرجال؟ لذلك قال بعض السلف: لاعب ابنَك سبعًا، ثم أدِّبه سبعًا، ثم آخِهِ سبعًا، ثم ألقي حبله على غاربه. أتحْ له فرصةَ اللعب سبع سنين، وقد أصبح اللعب الآن ألوانًا وألوانًا، ألعاب عقليَّة، وألعاب مسليَّة، ألعاب شتَّى، اتركه يلعب، ولكن اللعب الذي يفيده، ولا يضيع وقته.

---

(١) رواه أحمد (١٦٠٣٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. والنسائي في التطبيق (١١٤١)، والحاكم في معرفة الصحابة (١٦٥/٣)، وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي. عن شداد بن الهاد.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الاستئذان (٦٢٤٧)، ومسلم في السلام (٢١٦٨)، عن أنس.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦١٢٩)، ومسلم في الآداب (٣١٥٠)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

ثم أدِّبه سبعًا، كما ورد: «**ما نَحَلَ والدٌ ولدَه نُحْلًا أفضلَ من أدبٍ حسنٍ**»[١]. أفضل عطيَّة يعطيها الوالد ولده الأدب الحسن، خصوصًا في أيام الصِّغَر، كما قال الشاعر:

وينفع الأدبُ الأحداثَ في صِغرٍ ... وليس ينفعُ عند الشّيبةِ الأَدَبُ

إنَّ الغصونَ إذا قوَّمتها اعتدلت ... ولن تلينَ إذا قوَّمتها الخُشُبُ[٢]

هكذا الأدب في الصغر.

ثم آخه سبعا، عامله كأنه أخوك، وفي الأمثال: «إذا كبر ابنك خاويه». أي: اجعله أخًا، أشعِره برجولته، بأنه بلغ مبلغ المسؤوليَّة، لا تعامله كأنه لا يزال طفلا، بل عامِلْه بأنه قد صار أهلًا لأنْ يتحمَّل معك المسؤوليَّة.

اليتيم في حياة أبويه:

هذا هو الواجب على الآباء والأمهات نحو تربية أولادهم، فالولد السعيد الموفَّق هو الذي يرزقه الله أبًا وأمًّا يُحسنان تربيتَه، والولد غير المحظوظ هو الذي يُبتَلى بأبٍ وأمٍّ مشغولين عنه، فهو اليتيم في حياة أبويه، أمُّه مشغولة بأصدقائها وصديقاتها، تنفق كثيرًا من وقتها أمام المرآة، فهي سيدة المجتمع، وهي التي تترك أولادها للخادمات! وأبوه رجل أعمال، ورجل أموال، ما قيمة المليارات إذا أهملتَ أولادك، ولم تحمِهِم من النار، كما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم: ٦]، نار الدنيا، ونار الآخرة، اليتيم حقًّا من لم يجد أبًا يحنُو

(١) رواه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (١٦٧١٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والترمذي في البر والصلة (١٩٥٢)، وقال: حديث غريب... وهذا عندي حديث مرسل. والحاكم في الأدب (٢٦٣/٤)، وصحَّح إسناده، وتعقبه الذهبي: بل مرسل ضعيف. عن جد أيوب بن موسى.

(٢) من شعر سابق البربري، كما في جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (٣٦٠/١).

QaradawiBooks.com

عليه، ولا أمًّا تحنُو عليه، وهذا ما قاله أمير الشعراء أحمد شوقي فأحسن فيما قال:

ليس اليتيمُ من انتهى أبوَاهُ من ... هَمِّ الحياةِ وَخَلَّفاهُ ذليلَا
فأصابَ بالدنيا الحَكيمةِ منهما ... وبحُسْنِ تربيةِ الزمان بَديلَا
إنَّ اليتيمَ هو الذي تَلْقَى له ... أمًّا تخلَّتْ أو أبًا مَشْغولَا[1]

هذا هو اليتيم حقًّا.

أيها الإخوة، هذا هو الذي ينبغي في تربية أطفالنا وأبنائنا تربيةً إسلاميَّة؛ حتَّى يكونوا نافعين لأنفسهم، نافعين لأسرتهم، نافعين لمجتمعهم، نافعين لأمَّتهم الكبرى، نافعين للإنسانيَّة كلِّها، وهذه هي التربية التي نريدها لأولادنا، لأطفالنا، لأبنائنا؛ ليكونوا رجال المستقبل، وآباء المستقبل، وأمَّهات المستقبل، وليخدموا أوطانَهم، وأمَّتَهم، ودينَهم، ويكونوا قرَّة عين لآبائهم وأمَّهاتهم، كما قال عباد الرحمن: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

أسأل الله تبارك وتعالى أنْ يفقِّهنا في ديننا، وأنْ يُعلِّمنا ما ينفعنا، وأنْ ينفعَنا بما علَّمنا، وصلَّى الله على سيدنا محمدٍ، وعلى آله وصحبه وسلَّم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

(١) انظر: أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (١٨٣/١).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

١٩

أضواء على تربية الأولاد في الإسلام

غير مرخصة للطباع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الَّذي بنعمته تتمُّ الصَّالحات، الَّذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أنْ هدانا الله، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدَنا وإمامَنا وأُسوتنا وحبيبنا محمدًا عبد الله ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، الذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه واتَّبعوا النُّور الَّذي أنزل معه، أولئك هم المفلحون، ورضي الله عمَّن دعا بدعوته، واهتدي بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

خير ما أُحيِّيكم به ـ أيُّها الإخوة الأحبَّة ـ تحيَّةُ الإسلام، وتحيَّةُ الإسلام السلام، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(أمَّا بَعد)

فقد كنت أودُّ أن أستمع معكم إلى الأخ الداعية الكريم الشيخ عبد الحميد البلالي، ولكن قدَّر الله أنْ يتأخَّر، وما شاء الله فعل، وحينما جاءني الإخوة اليومَ مع وقت المغرب يطلبون إليَّ أن آتي لأحدثكم، لم أجد بُدًّا من تلبية النداء، والنجدة في هذه الظروف الحرجة، وأنْ أتحدَّث حول نفس الموضوع الَّذي كان قد أعدَّه الأخ الشيخ عبد الحميد

QaradawiBooks.com

وحضَّره، لكنِّي سأتحدث بخواطر مرسلة حول تربية الأولاد، وأهميتها في الإسلام عامة، وفي هذه المرحلة من حياتنا الإسلاميَّة خاصة.

الأولاد نعمة تستوجب الشكر:

الأولاد في نظر الإسلام، نعمةٌ من نِعَم الله تبارك وتعالى، هبة من الله ﷻ سواء كانوا ذكورًا أم إناثًا، كما قال الله سبحانه: ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠].

نظرة الجاهلية للمرأة:

والقرآن الكريم حينما يقرِّر أنَّ الأولاد ـ سواء كانوا ذكورًا أم إناثًا ـ هبة من الله ﷻ ونعمة، يردُّ بذلك على أهل الجاهليَّة الذين اعتبروا الذكور وحدهم نعمة، واعتبروا الإناث محنةً ونقمةً، كما قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [النحل: ٥٨، ٥٩].

ولدت امرأةُ أحدِهم، فسأل: ما ولدت؟ قالوا: أنثى. قال: ما هي بنعم الولد؛ نصرها بكاء، وبرُّها سرقة. أي أنَّها ليست بالولد الَّذي يُرحَّبُ به، لأنَّها لا تستطيع أنْ تنصر أباها ـ إذا أغارت عليه أو على قبيلته الخصوم ـ إلا بالبكاء والصياح، لا تستطيع أنْ تحمل السيف أو الرمح أو الحربة، كما أنَّها كذلك لا تستطيع أنْ تبرَّ أباها إلا بالسرقة من مال زوجها.

هكذا كان يُنظر في الجاهليَّة إلى المرأة، ولذلك كانت تُعتبر ولادتها مصيبة وكارثة، يفكر أبوها أيمسكها على هُون ويرضى بالواقع، أم يدسها في التراب ويتخلص منها؟

QaradawiBooks.com

البنات نعمةٌ وهِبةٌ:

لكن الإسلام يعتبر البنات هبةً من الله، حتَّى إنَّ الآية بدأت بالبنات: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾. ومن هنا شاع بين المسلمين هذا القول: خير النساء من بَكَّرت بأنثى. أخذًا من هذه الآية الَّتي بدأ الله فيها بذكر الإناث، فالأولاد نعمة من الله ﷻ، وكل نعمة ينبغي أنْ تقابل بشكر، فإذا أراد الإنسان أنْ يحافظ على النعمة، وأنْ يزيده الله منها، عليه أنْ يشكر الله تعالى عليها.

الذُّريَّة الصالحة قرَّة عين الأنبياء والصالحين:

ومن أراد أنْ يشكر الله على نعمة الأولاد فعليه أنْ يُحسن تربيتهم، أنْ يحسن توجيههم، حتَّى يكونوا له قرَّة عين، لهذا كان من أدعية عباد الرحمن الَّتي ذكرها القرآن الكريم: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]. هب لنا من أزواجنا وذريَّاتنا ما تقرُّ به أعيننا، وتنشرح به صدورنا، وتطمئن به قلوبنا، فمن الأولاد ما يكون قرَّة أعين، ومنهم ما يكون لعنة على والديه، والعياذ بالله، بما يجلب لأهله من المصائب، فلهذا كان من أدعية هؤلاء العباد، ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾.

وكذلك كان الأنبياء جميعًا مشغولين بالدعاء لأبنائهم أن يكونوا صالحين مقبولين، مثل دعاء زكريا عليه السلام ربه: ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم: ٥، ٦]. اجعله رضيًّا مرضيًّا عندك، ولهذا بشَّره الله تعالى: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٧]، ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مريم: ١٤]، ومثل دعاء إبراهيم عليه السلام ربَّه: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن

QaradawiBooks.com

﴿ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ۝ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤٠، ٤١]. فهو يدعو لفروعه، كما يدعو لأصوله، ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

فهؤلاء الأنبياء مشغولون بذريَّاتهم مِنْ بعدِهم، أنْ تكون ذريَّة صالحة، فليس المهم فقط أنْ تنجب أولادًا يُكتَبون في سجل الأحياء، ولكنَّ المهم أنْ يكتبوا في سجل الصالحين من الأحياء.

مسؤوليَّة الآباء تجاه أولادهم:

ومن هنا كانت مسؤوليَّة الأبوين قبل أي مسؤوليَّة هي رعاية الأولاد، كما في الحديث المتَّفق عليه عن ابن عمر رضي الله عنه، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيَّته، الإمام راعٍ ومسؤولٌ عن رعيَّته، والرجلُ راعٍ في أهله وهو مسؤولٌ عن رعيته، والمرأة راعيةٌ في بيت زوجها ومسؤولةٌ عن رعيتها، والخادم راع في مال سيِّدِه ومسؤولٌ عن رعيَّته**»[1]. الرجل راعٍ، وهذه الرعاية ليست للجوانب الماديَّة فقط، فبعض الناس الَّذي يظنُّ أنَّ مهمَّته أن ينجب الأولاد، ويطعمهم، ويكسوهم، ويوفِّر لهم المال اللازم، ثم لا شيء بعد ذلك، لا، ليست هذه هي الرعاية المطلوبة، إنَّ رعاية الجوانب المعنويَّة أهم من رعاية الجوانب الماديَّة.

رعاية الأولاد ماديًّا ومعنويًّا:

ما قيمة أنْ تطعم ولدك، وتكسوه، وتوفِّر له الأموال والثروة، وتهيِّئ له أنْ يتعلم، ويصل إلى أرقى المناصب، ولكنَّه ـ والعياذ بالله ـ بعيدٌ عن

(١) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في الجمعة (٨٩٣)، ومسلم في الإمارة (١٨٢٩)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

الله، بعيدٌ عن الحقّ، بعيدٌ عن الخير، بعيد عن الفضيلة، بعيدٌ عن طاعة الله، يركض وراء الشهوات، ويعبُّ من الملذَّات عبًّا، ولا يبالي في طريقه أكان حلالًا أم حرامًا، فينتهي به المصير إلى النار، وبئس القرار؟

إنَّ الله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]. فإذا أنت لم تَقِ أهلك وأولادك النَّار فلم تقم إذنْ بحقهم عليك، فليست الوقاية بأنْ تُوفِّر لهم المادَّة والمال فقط، بالعكس: قد يكون هذا المال وبالًا عليهم إذا زاد عن حدِّه، كما قال أبو العتاهية، في أرجوزته الشهيرة:

إنَّ الشباب والفراغ والجدة مفسدةٌ للمرء أي مفسدة[1]

شبابٌ وفراغٌ وجدة، فكلما أراد الولد شيئًا وجده أمامه ماثلًا، لا يتأخَّر عنه والده فيما يطلب من مال أو غيره، لا، ليست هذه هي التربية السويَّة، لا بدَّ أن يتعوَّد الولد على أنَّ هناك ما يقدر عليه، وهناك ما لا يقدر عليه، وأنَّ هناك سلوك يليق، وسلوك لا يليق، وليس كل ما يشتهيه يفعله، بل عليه أنْ يفعل ما ينبغي، لا ما يشتهي.

نقول: لا قيمة في أن تطعم ولدك وتكسوه وتغذِّيه، ثم ينتهي به الأمر إلى النار والعياذ بالله، إنك بذلك لم تحمِ ولدك وفلذة كبدك من النار، ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾، ولذلك ورد عن سيدنا علي بن أبي طالب، في تفسير هذه الآية، قوله: عَلِّموهم الخير[2]. كيف تقيهم من النار؟ تعلمهم الخير.

---

(١) انظر: خاص الخاص للثعالبي صـ١٠٩، تحقيق حسن الأمين، نشر دار مكتبة الحياة، بيروت.

(٢) رواه الحاكم في التفسير (٤٩٤/٢)، وصحَّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي. وقال ابن حجر في فتح الباري (٦٥٩/٨): رواته ثقات.

QaradawiBooks.com

وعي الطفولة:

عليك أنْ تبدأ في تعليم ولدك منذ نعومة أظافره، منذ صغره، لا تنتظر حتَّى يبلغ الصبي، ثم تبدأ في تعليمه، لا، هذا الصبي ينبغي أنْ يتعلَّم وهو طفل، وللأطفال استعداد كبير للتلقِّي والتعلُّم في هذا السنِّ، ولهذا كان بعض السلف يقول: إنا لنسوِّ بين أولادنا وأطفالنا في القبلات. يعني إذا قبَّل أحدهم طفلًا، قبَّل الطفل الآخر، قد يكون عُمْر الطفل الآخر سنتين، ولهذا نعتبره جاهلًا، لكنَّ لديه في الواقع فطرة سليمة، وإحساس قويّ، فإذا قبَّلت طفلًا، أو اعتنقته، أو احتضنتَه، ثم تركت شقيقه فإنه يتحسَّس ويتألم، وقد يضمر في نفسه غيْرة على أخيه، وشيئًا فشيئًا تتكوَّن في نفسه عقدة، والأبُ غافل لا يدري، ولذلك فعليه إذا قبَّل طفلًا أنْ يُقبِّل أخاه.

عبرة من قصة يعقوب عليه السلام:

وقد ذكر القرآن لنا قصة ذات عبرة، هي قصَّة يعقوب عليه السلام وأولاده، فقد كان يحب بعض أولاده أكثر من بعض، يحبُّ يوسف وأخَ يوسف، الَّذي يُسمَّى بنيامين، ولعلَّه كان معذورًا في هذا، لأن يوسف وأخاه كانا أصغر أولاده، وكانا يتيمي الأم، وآتى الله يوسف من الحسن ما لم يؤته غيره، فلا عجب أنْ يعطيه من الحب أكثر من غيره، كما قيل لأحد الأعراب: أي أولادك أحبُّ إليك؟ قال: صغيرهم حتَّى يكبر، وغائبهم حتَّى يحضر، ومريضهم حتَّى يشفى[1]. ويوسف كان صغيرًا ويتيمًا، وفيه من مخايل الحُسن والنبوغ ما رآه أبوه فأحبَّه أكثر، لكنَّ هذا الحب جلبَ شرًّا كثيرًا، حتَّى إنَّ إخوته من أبيه تآمروا عليه، إذ قالوا:

(١) رواه الدينوري في المجالسة وطلب العلم (١٠٩٦)، عن الأصمعي.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ۞ ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ٨، ٩]. فالطفولة تدرك وتحس، حتَّى وإن كانت في غير وقت التَّمييز، ومن هنا عليك أنْ تبدأ تربية أولادك منذ صغرهم.

التربية قبل الزواج:

بل نقول أكثر من ذلك: ابدأ التربية قبل الزواج. كيف؟ حين تختار أُمًّا لأولادك، أحسن اختيارها، كما قال أحد الشعراء، يمتنُّ على أولاده:

فأول إحساني إليكم تخيُّري لماجدةِ الأعراق بادٍ عفافها[1]

يقول: أول إحساني إليكم أنِّي أحسنت اختيار أُمِّكم، اخترت لكم أُمًّا ماجدة الأعراق، بادية العفاف. فحُسن اختيار الأم أمرٌ مهمٌّ، كما جاء في الحديث الشريف: «**تَخَيَّروا لنُطَفِكم، وأنكحوا الأكفاء، وأنكحوا إليهم**»[2]. فللوراثة والبيئة تأثير في حياة الأطفال، كما أشار حافظ إبراهيم، شاعر النيل، في البيت المشهور:

الأُمُّ مَدرَسَةٌ إذا أَعدَدتَها أَعدَدتَ شَعبًا طَيِّبَ الأَعراقِ[3]

من أحكام المولود:

وفي أثناء الحمل ينبغي أنْ تُراعَى حالةُ الأم الجسديَّة والنفسيَّة؛ لأهميَّة ذلك، ولتأثيره على الجنين في بطنها، ثم تنطلق التربية بعد

(١) أدب الدنيا والدين صـ١٥٨.

(٢) سبق تخريجه صـ٤٤٠.

(٣) انظر: ديوان حافظ صـ٢٧٠، ضبط وتصحيح أحمد أمين بك وأحمد الزين وإبراهيم الإبياري، نشر دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٤٨م.

QaradawiBooks.com

الولادة، وهناك أحكام تتعلق بالمولود بعد أنْ يولد، ضمَّنها الإمام ابن القيم كتابًا سمَّاه «تحفة المودود في أحكام المولود»، منها: أنْ تُحسن اسمه، وتتصدَّق بوزن شعره ذهبًا، وتعقَّ عنه في اليوم السابع من ولادته، أي: تذبح عنه ذبيحةً؛ شكرًا لنعمة الله، وتعميمًا للفرحة بهذا المولود.

وتظل هناك أحكام أخرى، منها ما يتعلق بالرضاعة، ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، إلى آخره.

وهناك أحكام تظل مع الإنسان طوال حياته: في الطفولة المبكِّرة، والمتأخِّرة، وفي مرحلة الصبا، وفي مرحلة الشباب، وفي مرحلة الشيخوخة.

عناية الإسلام باليتامى:

وقد عُني الإسلام بالطفولة، خصوصًا الطفولة الَّتي فقدت الأب، الَّتي يسميها العرب «اليُتْم»، واهتم القرآن الكريم بأمر اليتيم واليتامى؛ لأنَّ هذا اليتيم قد يضيع في المجتمع، وبدلًا من أنْ يصبح عضوًا نافعًا وحيًّا في جسمه، يصبح آلةً من آلات تدميره، إذا لم تَحْسُن تربيته وتوجيهه، والمحافظة على نفسيَّته وعلى شخصيَّته؛ وهو بفقده للأبِ والناصر يصبح حسَّاسًا لأيّ كلمة، ولأيّ حركة، ومن هنا جاء في القرآن: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى: ٩]. ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ [الماعون: ١، ٢]، أي: يدفعه بعنف.

اليتيم في حياة أبيه:

وهناك أناس يُصابون باليُتْم في حياة آبائهم وأمَّهاتهم، فكما أنَّ هناك

QaradawiBooks.com

يتيمًا فقد أباه بالفعل، فهناك يتيم يعيش يتيمًا وأبوه حيٌّ، وأمه حيَّةٌ تسعى، وهذه هي المصيبة الكبرى، كما قال شوقي في قصيدة المُعلِّم:

ليس اليتيمُ من انتهى أبوَاهُ من ... هَمِّ الحياةِ وَخَلَّفاهُ ذليلا
فأصابَ بالدنيا الحَكيمةِ منهما ... وبحُسْنِ تربيةِ الزمان بَديلا
إنَّ اليتيمَ هو الَّذي تَلْقَى له ... أمًّا تخلتْ أو أبًا مَشْغولا[1]

هذا هو اليُتْم الحقيقي، أنْ يكون للإنسان أبٌ مشغولٌ عنه، ما قيمة الأبوة حين يأتي الأب منتصف الليل إلى المنزل، بعد أنْ ينام أولاده، ويقوم الأولاد في الصباح إلى المدارس، والأب يغُطُّ في نومٍ عميقٍ، لا هم رأوه في الصباح، ولا هم رأوه في المساء؟ هل هذه حقًّا أبوَّة؟ ليست هذه أبوَّة أبدًا.

والأم المشغولة بنفسها، تخلَّت هي الأخرى عن تربية أولادها، اهتمَّت فقط بزينتها، وبوقوفها أمام المرآة، فالحضارة المعاصرة جعلت المرأة تعيش في بيتها أسوأ ما تكون حالًا، لا تُحسن في لبسها، ولا في زينتها، فإذا أرادت الخروج إلى الشارع، أخذت تَتَزيَّن وتَتَجمَّل وتَتَعطَّر، والصواب أنْ تتجمَّل الزوجة لزوجها، تتجمَّل للبيت لا للشارع، فهؤلاء الأمَّهات والآباء في الحقيقة فقَدَهم أولادُهم وهم أحياء.

لهذا كان للأسرة أهميَّة كبيرة في تربية الكائن الإنساني، فما هي التربية؟

معنى التربية وغايتها في الإسلام:

التربية: هي العمل على أنْ يصل الكائن الحيّ إلى مرتبة الكمال المُقدَّر لنوعه، كما هو الحال بالنسبة إلى تربية النبات، وتربية الحيوان.

(١) أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (١٨٣/١).

QaradawiBooks.com

والتربية تختلف باختلاف الأهداف، فمثلًا: مَنْ يربِّي بقرة لتُدِرَّ اللبن، غير مَنْ يربِّيها طلبًا للحمها، غير مَنْ يربِّيها للعمل، تختلف الأهداف في هذا، كذلك هناك أهداف لتربية الإنسان في الإسلام، ولا بدَّ أنْ تكون واضحة أمامنا، وهي أننا نربِّي الإنسان المؤمن، الصَّالح في نفسه، المصلح لغيره، الإنسان النَّاجي من خُسْرِ الدنيا والآخرة، الإنسان الَّذي ذكرته سورة العصر: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣]. هذا هو الإنسان الَّذي تهدف إليه التربية الإسلاميَّة، الإنسان المتكامل الشخصية، الإسلام يريد إنسانًا متكاملًا، لا يريد إنسانًا عابدًا لله متنسكًا فقط، ولكنَّه في الدنيا خامل غير عامل، لا يريده أنْ يكون قويَّ الروح ضعيفَ الجسم، ولا يريده أنْ يكون قويَّ الروح ضعيف العقل والتفكير، بل يريد الإسلام إنسانًا متكاملًا، ويعمل على تكوينه روحيًّا بالعبادة، وعقليًّا بالثقافة، وجسميًّا بالرياضة، وعسكريًّا بالخشونة، واجتماعيًّا بالخدمة والمشاركة في المجتمع، وسياسيًّا بالوعي، يُكوِّنه من جميع نواحيه، هذا هو الإنسان الَّذي يريده الإسلام.

التربية بالقدوة:

ولا تكون التربية بمجرَّد الكلام، بل بالكلام والقدوة معًا، وبالترغيب وبالترهيب، فالنبي ﷺ حينما سمع إحدى النساء تقول لولدها: تعالَ أعطك كذا. قال: «**ما أردتِ أنْ تُعْطِيه؟**» قالت: أردتُ أنْ أُعْطِيَه تمرة. قال: «**أَمَا إنَّكِ لو لم تفعلي ذلك لكُتِبَتْ عليك كذبة**». قالت: يا رسول الله، إذا قلت لابني كذا وكذا ولم أعطه؟! قال: «**نعم؛ إنَّ الكذبةَ تُكتب كذبةً، وإنَّ الكُذَيْبة تُكتب كُذَيْبة**»[1]. الكذبة الكبيرة تكتب كذبة كبيرة،

(١) رواه أحمد (٢٧٤٧١)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والطبراني (١٥٥/٢٤)، وقال الهيثمي في مجمع =

QaradawiBooks.com

والصغيرة تكتب كذبة صغيرة، فينبغي أنْ نَصْدُقَ، وأن نُعلِّم أولادنا الصدق بالفعل، لا بالقول فقط، لا ينبغي للأب أنْ يكون قائمًا في البيت أمام أولاده، ثم يقول لزوجته: قولي للسائل: إنَّني لست موجودًا. فبهذه القدوة السيئة يتعلم أولاده الكذب، عَيَانًا بيانًا.

التربية المبكرة:

لا بدَّ إذنْ من تربية الأولاد مبكرًا، فالقرآن يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡ ﴾ [النور: ٥٨]. علِّموا الأولاد ألا يدخلوا على الآباء والأمهات في هذا الوقت، وهم قبل الحُلُم، قبل البلوغ، فهذه آداب تغرس في الطفولة.

وجاء في الحديث: «**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر**»[1]. فمن سن السابعة نبدأ تعليم الأولاد الصلاة، ونعطيهم فرصة لتعلمها ثلاث سنوات، بالتَّرغيب، والتَّرهيب، والتَّحبيب، ثم بعد ذلك نأخذهم بالشدَّة، والضرب هنا ليس مقصودًا لذاته وإنَّما هو إشعار بالجدية.

وأنا عوَّدت أولادي وأحفادي على أنْ نحتفل بالطفل عند سنِّ سبع سنوات، فليس من الضروري أنْ نحتفل كل سنة على طريقة الغربيين، إنَّما حين يبلغ الطفل سبعًا نقيم له حفلًا، ونقول له: لقد كبرت، وهذه

= الزوائد (٦١٥١): رواه أحمد، والطبراني في الكبير، وفيه أبو شداد، عن مجاهد روى عنه ابن جريج، ويونس بن يزيد، وبقية رجاله رجال الصحيح إلا أنَّ أسماء بنت عميس كانت بأرض الحبشة مع زوجها جعفر حين تزوج النبي ﷺ عائشة، والصواب حديث أسماء بنت يزيد، والله أعلم.

(١) سبق تخريجه صـ٤٣٩.

QaradawiBooks.com

سـنُّ الصلاة، فمطلوب منك أنْ تصلِّي. وعندما يبلغ عشرًا نقيم له حفلًا ثانيًا، ونقول له: هذه حفلة الضرب يا بطل، إذا لم تُصلِّ ستُضرب؛ فقد صرت الآن أكبر. وهكذا؛ بأسلوب يجمع بين الجِدِّ والمَزح كي يستوعب الطفل ويستقيم، ثم عندما يبلغ خمس عشرة سنة نقيم له حفلًا ثالثًا، ونقول له: لقد بلغت سنَّ التكليف، وستُحصى عليك أعمالك من الآن. هكذا نربط الحفلات بمعانٍ مُعَيَّنة، هذه هي التربية الدينيَّة الَّتي نُرَبِّي أطفالنا عليها.

الأسرة حارس لتعاليم الإسلام:

الأسرة ـ أيُّها الإخوة ـ هي المحضن الأوَّل لتربية الأولاد، وهي حصنٌ كبير للإسلام، فالَّذي حافظ على الإسلام في البلاد الَّتي فُرضت فيها العِلمانيَّة فرضًا بالحديد والنار هي الأسرة، كما حدث في تركيا، حيث فُرضت العِلمانيَّة اللادينيَّة على الشعب التركي بالحديد والنَّار، وكانت ضحاياه منها بالآلاف.

لقد توغَّلت العِلْمانيَّة التركية في مجال التَّشريع، وفي مجال التَّربية، وفي مجال الإعلام، وفي مجال الثقافة والفكر، وفي مجال التقاليد الاجتماعيَّة، حتَّى أصبح حجاب المرأة محرَّمًا عليها.

كما فرضت على الشعب التركي تقاليد أخرى، فلا يجوز لأحد أنْ يلبس الطربوش، وعليه أنْ يلبس البرنيطة، حتَّى أئمَّة المساجد ألزموهم هناك بلبس البرنيطة، مع أنَّهم لا يستطيعون أنْ يُصلُّوا بها، فكان لكلِّ إمام جبَّة وعمامة يلبسهما داخل المسجد، فإذا خرج منه لا يجوز أنْ يلبسهما أبدًا، بموجب دستور تركيا العلماني، فقد كانت عِلمانيَّة لادينيَّة شاملة، مفروضة على الشعب التركي في كل جوانب حياته.

QaradawiBooks.com

حتَّى الجزء الباقي من التَّشريع في معظم البلاد الإسلاميَّة، وهو الَّذي يتعلَّق بالأسرة والأحوال الشخصيَّة، كالزواج، والطلاق، والميراث، حتَّى هذا الجزء لم يبقوه للمسلمين الأتراك، فقد سوَّوْا بين الذكر والأنثى في الميراث، وأباحوا للمسلمة أن تتزوَّج بغير المسلم، ومنعوا تعدُّد الزوجات، ومنعوا الطلاق.

حتَّى الحرف العربي منعوا استخدامَه في الكتابة، فقد كانت اللغة التركيَّة ـ مثل اللغة الفارسيَّة، والأُردِيَّة، وكثير من لغات البلاد الإسلاميَّة ـ تُكتب بالحرف العربي، حتَّى جاء أتاتورك وألغى الكتابة بالحرف العربي، وأسدل بذلك الستار على التراث الإسلامي كله، فنشأت الأجيال الجديدة في تركيا عاجزةً عن قراءة الكتاب التركي، لأنَّهم لم يتعلَّموا الحرف العربي، وكل التراث التركي القديم مكتوب بالحرف العربي.

وحتى الأذان مُنِعَ الصَّدح به باللغة العربيَّة، وظلَّ هذا المنع حتَّى الخمسينيَّات، حين جاء عدنان مندريس رَحِمَهُ اللَّهُ، فأعاد الآذان باللغة العربيَّة، قال لي الإخوة الأتراك هناك: أوَّل ما سمع الناس المآذن تهتف: الله أكبر. سالت الدموع على الخدود، وسجد الناس في الشوارع، شكرًا لله عَزَّوَجَلَّ، أن سمعوا كلمة «الله أكبر» على المآذن باللغة العربيَّة.

أثر الأسرة في تركيا العِلْمانيَّة:

كانت الحياة كلها في تركيا حياةً عِلمانيَّة: في الشارع، والمدرسة، والراديو، والصحيفة، والمَجَلَّة، وفي سائر المجتمع، فما الَّذي أبقى جذوة الإيمان مشتعلة في القلوب؟ الأسرة هي الَّتي أبقتها كذلك، تعليم الآباء والأمَّهات أبناءهم وبناتهم قيم الإسلام وتعاليمه، الأسرة هي الَّتي

QaradawiBooks.com

حفظت التعاليم الإسلاميَّة، وهي الَّتي نشأت عنها الصحوة الإسلاميَّة الموجودة في تركيا، آلاف المدارس القرآنيَّة موجودة هناك الآن، والمساجد غاصَّة بالمصلِّين، والحمد لله.

لقد كان يُظنُّ أنَّ العِلمانيَّة قضت على الإسلام خلال هذه المدَّة، لكنَّ الإسلام بقي ـ والحمد لله ـ حيًّا بين معظم الناس، صحيح أنَّ دستور البلاد لا يزال علمانيًّا، وكلَّما حاول محاولون تغييره، ينقلب الجيش عليهم.

إذن المهمُّ هو الأسرة، فالأسرة كانت ـ ولا زالت ـ هي الحارس على تعاليم الإسلام، في البلاد الشيوعية، أو في البلاد الَّتي حكمتها الشيوعية وراء الستار الحديدي، تلك الجمهوريات الإسلاميَّة في الاتحاد السوفييتي، وفي طاجيكستان، وكازاخستان، وكل البلاد الَّتي حُكمت بالجبر، والقهر، والقسر، بالحديد والنار، طوال الحكم الشيوعي.

كان يُظنُّ أنَّ الإسلام قد طُوِيت صفحته تمامًا في تلك البلاد، وغربت شمسه منها، ولم يبق له فيها من باقية، فما أن انكشفت الغمَّة، حتَّى وجدنا أنَّ الإسلام باقٍ لم يمت، والذي أبقاه في تلك البلاد شيءٌ وحيد، هو الأسرة، ما كان في تلك البلاد من يستطيع أنْ يقول كلمة عن الإسلام، إلا في داخل الأسرة، ومع الخوف والحذر.

قال بعض الإخوة الأتراك: كان أبي يلقننا عن الإسلام، ويحدثنا عن محمد رسول الله، وعن القرآن، وعن لا إلٰه إلا الله، وعن كذا وكذا، وأحدنا يراقب الطريق في الخارج، ونجلس وأكواب الشاي من حولنا، بحيث لو جاء أحد من رجال المخابرات أو رجال المباحث، ويسألنا: ما الَّذي أجلسكم هكذا؟ نقول: نحن نشرب الشاي معًا.

QaradawiBooks.com

مسؤوليَّة الأسرة في التربية:

لهذا كان للأسرة أهمية كبيرة في التربية الإسلاميَّة الصحيحة، تربية الإسلام المتكامل، بعباداته، بفضائله، بأخلاقه، فالصلاة نلقِّنها لأولادنا وهم أبناء سبع، ونضربهم عليها وهم أبناء عشر، ومثل ذلك الصيام، كل ما هنالك من فرق بين الصلاة والصيام، أنَّ الصيام لا يؤمر به الطفل إلا إذا كان مطيقًا له، فعند سنِّ السابعة نأمر الطفل بالصلاة، لكننا ننظر: هل يحتمل جسمه الصيام أو لا يحتمل؟ خصوصًا إذا وافق الصيام فترة الصيف، أو كان الصيام في بلدٍ نهاره طويل جدًّا، فننظر مدى احتمال الطفل لهذا الصيام، فهذا أمر مهم جدًّا، أن نربِّي الحَدَث على قيم الإسلام، ومبادئه، وفضائله، والأمر كما قال الشاعر:

وينفعُ الأدبُ الأحداثَ في صِغَرٍ ... وليس ينفعُ عند الكِبْرَةِ الأَدَبُ

إنَّ الغصونَ إذا قوَّمتها اعتدلت ... ولن تلينَ إذا قوَّمتها الخُشُبُ[1]

إذا أثنيت الغصن الطري انثنى معك، إذا لويته التوى معك، أمَّا إذا جفَّ ويبس وصار خشبًا فإنه ينكسر، وكذلك الطفولة، فهي أمثل مرحلة لتكوين الصفات، وتكوين العادات، ولهذا كانت مرحلة مهمَّة في التربية، والأسرة مسؤولة عن استثمارها.

مسؤوليَّة المدرسة في التربية:

على أنَّ الأسرة ليست هي وحدها المسؤولة عن تربية الأولاد، فهناك كذلك المدرسة والمعلم، وخصوصا في عصرنا، حيث أصبح التعليم إلزاميًّا، وأصبح جميع الأولاد تقريبا يذهبون إلى المدرسة، بنين وبنات،

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (٣٦٠/١).

QaradawiBooks.com

وأصبحت المدرسة تعمل بمناهج مرسومة منُظَّمة، وفي جوٍّ تربويٍ مؤثرٍ، وتحت تأثير أنشطةٍ معيَّنة تتناول جوانب الحياة المختلفة للصبي والصبيَّة، هذه كلها مؤثرة في تكوين الطفل، ولهذا أصبح دور المعلم مهمًا جدًّا.

وللمعلم من قديم أهمية كبيرة، وقالوا: إنَّ الإسكندر الأكبر كان يحترم معلمه، ويقدره أكثر ممَّا يقدِّر أباه، فلما سئل في ذلك، قال: إنَّ أبي سبب في حياة جسمي، وجسمي فانٍ، ومُعَلِّمي سبب حياة رُوحي، ورُوحي باقية[1]. فاستلهم الشاعر هذا المعنى وقال:

فذاك مربِّي الرُّوحِ والرُّوحُ جوهرٌ وذاك مُربِّي الجسمِ والجسمُ كالصَّدف[2]

فالروح كلؤلؤة، والجسم كصدفة، الروح هي الشيء المعنوي، هي اللطيفة الربَّانيَّة، الروح هي العقل أو القلب أو الفؤاد، سمِّها ما تسمِّيها، فهي حقيقة الإنسان.

تكامل التربية المدرسيَّة:

فللمدرسة الآن أهميَّة كبيرة؛ لأنَّها تحتضن الإنسان من سنِّ الطفولة المبكرة، وتظل معه حتَّى الجامعة، إلى أن يصبح شابًّا راشدًا، ومن هنا كانت مسؤوليَّة المدرسة أنْ تصوغ الإنسان، تصوغ الفكر وتصوغ الأذواق، تصوغ العقل وتصوغ الوجدان، تنشئ الشخصيَّة الإنسانيَّة، سواء من الناحية العقليَّة، أو من الناحية النفسيَّة، من ناحية التفكير، أو من ناحية الشعور والوجدان والإرادة والنزوع.

---

(١) انظر: شرح مقامات الحريري لأبي عباس الشُّريشي (٣٩٧/٣)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

(٢) ذكره الميهي ولم ينسبه في حاشيته على شرح الرملي للستين مسألة من الفروض الواجبة صـ٥، نشر دار الكتب العلمية، ٢٠١٤م.

QaradawiBooks.com

تعمل المدرسة على ملء هذه النواحي الإنسانيَّة، فلا بدَّ من أنْ تتماشى المدرسة مع أهداف المجتمع الإسلامي الكبرى، في تكوين الإنسان الصالح، الإنسان الَّذي يعمل لخير نفسه، وخير أسرته، وخير أُمَّته، وليس الإنسان الأناني، الَّذي لا يهمُّه إلا أنْ يبني قصرًا ولو من جماجم البشر، ويزينه ولو بدمائهم، لا يبالي أنْ يدوس على رقاب الناس في سبيل أنْ يُكَوِّن لنفسه ثروة، لا، بل نريد الإنسان المؤمن، الَّذي يراقب الله تعالى، ويرجو الدار الآخرة، وينظر إلى كلِّ شيء بمنظار الحلال والحرام، فإذا كان حلالًا مضى في طريقه، وإذا كان حرامًا اجْتنبه.

عناصر التربية المدرسيَّة:

فتربية الإنسان المؤمن إذن من مهامِّ المدرسة، ولا بدَّ من إيجاد المناهج الَّتي تُؤَدِّي إلى هذه الغاية، والكتب الَّتي تعمل في إطارها، والمُعَلِّم الَّذي يُجيد توصيل محتواها إلى النفوس، قد يكون المنهج جيدًا، وقد تكون الكتب في غاية الروعة، وموادها حية نابضة، ثم يأتي معلم خامل فيسكب عليها من بروده وخموله ما يجعلها ميتة، والعياذ بالله، وهذا ما رأيناه حين أَلَّفنا كتبًا لوزارة التربية والتعليم، في العلوم الشرعيَّة، فلم تجد المُدرِّس الَّذي يحييها، فظلوا يختصرون فيها، ويختصرون، حتَّى صارت قوالب جامدة، على الطالب أنْ يحفظها ليفرِّغها في ورقة الاختبار، وليست هذه هي التربية المنشودة، إنَّها شيء أكبر من مجرَّد معارف تُحفظ وتُلقَّن.

كانت وزارات التربية قديما تسمَّى وزارات المعارف، فقد قالوا: كلمة المعارف لا تؤدِّي الغرض المطلوب، فليس غرضنا فقط حشو الذهن بالمعارف، بل نريد تكوين الإنسان وتربيته، وهو شيء أكبر من مجرَّد

QaradawiBooks.com

معرفه، نريد جوًّا متكاملًا في سائر الحياة المدرسيَّة، فغُيِّرت إلى وزارات التربية والتعليم.

يظنُّ بعض النـاس أنَّ التربية الإسـلاميَّة مجرَّد حصَّـة في العلوم الشـرعيَّة، أو التربية الدينيَّة، لا؛ فقد تخرج كلمة من مُدرِّس العلوم، أو الكيميـاء، أو الفيزياء، أو الأحيـاء، ويربطها بمعاني الإيمـان الكليَّة، فتكون أفضل في تأثيرها على الطالب مـن صفحة كاملة يلقيها مُدرِّس العلوم الشرعيَّة لا روح فيها ولا حياة، فحين يقول مُدرِّس العلوم مثلًا: هذا التبادل الَّـذي نراه بين المملكة الحيوانيَّـة، والمملكة النباتيَّة على نَحوٍ مُنَظَّمٍ، بحيث أن هذه تفرز ثاني أكسـيد الكربون، وتلك تتنفَّسه، فهذا يدلُّ على أنَّ وراء هذا الكون قوة عظيمة، تحكمه وتشـرف عليه، هي قدرة الله تعالى. كلمة عابرة فقط في سياق الشرح تكون ذا أثر بالغ في نفوس الطلاب.

تضارب المحتوى التربوي:

ومثل مُدرِّس العلوم مُدرِّس اللغة العربيَّة، والاجتماعيات، والتاريخ، لكن المشـكلة أن مُدرِّس التاريخ ـ مثلًا ـ قد يقول للطالب أشـياء تغاير ما يدرسونه في العلوم الشرعيَّة، فمثلًا: كان النص المدرسي قديمًا يقول: إنَّ كل أرض ينسحب منها العدو الإسرائيلي تقيم عليها السلطة الفلسطينية. ثم حين تتقارب العلاقة مع الإسـرائيليين يكون مطلوبًا من العرب حذف كلمة «العدو» الإسرائيلي، لتكون إسـرائيل الصديقة المعاهدة، ومقتضى هذا أن نحذف من مواد العلوم الشـرعية قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ [المائدة: ٨٢]، وقوله: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ [الأعراف: ١٦٧]،

QaradawiBooks.com

وآيات سورة الإسراء: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ [الإسراء: ٨]، ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤]، وأن نحذف كل الآيات الَّتي تتعلق بالجهاد، فنحن نمرُّ بمرحلة في غاية الخطورة، ونخشى أنْ ينساق التعليم وراء هذا العبث، ونقول: ما عاد يليق بهذه المرحلة أن نتكلَّم عن إجلاء بني قينقاع، وبني النَّضير، وبني قريظة، وعن فتح خيبر. وتحذف هذه الصفحات من السيرة، وتحذف الآيات المتعلقة باليهود والجهاد من الحفظ والتلاوة والتفسير، فالانسياق وراء هذا العبث خطر كبير.

تجفيف المنابع:

ويوجد الآن في بعض البلاد الإسلاميَّة ما يسمُّونه تجفيف الينابيع، كالبلاد الَّتي أعلنت حربًا على الصحوة الإسلاميَّة، فحرَّمت الحجاب، قالت: لأنَّه زِيّ طائفي. وحجاب المرأة المسلمة أمر مفروض في القرآن: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]، ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب: ٥٩]. فهو مفروض بنصِّ القرآن وبإجماع الأُمَّة بجميع مذاهبها، إجماعًا نظريًّا استقرَّ وتأكَّد بالإجماع العملي أربعة عشر قرنًا، ثم يأتي من يقول: لا يجوز للفتاة أنْ تدخل المدرسة، أو الكلية، أو المعهد، أو الجامعة، وهي محجَّبة، لا يجوز أنْ تدخل أيَّ مؤسسة حكوميَّة أو قطاع عامٍّ وهي محجَّبة، لا يجوز أنْ تعالج في مستشفى وهي محجَّبة. لماذا؟ يقولون: نحن نريد أنْ نقطع دابر التَّطرف.

كيف يقطعون دابر التَّطرف؟ بتجفيف الينابيع في مجال الإعلام والتعليم، فهم يقولون: إننا ندرس للأولاد الجهاد، وندرسهم الأمر

QaradawiBooks.com

بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنَّ ذلك كله يشحن الأطفال منذ الصغر، ولهذا لا بدَّ أن نجفِّف هذه الينابيع الَّتي تنشئ العقلية المتطرفة.

العقليَّة الَّتي تفكر في الجهاد، وتفكر في تغيير المنكر، كما في الحديث: «**من رأى منكم منكرًا فلْيُغَيِّره بيده، فإنْ لم يستطعْ فبلسانِه، فإن لم يستطعْ فبقلبه، وذلك أضعفُ الإيمان**»[1]. العقليَّة الَّتي تفكر في مقاومة المعصية ولا تهادنها، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣].

العقليَّة الَّتي تقرأ تكفير الله للنصارى، ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣]، وتقرأ وصف الله لليهود ﴿وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٦٠].

هذه هي العقلية الَّتي يرفضونها، ويريدون أنْ يستبدلوها بالعقليَّة الَّتي ترى الحقائق نسبيَّة، وليست مطلقة، فإذا كنا نقول: إنَّ محمدًا رسول الله. فهذا رأينا نحن، لأنَّ هناك من يقول: إنَّ محمدًا ليس رسول الله، ويؤمنون برسل آخرين، وإذا كنَّا نقول: القرآن كتاب الله وكلام الله. فهناك أناس يقولون: لا، ليس كلام الله. ويؤمنون بكتب أخرى، وإذا كنَّا نقول: هناك بعث وجزاء، وجنَّة ونار. فهناك أناس يقولون: بتناسخ الأرواح، وليست هناك آخرة ولا بعث ولا جزاء. وإذا كنَّا نقول: بالتوحيد. فهناك من يقول: بالتثليث وتعدد الآلهة، هناك من يعبد البقرة، ومن يعبد العنزة، ومن يعبد قوى الطبيعة. إذا كنَّا نقول: بالألوهيَّة. فهناك من لا يقول بالألوهيَّة، وإنَّما يقول: الحياة مادَّة، ولا شيء غير المادَّة.

(١) رواه مسلم في الإيمان (٤٩)، وأحمد (١١٥١٤)، عن طارق بن شهاب.

QaradawiBooks.com

فهم يرون أنَّ الحقائق نسبيَّة، وأنَّه لا بدَّ أن نغرس في نفوس الأولاد عدم وجود حقيقة مطلقة، حتَّى ينشؤوا متسامحين، متساهلين، غير متعصبين، فما نقوله نحن، قد يكون حقًّا بالنسبة لنا، وباطلًا بالنسبة لغيرنا، وهذا الَّذي يُراد غرسه في نفوس الأولاد في المدارس هو تجفيف الينابيع.

وتجفيف منابع الفكر الديني، أو الفكر الإسلامي يعني أنَّنا نخلق شخصًا مائعًا رجْراجًا، لا يتمسَّك بعقيدة، لا يستمسك بالعروة الوثقى، وهذا أخطر ما تتعرَّض له الأمَّة الآن، وما يراد أنْ تنشأ عليه أجيالها، وتعمل على تنفيذه بعض البلاد، بعضها تعلن عنه وبعضها تنفِّذه في صمت، تُغيِّر في المناهج، وتحذف من كتب اللغة العربيَّة الآيات القرآنيَّة، والأحاديث النبويَّة، ثم بعد ذلك يكرُّون على كتب التربية الدينيَّة، وهذا هو الخطر الَّذي تتعرَّض له الأمة في مرحلتها القادمة.

مسؤوليَّة الإعلام في التربية:

وهناك جهاز ثالث مهم يتدخَّل في التربية، وهو جهاز الإعلام، فلم يعد الإنسان وحده الَّذي يربِّي أولاده، لقد أصبحت التربية في عصرنا صعبة جدًّا، فقديمًا كان يستطيع الأب أنْ يُنشئَ أولاده كما يريد، لكنَّ أولادنا الآن يقضون نصف يومهم في المدرسة، ويقضون النصف الآخر أمام التليفزيون، يتابعون المسلسلات، والأفلام، والرسوم المتحركة، والبرامج، أعمال هائلة تتفنَّن في عرض محتويات مسمومة في ثوب من التَّشويق والإثارة: الصوت، والصورة، والألوان، والألحان، والأنغام.

QaradawiBooks.com

لقد أصبح الإعلام بأدواته المختلفة: المقروءة، والمسموعة، والمرئيَّة، يؤثر في نفوس الأولاد، وهذا أمر في غاية الخطورة، ويحتاج إلى كلام طويل، ولكنِّي أشير إليه فقط مجرَّد إشارة؛ فجهاز التليفزيون الآن أصبح يدخل على الناس بيوتهم وحجرات نومهم، أصبح يشارك الأب في تكوين عقليَّة أولاده، وتكوين نفسيَّتهم وميولهم، واتجاهاتِهم الفكرية والشعورية، لهذا كان على الإعلام أنْ يقوم بدوره في عملية التربية، في عملية البناء لا الهدم، أنْ يتعاون مع أجهزة الدولة كلها لتنشئة الولد المسلم، والبنت المسلمة، وكلمة أولاد تعني: الذكور والإناث. فالابن ولد، والبنت ولد، وتربية الأولاد تشمل البنين والبنات معًا، وينبغي أنْ تتعاون عليها كل المؤسَّسات.

مسؤوليَّة النوادي في التربية:

وعلى الأندية المختلفة كذلك دور مهم في عمليَّة التربية، مثل نوادي الأدباء، وملتقيات الشعراء؛ فهناك أدباء يدمِّرون بما يكتبونه من قصص، أو مسرحيات، أو تمثيليات؛ وهناك شعراء يدمِّرون بما يكتبونه من قصائد وأشعار، يكتب أحدهم ديوانًا كاملًا في نهد المرأة، طفولة نهد، دون مراعاة لأهمية الكلمة ورسالتها، فلا بدَّ أنْ تتعاون كل المؤسَّسات، ومنها الأندية المختلفة.

تكامل مؤسسات التربية:

ويقع على المسجد طبعًا دور كبير لأهميته كذلك في عملية التربية، ولكنَّ المسجد لا يستطيع وحده أنْ يقاوم هذه الأجهزة الجبَّارة، ذات الإمكانات الضخمة، خصوصًا أنَّ المسجد لا يُهيَّأ له ما يُهيَّأ لتلك الأجهزة من وسائل وأدوات، ولا يُنفق عليه ما يُنفق عليها، ولهذا ينبغي

QaradawiBooks.com

أنْ تتعاون كل المؤسَّسات على تنشئة الإنسان المنشود، الَّذي يعيش لنفسه، ويعيش لربِّه، ويعيش لدينه، ويعيش لأمَّته، ولا ينبغي أنْ تهدم مؤسسة ما تبنيه أخرى، وإلا كنَّا كما قال الشاعر قديمًا:

مَتَى يَبْلُغُ الْبُنْيَانُ يَوْمًا تَمَامَهُ إِذَا كُنْتَ تَبْنِيهِ وَغَيْرُكَ يَهْدِمُ[1]؟

فالهدم يكون دائمًا أسهل من البناء، كما قال الشاعر:

ولو ألفُ بانٍ خلفَهم هادمٌ كفى فَكَيفَ بِبَانٍ خَلفَهُ أَلفُ هَادِمِ[2]؟

لو أنَّ ألف واحد يبني، وخلفهم واحد فقط يقوم بالهدم، لاستطاع أنْ يهدم ما يبنيه الألف، وخصوصا أنَّ الهدم في عصرنا صار بالألغام، كمن يُلغِّمون عمارة شاهقة ويفجرونها، فتصير أنقاضًا في ثوانٍ معدودة، كذلك الهدم في الميدان الإنساني، تطوَّرت آلياته، وعظمت نتائجه:

ولو ألفُ بانٍ خلفَهم هادمٌ كفى فَكَيفَ بِبَانٍ خَلفَهُ أَلفُ هَادِمِ؟

لهذا فإن تربية الأولاد في الإسلام ينبغي أنْ تتعاون عليها الأسرة، والمدرسة، والجامعة، ووزارات التربية، والمؤسَّسات الإعلاميَّة، والنوادي الثقافيَّة، والدينيَّة، كي تحقِّق أهدافها.

مسؤوليَّة التربية:

أقول أيها الإخوة: إنَّ مسؤوليَّة التربية مسؤوليَّة كبيرة، إنَّها مسؤوليَّة تربية جيل المستقبل، مسؤوليَّة الحفاظ على هذه الثروة البشريَّة.

---

(١) من شعر صالح بن عبد القدوس كما في البيان والتبيين للجاحظ (٢٥٨/٣)، نشر دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.

(٢) من شعر عبد الله بن الريَّة المالقي. انظر: أعلام مالقة صـ٢٢٧، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

QaradawiBooks.com

قد يكــون عند الأُمَّة ثــروة من النفــط، ذلك الَّذي يُســمَّى الذهب الأسود، أو القطن الَّذي يُسمَّى الذهب الأبيض، أو أي ثروة من أيِّ لون كان، ولكن الثروة الَّتي لا يقدَّر قدرها حقًّا ـ لا بالملايين ولا بالبلايين ـ هي الثــروة البشــريَّة، فأعظم ثروة تملكهــا الأُمَّة هي أولادهــا، البنين والبنات، فهم الجيل القادم، هم رجال المستقبل، وأمهات المستقبل.

هذه الثروة مسؤوليَّة كبيرة، نســأل الله تعالى أنْ يعيننا على الحفاظ عليها، بحُســن تربيتها، وتوجيهها، وتأهيلها، إنَّه ســميعٌ قريبٌ، مجيبُ الدعوات.

أقول قولي هذا وأستغفر الله تعالى لي ولكم، وصلَّى الله على سيدنا محمدٍ، وعلى آله وصحبه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com



٢٠

المنهج النبوي في رعاية الطفولة[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأزكى صلوات الله وتسليماته على البشير النذير، والسراج المنير، مُعلِّم الناس الخير، وهادي البشريَّة إلى الرُّشد، وقائد الخلْقِ إلى الحق، سيِّدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا محمد، وعلى آله وصحبه، الذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه، واتَّبعوا النور الذي أُنزِل معه، أولئك هم المفلحون، ورضي الله عمَّن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

خير ما أحيِّيكن به أيتها الأخوات العزيزات تحيةُ الإسلام، وتحيةُ الإسلام السَّلام، فالسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أهميَّة الثروة البشريَّة:

وإنَّها لمناسبة طيِّبة أن نتحدَّث عن موضوعٍ في غاية الأهميَّة، يهمُّ الأسرة، ويهمُّ المجتمع، ويهمُّ الأمَّة كلَّها، ذلكم هو موضوع «رعاية الطفولة، والمنهج النبوي في هذه الرعاية»، فأعظم ثروة تملكها الأمَّة هي

(١) ألقيت عام ١٩٩٦م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الثروة البشريَّة، هذه أغلى الثروات وأعزها، وأنفعها وأخلدها وأبقاها. قد تملك الأمة الذهب الأصفر الذي يستخرج من المناجم، وقد تملك الأمة الذهب الأبيض وهو تعبير عن القطن، وقد تملك الأمة الذهب الأسود وهو تعبير عن النفط، ولكن أهم من هذه الأنواع من الذهب وأغلاها وأنفسها هو الإنسان، فالثروة البشريَّة هي أغلى الثروات.

رعاية الطفل المسلم:

وإنَّما تبدأ الثروة البشريَّة بالطفل، فالطفل هو البذرة التي إذا أُحسن تعهُّدها جاءت بالثمرات الطيبات، وأَخرجت أكلها كل حين بإذن ربها، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ [الأعراف: ٥٨]. ونحن نريد أن يخرج نباتنا طيبًا بإذن ربنا، لا يخرج خبثًا.

ومن هنا كانت رعاية الطفولة أمرًا في غاية الأهميَّة، ومن أجل هذا اهتم به الإسلام، واهتم به رسول الإسلام: المربي الأول والمعلم الأول لهذه الأمة، محمد ﷺ.

حسن اختيار الزوج والزوجة:

وتبدأ رعاية الطفولة من وقت اختيار الزوجة واختيار الزوج، فهذه الرعاية لا تبدأ منذ يولد الطفل، لا، بل تبدأ قبل ذلك، النبي ﷺ يقول: «**تخيروا لنطفكم**»[1]. فالعِرْق نزَّاع، والعِرْق دسَّاس. يشير إلى عوامل الوراثة، وهذه قوانين وراثية أثبتها العلم وأيدها الواقع، ونحن نقول في الأمثال: «العِرْق يمدّ لسابع جِدّ». ﴿ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ٣٤]،

(١) سبق تخريجه صـ٤٤٠.

QaradawiBooks.com

ولذلك يقول: «**تخيروا لنطفكم**». يعني: ابحث عن أم لطفلك، ومن هنا امتن الشاعر العربي قديمًا على أولاده فقال لهم:

وأَوَّلُ إحساني إليكم تَخَيُّري لماجِدةِ الأعْراقِ بادٍ عفافُهَا[1]

قال لهم: أوَّل ما أحسنت إليكم أنني اخترت لكم أمًّا صالحةً، ماجدة الأعراق، أصيلة كريمة، شريفة عزيزة، ذات دين وخلق. فمن أجل هذا تبدأ رعاية الطفولة منذ الاختيار.

لا بدَّ للإنسان أن يحسن اختيار من تكون أُمًّا لأطفاله، ولهذا حذَّر بعض السَّلف من خضراء الدِّمَن، قيل: وما خضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء. ليس هذا حديثًا ولكنَّه أثر. فخضراء الدمن: الحشائش الخضراء التي تنبت في أماكن القاذورات، تكون خضراء ورائعة الشكل، ولكن رائحتها خبيثة، وطعمها أخبث؛ لأنَّها نبتت في مواطن الدمن والقاذورات، فهذا مَثَلُ المرأة الحسناء في المنبت السوء، وجهها جميل؛ ولكن فعلها قبيح، وطبعها رديء، وخُلُقها سيئ، فمثل هذه لا تُختار أمًّا للأطفال.

اظفَرْ بذاتِ الدِّين:

ومن أجل هذا حثَّنا النبيُّ ﷺ على أن نختار ذات الدين والخُلُق فقال: «**تُنكح المرأة لأربع: لحَسَبها، ولمالها، ولجمالها، ولدينها؛ فاظفرْ بذات الدين، تربت يداك**»[2]. احذر أن يغرك الحسب وحده، أو المال وحده، أو الجمال وحده، ولكن اهتم بذات الدين، طبعًا لو جمعت إلى الدين المال والجمال والحسب تكون خيرًا وبركة.

---

(١) أدب الدنيا والدين صـ١٥٨.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥٠٩٠)، ومسلم في الرضاع (١٤٦٦)، عن أبي هريرة.

نسخة محايدة للطباعة
QaradawiBooks.com

ولذلك قال ﷺ: «**خير النساء من تَسُرُّ إذا نُظِرَتْ، وتُطيع إذا أُمِرت**»[١]. فيها الوجه الطيِّب المقبول، الذي يُسر به زوجها إذا نظر إليه، وهي أيضًا زوجة مطيعة تقوم بواجبها، لكن المهم أن يركز المرء عندما يتزوج، على ذات الدين.

وفي بعض الروايات: «**ذات الدِّينِ والخُلق**»[٢]. فالأخلاق مهمة أيضًا، حسن الطباع، قد تكون المرأة مصلية وصائمة؛ ولكنها رديئة الطباع، سيئة التعامل، فهذه لا تنفع، لا بدَّ أن تكون ذات دين وخلق، «**عليكَ بذاتِ الدِّين والخُلُق تربت يداك**». هذا هو الَّذي ينبغي.

ولذلك قال ﷺ: «**الدُّنْيا متاعٌ، وخيرُ متاعها المرأةُ الصالحة**»[٣]. والرجل الحكيم يقول: المرأة الجميلة جوهرة ثمينة، والمرأة الصالحة كنز عظيم. المرأة الجميلة كخاتم ثمين في الأصبع، ولكن المرأة الصالحة كنز عظيم تنفق منه ولا ينفد.

من أجل هذا ينبغي أن يركز المرء حينما يختار لنفسه زوجة: أن يختار في نفس الوقت لأولاده أُمًّا صالحة.

ولشاعر النيل: حافظ إبراهيم بيتٌ نحفظه كلنا، ونتغنَّى به يقول:

الأُمُّ مدرسةٌ إذا أعددتَها أعددتَ شعبًا طَيِّبَ الأَعْرَاقِ[٤]

---

(١) رواه أحمد (٧٤٢١)، وقال مخرِّجوه: إسناده قوي. والنسائي (٣٢٣١)، والحاكم (١٦١/٢)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، كلاهما في النكاح، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (١١٧٦٥)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وابن أبي شيبة (١٧١٤٩)، وابن حبان (٤٠٣٧)، كلاهما في النكاح، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٣٢٦): رجاله ثقات. عن أبي سعيد الخدري.

(٣) سبق تخريجه صـ٤٤٠.

(٤) انظر: ديوان حافظ صـ٢٧٠.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

كيف تعد الشعب؟ كيف تعد مجتمعًا صالحًا ناهضًا؟ بإعداد الأمهات، الأم هي المدرسة الأولى التي يتعلم فيها الطفل، قبل أن يتعلم في الحضانة والابتدائي، والإعدادي والثانوي.. يتعلم من أمه.

من ترضون دينه وخُلُقه:

لا بدَّ إذنْ من حسن الاختيار، أن يختار الرجل الأم، وتختار المرأة الأب لأولادها أيضًا، فرعاية الطفل عملية مشتركة، لا يصلح فيها أمٌّ بلا أب، ولا أبٌ بلا أم، المرأة يختار أولياؤها إذا كانوا يشاركونها في الاختيار، خصوصًا في الزمن الماضي كان الأب هو الذي يختار في الغالب لبنته، وقد تشاركه الأم، ولذلك جاء في الحديث: «**إذا أتاكم مَنْ ترضون دينه وخُلُقه فزوِّجوه؛ إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد عريض**»[(١)]. فلا بدَّ ـ كما قلنا ـ من الدين والخُلُق معًا، قد يكون إنسانًا متدينًا يصلي الصلاة في المسجد، ولحيته ما شاء الله طويلة، وثوبه قصير، ولكنَّه سيئ الأخلاق، سيئ الطباع، سيئ العِشرة، عنيف لا يُطاق، ولذلك لا بدَّ من الدين والخُلُق معًا، والدين الحقيقي لا بدَّ أن يكون معه خُلُق صالح، النبي ﷺ يقول: «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلقًا**»[(٢)]، و«**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**»[(٣)]. كان المثل الأعلى في المعاملة الحسنة لأهله، لزوجاته رضي الله عنهن جميعًا.

---

(١) رواه الترمذي (١٠٨٤) موصولًا ومرسلًا. وإنَّما يعني بقوله مرسلًا: انقطاع ما بين ابن عجلان وأبي هريرة، وقد رجَّح البخاري المنقطع على المتصل. وابن ماجه (١٩٦٧)، كلاهما في النكاح، وحسنه الألباني في الصحيحة (١٠٢٢)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (٢٤٦٧٧)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح لغيره. والترمذي في الإيمان (٢٦١٢)، وقال: صحيح. عن عائشة.

(٣) رواه الترمذي في المناقب (٣٨٩٥)، وقال: حسن صحيح. والدارمي (٢٣٠٦)، وابن حبان (٤١٧٧)، كلاهما في النكاح، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح. وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٢٨٥)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

مراعاة مواصفات أخرى:

من أجل هذا يجب أن نحسن الاختيار، نضع مواصفات للمرأة التي يختارها الرجل، وللرجل الذي تختاره المرأة، وأهم ما في هذه المواصفات الدين والخلق، وطبعًا هناك أشياء أخرى، المرأة المتعلمة تتزوج رجلًا متعلمًا، لا تتزوج رجلًا أُميًّا؛ فيكون الفرق بينها وبينه مسافات شاسعة، لا يستطيعان أن يتفاهما، هو يُشَرِّق وهي تُغَرِّب، فلا بدَّ أيضًا أن يكون هناك نوع من التقارب في الثقافة، وفي المركز الاجتماعي، الأصل أن تُراعى هذه الأمور؛ حتى لا يحدث اضطراب ولا خلل بعد الزواج.

زواج الكومبيوتر:

في عصرنا أصبحت هناك أشياء جديدة، سألتني مجلة «سيدتي» عن الزواج بالكومبيوتر: ما رأيك في أن يرشح الكومبيوتر الآن للإنسان الزوجة المناسبة؟ الناس تبعث للكومبيوتر، أحدهم يقول: أنا عمري الآن ثلاثين سنة، وخريج كلية العلوم بجامعة قطر مثلًا، بتقدير جيد أو مقبول، وطولي (١٧٠) سم، وعيوني عسلية، وشعري أسود، ومن أسرة متوسطة الحال، وأبي حيٌّ وأمي ميتة، ولي كذا أخ، يضع مواصفات.

وأريد زوجة مواصفاتها كذا وكذا، زرقاء العينين، شقراء الوجه، صفراء الشعر، معها شهادة جامعية. وكل واحد يرسل يقول عن أوصافه وعن أوصاف من يريدها والمرأة تفعل ذلك، ثم يحلل الكومبيوتر هذه المعلومات ويقول: زينب أو حصة تناسب عبد الله أو عبد العزيز، أو علي أو عبد الرحمن. فهم يسألوني: ما رأيك في هذا الكلام؟

قلت لهم: الكومبيوتر ينفع مرشِّحًا، هو يقوم بدور الخاطبة.. قديمًا كان الشخص يقول لها: ابحثي لي عن زوجة مناسبة. فتقول له: هناك

QaradawiBooks.com

فلانة بنت فلان، أبوها كذا، وأمها كذا، وهي كذا. والكومبيوتر يقوم بهذا الدور، لكن أحيانًا يكون للخاطبة هوى، من تعطيها أكثر مثلًا ترشحها، وتروج لمن تحب، أمَّا الكومبيوتر فليس له أهواء إلا أن ترشيحاته ليست أمرًا نهائيًّا، لماذا؟ لأن الإنسان حينما يعطي أوصافه للكومبيوتر قد يضلل الكومبيوتر، هو يقول: أنا رجل عظيم، ورجل فاضل، وأخلاقي طيبة، وكذا. ولكن من يدرينا أن هذه أوصافه الحقيقية؟ يمكن أن يكون مبالغًا في مدح نفسه، يمكن أن تكون به عيوب وهو لا يكتشفها، فأحيانًا لا يعرف الإنسان عيوب نفسه!

ما لا يكتشفه الكومبيوتر:

ثم من ناحية أخرى هناك أشياء لا يمكن أن يفتي فيها الكمبيوتر، مثل خفة الدم أو ثقل الظل مثلًا، هذه الأشياء كيف يعرفها الكومبيوتر؟ لا بد من الرؤية، ومن أجل هذا قال النبي ﷺ للمغيرة بن شعبة حينما قال له: يا رسول الله خطبت امرأة. فقال: «**هل نظرتَ إليها؟**» قال: لا. قال: «**اذهبْ فانظرْ إليها؛ فإنَّه أحرى أن يُؤدَم بينكما**»[1]. العين رسول القلب، فانظر إليها لعلَّ ذلك يحدث بينكما الائتدام والائتلاف والوفاق من النظرة الأولى.

وقال له رجل: إنِّي خطبت امرأة من الأنصار. فقال له: «**اذهبْ وانظرْ إليها؛ فإنَّ في أعيُنِ الأنصار شيئًا**»[2]. لعيون الأنصار خاصية معينة؛ فاذهب وانظر إليها بنفسك، ولهذا كان الصحابة يحرصون على الرؤية،

(١) رواه أحمد (١٨١٥٤)، وقال مخرِّجوه: صحيح. والترمذي (١٠٨٧)، وحسَّنه، والنسائي (٣٢٣٥)، وابن ماجه (١٨٦٥)، ثلاثتهم في النكاح، عن المغيرة بن شعبة.

(٢) رواه مسلم في النكاح (١٤٢٤)، وأحمد (٧٨٤٢)، عن أبي هُرَيْرة.

QaradawiBooks.com

حتى قال جابر بن عبد الله: حينما أردت أن أتـــزوج بامرأة؛ فتخبَّأت لها وراء شـــجرة، حتى رأيت منهـــا ما دفعني إلـــى زواجهـــا[١]. فليس من الضروري أن يُعْلِمها، لأنَّه مـــن الممكن لو أعلمها، ثم ذهب إليها ورآها ولم تعجبه؛ سيتسبب في جرح شـــعورها، لكن إذا اتفق مع جماعة من أقاربها أو من أصحابها؛ فيراها وهي تشـــتري شـــيئًا وبدون إحراج، فإذا أعجبته يذهب ويتقدم لأهلها.

تمهيدات قبل الزواج:

الإســـلام يريد كل هذه التمهيدات؛ حتى يحدث الـــزواج المتوافق، وتنشأ الأســـرة على أســـس ســـليمة، ويأتي الأولاد بعد ذلك من أبوين متوافقين، لا يعيش الأولاد في أســـرة متنازعة، في شـــجار دائم، كثيرًا ما ينشأ الأولاد معقدين، لماذا؟ للشجار الدائم المستمر بين الأب والأم، فلكي يوفر الإسلام الجو الصالح، والمناخ الطيب الملائم لتكوين إنسان المستقبل: سواء كان ذكرًا أو أنثى، رجلًا أو امرأة، فإنسان المستقبل هذا لا بدَّ أن ينشأ في مناخ صحي، وذلك يبدأ من حسن الاختيار.

الإنجاب من أهم أهداف الزواج:

ثم إذا وفق الله الزوجيـــن للإنجاب، ولا شـــك أنَّ الإنجاب هو من أعظم أهداف الـــزواج، فللزواج أهداف كثيرة، منها أن يحصن الإنســـان نفسه، «**فإنَّه أغضُّ للبصر، وأحصن للفرج**»[٢]. ومنها تدبير شؤون البيت،

(١) رواه أحمد (١٤٥٨٦)، وقال مخرِّجوه: حديث حســـن. وأبو داود (٢٠٨٢)، والحاكم (١٦٥/٢)، كلاهما في النكاح، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (١٨١/٩): سنده حسن. وحسنه الألباني في غاية المرام (٢١٣)، عن جابر بن عبد الله.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (٥٠٦٥)، ومسلم (١٤٠٠)، كلاهما في النكاح، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

ومنها تكثير العشيرة، ومنها أمور عدة، ولكن من أعظم الأمور التي يحققها الزواج: الإنجاب، واستمرار النوع الإنساني، كما قال الله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾ [النحل: ٧٢]. الحفدة: أولاد الأولاد. فهذا يكون عن طريق الزواج.

وذكر الله تعالى لنا من أوصاف عباد الرحمن الذين أثنى الله عليهم في أواخر سورة الفرقان فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان: ٧٤]. فالإنجاب من أهداف الزواج الأساسية.

ولذلك نجد الأنبياء سألوا الله الذرية، سيدنا إبراهيم قال: ﴿ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۞ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴾ [الصافات: ١٠٠، ١٠١]. حتى وهو شيخ كبير قال: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ [إبراهيم: ٣٩].

وسيدنا زكريا قال: ﴿ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۞ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۞ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ [مريم: ٤ ـ ٦]. فوهب الله له يحيى، ﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٧]. فالأنبياء طلبوا الذرية.

طلب الذرية أمر فطري:

وطلب الذرية أمر فطري، لكن الحضارة الغربية للأسف ناقضت الفطرة الإنسانية، كان مؤتمر السكان الذي عُقد في القاهرة منذ سنتين يسعى بكل جهده إلى إباحة الإجهاض إباحة مطلقة، يرزق الله الإنسان الطفل؛ فتأتي الأم وتقتل جنينها! وأكثر من ذلك أباح هذا المؤتمر الأسرة

QaradawiBooks.com

الوحيدة الجنس، وتعني أن يتزوج الرجلُ الرجلَ وتتزوج المرأةُ المرأةَ، وهذا شائع عن الغربيين ـ وللأسف تقره بعض الكنائس ـ وتذيع بعض وسائل الإعلام أنَّ الأب الفلاني في الكنيسة الفلانية يُزوِّج الذكور بالذكور، والنساء بالنساء، وبعض القوانين أباحت هذا عندهم!

هذا ضد الفطرة، الإنسان يحتاج أن تكون له ذرية تحمل اسمه، وتخلد ذكره، وتدعو له بعد وفاته؛ كما جاء في الحديث: «**إذا مات الإنسانُ انقطع عمله؛ إلَّا من ثلاثٍ: صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»[1]. فهؤلاء ضد الفطرة.

يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور:

الإنسان السويُّ يطلب الذرية الصالحة، فإذا جاءت هذه الذرية يرحب بها ويفرح بها؛ ذكرًا كان هذا المولود أو أنثى، كان أهل الجاهلية يعتبرون ولادة الأنثى بلوى ومصيبة، كما قيل لأعرابي: إن امرأتك وضعت. قال: وما وضعت؟ قالوا: أنثى. قال: ما هي بنعم الولد؛ نصرها بكاء، وبرُّها سرقة. أي إنَّها ليس بالولد الذي يُفرح به، إذا أرادت أن تنصرني تبكي وتولول، لا تستطيع أن تحمل السيف، وإذا أرادت أن تبرني تسرق من زوجها، هذه صورة المرأة عنده.

ولكن القرآن قال: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠]. فبدأ بالإناث، حتى شاع عند المسلمين قولهم: خير النساء من بكَّرت بأنثى؛ استبشارًا بالآية التي بدأت بالأنثى، واعتبرت الآية الأنثى هبة من الله، هدية ونعمة من الله.

(١) سبق تخريجه صـ ٢٩٠.

QaradawiBooks.com

وقد تكون الأنثى خيرًا من كثير من الرجال، مثل أم مريم قالت: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۞ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٥، ٣٦]. وكما يقول الشاعر:

ولو كان النساءُ كمثلِ هذي ... لفُضِّلَتِ النساءُ على الرِّجالِ
وما التأنيثُ لاسمِ الشمسِ عَيْبٌ ... ولا التَّذْكِيرُ فَخْرٌ لِلْهِلَالِ[1]

فلا ينبغي للإنسان أن يضيق بالأنثى وبالبنت، ويفرح بالولد وحده، فقد تكون كثيرٌ من الإناث خيرًا للآباء والأمهات من كثير من الذكور، فينبغي أن يظهر الفرح بنعمة الله عليه.

حسن التسمية وذبح العقيقة:

والإسلام هنا أمرنا ـ إظهارًا لهذا الفرح ـ أن نعقَّ على المولود، هناك شيء في الشرع اسمه «العقيقة»، يسميها الناس هنا «التميمة»، يقولون: نتمم عن المولود. فتذبح ذبيحة عن المولود، وفي بعض المذاهب ذبيحة عن الأنثى وذبيحتين عن الذكر، لأن الناس يفرحون بالذكر أكثر، فاستحق أن يعطي الفقراء أكثر، ويوسع على الناس من حوله.

وعليه أن يحسن تسميته، فلا يختار له اسمًا يتضجر منه الولد بعد أن يكبر، بعض الناس يسمون أولادهم أسماء قبيحة، وشاع هذا في بعض البلاد، من أجل أن يعيش الولد يسميه اسمًا رديئًا، فيسميه: خيشة، أو شحات، أو عدس، أو بيصار! وقد كان العرب قديمًا يسمون أولادهم أسماء خشنة؛ مثل فهد، وسبع، وكلب، وليث، وكذا، ويسمي العبيد

(١) البيتان للمتنبي، في رثاء أم سيف الدولة، انظر: ديوان المتنبي صـ٢٦٧.

QaradawiBooks.com

جوهر، وسرور، وفرج، ورِزق. فقيل لبعضهم: لماذا تحسنون أسماء غلمانكم، وتخشنون أسماء ولدانكم؟ فقال: نحن نسمي أبناءنا لأعدائنا، ونسمي عبيدنا لنا!

لكن الإسلام قال: حسنوا أسماء أولادكم، وقال النبي ﷺ: «**أحبُّ الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن، وأصدق الأسماء حارثٌ وهمَّام، وأقبح الأسماء حربٌ ومُرَّة**»[١]. وكان ﷺ يُغيِّر الأسماء، مثل امرأة كانت تسمى «عاصية» سمَّاها «جميلة»[٢]، ورجل اسمه «حزن»، أي صعب، سماه «سهل»[٣]. وهكذا كان يغيِّر بعض الأسماء إلى أسماء توحي بالتفاؤل.

ولما قدم إلى المدينة سمع رجلًا ينادي: يا سالم، يا يسار. فقال: «**الحمد لله، سلمت لنا الدار في يسر**»[٤]. ولما جاء سُهَيْل بن عمرو في صلح الحديبية قال: «**سُهَيْل بن عمرو، سهَّل الله لكم**»[٥]. استبشر باسمه، فالأسماء التي تثير البشرى وتدفع إلى التفاؤل ينبغي أن نراعيها، هذا من حق الأولاد على آبائهم وأمهاتهم.

حسن رعاية الأولاد:

ومن حسن الرعاية للأولاد كما قال بعض السلف: لاعب ابنك سبعًا، وأدِّبه سبعًا، وآخِهِ سبعًا، ثم ألقِ حبله على غاربه. فهم ثلاث سبعات،

(١) رواه أحمد (١٩٠٣٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود في الأدب (٤٩٥٠)، والنسائي في الخيل (٣٥٦٥)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٩٠٤، ١٠٤٠)، عن أبي وهب الجشمي.

(٢) رواه مسلم في الآداب (٢١٣٩)، وأحمد (٤٦٨٢)، عن ابن عمر.

(٣) رواه البخاري في الأدب (٦١٩٠)، عن المسيب بن حزن.

(٤) العقد الفريد لابن عبد ربه (١٥٨/٢).

(٥) رواه البخاري في الشروط (٢٧٣١)، عن المسور بن مخرمة، ومروان.

QaradawiBooks.com

أهم ما يحتاج إليه الولد في السنوات السبع الأولى الملاعبة: أن تداعبه وتلاعبه، كُن طفلًا معه، حاول أن تتعامل معه بعقليَّة الطفل.

ولهذا كان النبيُّ ﷺ يُداعب الأولاد ويلاعبهم، دخل على أم سليم، وكان عندها طفل؛ فقال له: «**يا أبا عُمَير، ما فعل النُغَير؟**»[1] النُّغَيْر: طائر صغير، مثل العصفور، كان عنده ثم مات، فحزن الطفل عليه، فداعبه النبي ﷺ، وأعطاه كنية فقال: «**يا أبا عُمَيْر**». وهذه الكُنية أيضًا من الملاطفة.

المرحلة الأولى ملاعبة الأبناء:

وكان النبي ﷺ يلاعب حفيديه: الحسن والحسين، وركب أحدهما على ظهره في إحدى الصلوات وهو ساجد، فأطال النبي ﷺ السجود حتى ظن الصحابة الظنون، قالوا: ماذا جرى لرسول الله؟ هل أُغمي عليه؟ هل وافاه الأجل؟ فلما فرغ من الصلاة وسلَّم؛ سألوه: يا رسول الله، أطلت بنا السجود حتى ظننا وظننا؟! فقال لهم: «**إنَّ ابني ارتحلني؛ فكرهتُ أن أُعجله**»[2]. ارتحلني: أي جعلني راحلة أو ركوبة؛ فركب ظهري، فلم يشأ أن يقطع عليه لذة الركوب، كان يمكن أن يقوم بحركة فيقع؛ لكنَّه لم يفعل، وإنَّما تركه حتى شبع ونزل هو بنفسه، ومعروف أنَّ الولد إذا تلذَّذ بهذا الأمر واستسهله قد يطيل جدًّا، فقال: «**كرهتُ أن أُعْجِلَه**».

ودخل بعض الصحابة على النبي ﷺ؛ وقد وطَّأ ظهره للحسن والحسين، ركباه كما يفعل أحدنا لأولاده، يتهيأ لهما كأنه جمل فيركبانه ويمشي بهما، وهذه هي الأبوة الحقيقية، بعض الآباء يستنكف أن يفعل

(١) سبق تخريجه صـ٤٥٧.

(٢) سبق تخريجه صـ٤٥٧.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

هذا، ولكن فعلها النبي ﷺ، ودخل بعض الصحابة، ورآه وهما يركبان ظهره ويسير بهما، فقال لهما: نعم المركب ركبتما. فقال النبي ﷺ: «**ونِعْمَ الفارسان هما**»[١]. فالسبع الأولى للملاعبة، لاعب ابنك سبعًا.

المرحلة الثانية للتأديب:

والسبع الثانية للتأديب، أدبه سبعًا، المرحلة الأولى يغلب عليها الملاعبة، وليس معنى هذا ألا نؤدبه في السبعة الأولى، لا، بل نؤدبه، ولكن أغلب ما في هذه المرحلة الملاعبة، لا تحرم الطفل من أن يلعب، ثم في السبع الثانية ابدأ في التأديب، والتأديب هنا كما جاء في الحديث: «**مُرُوا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر**»[٢]. فسنُّ السابعة هو سنُّ التعليم، قل له: يا ولد صلِّ. لا تتركه حتى يبلغ وتقول: هذا سن البلوغ؛ فليتحمل هو مسؤولية نفسه. لا، إذا لم يتعود الصلاة سيجدها أثقل من الجبل على نفسه، ﴿**وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ**﴾ [البقرة: ٤٥].

لا بدَّ أن يُعود الصلاة من الصغر، ويُعود كذلك الصفات الحسنة، والعادات الطيبة، والأخلاق الكريمة. أول ما يبدأ الأكل؛ كما قال النبيُّ ﷺ لعمر بن أبي سلمة ـ وكان ربيبه يعيش في حجره ـ فحاول أن يأكل؛ فطاشت يده في الصحفة فقال له: «**يا غلامُ، سمِّ الله، وكُلْ بيمينك، وكُلْ ممَّا يليكَ**»[٣]. أول ما تأكل «**سمِّ الله**»، قل: بسم الله الرحمن الرحيم. «**وكُلْ بيَمِينِكَ**»، وليس بشمالك، إلا لو كان الإنسان

(١) سبق تخريجه صـ٤٥٦.

(٢) سبق تخريجه صـ٤٣٩.

(٣) رواه المسلم في الأشربة (٢٠٢١)، وأحمد (١٦٤٩٣)، عن سلمة بن الأكوع.

QaradawiBooks.com

أعسر فهو معذور. «**وكُلْ ممَّا يليكَ**»، من الجهة القريبة منك للطبق، فهذه آداب نعلمها للطفل.

ونعلمه العبادات: الصلاة، والصيام؛ إذا قدر عليه وأطاقه، الشاعر يقول:

وينفعُ الأدبُ الأحداثَ في صِغَرٍ ... وليس ينفعُ عندَ الشيبةِ الأدبُ
إنَّ الغُصونَ إذا قوَّمتها اعتدلتْ ... ولن تلينَ إذا قومتَها الخُشُبُ[1]

الغصن الطري تلويه فيلتوي معك، أمَّا حينما يصبح خشبة؛ فلا يمكن أن تلويه إلا إذا انكسر، فالطفل غصن ليِّن طري قابل لتكوين الصفات والعادات، فمن أجل هذا ينبغي أن نغرس فيه معاني الخير ونبعده عن معاني الشر، فالخير عادة، والشر عادة.

وينشأ ناشئُ الفِتْيَانِ منَّا ... على ما كان عوَّدَهُ أَبُوهُ[2]

أو على ما عوَّدته أمه.

وقد قيل: من شبَّ على شيء شاب عليه، ومن شاب على شيء مات عليه، ومن مات على شيء بُعث عليه.

ويقولون: التعلم في الصغر كالنقش على الحجر، والتعلم في الكبر كالرقم على الماء. ولذلك قيل لحكيم: إنَّ الكبير أوفر عقلًا. قال: ولكنَّه أكثر شُغلًا. عنده هموم ومشاغل كثيرة وأعباء ضخمة، بخلاف الطفل: صفحة بيضاء، قابلة لما يُكتب فيها، فعلينا أن نكتب فيها الخير، فالتأديب يبدأ من السابعة.

---

(١) البيتان لسابق البربري، كما في فصل المقال شرح كتاب الأمثال للبكري صـ١٨٢، تحقيق إحسان عباس، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٧١م.

(٢) من شعر المعرِّي، كما في اللزوميات (٤١٣/٢)، تحقيق أمين الخانجي، مكتبة الخانجي، القاهرة.

QaradawiBooks.com

التأديب المتوازن:

والتأديب يجب أن يكون متوازنًا بين التدليل والقسوة، هناك بعض الناس يدللون أولادهم، كل ما يطلبه الطفل مُجاب، كل ما يبغيه يُلبى، وهذا ليس إصلاحًا للطفل، هذا إفساد له، لا بدَّ أن نعلمه أن هناك أشياء تُقبل وأشياء تُرد، أشياء معقولة وأشياء غير معقولة، حتى يعرف الحياة لا بد من هذا، أمَّا أن يُعطى الولد كل ما يطلبه؛ لأنَّ الأب موسر أو الأم ذات مال؛ فهذا يفسد الأولاد، كما قال الشاعر:

إنَّ الشبابَ والفراغَ والجِدَةْ مَفْسَدَةٌ للمَرْءِ أَيّ مَفْسَدَةْ[1]

الله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]. قِهِ النار: احمه من النار، ابعده عما يوصله إلى النار. لا تقل: أنا علمته وأرسلته إلى المدرسة والجامعة، وأتحت له أن يكمل دراسات عليا. ولكن ما قيمة هذا كله إذا مصيره إلى النار والعياذ بالله؟ هل ترضى أن يكون ولدك وفلذة كبدك مآله جهنم؟ سيدنا علي يفسر هذه الآية يقول: علموا أهليكم الخير[2]. فلا بدَّ أن نعلم أولادنا الخير.

وتأديب الأولاد يكون بين التدليل والقسوة، لا ينبغي التدليل الذي يُعطى فيه الأطفال كل ما يريدون؛ بحجة أن هذه محبة للأطفال، لا، هذه ليست محبة، هذه محبة ضارة، ومن الحب ما يُمرض ويؤذي، كما لا ينبغي القسوة أيضًا، هناك آباء قساة أشداء جدًّا على أولادهم، لا، لا نريد أيضًا هذه القسوة، صحيح هناك حزم مطلوب، كما مرَّ في الحديث:

---

(١) انظر: خاص الخاص للثعالبي صـ١٠٩.

(٢) سبق تخريجه صـ٤٦٤.

QaradawiBooks.com

«**مُرُوا أولادَكم بالصلاةِ وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناءُ عَشْر**». بعد ثلاث سنوات من بلوغ الطفل سن السابعة يضرب، فقد أُعطي الطفل الحريص على الصلاة فرصة تحبيب وترغيب، ومكافأة ومدح له وهكذا، ولكن بعد ثلاث سنوات إذا وجدناه مهملًا في الصلاة نقول له: لا.

أنا كنت أقول: نحن لا نحتفل بأعياد الميلاد كما يفعل الغربيون؛ لأننا لسنا أذنابًا لغيرنا، يجب أن تكون لنا تقاليدنا الخاصة. لكن هناك أشياء يمكن أن نحتفل به، نحتفل بالمولود في يوم سابعه، أو «السبوع» كما نقول نحن، فنعق عنه بعد ولادته، وحينما يبلغ سبع سنوات نحتفل به، نقيم له حفلًا وندعو الأقارب والأصدقاء، ونقول له: هذه حفلة الصلاة، أنت كبرت الآن وأصبح مطلوبًا منك أن تصلي. وحين يبلغ عشر سنوات نقيم له حفلًا آخر، نقول له: هذه حفلة الضرب، إذا لم تصل ستُضرب، لأنك الآن أصبحت كبيرًا. وكذلك البنت، بعض البنات تبلغ عند عشر سنوات، ثم نحتفل احتفالًا آخر عندما يصل عمره خمس عشرة سنة، سن البلوغ، فهناك أعمار معينة نحتفل بها.

وليس معنى «**واضربوهم عليها وهم أبناءُ عشر**»: أن نأتي بخشبة، ونكسر رأس الطفل، أو نضربه بسوط أو كرباج، لا، وإنَّما هذا أشبه بما قاله النبي ﷺ لخادمٍ عنده أغضبته في شيء، فقال لها وقد أمسك بسواك في يده: «**لولا القِصَاص يومَ القيامة، لأوجعتُكِ بهذا السواك**»[1]. فمعناه أن يكون الضرب خفيفًا، إشعار الطفل بجدية الأب أو الأم في طلبهما، فإذا عرف أنَّ الأمر جدٌّ لن يتخلف عنه، هنا الحزم مطلوب، ولكن لا قسوة.

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (١٨٤)، وأبو يعلى (٦٩٤٤)، والطبراني (٣٧٦/٢٣)، وجود إسناده الهيثمي في المجمع (١٨٤١١)، وضعفه الألباني في الصحيحة (٤٣٦٣)، عن أم سلمة. ولكن القود (يوم القيامة) ثابت بأحاديث أخرى صحاح.

QaradawiBooks.com

كان بعض الأعراب قساة على أولادهم، حتى جاء بعضهم إلى النبي ﷺ، ووجده يقبل الحسن أو الحسين، فقال له: أو تقبلون صبيانكم؟ قال له: «**نعم**». قال: إنِّي لي عشرة من الولد ما قبلت واحدًا منهم قط. فقال له: «**أوَأملكُ لك أن نزع الله الرحمة من قلبك؟ من لا يَرحم لا يُرحم**»[(١)].

ودخل بعضهم على عمر؛ فوجده يقبل الأطفال ويلاعبهم؛ فتعجب من عمر هذا الشديد، فقال له: وماذا تفعل أنت؟ قال: إذا دخلت سكت الناطق. وكان عمر قد ولاه على ولاية، فقال: إذا كان هذا شأنه مع أهل بيته؛ فلا يؤمَن أن يكون قاسيًا على المسلمين. وعزله عن منصبه[(٢)]، فالإسلام يريد أن نؤدب الأطفال أدبًا وسطًا، لا هو بالتدليل الذي يفسد الأولاد، ولا هو بالقسوة التي تدمر شخصيته، إذا قسا الإنسان على طفله أذلَّه وحطم شخصيته، لا، لا تذله.

المساواة بين الأبناء:

وينبغي أن تعامل الأولاد معاملة متساوية، بعض الأزواج يعامل أولاده من إحدى زوجتيه مثلًا معاملة حسنة، وأولاده من المرأة الأخرى يعاملهم معاملة سيئة، هذا لا يجوز، كان السلف يسوون بين الأولاد حتى في القُبَل، إذا قبَّل طفلًا يقبل أخاه الصغير، لا تقل: هو جاهل لا يفهم. لا، هذا الجاهل الصغير عنده إحساس بالفطرة، بالذكاء الغريزي يحس ويغار في نفسه، ويكتم هذه الغيرة، وقد تتكون عنده عقدة تستمر معه، فينبغي أن يتعامل بالعدل بين الأولاد.

---

(١) سبق تخريجه صـ٤٥٦.

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار للزمخشري (٢٧٠/٥)، نشر مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

QaradawiBooks.com

ولذلك لما جاء أحد الأنصار: البشير بن سعد يطلب من النبي ﷺ أن يشهد على شيء منحه لابنه النعمان بن بشير، فقال له: «**أكُلَّ بنيكَ قد نحلتَ مثل ما نحلت النُّعْمان؟**» قال: لا، قال: «**فأشهدْ على هذا غيري**». ثم قال: «**أيسرُّكَ أن يكونوا إليك في البرِّ سواءً؟**» قال: بلى. قال: «**فلا إذن**»[(١)]. وقال: «**رحم الله والدًا أعان ولده على برِّه**»[(٢)]. فهذه السبع سنوات الثانية سبع التأديب.

المرحلة الثالثة التآخي:

والسبع الثالثة سبع التآخي، وآخه سبعًا، أي عامله معاملة الأخ، معاملة الصديق، اعترف بشخصيته، لا تعامله كأنه طفل، لا، بل احترم شخصيته، وأعطِ له فرصة لينمو نموًّا حسنًا، فيشعر معك بقيمة نفسك.

هذه هي التربية التي يريدها الإسلام، فرعاية الطفولة تبدأ كما قلت قبل الزواج، ومنذ المرحلة الجنينية، قالوا: إنَّ شجار الأبوين ينعكس على الجنين في بطن أمه. فحتى قبل أن يولد، وبعد أن يولد، ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ﴾ [البقرة: ٢٣٣]. للأسف كثير من النساء الآن لتحافظ على صدرها وجمالها تهمل الطفل، وتكتفي بالرضاعة الصناعية، وكثير من الأمهات يهملن أطفالهن مكتفيات برعاية الخادمة أو المُربيَّة الفلبينيَّة أو الهنديَّة أو

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الشهادات (٢٦٥٠)، ومسلم في الهبات (١٦٢٣)، عن النعمان بن بشير.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في الأدب (٢٥٩٢٤)، وضعَّفه الألباني في الضعيفة (١٩٤٦)، عن الشعبي مرسلًا.

QaradawiBooks.com

غيرها، ولا يغني غنـــاء الأم أحد، لا خادمة ولا مربية، ولا مدرســـة حضانة، لا يغني عن الأم شيء، دفء حنان الأم، وصدر الأم، وقلب الأم لا يعوضه شيء.

هذه أيتها الأخوات العزيزات هي ملامح لرعاية الطفولة؛ كما رسمها المنهج النبـــوي والمنهج الإســـلامي، فأكتفي بهذا القـــدر، والموضوع طويل، وأســـأل الله تعالى لي ولكم التوفيق والسداد، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

٢١

التعليم وأخلاقيَّات مِهْنة التعليم[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الَّذي بنعمته تتمُّ الصالحات، الَّذي هدانا لهذا وما كنَّا لنَهْتدي لولا أنْ هدانا الله، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا وأسوتنا ومُعَلِّمنا محمدًا عبده ورسوله، رحمة الله المهداة للعالمين، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحْبه، ومن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدِّين.

خير ما أُحيِّيكن به بناتي وأخواتي، تحيَّة الإسلام، وتحيَّة الإسلام السلام، فالسلام عليكنَّ ورحمة الله وبركاته.

(وبعد)

فلا شكَّ أنَّ أكثركن مرَّ عليَّ بالجامعة، فأنتنَّ بناتي وتلميذاتي، وإن كنتن مديرات وموجِّهات ومشرفات، وأنا أعتزُّ بهذا، وأعتزُّ بهذا اللقاء الَّذي حرصتن عليه؛ لنتحدَّث في موضوع من أهمِّ موضوعات المجتمع والحياة، وهو موضوع: «التعليم وأخلاقيَّات مهنة التعليم».

(١) ألقيت بمدرسة الشيماء للبنات بالدوحة، شعبان ١٤١٩هـ ـ ٣٠ نوفمبر ١٩٩٨م.

نسخة علمية
QaradawiBooks.com

التعليم هو صانع الأمم:

التعليم هو الَّذي يصنع الأُمَم، وفي عصرنا نجد كبرى الدول وأقواها تهتمُّ بقضيَّة التعليم، منذ سنوات كان الشغل الشاغل للولايات المُتَّحدة الأمريكيَّة هو قضيَّة التعليم، وتدهور التعليم، وكتب مجموعة من المُتَخَصِّصين في ذلك كتابًا اشتهر في العالم اسمه: «أمَّة على حافة الخطر»، أو هكذا ترجم إلى العربيَّة، بيَّن أنَّ هذه الأُمَّة الَّتي وصلت إلى عنان السماء، ووصلت إلى القمر، وإلى المريخ، وهي صاحبة الثورات الست: «ثورة التكنولوجيا»، و«ثورة البيولوجيا»، و«ثورة الاتصالات»، و«ثورة الإلكترونيات»، و«ثورة الفضاء»، و«ثورة المعلومات»، هذه الأُمَّة صاحبة هذه الثورات، ترى أنَّ التعليم فيها يجعلها على حافة الخطر، فالتعليم فيها متدهور، ولم يعد يخرج مثقفين ومثقفات.

فريق ياباني يرصد سلبيات التعليم في أمريكا:

ولذلك جاؤوا بفريق من اليابان، جعلوا من وظيفته: أنْ يرصد سلبيات التعليم في أمريكا، ونواقص التعليم في أمريكا، ويقترح الحلول للمشكلات، والأدوية للأمراض والمعضلات؛ هذا ما تفعله أمريكا.

وأوْلى بنا نحن أن نراجع أنفسنا، ونراجع فلسفتنا ومناهجنا وأخلاقياتنا التعليمية.

مشكلة التعليم في بلادنا العربيَّة والإسلامية:

أقول لكم: للأسف إنَّ التعليم في بلادنا العربيَّة يشكى منه على كل مستوى، فما عاد يخرج العلماء ولا المثقفين ولا المثقفات، هناك أناس يحفظون بعض الأشياء ويضعونها على ورقة الامتحان، يتقيؤونها، وبعد

QaradawiBooks.com

الامتحان ينسون كل شيء، ثم بعد أنْ يتخرجوا ينشغل كل واحد بحياته، ولا يكاد يذكر شيئًا من العلم الَّذي تعلَّمه في الجامعة، أو في المرحلة الثانوية أو الإعدادية، يكاد يكون قد نسيه، ولا يستمر في طلب العلم ليستذكره.

نحن المسلمين عندنا حكمة تقول: «اطلب العلم من المهد إلى اللحد». أي أنَّ الإنسان يظل يطلب العلم حتَّى يموت، ولذلك كان بعض علمائنا ـ وهو على فراش الموت ـ يقول لبعض تلاميذه: اقرأ عليَّ شيئًا من القرآن، أو ارو لي حديثًا بسنده، أو اقرأ لي في كتاب من كتب الأدب، أو اللغة، وهو يحتضر! حتَّى يظل فعلًا إلى الممات يطلب العلم.

أمَّا ما نراه في بلادنا العربيَّة والإسلامية ممن يتخرجون، ولا يكاد العلم يظهر في حياتهم؛ فهو نتيجة حتمية للقصور والتقصير في فلسفة العلم ومناهجه وأنظمته.

مقومات التعليم:

العلم يقوم على عدة أركان ودعائم: فهو يقوم على المنهج، وعلى الكتاب، وعلى الإدارة، وعلى الطالب، وعلى المعلم. فالمعلم أحد أركان العلم، وهم الآن يسمونه «مربيا».

إنَّ وزارات التربية ـ فيما مضى ـ كانت تسمى: «وزارات المعارف»، أي المعلومات، فوجدوا أنَّ هذا الاسم لا يكفي، فليس المقصود أن نلقن الناس المعارف، ونحشو الرؤوس بالمعلومات، نحن مهمتنا أنْ نربِّي، أي أن نصنع الإنسان، الَّذي يؤدي مهمته في الحياة، ويعرف أنَّ له غاية، وأنَّ عليه واجبًا، وأنَّه يحمل عبئًا ورسالة، هذه مهمة التربية، ولذلك غيروا في معظم بلادنا العربيَّة عنوان الوزارة من «وزارة المعارف»، إلى «وزارة التربية والتعليم».

QaradawiBooks.com

التزكية إحدى المهام النبويَّة:

التعليم يتعلق بتنوير الرؤوس وصقلها، والتربية تتعلق بتزكية النفوس وتهذيبها، وهـذان أمران لا بدَّ منهما، ونجدهما فيما وصفه القرآن من مهمة رسول الله ﷺ، وذلك في أربع آيات من كتاب الله: في سورة البقرة، وسورة آل عمران، وسورة الجمعة.

في سورة البقرة يدعو إبراهيم عليه السلام ربه فيقول: ﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡ ﴾ [البقرة: ١٢٩].

وقوله: ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٥١].

وفي سورة آل عمران يقول الله عز وجل: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وفي سورة الجمعة يقول تبارك وتعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ [الجمعة: ٢]. في الجاهلية كانوا في ضلال مبين، عبدوا الأحجار، وعبدوا الآلهة من العجوة، فإذا جاعوا أكلوها! فأي ضلال أبين من هذا الضلال؟

معنى التزكية:

فالنبي ﷺ مهمته: تلاوة الآيات، والتزكية، وتعليم الكتاب والحكمة؛ فما معنى التزكية؟

التزكية: مأخوذة من مادة زكا وزكاة، والزكاة لها معنيان: الطهارة والنماء، ومعنى يُزكِّيهم، أي: يُطهِّرهم ويُنمِّيهم، يطهِّرهم من الشرك، وينميهم بالتوحيد.

QaradawiBooks.com

الصوفية يقولون: «تخلية وتحلية».

أيْ: يخليهم من الرذائل، ويحليهم بالفضائل.

يطهرهم من النفاق، وينميهم بالإخلاص.

يطهرهم من رذائل الجاهلية ومفاسدها، ويحليهم وينميهم بمحاسن الإسلام وأخلاقيات الإسلام.

فكان النبي ﷺ يزكي ويعلم، ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾. ولذلك أنشأ جيلًا جديدًا، لم تر عين الدنيا مثله، الجيل القرآني النبوي، الجيل المحمدي أفضل أجيال الدنيا على الإطلاق، النبي ﷺ هو معلم هذا الجيل ومربيه، غيره تغييرًا كليًّا.

ولا نجد أفعل في التغيير من الإيمان، أن نصب الإيمان في عروق المتعلم، فننشئه خلقًا آخر، وهذه هي مهمة «المعلم»: الأسوة، أنْ يحاول أنْ ينشئ الإيمان في نفسية من يعلمه، بدون هذا لا نستطيع تغيير الإنسان؛ الإنسان يتغير حقًّا إذا تغير إيمانه، ولذلك رأينا الصحابة الَّذين عاشوا في الجاهلية كيف أصبحوا أصحاب محمد ﷺ؟ كيف حملوا الرسالة إلى العالم؟ كيف انتصروا على كسرى وقيصر، والفرس والروم؟ إنَّه الإيمان!

بتزكية وتربية النبي ﷺ انتصر الصحابة على الفرس والروم:

الفرس والروم أشبه في عصرنا بالاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة، والصحابة ـ بانتصارهم على الفرس والروم ـ كما لو أنَّهم انتصروا على الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة، وهم البداة الأعراب، الَّذين عاشوا في الصحاري ولم يكن عندهم علم الأمم الأخرى؛ لم يكن عندهم فلسفة اليونان، ولا قانون الرومان، ولا حكمة الهند، ولا فلسفة الصين، ولا مدنية

QaradawiBooks.com

الفرس. كيف استطاعوا أنْ ينتصروا على هؤلاء؟ استطاعوا ذلك بتزكية محمد ﷺ وتربيته وتعليمه إياهم؛ لقد أنشأ رسول الله ﷺ هذا الجيل النموذجي المثالي، الَّذي حمل رأسه على كفه، ونشر الإسلام في العالم.

نحن في حاجة إلى أن نتعلم أخلاقيات التعليم من نبينا محمد ﷺ، فهو المعلم الأول، نتعلم منه: كيف استطاع أنْ ينشئ جيلًا جديدًا؟ كيف ربَّاه على يديه، وصنعه على عينيه؟ ثم هذا الجيل بدأ يربي العالم بعد ذلك، فالله ربَّى رسوله ﷺ فأحسن تربيته، وأدَّبه فأحسن تأديبه، وعلَّمه فأحسن تعليمه، والنبي ﷺ ربى الصحابة فأحسن تربيتهم، والصحابة رضوان الله تعالى عليهم ربوا العالم.

ما أحوجنا إلى أن نتعلم من نبيِّنا:

نحن في حاجة إلى هذا النموذج النبوي المُحَمَّدي، نضعه نصْب أعيننا، فلا شكَّ أنَّ المُعَلِّم الأوَّل هو محمد رسول الله ﷺ. حينما دخل ﷺ المسجد ذات مرَّة، ووجد فيه مجلسين:

أحدهما: مجلس فيه أناس يذكرون الله ويدعونه.

والثاني: مجلس فيه أناس يتعلمون العلم، يعلم بعضهم بعضًا.

كلا المجلسين على خير، ولكن أحدهما أفضل من الآخر، فقال ﷺ: «**أمَّا هؤلاء فيذكرون الله ويدعونه ويسألونه، فإنْ شاء أعطاهم، وإنْ شاء منعهم، وأمَّا هؤلاء فيتعلمون ويُعلِّمون، وإنَّما بُعثت مُعلِّمًا**». وجلس مع المعلمين المتعلمين[1].

(١) رواه ابن ماجه في المقدمة (٢٢٩)، والدارمي في المقدمة (٣٦١)، وضعَّفه الألباني في ضعيف ابن ماجه (٤٤)، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

وفي صحيح مسلم، أنَّه ﷺ قال: «**إنَّ الله لم يبعثني مُعنِّتًا ولا مُتعنِّتًا، ولكنْ بعثني مُعَلِّمًا مُيسِّرًا**»(١). قال ذلك لعائشة رضي الله عنها حينما نزلت آية التخيير، الَّتي أمر الله فيها رسوله ﷺ أنْ يقول لنسائه: ﴿إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٨]. فبدأ بعائشة رضي الله عنها، وأرشدها أنْ تستشير أبويها، قبل أنْ تقول: نعم أو لا. فقالت له: أفيك أستأمر أبوي، يا رسول الله؟! بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة، ولكنِّي أسألك ألَّا تخبر أحدًا من نسائك! فهي قد اختارت الله ورسوله، ولكنها تطلب من رسول الله ﷺ ألا يخبر ضرائرها، حتَّى تنفرد برسول الله ﷺ، فالغيرة النسوية تدفعها لذلك، وكأنها تتمنى أنْ يختار ضرائرها من أمهات المؤمنين الدنيا وزينتها، ويكون الرسول لها وحدها، فقال لها الرسول ﷺ: «**يا عائشةُ، إنَّ الله لم يبعثني مُعنِّتًا ولا مُتعنِّتًا، ولكنْ بعثني مُعلِّمًا مُيسِّرًا**». فالنبي ﷺ هو المُعَلِّم المُيَسِّر.

المنهج النبوي في التعليم قائم على التيسير:

من أهم ما ينبغي أنْ يتعلمه المتعلم، من رسول الله ﷺ، التيسير، أي أنْ يكون مُيسِّرًا في أسلوبه، مُيسِّرًا في تعامله، مُيسِّرًا في طريقته، التيسير لا التعسير، هذا ما أمر النبي ﷺ، كما روى عنه خادمه أنس رضي الله عنه، أنَّه قال: «**يَسِّروا ولا تُعسِّروا، وبَشِّروا ولا تُنفِّروا**»(٢).

وحينما بعث ﷺ أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل إلى اليمن، أوصاهما بهذه الوصية الجامعة الموجزة، فقال: «**يَسِّرا ولا تُعسِّرا، وبَشِّرا**

(١) رواه مسلم في الطلاق (١٤٧٨)، عن جابر.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في العلم (٦٩)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٣٤)، عن أنس.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ولا تُنفِّرا، وتطاوعا ولا تختلفا»[١]. فينبغي أن نعتمد منهج التيسير في كل شيء، نأخذ الأمور باليسر لا بالعسر.

١ ـ الرفق بالمتعلمين:

ومن التيسير: الرفق، أنْ يرفق المعلم بالمتعلم، لا يأخذه بالعنف، كما قال النبي ﷺ: «**إنَّ الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه**»[٢].

وقال: «**ما دخل الرفق في شيء إلا زانه، ولا نزع من شيء إلا شانه**»[٣].

وفي الصحيحين وغيرهما، عن عائشة رضي الله عنها: دخل رهطٌ من اليهود على رسول الله ﷺ، فقالوا: السام عليكم! قالت عائشة: ففهمتها، فقلت: وعليكم السام واللعنة! قالت: فقال رسول الله ﷺ: «**مهلًا يا عائشة، إنَّ الله يحب الرفق في الأمر كلِّه**». فقلت: يا رسول الله، أو لم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله ﷺ: «**قد قلت: وعليكم**»[٤]. أي الموت مكتوب عليَّ وعليكم، كما قال الله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]. والموت مكتوب على الناس جميعًا: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

إنَّ الله يحب الرفق في الأمر كلِّه، فالرفق مطلوب دائمًا، والله تعالى قال لرسوله ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. لأنَّ الناس لا تطيق الغلظة ولا الفظاظة،

---

(١) سبق تخريجه صـ١٦١.
(٢) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٩٣)، عن عائشة.
(٣) سبق تخريجه صـ٢٣.
(٤) سبق تخريجه صـ٢٣.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ولو كانت من رسول الله ﷺ؛ وقد قال الله تعالى في وصف رسوله ﷺ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]. أي يشق عليه ما أصابكم من عنت أو حرج أو ضيق؛ فضلًا عن أنْ يتسبب هو في شيء من ذلك.

لذا كان الرفق من أوصاف النبي ﷺ ومنهجه.

٢ ـ المعلم لتلاميذه كالوالد لأبنائه:

وكان النبي ﷺ يعامل أصحابه كما يعامل الوالد أولاده، ويقول: «**إنَّما أنا لكم بمنزلة الوالد لولده**»[(١)]. وهكذا ينبغي أنْ يكون كل معلم مع تلاميذه، يكون كالأب لأبنائه، والمعلمة تكون كالأم لبناتها، فتنال توقيرها واحترامها من المتعلم.

يقال: إنَّ «الإسكندر الأكبر» كان يحترم مُعَلِّمه، حتَّى قيل له: إنك تحترم معلمك أكثر من أبيك! قال: نعم؛ لأنَّ أبي سبب حياتي الفانية، ومعلمي سبب حياتي الباقية[(٢)]. يعني: أبي يربي جسمي، ومعلمي يربي عقلي، ويعلمني ما لا بدَّ لي منه، حتَّى أنجو في آخرتي. يقول الشاعر في ذلك:

فَذَاكَ مُرَبِّي الرُّوحِ، والرُّوح جَوْهَرٌ وذاك مُرَبِّي الجِسْمِ، والجِسْمُ كالصَّدَفْ[(٣)]

(١) رواه أحمد (٧٣٦٨)، وقال مخرِّجوه: إسناده قوي. وأبو داود (٨)، والنسائي (٤٠)، وابن ماجه (٣١٢)، وابن حبان (١٤٣١)، أربعتهم في الطهارة، وحسَّنه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٥٢)، عن أبي هريرة.

(٢) سبق تخريجه صـ٤٧٥.

(٣) حاشية الميهي على شرح الرملي للستين مسألة من الفروض الواجبة صـ٥.

QaradawiBooks.com

ولذلك كي تنال المعلمة توقير المتعلمة والتلميذة، لا بدَّ أن تشعرها بالأمومة، أنَّها لها مثل الأم تحرص عليها، تحب الخير لها، تحب أنْ ترقى بها، تحب أنْ يكون يومها أفضل من أمسها، وغدها أفضل من يومها، هذه الروح هي الَّتي يجب أنْ تسود كل المعلمات.

٣ ـ الرفق بالمخطئ:

الرفق لا بدَّ منه، وخصوصًا بالمخطئ: قد تسأل المعلمة إحدى التلميذات فتجيب جوابًا فيه خطأ، أو فيه غباء أحيانا، فالتلميذات قد يضحكن، وقد تشاركهن المعلمة في هذا، أو تسخر من البنت، فتذلها أمام زميلاتها، وتحطم شخصيتها؛ وهذا لا ينبغي أنْ يصدر من معلمة حقيقيَّة، إذ لا بدَّ أن نشفق على المخطئ، ونأخذ بيده، ونحنو عليه، وهكذا كان يفعل النبي ﷺ بمن أخطأ.

دخل أحد الصحابة في الإسلام جديدا، هو معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه، يقول: بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ، إذ عطس رجل من القوم فقلت: يرحمك الله. فرماني القوم بأبصارهم فقلت: واثكل أمياهْ؛ ما شأنكم تنظرون إليَّ؟! فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتونني سكتُّ. فلما صلى رسول الله ﷺ، فبأبي هو وأمي، ما رأيت مُعلِّمًا قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه، فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني، قال: «**إنَّ هذه الصلاة لا يصلح فيها شيءٌ من كلام الناس، إنَّما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن**»[1]. فهكذا ينبغي أن نشفق على المخطئ ونرفق به.

(١) رواه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٥٣٧)، وأحمد (٢٣٧٦٢)، عن معاوية السُّلمي.

QaradawiBooks.com

ومن ذلك أيضًا: ما رواه البخاري، أنَّ أحد الأعراب جاء إلى مسجد النبي ﷺ، وكان مسقوفًا بالجريد، ومفروشًا بالحصباء ـ وليس كمساجدنا مفروشًا بالسجاد أو الموكيت ـ وكانت الكلاب تغدو فيه وتروح، وتقبل وتدبر، فهذا الأعرابي حصره البول، فانتحى ناحية من المسجد، وذهب يبول، فهاج عليه الصحابة، فقال لهم النبي ﷺ: «مهْ ـ أي دعوه ـ **لا تقطعوا عليه بولته، وصبُّوا على بوله ذنوبًا من ماء، فإنَّما بُعِثتم مُيسِّرين، ولم تُبْعَثوا مُعسِّرين**»[1].

فهذا شأن المعلم، أنْ يرفق حتَّى بمن أخطأ؛ النبي ﷺ عرف أنَّ هذا رجل بدوي، جاء من البادية، ولم يتهذب بعد بأخلاق الإسلام، لا زال على طبيعته البدوية؛ فراعى رسول الله ﷺ حال الرجل وبداوته وأشفق عليه وقدر ظروفه، فأمر أصحابه أنْ يكونوا ميسرين لا معسرين.

٤ ـ الرفق بالمخطئ لا يعني تركه على الخطأ:

ليس معنى هذا أن من أخطأ نتركه على الخطأ ونقره عليه، ونسكت عنه حتَّى لا يغضب، ليس ذلك، بل لا بدَّ أن نعرف المخطئ خطأه، فمن أخطأ في سلوك لا بدَّ أن نقوم عوجه، ونبين له انحرافه، حتَّى يعود إلى الصراط المستقيم، ولذلك كان النبي ﷺ إذا أخطأ أحدهم بين له الخطأ، ولو كان من أقرب الناس إليه.

عائشة رضي الله عنها، وهي أحب الناس إلى رسول الله ﷺ، حينما قالت عن صفية بنت حيي بن أخطب: ما يعجبك يا رسول الله من صفية إلا أنَّها... وأشارت بيدها، تعني أنَّها قصيرة، لم تكمل الجملة، ذكرتْ «أنَّ»

(١) رواه البخاري في الأدب (٦١٢٨)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

واسمها، ولم تذكر الخبر: «إلا أنَّها...». لكنها أشارت بيدها إلى قصرها، فقال ﷺ: «**يا عائشةُ، لقد قلتِ كلمةً لو مُزِجَتْ بماء البحر لمَزَجَتْه**»[١]. كلمة تُعَكِّر بحرًا؟! لأنَّها قالت كلمة فيها غَيْبة، تكرهها صفيَّة لو سمعتْها، والغَيْبة: أنْ يذكر الإنسان أخاه بما يكره، في أيِّ شيءٍ يخصُّه.

فليس معنى ألا نشق على المخْطئ، أن ندع الناس يخطئون دون أن نقوم خطأهم، خصوصا إذا كان الخطأ يتمثل في اتجاه جماعي، ويشكل خطرا على الجماعة. عندما بلغ النبي ﷺ أنَّ بعض أصحابه سألوا أزواجه عن عبادته، وعرفوا منهن أنَّــه ﷺ يقوم بعض الليل وينام بعضه، ويصوم بعض الأيام ويفطر بعضها، ويتناول الطيبات من الرزق، قالوا: وأين نحن من رسول الله ﷺ، وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟

وكانوا ثلاثة، فقال أحدهم: أمَّا أنا فأقوم الليل ولا أنام.

وقال الثاني: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر.

وقال الثالث: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوَّج.

فلما سمع النبيُّ بمقالتهم، لم يَدَعْهم على خطئهم، وإنَّما جمعهم، وقال: «**أنتم الَّذيــن قُلْتُم كذا وكذا؟ أَمَا والله إنِّي لأخشــاكم لله وأتقاكم له، لكنِّي أصومُ وأُفطر، وأُصَلِّي وأرقد، وأتزوَّج النســاء، فمن رغب عن سُــنَّتي فليس مِنِّي**»[٢]. فليس منــي: أي ليس على منهجي؛ فمنهجــي الاعتدال والتوازن، ولا يعني كوننا نشفق على المخطئ أن نتركه يخطئ، أو أن نقره على الخطأ، لا ينبغي هذا، لا بدَّ أن نبين الخطأ ونصححه، ولكن بالرفق والإشفاق.

(١) سبق تخريجه صـ ٢٩٤.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١)، كلاهما في النكاح، عن أنس.

QaradawiBooks.com

٥ ـ الأمانة في العلم:

ينبغي أيضًا للمعلم أنْ يكون أمينًا في علمه، أي لا يدعي ما ليس له، فقد رُوِيَ عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**تَناصحوا في العلم؛ فإنَّ خيانةَ أحدِكم في علمه أشدُّ من خيانته في ماله، وإنَّ الله ﷻ سائلُكم يومَ القيامة**»[1].

يجب أن نعلم تلاميذنا الأمانة العلميَّة، فلا يجوز للتلميذ أنْ يسرق من صاحبه أو يغشَّ، فقد انتشرت بين التلاميذ للأسف عادة الغشِّ، ولا بدَّ أن نعلمهم أنَّ المسلم أمين، والأمانة ليست واجبة في المال فقط، بل هي في العلم أشدُّ، فالَّذي يغشُّ هو في الحقيقة يسرق ما ليس له بحقٍّ، وهي أشدُّ من سرقة المال، فهي جناية على نفسه، وجناية على المجتمع؛ لأنَّها في الحقيقة تزوير، أنْ يأخذ المرء شهادة تفيد بأنه تعلَّم، وهو لم يتعلَّم، بل سرق الإجابة من غيره، وأخذ ما ليس له بحقٍّ، أخذ من هذا كلمة ومن هذا كلمة، حتَّى ينال من الدرجات ما قد يتفوَّق بها على الطالب المجتهد نفسه، وهذه خيانة للمجتمع وجناية عليه؛ لذا يجب أن نُعلِّم تلاميذنا الأمانة، أمانة العلم، أنَّ الإنسان لا يغشُّ ولا يخدع.

٦ ـ العدل بين المُتَعَلِّمين:

مطلوب أيضًا من المُعَلِّم أو المُعَلِّمة أنْ يعدل بين تلاميذه، فلا يجوز أنْ يعامل التلاميذ بحسب مكانة عائلاتهم المادية، فإذا كان أحدهم من عائلة غنية يعامل برفق، وإذا كان من عائلة فقيرة يعامل بخشونة، فيعامل

---

(١) رواه الطبراني (٢٧٠/١١)، وأبو نعيم في الحلية (٢٠/٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٠٥): فيه أبو سعد البقال، قال أبو زرعة: لين الحديث، مدلس، قيل: هو صدوق؟ قال: نعم، كان لا يكذب. وقال أبو هشام الرفاعي: حدثنا أبو أسامة قال: حدثنا أبو سعد البقال، وكان ثقة. وضعَّفه شعبة لتدليسه والبخاري ويحيى بن معين، وبقية رجاله موثقون. عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

التلميذ أو التلميذة على حسب ما يملكه أبوه أو ولي أمره من أموال، فمن يملك المليون ليس كمن يملك بضعة آلاف، كما قال الشاعر:

فقِيمَةُ ربِّ الألفِ ألفٌ وزدْ تَزِدْ وقيمةُ ربِّ الدِّرهمِ الفَرْدِ دِرْهَمُ

أو يعامل على قدر جاه ولي أمره ومنزلته في المجتمع، وهذا لا ينبغي للمعلم، فإنه يفسد التعليم، خصوصًا عند الأطفال، لذلك كان السلف يسوون بين أولادهم حتَّى في القبلات، لأنك إذا قبلت طفلًا وتركت الآخر جعلت في قلبه جمرة من الحسد، الطفل يحس بذلك، ويعتقد أنك حابيْت أخاه وفضَّلْته عليه، لكنَّه لا يستطيع أنْ يعبر عن ذلك في أغلب الأحيان. قد يكون لرجل زوجتان، فيهتم بأولاد المرأة الجديدة، ويهمل أولاد المرأة القديمة، وهذا لا يجوز شرعًا، فالعدل مطلوب من الآباء، كما هو مطلوب من المعلمين.

حب يعقوب ليوسف حب فطري جبلي:

قصَّ القرآن الكريم علينا قصة سيِّدنا يعقوب وأولاده، وكان يعقوب يحب يوسف وأخاه، ولم يكن يقصد ظلمًا ولا محاباة، إنَّما هو الحب الفطري الجبلي، كما قيل لأحد الأعراب: أي أولادك أحب إليك؟ فقال: صغيرهم حتَّى يكبر، ومريضهم حتَّى يشفى، وغائبهم حتَّى يحضر.

فالصغير عادة يحبه والداه أكثر، خصوصًا إذا كانت أمه قد توفيت؛ يوسف وأخوه توفيت أمهما، فأصبح الأب أبًا وأمًّا، وأعطاهما رعاية أكبر، ولكن مع هذا أوقدت نار الغيرة والحسد في قلوب بقية أبنائه، وقالوا كما حكى القرآن: ﴿إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ٨، ٩].

QaradawiBooks.com

فهذا نتيجة أنَّه خص يوسف وأخاه بمزيد من العناية، رغم أنَّ له مبرراته كما قلنا، ولكن الأولاد لا يقدرون هذا، فإذا خص مدرس أو مدرسة بعض التلاميذ ـ ليس لأنَّه الأفضل من الناحية العلميَّة، أو الأفضل من الناحية العقلية، أو لأنَّه يؤدي الواجبات أفضل من غيره ـ لاعتبارات أخرى، غير الاعتبارات العلميَّة، فهذا لا شكَّ أنَّه يفسد التلاميذ، لأنَّهم يرون أنَّ معلمهم أو معلمتهم غير عادلة.

العدل مع العدو ومع الصديق:

الله تعالى يأمرنا بالعدل مع من نحب، ومع من نكره؛ في العدل مع من نحب يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء: ١٣٥]. قل الحقَّ ولو على نفسك أو على ذوي القربى، قُلْه وإن كان مرًّا، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

وفي العدل مع العدو ومن نكره، أي مع من نكرهه، ومع من يكرهنا، يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨]. أي اعدلوا حتَّى مع الشنآن، أي مع شدة البغض والكراهية، سواء شدة بغضهم لكم، أو شدة بغضكم لهم. ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾، أي لا يحملنكم هذا على ترك العدل، ﴿ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾. والمؤمن إذا رضي لا يدخله رضاه في الباطل، وإذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق، فهو مع العدل دائمًا، يعطي كلَّ ذي حق حقه، ويرعى الله في ذلك ويتقيه؛ هذا ما يجب على المعلمة أنْ ترعاه في أخلاقيات مهنة التعليم.

QaradawiBooks.com

٧ ـ مراعاة الفروق الفرديَّة بين المتعلمين:

كذلك يجب أنْ تراعى الفروق الفرديَّة بين التلاميذ، فالله ﷻ قد خلق الناس متفاوتين، فلا يجوز أن نعامل الناس كأنهم كلهم في مرتبة واحدة، فمن ناحية العقل هناك النابغ أو النابغة، وهناك الذكي حاد الذكاء، وهناك الذكي فقط، وهناك من هو أقل من مستوى الذكاء العادي، وهناك المتوسط في الذكاء، وهناك المتخلف نوعًا ما. هناك مستويات لا يمكن أنْ تعامل كلها معاملة واحدة؛ أيضًا: من التلاميذ من جاء من بيت فيه علم وثقافة، وهناك من جاء من البادية؛ لا بدَّ أن نراعي هذا ونراعي ذاك.

مراعاة النبي أحوال السائلين:

النبي ﷺ، كان خير من يراعي هذه الفروق الفرديَّة، فما كان يعطي الناس إجابة واحدة؛ يسأل عن الشيء الواحد فيجيب بعدة إجابات، ذلك لأنَّه ﷺ يراعي أحوال السائلين، وينظر: ما الَّذي يحتاج إليه هذا الشخص أو ذاك، وأي شيء أحوج إليه؟ قال رجل للنبي ﷺ: أوصني. قال: «**لا تغضب**». فردَّد مرارًا، قال: «**لا تغضبْ**»[(١)].

وذلك أنَّه ﷺ رأى في الرجل عصبيَّة، فأوصاه ألَّا يغضب.

ورأى آخر مقصرًا في صلاته، أو مهملًا نوعًا ما في برِّ والديه، فأخبره أنَّ أفضل الأعمال: «**الصلاةُ لوقتها، ثم برُّ الوالدَيْن**»[(٢)].

وسُئل ذات مرَّة: أي العمل أحب إلى الله؟ فقال: «**تُطعمُ الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف**»[(٣)].

---

(١) سبق تخريجه صـ٢٨٦.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في مواقيت الصلاة (٥٢٧)، ومسلم في الإيمان (٨٥)، عن ابن مسعود.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٢)، ومسلم (٣٩)، كلاهما في الإيمان، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

وهكذا كان ﷺ يراعي الفروق الفرديَّة لدى السائلين له، وهكذا ينبغي أنْ يعامل المعلم والمعلمة تلاميذه، لا ينبغي أن نعامل التلاميذ على أنَّهم جميعًا في مستوى واحد، أو قدرات واحدة، بل ينبغي مراعاة مستوياتهم وقدراتهم، فالطالب القوي يعطى سؤالًا يناسبه، والطالب الضعيف يعطى سؤالًا يناسبه، لا ينبغي أنْ يعطى الطالب الضعيف سؤالًا قويًّا جدًّا، بحيث لا يستطيع أنْ يجيب عليه، فيشعر بالحرج أمام زملائه في الفصل، فالمُعَلِّم الكفء يراعي الفروق الفرديَّة لدى تلاميذه.

٨ ـ استعمال الوسائل المُعِينة على الفهم:

المُعَلِّم الناجح المُوَفَّق أيضًا هو الَّذي يستعمل الوسائل المُعِينة للتلاميذ على الفهم؛ وفي سِيرة النبيِّ ﷺ نماذج عالية وهائلة من ذلك، ذكرتها في كتابي: «الرسول والعلم»، لقد كان النبيُّ ﷺ يستخدم كلَّ الوسائل المُعِينة في عصره، مرَّة يَخُطُّ على الرمل؛ ليوضح لهم المعنى المراد، كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه، أنَّه قال: خطَّ لنا رسول الله ﷺ خطًّا، ثم قال: «**هذا سبيل الله**». ثم خطَّ خطوطًا عن يمينه وعن شماله، ثم قال: «**هذه سُبُل، على كلِّ سبيلٍ منها شيطانٌ يدعو إليه**». ثمَّ قرأ: ﴿**وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ**﴾ [الأنعام: ١٥٣][1]. ففسر ﷺ الآية، ووضح المراد منها بهذا الرسم.

٩ ـ استعمال النبيِّ ﷺ الحوار:

ومرة يستعمل الحوار، كما في قوله ﷺ: «**ألا أدلُّكم على ما يمحو اللهُ به الخطايا ويرفعُ به الدرجات؟**». قالوا: بلى، يا رسول الله. قال: «**إسباغُ**

(١) سبق تخريجه صـ ١٨.

QaradawiBooks.com

الوضوء على المكاره، وكثرةُ الخُطا إلى المساجد، وانتظارُ الصلاةِ بعد الصلاةِ، فذلكم الرباط»[١].

وقوله: «**ألا أُنَبِّئكم بأكبر الكبائر؟**» ثلاثًا. قالوا: بلى، يا رسول الله. قال: «**الإشراكُ بالله وعقوق الوالدين**»، وجلس ـ وكان متكئًا ـ فقال: «**ألا وقولُ الزُّور**». فما زال يُكَرِّرها حتَّى قلنا: ليته يسكت[٢].

وقوله: «**أيُّ الخلْق أعجب إيمانًا؟**». قالوا: الملائكة. قال: «**الملائكة كيف لا يؤمنون؟**». قالوا: النبيُّون. قال: «**النبيُّون يُوحى إليهم، فكيف لا يؤمنون؟**». قالوا: الصحابة. قال: «**الصحابةُ مع الأنبياء فكيف لا يؤمنون؟ ولكن أعجب الناس إيمانًا: قومٌ يجيئون من بعدكم، فيجدون كتابًا من الوحي فيؤمنون به ويتَّبعونه، فهم أعجب الناس إيمانًا**»[٣].

فالحوار إذنْ ينبه العقول والأذهان لتلقي المعلومة، كقوله أيضًا: «**أيُّ يومٍ هذا؟**» فسكت الصحابة حتَّى ظنوا أنَّه سيسميه بغير اسمه، قال: «**أليس يومَ النحر؟**». قالوا: بلى.

ثم قال: «**أيُّ شهرٍ هذا؟**». قال: فسكتنا حتَّى ظننَّا أنَّه سيُسَمِّيه بغير اسمه، ثم قال: «**أليس ذا الحجَّة؟**». قالوا: بلى.

ثمَّ قال: «**أيُّ بلد هذا؟**». فسكتوا حتَّى ظنُّوا أنَّه سيُسمِّيه بغير اسمه، ثم قال: «**أليس البلدةَ الحرام؟**». قالوا: بلى.

---

(١) رواه مسلم (٢٥١)، والترمذي (٥١)، كلاهما في الطهارة، عن أبي هريرة.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الشهادات (٢٦٥٤)، ومسلم في الإيمان (٨٧)، عن أبي بكرة.

(٣) رواه البزار (٧٢٩٤)، وقال: غريب من حديث أنس. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٦٩١): فيه سعيد بن بشير، وقد اختلف فيه؛ فوثقه قوم، وضعفه آخرون، وبقية رجاله ثقات.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مرخصة
QaradawiBooks.com

قال: «**فإنَّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرامٌ عليكم إلى أنْ تلقوا ربَّكم تعالى، كحُرْمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا**»[١]. فظهر أنَّه بعد ما يسألهم تصغي إليه الآذان والعقول، وتتنبه إلى ما يقول.

١٠ ـ استخدام الإشارة لترسيخ المعنى:

وأحيانًا يشير إشارة حسية، فبدل أنْ يقول: التقوى في القلب، يشير إلى صدره ﷺ، ويقول: «**التَّقْوى هاهنا**». أي في الصدر، كما في حديث: «**لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، ولا يَبعْ بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانًا، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يَخْذُله ولا يحْقره، التقوى هاهنا**» ويشير إلى صدره ثلاث مرات[٢]. وهو بهذه الإشارة يرسخ لمعنى التقوى ويؤكد على أنَّ محلَّها القلب.

وكقوله ﷺ: «**أنا وكافل اليتيم في الجنَّة كهاتين**» وأشار بأصبعيه، يعني السبابة والوسطى[٣]. فهذه الإشارة لا تنسى.

وكقوله ﷺ: «**كُفَّ عليك هذا**» ويُشير إلى لسانه[٤].

فكُلُّها معينات على حسن الفهم، وعلى المعلم الَّذي يريد أنْ يفيد تلاميذه، أنْ يستعمل هذه المعينات، حتَّى ييسر الطريق على التلاميذ، ويعينهم على حسن الفهم، والسداد في الإجابة.

---

(١) سبق تخريجه صـ٢٧٦.

(٢) سبق تخريجه صـ٢٥٣.

(٣) رواه البخاري في الأدب (٦٠٠٥)، وأحمد (٢٢٨٢٠)، عن سهل بن سعد.

(٤) رواه أحمد (٢٢٠١٦)، وقال مخرِّجوه: صحيح بطرقه وشواهده. والترمذي في الإيمان (٢٦١٦)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه في الفتن (٣٩٧٣)، والحاكم في التفسير (٤١٢/٢، ٤١٣)، وصحَّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي، عن معاذ بن جبل.

QaradawiBooks.com

أثر العلم في السلوك:

ولا بدَّ للمعلم الحقيقي أنْ يتجسد خلق العلم في سلوكه، العلم ليس مجرد حفظ كلام، ولا مجرد حشو الذهن بالمعلومات، العلم يجب أنْ يكون له أثر في السلوك، وإلا كان علمًا لا ينفع، ولذلك روى الحسن البصري: «**العلم عِلْمَان: علمٌ في القلب، فذلك هو العلم النافع. وعلمٌ على اللسان، فذلك حُجَّة الله على ابن آدم**»(١).

العلم الحقيقي هو الَّذي يؤثر في القلب، أي يؤثر في دوافع الإنسان ونيته وحوافزه، ليؤثر بعد ذلك في سلوكه، فلا بدَّ أنْ يظهر هذا على المعلم، حتَّى يتلقن منه المتعلم، أمَّا إذا كان المعلم نفسه قدوة سيِّئة، وأسوة رديئة، فكيف يتعلَّم منه الخلق؟ التلميذ يتأثَّر بمُعَلِّمه وبسلوكياته أكثر ما يتعلَّم من معارفه.

المُعَلِّم الأسوة:

نريد المُعَلِّم الأسوة، والمُعَلِّمة القدوة الَّتي تغرس في تلميذاتها الفضائل، لا بالكلام، ولكن بالسلوك والحال، فإنَّ الإنسان يعلم بحاله، أكثر ممَّا يعلم بمقاله، والسلف يقولون: حال رجل في ألف رجل، أبلغ من مقال ألف رجل في رجل. حاله: أي سلوكه، فالسلوك أبلغ من كلام ليس وراءه عمل، وهذا هو التعليم بالأسوة الحسنة.

لا بدَّ أن تكون المعلمة أسوة حسنة لتلميذاتها، فتؤثر فيهن، كما أثر النبي ﷺ في أصحابه بأسوته، وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]. هذا الخلق هو الَّذي أثر في أصحاب النبي ﷺ، وقال

(١) سبق تخريجه صـ٨٠.

نسخة مجانية
غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يتعلمون من النبي ﷺ؛ من عمله وسلوكه وأخلاقياته، من أدبه مع الله، ومن أدبه مع الناس، ومن أدبه في السلْم، وأدبه في الحرب، وأدبه في المسجد، وأدبه في الطريق، وأدبه في البيت، وأدبه في كلِّ شيء؛ فكانوا يتعلَّمون من فعله أكثر ممَّا يتعلَّمون منه بالكلام، فنحن نريد المُعلِّم الأسوة، والمُعَلِّمة القدوة.

العلم الَّذي لا ينفع:

من أجل ذلك كان النبي ﷺ يستعيذ بالله من علم لا ينفع، فيقول: «**اللهمَّ إنِّي أعوذ بكَ من علمٍ لا ينفع، ومن قلبٍ لا يخشع، ومن عملٍ لا يُرْفع، ومن دعوةٍ لا يُستجاب لها**»(١).

واعتبر النبي ﷺ أنَّ العلم الَّذي لا ينفع هو علم المنافقين، العلم الَّذي يكون على اللسان ولم يتغلغل إلى أعماق القلب. قال سيِّدنا عمر رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ أخوفَ ما أخاف على هذه الأُمَّة كلُّ منافقٍ عليمِ اللسان**»(٢). فالعلم الَّذي على اللسان لا يؤثر في المتعلمين، ولا يؤثر في الناس.

كان الحسن البصري رحمه الله إذا وعظ الناس في المسجد، أجهش الناس بالبكاء، كأن بين أيديهم جنازة، وذلك أنَّ الكلام إذا خرج من

(١) سبق تخريجه صـ٨١.

(٢) رواه أحمد (١٤٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده قوي. والبزار (٣٠٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٨٧/١): رواه البزار وأحمد وأبو يعلى، ورجاله موثقون.

QaradawiBooks.com

القلب دخل إلى القلوب، وإذا خرج من اللسان لم يتجاوز الآذان، ولما سئل بعضهم لماذا يؤثر الحسن البصري في قلوب سامعيه؟ قال: إنَّ النائحة الثكلى ليست كالنائحة المستأجرة. المرأة الَّتي تبكي لموت ولدها تؤثر فيمن رآها أو سمعها، بخلاف النائحة المستأجرة للبكاء على الموتى، فتلك يسمعها الناس ولا يتأثرون ببكائها؛ من هنا كانت القدوة مهمة في التعليم.

ونحن نركز على جانب القدوة، حتَّى لا يكون الإنسان مجرد حامل للعلم وليس عاملًا به، كما وصف الله اليهود بقوله: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ﴾ [الجمعة: ٥]. حمار يحمل مراجع وكتب عظيمة جدًّا، ولكنَّه لا يستفيد منها، فلا ينبغي للإنسان أنْ يتحول من إنسان إلى حمار يحمل العلم ولا يحمله، أي لا يحمله رسالة موجهة لحياته، مؤثرة في نفسه، مؤثرة في أخلاقه، فالأسوة مطلوبة في المعلم.

* * *

وفي الختام، هذه ـ أيُّتها الأخوات العزيزات ـ بعض أخلاقيات مهنة التعليم، يكفي أن نعرف هذه الملامح الأساسية، وهذه المعالم في هذا الطريق، لنستفيد منها في تربية أبنائنا وبناتنا، ونحاول أن نخرج الجيل المستنير، الجيل المؤمن المثقف، الَّذي ينفع نفسه، وينفع وطنه، وينفع أمته، وينصر دينه بالتربية الحقيقيَّة.

إذا كانت هناك تربية حقيقيَّة من مُرَبِّين حقيقيِّين، ومُرَبِّيَات حقيقيَّات: أعتقد أنَّنا نستطيع أنْ ننشئ هذا الجيل المنشود، الَّذي يقوم بالعبء، وينهض بالرسالة، ويؤدِّي واجبه قبل أنْ يطلب حقَّه، وبهذا

QaradawiBooks.com

نرقى بأمَّتنا، وننهض بديننا، وننصر الله لينصرنا الله. أسأل الله تعالى أنْ يُفَقِّهنا في دِينِنا، وأنْ يُنِير بصائرنا، وأنْ يُعَلِّمنا ما ينفعنا، وأنْ ينفعنا بما علَّمنا، إنَّه سميعٌ قريب.

والسلام عليكنَّ ورحمة الله وبركاته.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٢٢

مكانة المعلم في الإسلام[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الَّذي بنعمته تتمُّ الصالحات، الَّذي هدانا لهذا وما كنَّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاةُ والسلامُ على مُعلِّم الناس الخير، وهادي البشريَّة إلى الرشـــد، وقائد الخلق إلى الحقِّ، البشير النذير، والسراج المنير، ســـيِّدنا وإمامنا وأُســـوتنا وحبيبنا ومُعَلِّمنا مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه، ومَن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدِّين.

خير ما أُحيِّيكنَّ به أيَّتها الأخوات والبنات العزيزات تحيَّةُ الإسلام، وتحيَّةُ الإسلام السلام، فالسلام عليكنَّ ورحمة الله وبركاته.

وأشكر لكليَّة التربية وللَّجنة الأنشـــطة الطلابيَّة فيها، أنْ أتاحت لي هذه الفرصة للالتقاء ببناتي العزيزات، لأتحـــدَّث إليهنَّ، ولأتلقَّى منهنَّ الأسئلة والاستفسارات، ولنتحاور معًا فيما يهمُّ دِيننا ودُنيانا.

(١) ألقيت في كليـــة التربية بجامعة قطر بتاريـــخ ٩ مارس ١٩٩٦م، تحت رعاية لجنة الأنشـــطة الطلابية بكلية التربية، خلال موسمها الثقافي لذلك العام.

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

أهميَّة لقاء المؤمنين:

قال سيِّدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه: مثل الأخوين المؤمنين كمثل اليدين، تغسل إحداهما الأخرى، وما التقى مؤمنان قطُّ إلَّا أفاد الله أحدهما من صاحبه خيرًا[١].

فلِقاء المؤمنين دائمًا يكون على خير؛ لأنَّه يكون لقاء في الله ولله، ولهذا لا يثمر إلَّا خيرًا، ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ [الأعراف: ٥٨].

أُحَدِّثكن أوَّلًا عن المُعَلِّم في الإسلام، ومكانته، ووظيفته بإيجاز؛ لنفتح الباب للأسئلة، فلعلَّها أكثر نفعًا.

المُعَلِّم خليفة الرسول ﷺ:

المُعَلِّم هو خليفة رسول الله ﷺ، كلُّ الرسل مُعَلِّمون، وظيفتهم الدعوة والتعليم، مُبَشِّرون ومنذرون، كما قال الله تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]. وقد ورد أنَّ رسول الله ﷺ دخل المسجد وقومٌ يذكرون الله، وقومٌ يذاكرون الفقه، فقال النبيُّ ﷺ: «**كلٌّ على خير، أمَّا الَّذين يذكرون الله تعالى ويسألون ربَّهم فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وهؤلاء يُعلِّمون الناس ويتعلَّمون، وإنَّما بعثتُ مُعَلِّمًا**»[٢]. فهم أفضل.

وقال أيضًا: «**إنَّ اللهَ لم يبعثْني مُعَنِّتًا ولا مُتَعَنِّتًا، ولكنْ بعثني مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا**»[٣]. فهو مُعَلِّم ومُيَسِّر في تعليمه، وقد علَّم أمَّته ذلك فقال:

---

(١) رواه ابن وهب في جامعه (٢٠١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧٢٨٨).

(٢) سبق تخريجه صـ٥٠٩.

(٣) سبق تخريجه صـ٥١٠.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

«**يَسِّروا ولا تُعسِّروا، وبَشِّروا ولا تُنفِّروا**»، كما روى عنه صاحبه وخادمه أنس بن مالك رضي الله عنه [١].

وحينما أرسل ﷺ أبا موسى ومعاذًا رضي الله عنهما إلى اليمن، أوصاهما بهذه الوصيَّة الجامعة: «**يَسِّرا ولا تُعسِّرا، وبَشِّرا ولا تُنفِّرا، وتَطاوعا ولا تَختلفا**»[٢]. فهكذا كان ﷺ وكان أصحابه.

كان هو معلِّم المعلِّمين، إنَّ المعلِّم الأول في الإسلام هو رسول الله ﷺ، وليس كما قال الفلاسفة، عن أرسطو أنَّه المعلِّم الأول، حينما ترجم المسلمون كتب الفلسفة اليونانية إلى العربية أُعجبوا بأرسطو وسمَّوْه المعلِّم الأول، وسمَّوْا تلميذ مدرسته الفارابي المعلِّم الثاني، والواقع أنَّ المعلِّم الأول هو رسول الله ﷺ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

التزكية والتعليم لا يفترقان:

النبي ﷺ هو الَّذي أخرج الناس من الضلالة إلى الهدى، ومن الظلمات إلى النور: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥]. وقد خاطب الله رسوله فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]. فهو المعلِّم الهادي، يعلِّم الكتاب والحكمة ويزكِّي، فمُهمته التعليم والتزكية، التزكية تتعلَّق بالنفوس، والتعليم يتعلَّق بالرؤوس. فلا يكفي الإنسان أنْ يملأ رأسه بالمعلومات، إذا لم تتزكَّى نفسه، ولذلك قال: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾.

---

(١) سبق تخريجه صـ ٥١٠.

(٢) سبق تخريجه صـ ١٦١.

نسخة مجانية
غير مرخصة للبيع
QaradawiBooks.com

بين التزكية والتربية:

كلمة التزكية هي التي نعبِّر عنها الآن بكلمة التربية، كنتُ أودُّ أنْ تكون الكلمة ـ وهي مترجمة طبعًا ـ بدل (Education)، لو كانوا ترجموها بكلمة التزكية، فهي الأقدر على التعبير عن المراد، بل التربية تُستعمل ـ أكثر ما تُستعمل ـ في التربية الجسمية، كما في قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ [الإسراء: ٢٤]. إنَّما التربية النفسية، والتربية العقلية، والتربية الرُّوحية، والتربية الإيمانية، والتربية الخُلقية يُعبَّر عنها بالتزكية.

معنى التزكية:

كلمة تزكية في اللغة العربية مشتقَّة من زكَّى، وكلمة زكَّى وزكاة تعني أمرين في لغة العرب: الطهارة والنماء، فمعنى زكَّى يعني طهَّر ونمَّى.

فهو يُطهِّر العقول والنفوس من رذائل الشرك، ومن رذائل النفاق، ومن كلِّ رذائل الجاهلية وينمِّيها، يطهِّرها من الشرك، وينمِّيها بالتوحيد، يطهِّرها من النفاق وينمِّيها بالإخلاص، يطهِّرها من الكذب، وينمِّيها بالصدق، يطهِّرها من الخيانة، وينمِّيها بالأمانة، وهكذا هذه هي التزكية: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ۝ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٧ ـ ١٠]. التزكية تطهير النفس وتنميتها، وهذا ما فعله النبي ﷺ.

القرآن حدد مهمة النبي بتلاوة الكتاب والتزكية والتعليم:

في أربع آيات من القرآن جاء أنَّ مهمَّة النبي ﷺ هذه الشُّعَب: تلاوة الكتاب، والتزكية، والتعليم.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآية الأولى: ﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٩]. وهذا ما دعا به سيِّدنا إبراهيم عليه السلام للأُمَّة المرتقبة، أُمَّة الإسلام.

الآية الثانية: ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٥١].

الآية الثالثة: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

الآية الرابعة: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ [الجمعة: ٢].

أثر تعليم النبي وتزكيته ﷺ:

علَّم النبيُّ ﷺ وزكَّى، زكَّى الأنفس، وصنع أُمَّة جديدة، صَبَّ في عروقها دمًا جديدًا، أنشأ من كلِّ إنسان خلقًا آخر، لو رأيتَ مثلًا عمر بن الخطاب في الجاهلية، وعمر بن الخطاب في الإسلام، تجد إنسانًا آخر، إنسانًا كان يعبد إلهًا من الأصنام، وقيل: إنَّه مرَّة كان يعبد صنمًا من العَجْوة، فلما جاع أكله[1]. أصبح بالإسلام إنسانًا آخر، تغيَّرت عقليَّته، وتغيَّرت عاطفته، القلب القاسي أصبح قلبًا رحيمًا، عمر بن الخطاب الَّذي كان يعبد الصنم هو نفسه الَّذي يأتي إلى الحجر الأسود في الحجِّ ويُقَبِّله ويقول له: إنِّي أعلم أنك حجر، لا تضرُّ ولا تنفع، ولولا أنِّي رأيتُ رسول الله ﷺ

(١) انظر: عبقرية عمر لعباس محمود العقاد صـ٢٢١، ٢٢٢، نشر المكتبة العصرية، بيروت.

QaradawiBooks.com

يُقَبِّلُك ما قبَّلتك[١]. عقله تحرَّر، قلبه رقَّ وحنا بعد قسوة الجاهلية، حتَّى إنَّه كان يقول بعد ما تولَّى الخلافة: لو ماتت شاة على شط الفرات ضائعة لظننت أنَّ الله تعالى سائلي عنها يوم القيامة[٢]. هذه نتيجة التعليم النبوي، التربية المحمدية.

من أساليب النبي ﷺ في التعليم:

لقد تربَّى هؤلاء على حصير رسول الله ﷺ، ولم يكونوا في مُدرَّجات مثل مُدرَّجاتنا هذه، ولا أمامهم «سبُّورات»، بل كانت وسيلة الإيضاح هي الرمل، النبي ﷺ كان إذا أراد أنْ يعلِّمهم بوسائل الإيضاح يخطُّ في الرمل، خطَّ في يوم من الأيام في الرمل خطًّا وقال: «**هذا صراطُ الله المستقيم**». وخطَّ عن يمينه وشماله خطوطًا متعرِّجة وقال: «**هذه سُبُل، على رأس كلٍّ منها شيطانٌ يدعو إليه**». ثمَّ تلا قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣][٣].

خير مُعَلِّم وخير تلاميذ:

كان يعلِّم الناس بهذه الإمكانيات، إنَّما كان خير معلِّم للناس، ربَّى هذه الفئة التي تُعتبر خير أجيال البشريَّة، الصحابة هم خير أجيال البشر، إيمانًا وأخلاقًا وسلوكًا وتضحيةً وبرًّا، هم الَّذين حفظوا القرآن ونقلوه إلينا، هم الَّذين حفظوا السنن وروَوها لنا، هم الَّذين نشروا

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٥٩٧)، ومسلم (١٢٧٠)، كلاهما في الحج.

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣٠٥/٣)، تحقيق إحسان عباس، نشر دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٦٨م.

(٣) سبق تخريجه صـ١٨.

QaradawiBooks.com

الإسلام في العالم، وفتحوا الفتوح، هم خير جيل أُخرج للناس، هؤلاء تلاميذ محمد ﷺ، فالرسول هو سيِّد المعلِّمين، وكلُّ معلِّم إنَّما يقتبس من مشكاته ﷺ.

المُعلِّم الناجح من يتأسَّى برسول الله:

المعلِّم الناجح حقًّا هو الَّذي يأخذ الهداية من رسول الله ﷺ، ويَعُدُّ التعليم عبادة وجهادًا، مهنة التعليم إذا أُدِّيت على وجهها تعتبر عبادة، وتعتبر جهادًا في سبيل الله، المعلِّم الَّذي ينوِّر العقول، ويرقِّق القلوب، ويحرِّك العزائم لعمل الخير وخير العمل، هذا هو ميراث النُّبُوَّة، كما قال النبي ﷺ: «**إنَّ الأنبياء لم يُوَرِّثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنَّما ورَّثوا العلم، فمَن أخذه أخذ بحظٍّ وافر**»[1].

العلم ميراث الرسول:

دخل سيِّدنا أبو هريرة رضي الله عنه السوق فوجد الناس يتبايعون ويشترون، ويحلفون أحيانًا بالأيمان الكاذبة، وهمُّهم الدنيا، فقال: يا أهل السوق، ما أعجزكم! قالوا: وما ذاك، يا أبا هريرة؟

قال: ذاك ميراث رسول الله ﷺ يُقَسَّم، وأنتم هاهنا، ألا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه! قالوا: وأين هو؟

قال: في المسجد. فخرجوا سراعًا، ووقف أبو هريرة لهم حتَّى رجعوا.

---

(١) رواه أحمد (٢١٧١٥)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. وأبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، كلاهما في العلم، وابن ماجه في المقدمة (٢٢٣)، وابن حبان في العلم (٨٨)، وقال السخاوي في المقاصد الحسنة (٧٠٣): وصحَّحه ابن حبان والحاكم وغيرهما، وحسنه حمزة الكتاني، وضعفه غيرهم بالاضطراب في سنده، لكن له شواهد يتقوى بها، عن أبي الدرداء.

QaradawiBooks.com

فقال لهم: ما لكم؟ فقالوا: يا أبا هريرة، قد أتينا المسجد فدخلنا فلم نرَ فيه شيئًا يُقَسَّم.

فقال لهم أبو هريرة: وما رأيتم في المسجد أحدًا؟ قالوا: بلى، رأينا قومًا يصلُّون، وقومًا يقرؤون القرآن، وقومًا يتذاكرون الحلال والحرام.

فقال لهم أبو هريرة: ويحكم، فذاك ميراث محمد ﷺ[1].

فالمُعلِّم الناجح حقًّا هو الَّذي يهتدي برسول الله ﷺ فيقتدي.

حاجة الأمة إلى المعلِّم الصادق:

والأُمَّة الآن هي أحوج ما تكون إلى المعلِّم الصادق، فالمعلِّم هو الَّذي يغرس الإيمان أو الإلحاد، هو الَّذي يزرع الفضيلة أو الرذيلة، هو الَّذي يصنع العقل المتحرِّر أو العقل التابع لغيره، ولذلك الَّذين أرادوا أنْ يُنْشِئوا نهضةً حقيقيةً اهتمُّوا أول ما اهتمُّوا بالتعليم.

في الهند كان هناك شاعر ساخر، فقال: إنَّ فرعون أساء إلى نفسه، واكتسب السمعة السيئة في التاريخ كلِّه بما صنع مع بني إسرائيل، ذبَّح أبناءهم، واستحيا نساءهم، وكان يكفِيه عن هذا التذبيح والتقتيل، لو أنشأ لهم مدرسة أو كليَّة تعلِّمهم ما يريد هو، لم يكن بحاجة إلى أنْ يُقتِّل أو يُذبِّح وغير ذلك، بل يعلِّمهم ما يريد عن طريق هذه الكلية، فيخرج أناس يطيعون أمره، ويتَّبعون نهجه، بدون قطرة دم واحدة تُراق. وهذا كلام صحيح.

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (١٤٢٩)، وحسن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (١٣٨)، وكذا الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٠٥)، وحسَّنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٨٣).

QaradawiBooks.com

أثر الاستعمار في مناهج التعليم:

حينما جاء المستعمرون إلى البلاد الإسلامية فعلوا هذا، استولوا على التعليم، ففي مصر كان المستشار الأوَّل للتعليم في مصر رجل قسيس اسمه «دنلوب»، وهو الَّذي وضع فلسفة التعليم في مصر، ووضع المناهج، وبصمته كانت على التعليم، وظلَّت عقودًا طويلة، ولعلَّ هذه البصمات لا زالت إلى اليوم، لأنَّ التعليم هو المهم، ويمكن للتعليم أنْ يُخرِّج أناسًا لا يعرفون شيئًا عن محمد ﷺ، ولا يعرفون شيئًا عن عمر، ولا عن عليّ، ولا عن ابن حنبل، ولا عن ابن تيمية، ولا عن الغزالي، وإنَّما يعرفون عن «نابليون بونابارت»، عن الثورة الفرنسية، عن الثورة البلشفية، عن العالَم الغربي، وهذا ما كان يحدث.

في الأزهر درسنا السيرة النبويَّة، والتاريخ الإسلامي إلى الحروب الصليبية ـ أي: إلى القرن السادس تقريبًا ـ درسنا هذا كلَّه في كتاب واحد، بينما في الأول الثانوي: درسنا الإغريق والرومان ومصر الفرعونية، وغيرها من الدول، وفي السنة الرابعة والخامسة من الثانوية، درسنا تاريخ أوربا: تاريخ العصور الوسطى، وعصر النهضة، النهضة عند أوربا والانحطاط عندنا نحن! سمَّوها العصور الوسطى، وهي كانت عصورًا وسطى عند الأوربيين وليست عندنا. هذا في الأزهر، تصوروا الأزهر، لأن من كان يُدرِّسنا التاريخ كانوا من خريجي «دنلوب» ومدرسته، فكيف يُغيِّر الأزهر التعليم؟

المُعلِّم أهم عنصر في التعليم:

إعداد المُعلِّم أمرٌ مهمٌّ جدًّا، فهو أهم عناصر التعليم، ليس المُعلِّم هو المؤثِّر وحده، لأنَّ هناك المنهج، وهناك الكتاب، وهناك الإدارة، وهناك

QaradawiBooks.com

الرُّوح العامة المُسيْطرة، ولكن يظلُّ المُعلِّم هو العنصر الفعَّال، هناك حكمة تقول: «إنَّ العدل ليس في نص القانون، ولكن في ضمير القاضي». أي: لو كان القانون أعوجا، والقاضي رجل مستقيم، فإنه يستطيع أنْ يجعل القانون يحكم بالعدل، وذلك بتصرُّفه ورُوحه، وكذلك ليس التعليم في الكتاب، ولكن في رُوح المُعلِّم.

روح المُعلِّم حياةٌ للمنهج التعليمي:

ليس التعليم في الكتاب وحده، ولكن في روح المعلم، فقد يُمِيت المعلم المادة الحيَّة. وأنا أقول لكم بصراحة: لقد ألَّفنا كتبًا لوزارة التربية والتعليم، وأنا مدير للمعهد الديني، شاركتُ في أكثر من عشرين كتابًا، في التربية الإسلامية، وفي المجتمع الإسلامي، والفلسفة الأخلاقية، ومواد كثيرة، ولكن كانت هذه الكتب تحتاج إلى مُعلِّم حيٍّ، لأنَّ المُعلِّم الميِّت يُميت الكتاب الحيَّ. فبعض المُعلِّمين عبارة عن لوح من الثلج يمسك بالكتاب المليء حرارة، فيضع عليه من ثلجيَّته، فيصبح شيئًا باردًا فاترا، لا يكاد يُحسُّ به الطالب، بل يُحسُّ أنَّ المادة طويلة وثقيلة، ولذلك يأتون بعدها ليقولوا: نريد أن نختصرها، وبالفعل يختصرون ويختصرون حتَّى يختزلوها في نصوص جامدة تُحفظ، لا نصوص تُشرح وتُفهم.

ليست هذه هي التربية، فالمُعلِّم هو المحور المُهم في التربية، يستطيع المُعلِّم برُوحه، بحماسه، بحرارته، بتحضيره لدرسه، باهتمامه بأبنائه وبناته وطلابه وطالباته، يستطيع أنْ يفعل الكثير، وبدون المعلم لا تنجح التربية.

QaradawiBooks.com

فضل مُعلِّم الناس الخير:

نحن نُركِّز على المُعلِّم الَّذي يعلِّم الخير، كما قال النبي ﷺ: «**إنَّ الله تعالى وملائكته، وأهل السماوات وأهل الأرض، حتَّى النملة في جُحرها، وحتَّى الحوت في البحر، ليُصَلُّون على معلِّم الناس الخير**»[1]. انظر، بينما هو مشغول بالتعليم، الكائنات العُلْويَّة مثل الملائكة، والكائنات البحريِّة مثل الحيتان، والبريَّة مثل الحشرات والنمل، تصلِّي عليه، يعني تدعو له بلسان لا نفقهه: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]. يُصَلُّون على مُعلِّم الناس الخير، المُعَلِّم مشغول بالتعليم والدُّنْيا مشغولة بالدعاء له والصلاة عليه، أي شرف هذا؟ ولذلك كان التعليم أمرًا في غاية الأهميَّة.

مُعلِّم الدين ليس مُعلِّم التربية الشرعيَّة:

ومن أجل هذا نؤكِّد على أنَّ المُعلِّم يستطيع أنْ يؤثِّر، ليس فقط مُعلِّم التربية الإسلامية، بعض الناس يظن أنَّ مُعلِّم الدين فقط هو مُعلِّم التربية الإسلامية، ليس هذا صحيحًا، بل على العكس فأحيانًا يكون مُعلِّم العلوم أو الآداب أو اللغة أو التاريخ أو أيُّ مُعلِّم: أقدر على التأثير من مُعلِّم التربية الدينية؛ لأنَّ مُعلِّم التربية الدينية هذا عمله، وتلك مُهمَّته، لا بدَّ أنْ يقول للناس تديَّنوا، آمنوا. بينما لو أنَّ معلمًا يُعلِّم الفيزياء أو الكيمياء أو الحيوان أو النبات أو البيولوجي، ويقول للطلاب أو الطالبات وهو يعلِّمهم: هذه سُنن الله في الكائنات، التي نقول نحن عليها قوانين فيزيائية وكيميائية وبيولوجية. هذه القوانين اسمها الحقيقي: سنن الله في الكائنات.

---

(١) سبق تخريجه صـ٣٢٩.

QaradawiBooks.com

سُنن الله في الكائنات:

إنَّ الله تعالى أجرى نظام الأسباب والمسبَّبات على هذا الكون، فالكون لا يجري اعتباطًا، ولا يمضي عبثًا، بل هناك قوانينٌ وسُننٌ تَحْكمه: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣].

قانون أرشيميدس، أو قانون الضغط الجوي، أو أي قانون من القوانين هي سُنن الله في الكائنات، يتعرَّف الطالب عليها، ويتلقَّاها من المُعلِّم بيُسرٍ وبساطةٍ وتلقائية، وبدلًا من أنْ يقول: إنَّ الطبيعة زوَّدت الكائنات الحيَّة بأسلحةٍ تدافع بها عن نفسها، وزودت الطائر بمنقار يدافع به عن نفسه، وزودت السمكة بزعانف، وبعض الأسماك برعشة كهربائية، أو بحبر. بدلًا من أنْ يقول: الطبيعة زوَّدتْ. يقول: الله خلق الكائنات، وهيَّأها للدفاع عن نفسها، كلٌّ واحد في الكائنات مُهيَّأ ليدافع عن نفسه بسلاح مُعيَّن. يقول المعلم: الله، وليست الطبيعة. فيغرس معنى الإيمان بالله بعفوية وتلقائية بدون تكلُّف، هذا مهم جدًّا، وقد يكون بذلك أفضل من معلم التربية الدينية، عندما يدلِّل على وجود الله.

كلُّ مُعلِّم يستطيع أنْ يؤدِّي واجبه في غرس الإيمان، وغرس الفضائل والأخلاق، وفي تعليم الناشئة ماذا لهم وماذا عليهم.

تعاون المعلمين في مُختلف تخصُّصاتهم:

يجب أنْ يتعاون الجميع، فلا يقول مدرس التربية الإسلامية شيئًا، ثم يأتي مدرس التاريخ فيقول شيئًا ضدَّه.

وقد كنتُ أول ما أُنشئتْ كلية التربية في جامعة قطر، أُدرِّس للجامعة كلِّها في ذلك الوقت، فكنتُ أدرس تربية وثقافة إسلامية، وأُدرِّس السُّنَّة

QaradawiBooks.com

والسيرة، وأُدرِّس مواد كثيرة. وكنتُ وأنا أدرِّس السُّنَّة والسيرة للطالبات، يقلن لي: أنت تقول لنا شيئًا، وأستاذ التاريخ يقول لنا شيئًا آخر. فجئتُ الدكتور وسألتُه: كيف تقول كذا وكذا وكذا؟! فقال لي بصراحة: الأَوْلى أن تُدرِّسوا أنتم هذا، فأنا لا علم لي بما تقوله أبدًا، لم أدرس البخاري ولا مسلم، ولا علم لي بالأحاديث الصحاح. وكان يأخذ كلامًا من تاريخ الطبري، ولا يدري أنَّ هذا الإسناد الَّذي اعتمد عليه إسناد هالك ضائع، لا قيمة له من ناحية التوثيق العلمي، هو حسبه أنْ يقول لك: الطبري جزء كذا صفحة كذا، ولا يعرف علام استند الطبري؟! الطبري جمع في كتابه الغثَّ والثمين؛ لأنَّ هذا الكتاب ليس كتاب فقه، ليس كتاب حلال وحرام، فلذلك لم يهتم بتمحيص الأسانيد.

من هنا يجب أنْ يتعاون المُعلِّمون، فلا يبني واحد ويهدم وراءه آخر، يتحدَّث مدرس التربية الإسلامية عن خلق الله للكائنات، والذي يُدرِّس «البيولوجيا» يتكلم عن نظرية «داروين» وكأنها نظرية ثابتة، وهي في الحقيقة: فرْضِيَّة من الفرْضيَّات، ورأي من الآراء، وهناك من العلماء ـ من أهل العلم البيولوجي نفسه ـ مَن ردُّوا على داروين، وهناك من تلاميذ داروين مَن خالفوه، سمَّوها الدارونية الحديثة «داروينزم»، هؤلاء خطَّؤوا داروين وقالوا: بل الإنسان مخلوق متفرِّد.

إذنْ ينبغي أنْ يكون هناك تعاون بين المعلِّمين، حتَّى لا يبني مُعلِّم ويهدم آخر، لأنَّه في هذه الحالة نكون كما قال الشاعر:

مَتَى يَبْلُغُ البنيانُ يومًا تمامه إذا كنتَ تبنيهِ وغيرُك يَهْدِمُ[1]؟!

(١) البيان والتبيين للجاحظ (٢٥٨/٣).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

أحدهم يبني والآخر يهدم! لا يصلح هذا. لا بدَّ أنْ يبني الجميع ويتعاونوا على تحقيق الأهداف المنشودة.

هذه أيتها الأخوات العزيزات بعض لمحات في قضية المُعلِّم في الإسلام، فالمُعلِّم يقوم مقام النبي، ومهمته أنْ يُنوِّر العقول، وأنْ يُرقِّق القلوب، وأنْ يحرِّك العزائم، وأنْ ينشئ الشخصية المؤمنة، الشخصية المتكاملة المتوازنة، هذا هو الَّذي ينبغي للمعلم.

وينبغي أنْ يُعدَّ نفسه الإعداد اللازم حتَّى يقوم بوظيفته خير قيام، وبذلك يرضى عنه الله، ويرضى عنه الناس.

أكتفي بهذه اللمحات وأتلقَّى أسئلتكنَّ إن شاء الله.

وصلَّى الله على سيِّدنا محمد، وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

إجابات الشيخ القرضاوي عن أسئلة المحاضرة

احترام المُعلِّم واجبٌ شرعيّ:

السؤال: فضيلة الشيخ نسمع هذه المقولة: «مَن علَّمني حرفًا، صرتُ له عبدًا»، ولكننا لا نجد أثر هذه المقولة في عصرنا الحالي، فقد شاع في معظم المجتمعات عدم احترام المُعلِّم، وازدراء مهنة التعليم، فما هي الأسباب؟

الجواب: من أهم الأسباب: فقْدُ الوعي في الأُمَّة، ولشوقي قصيدة شهيرة في تكريم المُعَلِّم:

قُمْ للمُعَلِّمِ وفِّهِ التَّبْجِيلَا ... كاد المُعَلِّمُ أنْ يكونَ رَسُولَا
أرأيتَ أعظمَ أو أجلَّ من الَّذي ... يَبْنِي ويُنشِئ أَنْفُسًا وعُقُولَا[1]

ويقولون: إنَّ الإسكندر الأكبر كان يحترم مُعلِّمه، حتَّى قيل له: إنك تحترم مُعلِّمك أكثر من أبيك! قال: نعم، لأنَّ أبي سبب حياتي الفانية، ومُعلِّمي سبب حياتي الباقية[2]. يعني: أبي يُطعِمني لكن هذا يُعلِّمني، هذا يربِّي الجسم، وهذا يربِّي العقل، كما قال أحد الشعراء:

فذاك مُرَبِّي الرُّوحِ والرُّوحُ جَوْهَرٌ ... وذاك مُرَبِّي الجِسْمِ والجِسْمُ كالصَّدَفْ[3]!

فعندما يعي الناس ويعرفون حقيقة دور المعلم يأخذ المعلم حقه.

للأسف إنَّ المُعلِّم لم يأخذ حقَّه، لا أدبيًّا ولا ماديًّا، وأذكر أنني أول ما تخرجتُ بعدما خرجتُ من الاعتقال، بدأتُ أبحث عن عمل، طبعًا

(١) أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (١/١٨٠).
(٢) سبق تخريجه صـ٤٧٥.
(٣) حاشية الميهي على شرح الرملي للستين مسألة من الفروض الواجبة صـ٥.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

رفضوا تعييني، مع أنِّي كنتُ الأول على الدُّفعة، فجلستُ أبحث عن المدارس الخاصَّة، فأصحاب المدارس الخاصَّة يريدون مدرِّسين لغة عربية، ولمَّا تقدَّمتُ إليهم قالوا لي: أنت يا أستاذ خريج أصول الدين، وأصول الدين لا يصلح أنْ يُعيَّن خِرِّيجوها عندنا، مع أنَّني كنتُ الأول على الكلية، والأول في تخصُّص التدريس.

فكنتُ أقول لإخواننا من باب الممازحة: إنَّ أبأس الناس هم الموظفون، وأبأس الموظفين هم المعلمون، وأبأس المُعلِّمين هم معلمو اللغة العربية والدين، وأبأس معلمي اللغة العربية والدين: خريجو كليات الشريعة وأصول الدين.

فالمُعلِّم لم يأخذ حقَّه، ولذلك تجد ـ للأسف ـ أنَّ الكثير من الشباب يهرب من مهنة التعليم، في قطر هنا الشباب يتخرج في كلية التربية، ومع هذا لا يعمل مُربِّيًا ولا مُعلِّمًا، وذلك لأن أيَّ موظف يمكن أنْ يهرب من مهنته إلا المُعلِّم، فماذا سيفعل في الأولاد؟ الجالس على مكتبه يمكن أنْ يُبدِّد الوقت ويذهب ليرى مصلحته، لكن المُعلِّم لا يستطيع أنْ يترك الفصل، فلذلك هرب كثير من الخِرِّيجين من مهنة التعليم، فالتعليم مهمة عظيمة، ولكن ـ للأسف ـ الناس يهربون منها، بعض المُعلِّمين يُسيئون إلى مهنة التعليم ـ للأسف ـ بسلوكهم وأخلاقهم، ولا يقتصر هذا على مهنة التعليم، فكل مهنة من المهن فيها الصالح وفيها الطالح، وفيها الطيِّب وفيها الخبيث.

القرآن يحثُّ على احترام المعلم:

السؤال: هل مكانة التعليم تقتصر على ما أوردتَه من قول الشاعر: «قُمْ للمُعَلِّم وفِّه التَّبْجِيلَا»؟ وأين مكانة المُعلِّم في القرآن الكريم؟

QaradawiBooks.com

الجواب: ذكرتُ ما جاء في القرآن الكريم من مكانة المُعلِّم ومنزلته، فالقرآن جعل مهمة النبي ﷺ هي التعليم والتزكية، فأي شيء تريدونه أفضل من هذا؟

ويقول الله ﷻ: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩]. الربانيّ: هو الَّذي يتعلَّم ويعمل ويُعلِّم، من اجتمعت فيه الثلاثة، فهذا هو الربانيُّ، فلذلك روي عن المسيح عليه السلام أنَّه قال: من تعلَّم وعلَّم فذلك يدعى عظيمًا في ملكوت السماء[1]. القرآن قال: ﴿بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [آل عمران: ٧٩]. وقال: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]. فالإنذار هو التعليم، لأنَّ التعليم تبشير وإنذار، فالقرآن مليء بهذا، وفي السُّنَّة ـ كما قلتُ لكم ـ أنَّ أهل السماوات وأهل الأرض يصلُّون على مُعلِّم الناس الخير. وفي الحديث الَّذي رواه الإمام البخاري عن عثمان بن عفَّان رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**خيرُكم من تعلَّم القرآن وعلَّمه**»[2]. فالنصوص الإسلاميَّة كثيرة جدًّا والحمد لله.

باب الاجتهاد مفتوحٌ لا يُغلق:

السؤال: لماذا أُقفل باب الاجتهاد، ومن يملك سُلْطة فتح باب الاجتهاد مرة أخرى؟

الجواب: من قال: إنَّ باب الاجتهاد أُغلق؟ ومن الَّذي يملك إغلاق باب فتحه رسول الله ﷺ؟! هذا الكلام لم يأت من طريق صحيح. هل انعقد مؤتمر وقال: نغلق باب الاجتهاد؟ ولو عُقد هذا المؤتمر فمَنْ

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٩٣/٦)، عن ثور الحمصي.
(٢) رواه البخاري في فضائل القرآن (٥٠٢٧)، عن عثمان بن عفان.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

المجتهدون أو مَنْ المُقلِّدون؟ إذا كان من المجتهدين فلا يمكن أنْ يغلقوا باب الاجتهاد؛ لأنَّهم مجتهدون، وإذا كانوا مقلِّدين، فقولهم غير معتبر، لأنَّ المقلِّد لا يقلَّد في قوله؛ لأنَّه هو نفسه ليس بعالم.

وقد أجمع العلماء على أنَّ التقليد ليس بعلم، لأنَّ العلم هو معرفة الحقِّ بدليل، أمَّا من يأخذ كلام غيره في الصواب وفي الخطأ، ويقلده فهذا ليس بعالم، ولذلك باب الاجتهاد مفتوح ولم يغلق.

والاجتهاد في عصرنا أيسر من الاجتهاد في العصور الماضية، لأنَّه أتيح لنا ما لم يُتَح للعلماء من قبل، فعندنا الآن من الوسائل ما لم تكن عندهم.

فأنا مثلًا كنتُ في أوائل حياتي حينما أحتاج لنسخ صفحة أو صفحتين من كتاب، فإني أنقلها وأكتبها، وأظلُّ أكتب حتَّى تتورم أصابعي من كثرة الكتابة، لكنِّي الآن أصورها في لحظة.

وقد أصبح عندنا الآن الكتب المحقَّقة والمُفهْرسة بسهولة، وعندنا الآن الكمبيوتر، فعصرنا أصبح الاجتهاد فيه أيسر من الاجتهاد في العصور الماضية.

زواج الفتاة أم تعليمها؟

السؤال: ما رأي فضيلتكم فيمن ترفض الزواج بسبب إكمال دراستها الجامعية؟

الجواب: من حقِّها أن توازن أيُّ الأمرين أفضل عندها، إذا كانت متفوقة ونابغة ويُرجى منها، وتَخشى أنَّ الزواج سيحرمها من الدراسة، تكمل، فهي صاحبة القرار لنفسها، وإن كانت ترى أنَّ هذا سيضيع عليها

QaradawiBooks.com

الفرصة ويفوتها القطار، فـأرى الزواج لها أحسـن، فلتنظر الأوْلى لها، فالمسلم يختار لنفسه ما هو أفضل وما هو أولى، وأيضًا ليس كلُّ خاطب يُرفض، فهناك شـاب متديِّـن فيكون فرصـةً لا تُعـوَّض، ويُعَض عليه بالنواجذ، وهناك آخر لا يستحقُّ القبول.

وهناك مثلًا من قد يشجعها على أن تُتمّ دراستها ويقول: سأساعدها. وآخر لا يقبل، يقـول: لا أقبل أن تخرج من البيـت. لذلك فالفتاة تنظر لهذا فيما هو أولى لها، إن شاء الله.

قطع الأشجار بدلًا من غرسها:

السـؤال: كنتُ أعيش مع أسـرتي في بيت، وكان أبي حريصًا على الزراعة في ذلك البيت، وبعد خمس عشرة سنةً اضطررنا إلى المغادرة من هذا البيت وظلتْ الأشجار في ذلك المنزل، ولقد حرص أبي على عدم المِساس بها، أو العبث بها، مؤمنًا بقول النبيِّ ﷺ: «ما من مسلم يغرس غرسًـا فيأكل منه طيرٌ أو إنسـانٌ أو بهيمةٌ إلَّا كان له به صدقة»[1]. لكنَّ الشخص الَّذي سكن البيت قطع المياه عن الأشجار حتَّى جفَّتْ ويبستْ، ثم قام بقطعها، مع العلم أنَّ الأشجار لم تكن تسبب أضرارًا أو مضايقات له ولا لأي أحدٍ من الجيران ولا لغيرهم، فمـا رأي فضيلتكم فيما فعله هذا الشخص؟

الجواب: هذا الأب يشـكر علـى ما صنع من غـرس وزرع وله به صدقة، وأمَّا هذا الَّذي قطع المياه عن الأشـجار حتَّى ماتت، ثم قطعها بالآلة الكهربائية بدون داع إلى ذلك، هذا ـ للأسف ـ أفسد في الأرض،

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في المزارعة (٢٣٢٠)، ومسلم في المساقاة (١٥٥٣)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

النبيُّ ﷺ يقول: «**من قطع شجرةَ سِدْرٍ صوَّب الله رأسه في النَّار**»[١]. فلو كان هناك شجرة سدر في البرية وجاء من يقطعها صوَّب الله رأسه في النار، قال بعض العلماء: لعلَّه أراد شجر الحرم، لكنِّي أقول: أي شجرة يقطعها الشخص بدون حاجة فهو بذلك يرتكب إثمًا.

فالإسلام يُشجِّع على الغرس والزرع، ويحب من أتباعه أنْ يهتموا بالبيئة، ويشيعوا الخضرة، وهناك أحزاب في أوربا وغيرها الآن اسمها أحزاب الخضر، بمعنى أنَّها تتبنَّى البيئة الخضراء، وترى أنَّ هذه الخضرة سبب من أسباب الحياة الطيبة، وأنَّ قطع الأشجار يتسبَّب في تلويث البيئة، فهؤلاء أنصار البيئة وأنصار الخُضْرة.

الإسلام سبقهم بهذا وحرَّم قطع الشجر لغير حاجة، فهذا الَّذي فعله الرجل يدلُّ على أنَّه فَقَد الوعي الإسلامي، وفَقَد حتَّى الحسَّ الجمالي، لقد قال الناس من قديم: ثلاثة يُذهبن الحزن: الماء والخضرة والوجه الحسن.

فهذا الرجل بإقدامه على قطع الأشجار دون مبرِّر، أثبت أنَّه لا يتذوَّق الجمال. ثم إنَّ الله أعطاك هدية لم تتعب في أمرها بشيء، وتعب غيرك فيها، تقطعها؟!

ولعلَّ هذا ما تريده الأخت السائلة، كأنَّ الأب المسكين الَّذي رعى هذه الأشجار كأنه يربِّي بناتًا له أو أولادًا، ثم جاء آخر فقتلهم، ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨، ٩]. وحقًّا هناك فرق بين الإنسان الحسَّاس، والإنسان البليد الميت، والعياذ بالله.

---

(١) رواه أبو داود في الأدب (٥٢٣٩)، والنسائي في الكبرى في السير (٨٥٥٧)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٦١٤)، عن عبد الله بن حبشي. والمراد بالسدرة: شجرة السدر (النبق) التي يكثر وجودها في البراري.

QaradawiBooks.com

السؤال: هل يُعتَبر مُخْطئًا كذلك من قطع أشجارًا ليزرع مكانها أخرى؟

الجواب: لا، إذا كان له هدف نبيل من قطع هذه الأشجار: كأنْ يريد أنْ يزرع أشجارًا أخرى مكانها، فلا مانع من ذلك، فالإنسان له أنْ يُغيِّر في الحديقة.

كما لو زرع شجرةً ووجد أنَّها ليست النوع الَّذي أراد، فله أنْ يُغيِّرها ويأتي بنوع أحسن، ولا حرج عليه إن شاء الله.

عملياتٌ استشهاديَّةٌ أم انتحاريَّةٌ؟

السؤال: أريد من فضيلتكم أن تردوا على من يتكلم عن العمليات الاستشهاديّة التي صارت في الآونة الأخيرة واستهدفت الأبرياء؟

الجواب: لقد رددتُ على ذلك في خطبة الجمعة، وأعتقد أنكم سمعتم هذا، قلتُ: إسرائيل هي الإرهابي الأكبر، والآن هي التي تريد مكافحة الإرهاب، وهي أكبر إرهابي في العالم، والمشكلة أنَّ الإعلام العربي ـ كما قلت قبل ذلك ـ تهوَّد، فاليهود هم الَّذين يقودون إعلامنا، ويقودون أفكارنا، وأصبحنا نسير وراءهم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع، ماذا نقول!

وللشاعر البحتري بيت جميل يقول فيه:

إذا مَحَاسِنِي اللائي أُدِلُّ بها ... كانت ذُنُوبي فقُلْ لي: كَيْفَ أَعْتَذِرُ[1]؟

إذا كنَّا نعدُّ هذه العمليات الفدائية العظيمة التي قام بها شباب باعوا أنفسهم لله، عمليَّات إجراميَّة ونقول كما تقول إسرائيل، فيا للأسف. وقد فصَّلتُ الإجابة عن هذا في مواضع أخرى.

(١) ديوان البحتري (٩٥٤/٢)، تحقيق حسن كامل الصيرفي، نشر دار المعارف، القاهرة، ط٣.

QaradawiBooks.com

العلم في الإسلام دين والدين علم:

السؤال: في إحدى المحاضرات كان الدكتور يُبيِّن لنا العلاقة بين العلم والدين، ووضع لنا الجدول الآتي: العلم في خانة والدين في خانة، العلم يقصد إلى رفاهية الإنسان، وإشباع الفضول والعقل. والدين يقصد إلى الهدى. ومصدر العلم العقل، ومصدر الدين الله. العلم هو المنهج التجريبي، والدين هو الوحي. وفي نهاية كلامه قال: إنَّ العلم والدين مختلفان. فهل هذا الكلام صحيح؟

الجواب: هذا الكلام بالنسبة للإسلام باطلٌ تمامًا، فإنَّ العلم عندنا دينٌ، والدين عندنا علمٌ، قد يقال هذا بالنسبة للكنيسة الغربية، بالنسبة للغرب، فالغرب عندهم الدين والعلم شيئان مختلفان تمامًا، وعندهم كذلك: اعتقد وأنت أعمى. وأنَّ العقيدة لا تخضع للعقل، لكن علماءنا يقولون: العقل أساس النقل. فنحن أثبتنا وجود الله بالعقل، وأثبتنا النبوة بالعقل، الوحي عندنا يَثبُت بالعقل، فَمِنْ دون العقل لا يقوم دين، فلذلك قالوا: العقل أساس النقل. ولذلك نحن نقول: العلم عندنا دين، لأنَّه فريضة على كلِّ مسلم، والدين عندنا علم، لأنَّه قائم على أساس البرهان: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]، وإيمان المُقلِّد لا يُقْبَل.

والكلام المنقول عن ذلك المُدرِّس مرفوض، لأنَّه إذا كان يقول: إنَّ العلم مهمته إشباع العقل. فالدين أيضًا عندنا يقوم على إشباع العقل وإشباع الروح وإشباع الجسم، الحياة المتكاملة المتوازنة.

لكن عند الغربيين مصدر العلم: العقل، ومصدر الدين: الله. بينما عندنا مصدر الدين: الله والعقل؛ لأنَّ ثبوت وجود الله نفسه بالعقل،

QaradawiBooks.com

وثبوت النبوة بالعقل، بماذا عرفنا أنَّ محمدًا نبيٌّ؟ بأيِّ شيء عرفنا؟ فثبوت النُّبُوَّة يقينًا بالعقل.

المنهج التجريبي هذا يصحُّ في العلم التجريبي، ولكن ليس كلُّ العلم تجريبيًّا، هناك علم تجريبي قائم على أساس التجريب، وهناك علم برهاني قائم على أساس التفكير، ومع هذا الإسلام يُقِرُّ المنهج التجريبي، يعني أنتم أعلم بأمر دنياكم.

فهذا ـ للأسف ـ كلام يقوله عبيد الفكر الغربي الَّذين لم يتثقَّفوا بالثقافة الإسلامية، ولم يعرفوا شيئًا عن الإسلام، وهذه مشكلة كثير من أساتذة الجامعات أنَّهم جَهَلَةٌ بالإسلام، ولا أعرف كيف يُسَمِّي الإنسان نفسه مُثقَّفًا وهو لا يعرف دينه، أو لا يعرف ـ حتَّى ـ دين قومه، لأنَّه حتَّى لو كان نصرانيًّا ولا يعرف دين القوم الَّذين يعيش فيهم، فالعجب كيف يُعتَبَر هذا مثقفًا؟!

هل التسوك يستلزم الأراك؟

السؤال: ذكرتم فضيلتكم في كتابكم: «مدخل للسنة النبويَّة» تغيير الوسيلة، فذكرتم في حديث: «السواك مَطْهَرَةٌ للفم مَرْضَاةٌ للربِّ»[1]. جواز استبدال السواك بالفرشاة والمعجون، فهل هذا يُلغي سُنَّة الرسول ﷺ؟

الجواب: لا، ما ألغاها، فالسُّنَّة تنظيف الأسنان، وهذا هو الهدف الَّذي أراده الرسول ﷺ، فالذي عنده شجر الأراك يتسوَّك بعود

(١) علقه البخاري بصيغة الجزم قبل حديث (١٩٣٤)، ووصله أحمد (٢٤٣٣٢)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح لغيره. والنسائي في الطهارة (٥)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

الأراك، والذي ليس عنده الأراك، كالذين في أوربا وأمريكا وأستراليا وهذه الدول يستعمل الفرشاة، فالهدف هو تحصيل المقصود، وهو أنَّ الإنسان ينظف أسنانه. فهذا ما قَصَدْتُه، أنَّ الوسيلة قد تتغير والهدف ثابت، وعلماء الفقه قالوا: من لم يجد سواكًا فلْيَتَسوَّك بأيِّ شيء آخر، ولو بإصبعه. يُنظف أسنانه بأي شيء، هذا هو القصد مما قلْتُه.

واجب طالب العلم نحو العلم:

السؤال: ما هو واجب طالب العلم نحو العلم الَّذي يدرسه؟

الجواب: واجبه أنْ يعطيه هِمَّته ووقته وجُهده، وقد قال سلفنا الصالح: إنَّ العلم لا يعطيك بعضه حتَّى تعطيه كلك. أي: كلَّ جهدك وكلَّ وقتك وكلَّ هِمَّتك، لكنك إذا أَعطيتَ العلم فَضْل الوقت وفَضْل الجُهد، فلن تتعلَّم، فمن أراد أنْ يتعلَّم فلْيبذل الجُهد في طلب العلم، ويتواضع لمن يُعلِّمه، كما قالت الأخت في السؤال الأول: من علَّمني حرفًا صرتُ له عبدًا. هكذا كان الناس قديمًا يقولون، أي: من علمني فقد أوجب عليَّ احترامه وإكرامه.

استغلال الوقت في طاعة الله:

السؤال: كيف يستطيع الإنسان أنْ يستغل وقته في طاعة الله ومجاهدة الشيطان؟

الجواب: بالاستعانة بالله، ثم بالإرادة القوية، والاستعانة بأهل الخير والصحبة الصالحة، فيصاحب أهل الخير وهم يعينونه على ذلك إن شاء الله، وأسال الله أنْ يعينه على ذلك.

QaradawiBooks.com

العمل في البنوك الربويَّة:

السؤال: نقرأ كثيرًا في الصحف والمجلات يوميًّا عن تحليل العمل في البنوك الربويَّة لأنَّ الاقتصاد قائمٌ عليه؟

الجواب: هذا الكلام لا يؤخذ به، لأنَّه ليس صادرًا من أهل الفقه والعلم، وأمور الدين تؤخذ من أهل العلم البصراء فيه: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]. إنَّما للأسف بعضنا أصبح عبيدًا للغرب، فيريد أن نُحلَّ ما أحلَّ الغرب، ونُحرِّم ما يُحرِّم الغرب، وقد كنا قد أغلقنا هذا الملف، حتَّى جاء أحد العلماء ـ وهذا ممَّا يؤسف له ـ وأعادها جذعةً، وقال كلامًا باطلًا في تحليل الفوائد، مع أنَّ كل المجامع في البلاد الإسلامية، كمَجْمع البحوث في الأزهر، ومَجْمع الفقه لرابطة العالم الإسلامي في مكة، ومَجْمع الدول الإسلامية في جدة، كل هذه المجامع قالت: إنَّ فوائد البنوك هي الربا الحرام.

الضرب ليس سياسةً إسلاميةً:

السؤال: ما رأي فضيلتكم في سياسة الضرب في المدارس؟

الجواب: الأصل أنَّ الضرب ممنوعٌ، الضرب ليس سياسة إسلامية، لكن النبي ﷺ متى أجاز الضرب؟ قال: «**مُرُوا أولادكم بالصلاةِ لسبع واضربوهم عليها لعشرٍ**»[1]. فلهم فرصةٌ ثلاث سنواتٍ نُعلِّم ونُرغِّب ونكافئ، وبعد ثلاث سنوات نضرب، ولذلك أقول لمَن يحتفل بأعياد الميلاد: لا تحتفلوا بأعياد الميلاد، واحتفلوا بالولد عند بلوغ سبع سنين، وقولوا له: هذه سِنُّ الصلاة، أنت الآن كَبِرتَ ووجبتْ عليك الصلاة، ونبدأ

(١) سبق تخريجه صـ٤٣٩.

QaradawiBooks.com

نعلمه الصلاة ويصليِّ مع أبيه أو مع أمه. وبعد ثلاث سنين عندما يبلغ عشر سنين نعمل له حفلة ثانية، نقول له: هذه حفلة الضرب يا بطل، فقد كنا قبلَ الآن نقول لك: صلِّ، فتصلِّي وقد لا تُصلِّي، ولم يكن يضربك أحدٌ، أمَّا الآن فقد كَبِرت وستُضرب إذا تركتَ الصلاة. فهذا هو الَّذي ينبغي، فالإسلام أجاز الضرب في هذه الحالة، فلا يُضرب الولد على كلِّ خطأ، بل لا بدَّ من التوجيه أولًا، ولا يُضرب إلا في الحالات القصوى.

فإذا كان الإسلامُ قد أجاز ضرب المرأة، فإنَّ النبي ﷺ قال: «**ولن يضرب خياركم**»[١]. أي: الرجل الكريم لا يضرب امرأته، وقال: «**ألا عسى أحدُكم أنْ يضرب امرأته ضرب الأَمَة، ألا خيرُكم خيرُكم لأهله**»[٢]. أي: لا يليق بالإنسان الكريم أو الإنسان الحُر أنْ يضرب امرأة، إنَّما ذلك ممكن عند الضرورة، وليس معنى أنْ يضربها، أنْ يُمسك عصا أو يضربها بخشبة يكسر رأسها، إنَّما كما قال النبي ﷺ: «**لولا القِصاصُ يومَ القيامة، لأوجعتُكِ بهذا السِّوَاك**»[٣].

فالأصل عدم الضرب، وإذا ضرب يضرب ضربًا خفيفًا، ويكون ذلك بعد أنْ يستنفد كل الوسائل، ويضرب وهو هادئ، لا يضرب وهو غضبان، والمُعلِّم الناجح والفاضل: هو الَّذي لا يحتاج إلى الضرب، ولن يضرب الأخيار من الرجال.

---

(١) رواه الحاكم (١٩١/٢)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، والبيهقي (٣٠٤/٧)، كلاهما في النكاح، عن أم كلثوم بنت أبي بكر.

(٢) رواه البزار (٩٨٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٦٢٠): رواه البزار عن شيخه زكريا بن يحيى بن أيوب الضرير، ولم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح. وذكره الألباني في الصحيحة (٢٦٧٨)، عن الزبير.

(٣) سبق تخريجه صـ٥٠٠.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الجمع بين الصلوات للمقيم:

السؤال: لي محاضرةٌ متصلةٌ أُلقيها، تبدأ في الثانية والنصف وتنتهي في الخامسة والنصف، فهل يجوز لي جمع الظهر والعصر؟

الجواب: يجوز، فقد جمع النبي ﷺ بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء في المدينة في غير سفر ولا مطر، روى ذلك ابن عباس، وسئل ابن عباس: ماذا أراد بذلك؟ قال: أراد ألَّا يُحْرِجَ أُمَّته[1]. أي: أراد رفع الحرج، فإذا كان هناك حرج أمكن جمعُ الظهر والعصر جمعَ تقديم ولا حرج، وإذا كانت هناك محاضرتان مع بعض، فإنَّه لا بدَّ من إقامة خمس دقائق أو سبع دقائق للبنات أنْ يُصلِّين، فلا بدَّ أنْ تتاح لهنَّ فرصة، فلا مانع أنْ يبقى الكلُّ مستعدًّا للصلاة، وتؤمُّهم الأستاذة وتصلي بهنَّ فيما بين المحاضرتين، أعتقد أنَّ هذا سيكون أولى لأنَّها ستعطي قدوة وتعين الطالبات على الصلاة.

الصور المُجسَّمة مُحرَّمةٌ:

السؤال: ما حكم لبس قلائد من الذهب عليها صورة رأس إنسان أو صور حيوان؟

الجواب: الصور المُجسَّمة مُحرَّمةٌ، فلا يجوز للمسلمة أن تلبس هذه الأشياء، إلا إذا كانت صورة غير مُجسَّمة، يعني في صورة مُسطَّحة، مثل هذه الصور الرأي الراجح فيها عندي أنَّها مكروهةٌ وليست مُحرَّمةً، إنَّما إذا كانت صورةً مُجسَّمةً فهذه لا تجوز.

---

(١) رواه مسلم في صلاة المسافرين (٧٠٥) (٥٠)، وأحمد (١٩٥٣)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

أطع أباك، ولا تعص أمك:

السؤال: والدتي تأمرني بفتح النافذة، ووالدي لا يريدني فتحها، فماذا أفعل؟

الجواب: قال أحدهم للإمام مالك: أمي تريد كذا وأبي يريد خلافه، قال له: أطع أباك، ولا تعص أمك[1]. أي: حاول أن تُرضي الطرفين بأي طريقة.

وضوء الفتيات في الجامعة:

السؤال: بالنسبة للوضوء في الجامعة تجد الطالبات حرجًا في أمر الوضوء؟

الجواب: أنا أنصح الطالبة، وأنصح الموظف والموظفة والموظفين في الجامعة وفي أي مكان، بلبس الجوارب على طهارة، على وضوء، فبعد أن تصلي الصبح تخرج من بيتك على وضوء، ثم تأتي إلى الجامعة، فإن احتجتَ إلى الوضوء تتوضأ، فتغسل الوجه واليدين، وتمسح الرأس، ثم تمسح على الجورب، لأنَّ المشكلة في الوضوء هي غسل الرجلين، وقد سألني واحدٌ ذات مرة، فقال لي: أنا لا أستطيع الصلاة في العمل. فقلتُ له: اعمل كذا وكذا ـ كما قلتُ لَكُنَّ الآن ـ فقال لي: وهل يجوز هذا؟ قلتُ له: نعم، يجوز. ثم قابَلني بعدها، فقال لي: جزاك الله خيرًا، لقد سهَّلتَ عليَّ.

لأنَّ غَسل القدم هو المشكلة، خاصة للذين يلبسون البنطال، فإنه يحتاج إلى تشمير البنطال، ورفع الرجل على الحوض، وهكذا، فيكون

(١) ذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٤٠٢/١٠).

QaradawiBooks.com

الأمر مُتعِبًا وصعبًا، بينما غَسلُ الوجه والمرفقين ومسح الرأس أمر سهل، قال لي: أصبح الأمر سهلًا جدًّا. فأنا أنصح من يريد الوضوء في الجامعة أنْ يفعل هذا.

أمر الفتاة لمنْ؟

السؤال: سمعنا كثيرًا واجب طاعة المرأة لأمها وزوجها وأخيها، فأردنا أن نعرف كيف يمكن أنْ تشارك في تقدم المجتمع إذا كانت حياتها في يد كل هؤلاء، ويكفي شخص منهم أنْ يرفض، ومتى تستطيع المرأة أن تفعل ما تريد؟

الجواب: إذا كانت المرأة غير متزوجة، فالذي يرعاها هو أبوها، فالرأي رأي الأب، أمَّا إذا كانت متزوجةً فلا شأن لأبيها ولا لأخيها بها، إنَّما هي وزوجها، تتفق مع زوجها، ولا يتحكَّم فيها والدها بعد الزواج، فإنها بعد الزواج تتعامل مع زوجها فقط، وليس لأهلها أنْ يتدَّخلوا في حياتها.

تلاوة القرآن بدون وضوء:

السؤال: هل يجوز تلاوة القرآن بدون وُضوء؟

الجواب: إذا كانت القراءة بدون مصحف فإنها تجوز، أمَّا إذا كانت القراءة من المصحف فهناك خلاف، وبعض العلماء كالإمام الشوكاني وغيره[١] يقولون: يكفي أنْ يكون القارئ غيرَ جُنُبٍ. بل أجاز الإمام البخاري للحائض أنْ تقرأ القرآن وهي حائضٌ[٢]. وأنا مع هذا الرأي

(١) انظر: نيل الأوطار للشوكاني (٢٦٠/١)، تحقيق عصام الدين الصبابطي، نشر دار الحديث، مصر، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر (٤٠٢/١).

QaradawiBooks.com

وخصوصًا أنَّ الجنابة يمكن للإنسان أنْ يزيلها باختياره، بينما الحيض لا يمكن أن تزيله المرأة باختيارها، فيمكنها أن تقرأ القرآن حتَّى وهي حائض على هذا المذهب.

حديث النفس هل يحاسب عليه؟

السؤال: هل يحاسب الإنسان على حديثه حتَّى ولو لم يكن خيرًا أو شرًّا؟

الجواب: نعم يحاسب على حديثه، فإذا كان الكلام خيرًا كان في صحيفة الحسنات، وإذا كان شرًّا كان في صحيفة السيئات، وإذا لم يكن خيرًا ولا شرًّا فلا شيء عليه إن شاء الله، وإن كان السؤال عن كلِّ شيء، كما قال تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣].

وصلَّى الله وسلم على سيِّدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

والسلام عليكنَّ ورحمة الله وبركاته.

* * *

نسخة مجانية
غير مرخصة للبيع
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

٢٣

دور المدرسين والدعاة في التعليم والتوجيه(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله تعالى، وأصلي وأسلم على خير أنبيائه وخاتم رسله، سيدِنا محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

﴿رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ۞ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ۞ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ۞ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي﴾ [طـه: ٢٥ ـ ٢٨]. اللهم يا معلم آدم وإبراهيم، علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علمًا. ﴿سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢].

نحمدك اللهم على كل حال، ونعوذ بك من حال أهل النار.

وأحييكم أيها الإخوة أعضاء هيئة التدريس في هذه الجامعة الإسلاميَّة، تحية من عند الله مباركة طيبة، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ويطيب لي أنْ أتحدَّث إليكم أيها الإخوة عن هؤلاء الذين حمَّلهم الله تعالى أمانة التوجيه، وأمانة التعليم والإرشاد في هذه المؤسسة الإسلاميَّة، التي نرجو الله تبارك وتعالى أن يكتب لها مستقبلًا باهرًا، وغدًا مشرقًا نافعًا لأبناء المسلمين في هذه الديار.

(١) ألقيت بمقر الجامعة الإسلامية بسريلانكا.

نسخة تجريبية

مقومات الجامعة الإسلاميَّة:

إنَّ للجامعة الإسلاميَّة مقومات، لا تكون جامعة إسلاميَّة إلا بها، الجامعة: منهج، وأستاذ، وطالب، وإدارة، وروح.

لا بد أن يكون هناك طالب وأستاذ ومدير، هذه مقومات لا بدَّ منها، والطالب لا بدَّ أن يدرس منهجًا مقررًا، فلا تكون الجامعة إسلاميَّة إلا إذا كان منهجها إسلاميًّا، ومعنى أن يكون منهجها إسلاميًّا: أن يُستمد من الإسلام، ومن فلسفة الإسلام، ومن منطلقات الإسلام، وليس من منطلقات أخرى: شرقية أو غربية.

أحيانًا يريد بعض الناس أن يفرضوها على الإسلام، يريد بعض الناس أن يأخذوا من الحضارة الغربية: من شرقيها وغربيها، شيئًا ينسبونه إلى الإسلام زورًا، يلبسونه عمامة إسلاميَّة، يريد أن يجعل الخواجة شيخًا معممًا. وهذا ما نرفضه، نحن نريد منهجًا إسلاميًّا صحيحًا، بمعنى أنَّه يعتمد على كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، وعلى الينابيع الصافية كما تحدثت في المحاضرة السابقة.

المُقَوِّم الأوَّل: المنهج الإسلامي الصحيح:

المنهج الإسلامي الحقيقي هو الذي تكون مرتكزاته محكمات القرآن والسُّنَّة، كما فهمها خير القرون، بعيدة عن شوائب العقول وزوائدها المختلفة، نريد الإسلام كله لا جزءا منه، لا نريد أن نركز على العبادات ونترك المعاملات، أو نركز على التشريع وننسى الأخلاق، أو نركز على العبادة وننسى الجهاد، أو نركز على الجهاد وننسى الدعوة، أو نركز على جانب الأسرة وننسى المجتمع، لا بدَّ أن نأخذ الإسلام كله،

QaradawiBooks.com

فالإسلام لا يتجزأ، هذه حقيقية، نحذر أن نأخذ بعض الإسلام وندع البعض، فنكون أولى بتقريع الله تعالى، الذي قرَّع به بني إسرائيل حين قال لهم: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: ٨٥].

لا بدَّ أن يأخذ الإسلام كله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨]. أي في شرائع الإسلام جملة، كما قال ابن كثير وغيره من المفسرين[١].

وقد قال الله لرسوله ﷺ: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩]. احذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك، لا يقبل الفتنة عن هذا البعض؛ لأنَّ الكل مترابط.

الإسلام كلٌّ لا يتجزأ:

إذا نظرنا إلى الإسلام نجد أنَّه كلٌّ مترابط، كلٌّ لا يتجزأ، يأخذ بعضه بحُجَز بعض، لو أردت أن تطبق مثلًا حد السرقة، لا بدَّ أولًا أن تقيم تكافلا اجتماعيًّا، كما أراد الإسلام، وأن تأخذ الزكاة من أهلها؛ لتوزعها على مستحقيها كما أراد الإسلام، وأن توفر عملًا لكلِّ عاطل، وخبزًا لكل جائع، وكساءً لكل عُريان، وعلاجًا لكل مريض، وعلمًا لكل جاهل إلى آخره، فلا بدَّ أن نأخذ الإسلام كله.

(١) تفسير ابن كثير (٥٦٥/١)، تحقيق سامي بن محمد سلامة، نشر دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

QaradawiBooks.com

دراسة الإسلام بصورة متكاملة:

ولذلك كان من الواجب علينا خاصة في الجامعات الإسلاميَّة أن نعطي الطالب المسلم صورة متكاملة عن الإسلام: عقائده، عباداته، أخلاقيَّاته، تشريعاته الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والسياسيَّة، بعلاقته الأسريَّة، بعلاقته الاجتماعيَّة، بالعلاقة بين الحاكم والمحكوم، بالعلاقة ببين الدولة الإسلاميَّة وغيرها، لا بدَّ أن نعطي صورة كاملة عن هذا الإسلام.

فهم الإسلام بلغة العصر:

ولا بدَّ أن نعطيها كما قلنا بلغة العصر، بلسان قومنا، لا يجوز لنا أن نتحدث مع الطالب في القرن الخامس عشر الهجري بلسان من مضى في القرن العاشر أو الحادي عشر وهكذا.

الإسلام يجب أن يتحدَّث: أن تتحدَّث لغته؛ لتكون لغة عصرية نفَّاذة؛ ليستطيع المسلم أن يخاطب قومه بلسانهم.

فهذا هو المطلوب، منهج إسلامي يحدِّث الناس بلغة عصرهم، ويكون هذا المنهج كما قلنا بعيدًا عن الشوائب التي أرادت أن تنتقص من الإسلام، أو تزيد فيه. في بعض الأحيان هناك من يزيد في الإسلام ما ليس منه، وهناك أحيانًا من يريد أن ينقص من الإسلام ما هو جزء من أجزائه، ونحن نريد الإسلام كاملًا غير منقوص ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣].

هذا هو المنهج لا بدَّ أن يكون منهجًا إسلاميًّا.

المقوم الثاني: الطالب والإدارة المسلمة:

ولا بدَّ أن يكون الأستاذ مسلمًا، وهذه سأتركها إلى آخر المحاضرة.

ولا بدَّ أن يكون الطالب مسلمًا، فالجامعة الإسلاميَّة، لا بدَّ أن يكون

QaradawiBooks.com

الطالب فيها مسلمًا، يتمثل فيه فكر الإسلام، وخُلق الإسلام، وعمل الإسلام، ولا بدَّ أن تكون الإدارة، والإدارة ليست هي المدير فقط: المدير، والجهاز الإداري كله لا بدَّ أن يكون إسلاميًّا، بمعنى أنَّه ينظر إلى الأمور من منطلقات إسلاميَّة، ويتعامل مع المواقف والأحداث تعاملًا إسلاميًّا، روح الإسلام هي التي تحكم الجميع، لا محاباة ولا محسوبية، ولا هوى مع أحد.

المقوم الثالث: المعلم المسلم:

ولا بد أن يكون الأستاذ كما قلت مسلمًا، المعلم المسلم، ولا أقصد بالمعلم المسلم أحمد ومحمد وإبراهيم وهكذا، لا، المعلم المسلم هو المسلم في فكره، المسلم في التزامه، في أدائه فرائض ربه، في انتهائه عما نهى الله عنه، في حرصه على أخلاق الإسلام وقيمه، في تمثله بهذه الأخلاق والمثل والقيم، في حياته وحياة أسرته، في شعوره بالمسؤولية، وأنَّه مؤتمن على هؤلاء الطلاب، وأنَّهم مثل أولاده، وأنَّه راعٍ ومسؤول عن رعيته، وأن الله سائلٌ كلَّ راعٍ عما استرعاه، حفظ أم ضيع؟!

لا بدَّ أن يشعر بهذه المسؤولية، وأنَّها أمانة، يُسأل عنها بين يدي الله، ماذا قدَّم لهؤلاء الطلاب؟ هل علَّمهم فأحسن التعليم؟ هل فقههم فأحسن التفقيه؟ هل أدَّبهم فأحسن التأديب؟ هل كان عدلًا معهم؟ هل عاملهم كلهم معاملة واحدة؟ هل عاملهم بروح العدل؟ هل عاملهم بروح الرحمة والرفق؟ بروح الأبوة الحانية، هل شعر بهذه المسؤولية؟ هذا مهم جدًّا.

المعلم لا بدَّ أن يكون صاحب رسالة:

هناك فرق بين شخصين، بين من يؤدي العمل بروح الموظف، ومن يؤديه بروح صاحب الرسالة، فرق كبير بين معلم مهمته أنَّه موظف، همه

QaradawiBooks.com

أن يقبض راتبًا في أول الشهر، ولا يهمه بعد ذلك تعلَّم من تعلَّم، أو صلح من صلح، أو فسد من فسد، أو انحرف من انحرف، أو استقام من استقام، لا علاقة له بهذا كله.

وهناك معلم صاحب رسالة، صاحب فكرة، يعمل بروح صاحب الرسالة، عنده حرارة، عنده قلب يحترق، هؤلاء الطلاب مثل أبنائه وفلذات كبده، فهو يحرص على أن يهديهم من الضلالة، وأن يعلِّمهم من الجهالة، وأن يخرجهم من الظلمات إلى النور، وأن يأخذ بأيديهم إلى سواء الصراط.. يحنو عليهم، ويتعاطف معهم، وهكذا كان أسلافنا، كان المعلمون من شيوخ الدين القدماء يتعاملون مع طلبتهم تعامل المربي، لا تعامل مجرد المعلم، إنَّه حريص على تلميذه هذا، يريده أن يكون صالحًا في نفسه، وأن يكون صاحب دعوة، وأن يكون أفضل منه، كما يتمنى الإنسان لأبنائه دائمًا، حريص على أن يتعلم، حريص على أن يستفيد، حريص على أن يستقيم؛ ولذلك يسأل عنه إذا غاب: ماذا شغله؟ إن كان مريضًا عاده، وإن كان نسي ذكّره، وإن كان مشغولًا أعانه، هكذا ينبغي أن تكون روح المعلم مع طلابه.

حاجة الإسلام إلى دُعاة ربَّانيِّين:

نحن نريد لهذه الجامعة أن تكون قلعة إسلاميَّة، ليست مجرد جامعة تُخرِّج موظفين، لا، نريد أن نُخرِّج دعاة ربانيين، نريد أن نُخرِّج دعاة يدعون إلى الله على بصيرة، ويفقهون الإسلام عن بينة، الإسلام محتاج إلى رجال، كما قال أحد الناس الذين درسوا الإسلام من الأجانب، قرأ الإسلام وأُعجب به من الكتب؛ فقال هذه الكلمة: يا له من دين لو كان له رجال، مع أنَّ الإسلام له مليار من البشر، ألف مليون مسلم، ولكن

QaradawiBooks.com

هل كل هؤلاء رجال للإسلام؟ هل كل هؤلاء جنود للإسلام؟ هل كل هؤلاء دعاة للإسلام؟ هل كل هؤلاء أبناء برَرَة للإسلام؟ لا.

مَا أَكْثَرَ النَّاسَ، بل مَا أَقَلَّهُمو! اللهُ يعلمُ أنِّي لم أَقُلْ فَنَدَا!
إِنِّي لَأَفْتَحُ عَيْنِي حِينَ أَفْتَحُها عَلَى كَثِيرٍ وَلَكِنْ لَا أَرَى أَحَدَا[1]

كثرة لكنها كغثاء السيل!

ليس المهم الكثرة، ليس المهم الكم، المهم النوع.

نريد أن نجعل من أبناء هذه الجامعة دعاة، يحملون الإسلام، فرق بين من يحمل الإسلام، ومن يحمله الإسلام، نريد الإنسان الذي يحمل الإسلام فكرة وعقيدة، وخُلقًا وسلوكًا، وشريعة وقيمًا، فمهمتنا تربية هؤلاء.

المعلم القدوة صاحب الحيوية:

وطبعًا لا نستطيع أن نكون كذلك ـ أن نعلم هؤلاء ـ إلا إذا كنا نحن قدوة لأنفسنا؛ لأن فاقد الشيء لا يعطيه، وقد ضلَّ من كانت العميان تهديه، لا يستطيع الإنسان أن يعطي غيره شيئًا من الحرارة إذا كان هو لوحًا من الثلج، لا يمكن! لا بدَّ أن يكون عنده حرارة، لا يكفي إذنْ أن يكون الكتاب الذي ندرسه جيدًا، أو المنهج الذي نعلمه دسمًا؛ لأنَّ المنهج الجيد إذا درَّسه المعلم الميت يميته، يحيل حرارته وجمرته إلى رماد، ليس فيه حيوية، وهذا غير المعلم صاحب الحيوية، صاحب القلب الحي المتدفق بالحيوية والخشية، والاهتمام بأمر المسلمين، والرعاية لله ﷻ، هذا هو المعلم المطلوب.

---

(١) البيتان لدعبل الخزاعي، انظر: العقد الفريد (١٥٢/٢).

QaradawiBooks.com

ولذلك كان من أهم الأشياء إيجاد المعلم المسلم، وإيجاد الداعية صاحب الرسالة، الذي يريد أن يُخرِّج من هذه الجامعة جنودًا ودعاة، لا مجرد موظفين يعيشون كما يعيش غيرهم.

لكل دين دعاته ورجاله:

نحن الآن كما لا يخفى عليكم، نواجه دعاة آخرين من كل دين وملة، هناك دعاة النصرانية من مبشرين ومبشرات، يملؤون آفاق الأرض، يريدون أن ينصروا العالم؛ بل يريدون أن ينصروا المسلمين كما تعلمون، وقد قرَّروا ذلك في مؤتمر لهم[1].

هناك دعاة النصرانيَّة، وهناك دعاة الشيوعيَّة، وهناك دعاة الماسونيَّة، وهناك دعاة القاديانية، وهناك دعاة البهائية، وهناك دعاة الهندوسية، وهناك حتى دعاة للبوذية، كل مذهب له دعاة.

ونحن نريد أن نخرِّج دعاة للإسلام؛ ليحملوا رسالة الإسلام إلى العالم، إلى قومهم أولًا؛ لأن المسلمين في حاجة إلى أن يحسنوا إسلامهم، فهمًا وعملًا والتزامًا، ثم علينا بعد ذلك أن ننشر الإسلام في العالم، فنبلغ دعوته في الداخل، ونشيعها في الخارج، هذا هو واجبنا: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

(١) عقد هذا المؤتمر في الخامس عشر من مايو ١٩٧٨م. في مدينة «جلين آيري» بولاية «كولورادو» بأمريكا تحت اسم «مؤتمر أمريكا الشمالية لتنصير المسلمين» وقد رصدوا لهذه الغاية مليار دولار «ألف مليون دولار» جمعت بسهولة، ووضعت في أحد البنوك.

QaradawiBooks.com

الاهتمام باللغة العربيَّة:

مهمتنا أن نخرِّج الدعاة، ولن يكون هناك دعاة إلَّا بمدرسين مسلمين صالحين، يحسنون تربية وإعداد الشباب، يرشدونهم إلى أقوم المناهج، وإلى أحسن المراجع، إلى الاهتمام بالسلوك الإسلامي، إلى تعلُّم اللغة العربية بشكل صحيح وسليم، فاللغة العربية هي لسان القرآن، ولسان الحديث، ولسان الثقافة الإسلاميَّة، ولسان العبادات الإسلاميَّة، الصلاة والصيام والحج، ولسان التشاور والتحاور بين المسلمين وغيرهم من غير المسلمين.

ينبغي أنْ تكون اللغة العربية هي اللغة الثانية للعالم الإسلامي كله، ولذلك ما كنا محتاجين الآن إلى مترجم بيني وبينكم لو أنَّ المسلمين جعلوا اللغة العربية بعد اللغة الأولى، على الأقل اللغة الثانية؛ لكان عندنا لسانًا مشتركًا بين مليار مسلم في العالم، فعلى المعلم هنا أن يحض طلابه ويحثهم ويرغبهم في اللغة العربية، وإتقانها وإجادتها.

علاقة المعلم بالطالب:

فالمعلم المسلم هذه مهمته، وهذه مهمتكم مع طلابكم في هذه الجامعة، لا بدَّ أن تبتكروا من الوسائل التي تجعل من هؤلاء الطلاب الدعاة المرجوة لهذه الأُمَّة، لا تجعل بينك وبين هؤلاء الطلاب فواصل وحواجز، لا تعش أنت في صومعة منعزلة، أو في برج عاجي كما يقولون، تقول: أنا الأستاذ! فالأستاذ الحقيقي هو الذي يقترب من الطلاب، ويعرف حاجاتهم العقلية والنفسية، والاجتماعية والمادية، والشعورية، ويحاول أن يحل لهم المشكلات، وأن يعينهم على أمرهم

QaradawiBooks.com

في دينهم ودنياهم، هذا هو الأستاذ الحقيقي، ولو عرفتم ما يصنع المبشرون مع تلاميذهم في مدارسهم الخاصة، لعرفنا أنَّنا مقصرون كل التقصير، ينبغي أن نقترب من هؤلاء.

وسائل لتعميق العلاقة بين الأستاذ والطالب:

رأيت إخواننا في الجامعة الإسلاميَّة العالمية كوالالمبور في ماليزيا، يقيمون معسكرات للطلاب بين الحين والحين، ومخيمات يعيشون معهم فيها عيشة إسلاميَّة، مخيم لعدة أيام وليالٍ: يقيمون فيه الصلاة والشعائر، ويستيقظون قبل الفجر؛ فيقيمون قسطًا من صلاة الليل، ويتلون القرآن، ويذكرون الله، ويمارسون شيئًا من الألعاب والتدريبات الرياضية، ويعقدون شيئًا من الندوات والمحاضرات الثقافية، تلخيص بعض الكتب، استزارة بعض الناس من العلماء والمربين، يطلبون زيارتهم، وفي هذه المخيمات يزداد التعارف بين الطلاب بعضهم وبعض، وبين الطلاب وأساتذتهم، والتدريب على شيء من البساطة والخشونة والحياة الإسلاميَّة، وهكذا، فالوسائل لا تنتهي لتربية الجيل المسلم المنشود، وهي أيضًا لا تعدم إذا فكَّر فيه الإنسان وانشغلت نفسه بها.

فأنتم فكروا، وخذوا من غيركم تجاربه، فالحكمة ضالة المؤمن أنَّى وجدها فهو أحق بها، وابتكروا من الوسائل الجديدة ما يقتدي به غيركم، ولا يكن همنا هو الدرس الرسمي فقط في قاعة الصف، وبعد الدرس لا علاقة لنا بالطالب، لا، ليس هذا هو التعليم، وليست هذه هي التربية، التربية علاقة مستمرة، علاقة روحية عاطفية، علاقة عقلية نفسية، بين التلميذ وأستاذه، هذا الذي ينبغي، وهذا الذي أركز عليه.

QaradawiBooks.com

المقوم الرابع: المناخ الإسلامي:

فالجامعة الإسلاميَّة كما أنَّها إدارة إسلاميَّة، وطلاب مسلمون، هي كذلك أستاذ مسلم، وهي كذلك مناهج إسلاميَّة، وهي بعد ذلك كله مناخ إسلامي، جو إسلامي، روح إسلامي، في شيء يسمى الروح الإسلامي، بمعنى أنك إذا دخلت المؤسسة تعلم أنَّها إسلاميَّة، كل شيء فيها ينم عن الإسلام، مظهرها ومخبرها يدل على أنَّها جامعة إسلاميَّة، الروح التي تسري فيها كما يسري الدم في العروق، كما تسري العصارة في أغصان الشجر وأوراقه: روح إسلاميَّة، نريد للروح التي تسري في هذه الجامعة أن تكون روحًا إسلاميَّة في كل شيء، ليست الروح القومية ولا الإقليمية، ولا الروح الوطنية، إنَّما هي روح الإسلام.

كيف نبرز الروح والمناخ الإسلامي:

لقد أعجبني النشيد الذي ردَّده الطلاب، طبعًا فيه كلمات عربية وكلمات غير عربية، ولكن ما يفهم منه يدل على أنَّه نوع من التعبئة الإسلاميَّة، إنَّ الروح الإسلاميَّة لا تكون بالمناهج وحدها، إنَّما تكون بأنشطة مختلفة، بمجلات حائط، بلوحات وملصقات وإعلانات، بندوات تقام، بمطارحات شعرية، بكتب ورسائل توزع، بأساتذة زائرين، بمسابقات علمية، بأناشيد إسلاميَّة، هذه أشياء مهمة جدًّا.

وأنا لي نشيد لا أدري هل وصلكم أم لا؟ يحفظه ويلحنه وينشده كثير من الجامعات الإسلاميَّة والمدارس الإسلاميَّة، هو بالعربية طبعًا، ولكنَّه مفهوم للجميع اسمه: مسلمون:

QaradawiBooks.com

مُسْلِمُونَ مُسْلِمُونَ مُسْلِمُونْ حَيْثُ كَانَ الْحَقُّ وَالْعَدْلُ نَكُونْ
نَرْتَضِي الْمَوْتَ ونَأْبَى أَنْ نَهُونْ فِي سَبِيلِ اللهِ مَا أَحْلَى المَنُونْ[1]

كم أتمنى أنْ يحفظ طلابكم هذا النشيد ويردِّدوه أيضًا، لأننا في وقت من الأوقات كانت النغمة القومية، والنغمة الوطنية، هي السائدة، فكانوا في البلاد العربية يقولون:

عَرَبٌ نَحْنُ ونَبْقَى عَرَبَا رَضِيَ الشَّرْقُ أَمِ الْغَرْبُ أَبَى[2]

نغمات مفرقة، ونعرات ممزِّقة للأُمَّة كلها، فأنا كرهت هذا، وكتبت هذا النشيد من حوالي خمس وعشرين سنة، ورأيت أثره في الحقيقة، فقد اشتهر وشرّق وغرّب؛ وخاصة على لسان الشباب، وفي بعض البلاد اتخذوه شبه نشيد وطني، في جمهورية اليمن في أيام الأرياني كان التلاميذ في المدارس ينشدونه.

وقد حدَّثني الشيخ الغزالي حفظه الله قائلًا: كنت مرة في ملتقى الفكر الإسلامي في الجزائر، وقد حضر الطلاب وأنشدوا نشيدًا تأثرت به وبكيت، وهم يمثلونه عندما قالوا وارفع القرآن دستور الزمان، رفعوا المصاحف. ولما قالوا: واصعد الربوة واهتف بالأذان، صعد واحد منهم على الأكتاف وقال: الله أكبر الله أكبر، فهم ردَّدوه مع شيء من التمثيل، فبكيت وقلت: لمن هذا النشيد؟ فقالوا: ألا تعرفه؟ قلت: لا. قالوا: ليوسف القرضاوي، فتأثر الشيخ حفظه الله، فكل هذا تعبئة لإشاعة الروح الإسلامي.

(١) إحدى قصائد ديواننا: نفحات ولفحات صـ٢٣٨ ـ ٢٤٤.
(٢) من شعر عبد المجيد النسعة.

QaradawiBooks.com

وهذا ما أريده بالروح الإسلاميَّة، أنَّها ليست في الكتاب فقط، أو في المنهج، أنا أريد كلَّ شيء ينبئ عن الإسلام، ويغرس روح الإسلام: النشيد، والشعار، والتحيَّة، وكل شيء نستطيع أن نغرس به في الطلاب روح الإسلام، وحبّ الإسلام، والاعتزاز بالإسلام، والإيمان بالإسلام، والعمل للإسلام، والثقة بالإسلام، والتمسُّك بالإسلام، هذا ما نقصده بالروح الإسلاميَّة، التي نريد أنْ تسود هذه الجامعة وهذه المؤسَّسة.

هذه وصيتي إليكم، وأسأل الله تبارك وتعالى أن يعينكم عليها، وأن يجعل أعمالنا مصداقًا لأقوالنا، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل والنية، وأن نكون كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، وصلِّ اللهم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

إجابة أسئلة المحاضرة

غير مرخصة للطباعة

السؤال الأول: كيف يُدرس الفقه؟

الجواب:

هذا سؤال مهم في الحقيقة، كيف يدرس الفقه؟

الدراسة المذهبية:

هناك نوعان من الدراسة الفقهية، هناك الدراسة المذهبية للفقه، وهناك الدراسة المقارنة للفقه، ولا بدَّ لأي جامعة إسلاميَّة محترمة، أن تجمع بين الأمرين، فتدرِّس لطلابها الفقه المذهبي الذي يتعامل به الطالب، يعني هنا في سريلانكا المذهب الشافعي، في قطر يُدرَّس المذهب الحنبلي، وفي باكستان وتركيا يسود المذهب الحنفي، وأنا أرى أنَّه لا مانع من ذلك بشرط: ألا نربطهم بكتب معينة لا يعرفون غيرها، مثل كتب المتأخرين، وأنا أقول للطلاب عليهم أن يرجعوا إلى بعض الكتب التي فيها نوع من التعب، مثلًا «المجموع» للنووي، يقرأ فيه الطلاب ليرى فيه نوعًا من الاستدلال، وتعدد آراء وأقوال العلماء، وكذا وكذا، اقرأ شيئًا في الأم لتعرف طريقة الشافعي وهكذا، فيجب التركيز على كتب أخرى في المذهب حتى لا يكون منغلقًا، هذه هي الدراسة المذهبية.

البعد عن التعصب في الدراسة المذهبية:

وينبغي أيضًا في الدراسة المذهبية ألا يكون متعصبًا، وأن يكون إنسانًا عنده انفتاح، وكل هذه الكتب هي فقه الشافعي، ورأيه الذي وصل إليه باجتهاده، فالشافعي نفسه يقول: رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي

QaradawiBooks.com

غيري خطأ يحتمل الصواب. يعني لم يفترض في رأيه أنَّه الصواب الذي لا يحتمل الخطأ، ولم يفترض في رأي غيره الخطأ الذي لا يحتمل الصواب، وإنَّما جعل هناك احتمالًا للجانبين: احتمال الخطأ في رأيه، واحتمال الصواب في رأي غيره.

وهذا يقرب المسافة بينهما، وهذا أقصى ما يقوله مجتهد عن نفسه؛ لأنَّ هناك من المجتهدين من يقول: كل رأي المجتهدين صواب، أناس في أصول الفقه يسمون المصوبة، يعني يقولون: الصواب هو ما انتهى إليه المجتهد، وهذا رأي له استدلالاته العلمية.

أخذ الفقه من منابع المذهب:

فلا بدَّ من الدراسة المذهبية. ولكن كما قلت: بشرط أن نستقي الفقه من منابع المذهب، ولا نقف عند الأشياء التي أطال فيها المتأخرون.

أحيانًا المتأخرون أطالوا في أشياء لا ضرورة لها، خصوصًا في مجال العبادات، حتى غدت كمًّا هائلًا من الجزئيات التفصيلية، التي نقلت تعلم الدين من اليسر إلى العسر، حتى إنِّي لا أنسى كيف كنت ـ وأنا صغير السن ـ أقضي في استماع دروس شهر رمضان: الشهر كله، ولا نكمل ما يتعلق بالوضوء والطهارة، حتى قلتُ مرَّة مازحًا: إننا طوال ثلاثين ليلة، لم نخرج من دورة المياه!

وقد كان الرجل يأتي من البادية إلى النبي ﷺ؛ فيتعلم الوضوء والصلاة، بمشاهدة وضوء النبي الكريم وصلاته مرات معدودة، وقد قال: «**صلوا كما رأيتموني أُصَلِّي**»[1]. وقد يوجهه ببعض الإرشادات

(١) سبق تخريجه صـ١٦١.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

والتوجيهات، ثم يعود إلى قومه وقد تفقَّه في الدين، ليُعلِّم قومه ما تعلمه.

أمَّا أن يذكر بعض الفقهاء مثلًا بضعة عشر شرطًا لصحة تكبيرة الإحرام، يجب أن يحفظها من يريد صحة صلاته، فهذا لم يجئ به كتاب ولا سُنَّة، ولا قام عليه تعليم السلف الصالح.

ونحن في الحقيقة في حاجة إلى أن نيسر هذه الأمور، لماذا نطيل في الحديث عن الطهارة بهذه الطريقة؟ وإذا كان هذا في الطهارة فقط، فكيف نعمل في بقية أحكام الإسلام، الله تعالى ذكر الطهارة في القرآن في آية واحدة: آية المائدة، فنحن في حاجة إلى هذا التيسير في دراسة الفقه.

الدراسة المقارنة:

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى دراسة الفقه المقارن، لا بدَّ أن تكون هناك في الجامعات الإسلاميَّة ساعات معينة أو محاضرات للفقه المقارن، حتى يعرف الطالب أنَّ مذهبه ليس هو المذهب الوحيد في الوجود، وأنَّه قد يكون في المذاهب الأخرى حجة أقوى من مذهبه.

أنا مثلًا حنفي المذهب، درست المذهب الحنفي في الأزهر الشريف، ولكن لا أحد يختار مذهبه، أنا عند التسجيل في الأزهر وجدت الناس يسجلون المذهب الحنفي، فكتبت المذهب الحنفي، لم يكن أبي مثلًا شافعيًّا وفضلت الحنفي عليه، وأنتم هنا في سريلانكا تدرسون المذهب الشافعي، ولو ذهبتم إلى باكستان لدرستم المذهب الحنفي، فلا أحد يختار مذهبه، وإنَّما هو محض صدفة، لا أحد يختار مذهبه حتى يتعصب له بهذه الدرجة، التي نراها بين أتباع المذاهب!

QaradawiBooks.com

فكل مذهب فيه الحقُّ والصواب، وما ادعى مجتهد قط أن مذهبه كله صواب، لا خطأ فيه!

أبو حنيفة يقول: هذا رأينا؛ فمن جاء بأحسن منه قبلناه[١]. والشافعي يقول: إن صحّ الحديث فهو مذهبي[٢]. ومالك يقول: كل أحد يُؤخذ من كلامه ويُترك إلا صاحب هذا القبر ﷺ. قال هذا في مسجد المدينة[٣]، وابن حنبل قال: لا تقلدني ولا تقلد مالكًا ولا الشافعي وهكذا، وخُذ من حيث أخذوا[٤].

ينتقل الصواب بين المذاهب:

ما أحد قال عن نفسه: إنَّه يملك الصواب كله؛ ولذلك نحن في حاجة إلى دراسة الفقه المقارن، نقارن فيه بين الأدلة بعضها وبعض، وقد يكون رأي الشافعي في هذه المسألة أفضل، وقد يكون العكس صحيحًا.. وهكذا.

أنا مثلًا أرى أن مذهب أبي حنيفة قوي في أنَّ مس المرأة لا ينقض الوضوء، وقد أجده ضعيفًا حين يقول: إنَّ سيلان الدم ينقض الوضوء، أو القهقهة تنقض الوضوء، اعتمادًا على حديث ضعيف؛ فلم يثبت أنَّ القهقهة تنقض الوضوء.

---

(١) إعلام الموقعين (٦٠/١).

(٢) اشتهر هذا المعنى عن الإمام الشافعي في غير ما مناسبة؛ ذكر بعضها السبكي في رسالته: معنى قول الإمام المطلبي إذا صح الحديث فهو مذهبي صـ٨٥ ـ ٩٠، نشر مؤسسة قرطبة. واحتجَّ به الشافعية في كتبهم، منهم العلامة النووي في شرح صحيح مسلم (٥٥/١٤)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي (٩٣/٨).

(٤) إعلام الموقعين (١٣٩/٢).

QaradawiBooks.com

فالإنسان يجب أن ينظر في المذاهب وأدلتها. الأحناف مثلًا لا يرفعون أيدهم في الصلاة إلا عند تكبيرة الإحرام، بينما صح عن عشرين أو أكثر من الصحابة: أنَّ النبي ﷺ كان يرفع يديه عند الركوع، وعند القيام من الركوع، فأصبح أقوى مما ورد عن ابن مسعود ـ وهو عمدة المذهب الحنفي ـ في عدم رفع اليدين عند الركوع، والقيام منه.

فيجب أن نعلم هذا لأبنائنا، وينبغي أن يكون الأستاذ أسير الدليل.

خاصة إذا كنا نريد أن نسنَّ قانونًا للمجتمع، قانون الأحوال الشخصية مثلا، فلا يجب أن نأخذ أشد المذاهب ونسن به قانونًا للمجتمع، أو قانون الزكاة مثلا.

غير مرخصة للطباعة

زكاة الزروع بين الشافعية والأحناف:

وأنا أضرب لكم مثالًا: كنت منذ عشر سنوات في ماليزيا، وألقيت محاضرة في جامعة الملايو الوطنية، سألني مدير الجامعة هناك: أنَّه يوجد سؤال يسأله الجماعة اليساريون والشيوعيون.. يقولون: لماذا يأخذ الإسلام الزكاة من الفقراء ويعفي الأغنياء؟ يأخذها من الزراع البسطاء الذين يزرعون الأرز وهذه الأشياء، وقد تكون الأرض ليست ملكًا لهم، يزرعونها بالأجرة! ولا يأخذها من الأغنياء الذين يملكون حدائق ضخمة، ومزارع الشاي والمطاط ـ وهي آلاف الهكتارات ـ وعرفت السبب أنَّ مذهبهم شافعي، والإمام الشافعي لا يوجب الزكاة إلا على ما كان قوتًا ويُدخر على سبيل الاختيار، فقلت لهم: ولكن هناك مذاهب فقهية أخرى تقول بغير ذلك، فإذا نظرنا إليها من زاوية الفقه المقارن وجدنا أن مذهب أبي حنيفة هو أقوى في هذه المسألة، وهو أيضًا مذهب عمر بن عبد العزيز، وهو مذهب داود الظاهري، وهو الذي أرجحه، وأجد أنَّه

QaradawiBooks.com

المعبر عن روح الإسلام وهو يوجب الزكاة على كل ما يخرج من الأرض، أخذًا بعموم الآية: ﴿وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ [البقرة: ٢٦٧]، وعموم الحديث: «**ما سقت السماء**».

غير مرخصة للطباعة

شيخ المالكية يرجِّح رأي أبي حنيفة:

وهذا ما اختاره شيخ المالكية في عصره القاضي أبو بكر ابن العربي، صاحب كتاب «أحكام القرآن»، وصاحب كتاب «عارضة الأحوذي في شرح الترمذي»، وصاحب كتاب العواصم من القواصم وغيره، فأبو بكر ابن العربي في تفسير آيات الأحكام، في تفسير قول الله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٖ مَّعۡرُوشَٰتٖ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٤١].

فقال بعد أن ذكر المذاهب، ومنها مذهب مالك ـ وقد ضعفه ـ: أمَّا أبو حنيفة فجعل الآية مرآته؛ فأبصر الحقَّ. قال ذلك رغم حملته على مذهب أبي حنيفة في كثير من المواقف، ولكن الإنصاف جعله يقول هذا: أمَّا أبو حنيفة فجعل الآية مرآته فأبصر الحق، فأوجبها في المأكول قوتًا كان أو غيره. وبيَّن النبي ﷺ ذلك في عموم قوله: «**فيما سقت السماء العُشر**»[(١)]. قال هذا وهو مالكي، ورأس المالكية في عصره.

وفي شرح الترمذي قال: «وأقوى المذاهب في المسألة مذهب أبي حنيفة دليلًا، وأحوطها للمساكين، وأولاها قيامًا بشكر النعمة، وعليه يدل عموم الآية والحديث»[(٢)].

(١) رواه البخاري (١٤٨٣)، وأبو داود (١٥٩٦)، كلاهما في الزكاة، عن ابن عمر.

(٢) عارضة الأحوذي لابن العربي (١٣٥/٣)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

QaradawiBooks.com

قال هذا وهو مالكي، ورأس المالكية في عصره، ولكن لم يرَ بأسًا أن يخرج على مذهبه لما رأى من الدليل.

فلماذا نلتزم مذهب الشافعي في هذه القضية، ونجعل للشيوعيين مجالًا للقول، وأحسب أنَّ الإمام الشافعي لو كان حيًّا اليوم، ورأى هذه المفارقات، لغيَّر رأيه، كما غيَّره في كثير من المسائل، والتي يقال فيها: قال الشافعي في «القديم»، وقال الشافعي في «الجديد». وقديمه ما كان يراه قبل مجيئه إلى مصر، وجديده ما غيَّره بعد إقامته في مصر، حيث رأى ما لم يكن قد رأى، وسمع ما لم يكن قد سمع.. كما أنَّه قد ازداد نضجا وعمقا، واتّسع علمه؛ فلا غرو أن يتغيَّر اجتهاده في بعض المسائل.

ولذلك أنا أقول: إنَّ الزكاة تجب في كل مال نامٍ، وهذا يشمل جميع الأموال؛ سواء كانت هذه الأموال نقودًا، أو تجارات أعيانًا، أو ثروة حيوانية، والإمام أبو حنيفة لم يقف عند حد الإبل والغنم والبقر، حتى قال: الخيل، وقاس على ذلك كل مال. فأنا من الموسعين في وعاء الزكاة، على أن يستوفي الشروط، أي: أن يبلغ النصاب، وأن يملك ملكًا تامًّا، ويكون سالمًا من الدين، وأن يكون فاضلًا عن الحوائج الأصلية، وأن يكون ناميًا، بهذه الشروط تجب الزكاة.

وهذا اجتهاد على كل حال، فمن المهم جدًّا دراسة الفقه المقارن بهذه الروح، إذا وجدنا دليلًا أقوى تؤيده النصوص والقواعد العامة، أو المقاصد الكلية، أو الروح العامة للشريعة، أو مصالح الخلق، أخذنا به واعتمدنا عليه في العمل، فكل هذا يجب أن يوضع في الحساب عندما نقارن بين المذاهب بعضها وبعض.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

السؤال الثاني:

ما الأفضل في دراسة المناهج الشرعيَّة في المرحلة الجامعيَّة، الاعتماد على كتب التراث فقط، أم الاكتفاء بالكتب الحديثة؟

الجواب:

في الحقيقة أنَّ رأيي في الدراسة: أن تجمع بين القديم والحديث، وهذه هي الدراسة النافعة، نحن نريد أن ننشئ جامعة إسلاميَّة عصرية، وكما قلت: ننظر إلى الإسلام بعين وإلى العصر بعين أخرى؛ حتى لا نخرِّج إنسانًا يعيش في غير زمنه، فمثل هذا لا يمكن أن يكون داعية ينفع، ولا فقيها ينفع، الفقهاء قالوا في شروط المفتي: أن يكون عالمًا بواقع زمانه ومكانه، فإذا لم يكن يعرف فكيف يفتي؟ الذي لا يعرف الناس الذين حوله، كيف يدعوهم؟ ولا يعرف الدين معرفة واعية مستوعبة، كيف يقدمه ويعرضه على الناس؟

فلا بدَّ من دراسة القديم والحديث، لا بدَّ في التفسير مثلًا أن تدرس تفسيرًا أثريًّا يهتم بالأثر، مثل ابن كثير مثلًا، ودراسة بعض التفاسير التي تهتم بالدراية، التفسير بالرأي، مثل تفسير ابن عطية والقرطبي، ودراسة تفسير يجمع بين الأمرين الرواية والدراية، مثل «فتح القدير» للشوكاني، فهو يجمع بين الرواية والدراية، فلا بدَّ أن يدرس الطالب شيئًا من هذه الكتب، وهذا إذا لم يكن مقررًا، فيجب على المعلم أن يقرأ هذا ويهضمه ويفهمه ويقدمه للطلاب، ولا بدَّ من المدرس في تدريسه أن يربط العلم بالحياة، لا أستطيع أن أدرس القرآن وأنا مفصول عن الواقع، هناك ثقافة معاصرة لا بدَّ أن ننقلها للطلاب.

نسخة مجانية
غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

أنا درست تفسيرًا، وربما كان المعتمد كتابا قديمًا معينًا؛ مثل النسفي أو النيسابوري، أو البيضاوي أو غيرهم، يرجع إليه الطلاب ليتدرب على قراءة كتب التراث في التفسير وحسن فهمها، ومعرفة ما في القرآن من معانٍ بلاغية وصور بيانية، وجمل اعتراضية، وكيفية الردود على الاعتراضات وهكذا، ولكن هذا وحده لا يكفي في إعطاء هداية القرآن، هداية القرآن إنَّما تكون بدراسة مقاصد القرآن، مثل كتاب «المنار» للشيخ رشيد رضا، و«في ظلال القرآن» للشهيد سيد قطب، و«التنوير والتحرير» للطاهر بن عاشور، فلا بدَّ أن يحاول الطلاب الاطلاع على الكتب الحديثة، التي تظهر له هداية القرآن الكريم، وتكشف عنها من وراء إبراز مقاصده في حياة الفرد والأسرة، والمجتمع والدول، وبيان أسراره وأنواره: في العقيدة والعبادة، والأخلاق والسلوك، والتشريع والأحكام، والقصص والأمثال والحكم.

خذ مثلًا قول الله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾ [الأعلى: ١ ـ ٥].

تفسير هذه الآيات في الكتب القديمة تجدها في كلمات قليلة، ولكن إذا أراد المعلم أنْ يذكر للطالب مظهر التسوية في الكون، كيف سوى السماء ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩]. وكيف سوَّى الأراضين، وكيف سوَّى الأنفس ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٧]. وكيف سوى الإنسان ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الإنفطار: ٧، ٨]، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤].

وماذا قال العلماء: علماء الكون والطبيعة، والإنسان والحيوان، والجيولوجيا والبيولوجيا، وهذه الأشياء، كل هذه الأشياء تلقي ضوءًا على معنى القرآن وهدايته.

QaradawiBooks.com

في قول الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧].

كتب الأستاذ الدكتور عبد الحافظ حلمي: أستاذ علم البيولوجيا، وعميد كلية العلوم، وعضو المجمع اللغوي في فوائد الجِمال أو الإبل، كتابة قيمة، يجب أن ينتفع بها؛ لأنَّها كتابة مبنية على ما وصل إليه العلم في عصرنا، وقد سمَّى هذا المقال: «الإبل عز لأهلها: إعجاز فريد في الخلق، وأمان من المجاعة والفقر».

بين في هذا المقال الإعجاز في خلقها، وقدرة الله تعالى في صنعها ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]. والمنافع والعوائد الكثيرة لها؛ لقد خلقها الله خلقًا بديعًا، معدولًا به عن سنن خِلقة سائر أنواع الحيوانات، في عِظم جثتها، وشدة قوتها، وعجيب هيئتها اللائقة، بتأتِّي ما يصدر عنها من الأفاعيل الشاقة، كالنوء بالأوقار الثقيلة، وجر الأثقال الفادحة إلى الأقطار النازحة، وفي صبرها على الجوع والعطش، حتى إنَّ أظماءها لتبلغ العشر فصاعدًا، واكتفائها باليسير، ورعيها لكل ما يتيسر من شوك وشجرٍ وغير ذلك، مما لا يكاد يرعاه سائر البهائم، وفي انقيادها مع ذلك للإنسان في الحركة والسكون، والبروك والنهوض، حيث يستعملها في ذلك كيفما يشاء، ويقتادها بقطارها كل صغير وكبير[1].

فلا بدَّ من دراسة الكتب الحديثة والاطلاع عليها، فممكن أن نقرر بعض الكتب العصرية في بعض المحاضرات، وممكن للمعلم أن يكتب هذه الأشياء أيضًا ويعرضها على طلابه.

(١) تفسير أبي السعود (١٥٠/٩، ١٥١)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت.

QaradawiBooks.com

أنواع التفسير:

وهناك نوعان من التفسير، ونحن في كلية الشريعة في جامعة قطر، ندرس نوعين من التفسير، كما ندرس نوعين من الحديث.

هناك التفسير التحليلي الذي يهتم بتحليل الألفاظ، ودراسة السورة آية آية.

وهناك التفسير الموضوعي الذي يهتم بدراسة مواضيع القرآن، مثل المرأة في القرآن الكريم، أو القتال في القرآن الكريم، أو العلم في القرآن الكريم، أو المال في القرآن، أو اليهود في القرآن، أو الابتلاء في القرآن، أو المعية في القرآن، أو أهل الكتاب في القرآن، أو الجنة في القرآن، أو يوم القيامة في القرآن وهكذا. وهذا يقوم على جمع الآيات التي تتحدث عن الموضوع وترتيبها، وربط بعضها ببعض، وإبراز ما فيها من حكم وأحكام، وتشريعات وآداب، تخص الموضوع نفسه وتجليه.

وأنا لي في هذا النوع كتاب سمَّيته «الصبر في القرآن الكريم»، تتبعت الآيات التي جاءت عن الصبر والصابرين، والشخصيات الصابرة في القرآن، وهذا النوع من التفسير يفتح أمام طلابنا الباب لمعرفة كيف يتناولون كتاب الله تعالى، وكشف ما فيه من أنوار الهداية وأسرار التشريع، وأي موضوع قرآني يمكن أن يكون رسالة ماجستير ودكتوراه، والقرآن الكريم تعرض لآلاف الموضوعات، أحيانًا بالتصريح، وأحيانًا بالإشارة، فكل ذلك مما ينبغي أن يهتم به في دراسة علم التفسير، وهكذا في كل المناهج الشرعية لا بدَّ أن نجمع بين الحديث والقديم، ونقدمه بأسلوب العصر أو بلسان

QaradawiBooks.com

العصر؛ كما يقول القــرآن الكريم: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾ [إبراهيم: ٤].

وهذا ما أريد أن أقوله في هذا الجانب.

السؤال الثالث:

علمنا من فضيلتكم كيف ندرس الفقه والتفسير، فكيف تكون دراسة الحديث؟

الحديث هو المصدر الثاني في الإســلام بعد القرآن الكريم، وكما ينبغي أن ندرس القرآن ينبغي أن ندرس الحديث الشريف، هناك تفسير تحليلي وتفســير موضوعي، كذلك هنــاك في الحديــث أيضًا حديث تحليلي، وحديث موضوعي.

الحديث التحليلي:

والحديث التحليلي لا ينبغي أن يُقتصر في دراسته على أحاديث الأحكام فقط؛ لأنَّ أحاديــث الأحكام بالنســبة لمجموع الأحاديث لا تكوِّن إلا شيئًا قليلًا، وبعضهم قال: إنَّ أحاديث الأحكام خمسمائة حديث، وهذا كلام يحتاج إلى مناقشــة؛ لأنَّه غير صحيح، وإنَّما هي على كل حال أحاديث محصورة، وأوسع كتاب فيها: «منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار» لأبي البركات مجد الدين عبد السلام ابن تيمية الجد. وقد بلغت أحاديثه في الطبعة التي حققها المرحوم الشيخ محمد حامد الفقي (٥٠٢٩) خمســة آلاف وتســعة وعشــرين حديثًا؛ ولكنَّه عدَّ كلَّ رواية لحديث فيها تغيير كلمة أو جملة أو زيادة لفظة: حديثًا ذا رقم مستقل.

غير مرخصة للطباعة

وقد شرح هذا «المنتقى» العلَّامةُ الشوكاني في كتابه الشهير «نيل الأوطار»، وقد أصبح هو وكتاب «سبل السلام» من أهم المصادر لأحاديث الأحكام وشروحها.

فأحاديث الأحكام محدودة، وينبغي أن تدرس، ولكن ليست هي كل شيء، لو نظرت مثلًا إلى كتاب مثل صحيح الإمام البخاري، أو صحيح الإمام مسلم، تجد الأحاديث بعضها في الأحكام، وبعضها في العقائد، وبعضها في الأخلاق، وبعضها في العبادات، وبعضها في التفسير، وبعضها في السير، وبعضها في الآداب والفضائل، وبعضها في أمور الآخرة، وبعضها في الرقائق، يعني أشياء كثيرة تغطي مساحات واسعة من تعاليم الإسلام وأحكامه إن لم تكن كلها.

وانظر إلى أبواب البخاري، وفقه البخاري في تراجمه لهذه الأبواب، تجد أنواعًا شتى من العلوم، فكيف ندرس الأحاديث التي فيها أحكام فقط، ونحن عندما تحدثنا عن المنهج الذي يجب أن يدرس في الجامعة قلنا: يجب أن يكون منهجًا إسلاميًّا متكاملًا، لا نركز على جانب ونترك جوانب أخرى، فيفهم بعض الناس أنَّ الجوانب التي تُركت ليست مهمة في الإسلام، فلا بدَّ أن ندرس أحاديث في الأحكام، وأحاديث في العقائد، وأحاديث في العبادات، وأحاديث في الأخلاق والآداب، وأحاديث في السير والفضائل، وأحاديث في التشريع، وأحاديث في الاقتصاد وهكذا، ولا بدَّ أن نحسن اختيار هذه الأحاديث؛ لتؤدي الغرض والهدف من دراستها.

الحديث الموضوعي:

وهناك أيضًا الحديث الموضوعي، والمقصود به: موضوع واحد تبحثه في ضوء أحاديث السُّنَّة، ولي في هذا كتاب بعنوان: «الرسول والعلم»،

QaradawiBooks.com

تحدثت فيه عن العلم في ضوء السُّـنَّة النبويَّة، ما جـاء في فضل العلم، وما جاء في مكانة العلمـاء، وحكم طلب العلـم وفضائله، وأخلاقيات العلم، وواجب المعلم والمتعلم، والقيم التعليمية والتربوية، فهذا الكتاب يمثل نموذجًا للحديث الموضوعي.

ممكن أيضًا أن ندرس مسـائل الزواج في ضوء السُّنَّة، التوجيهات النبويَّة في الخطبـة والزواج والعقد وهكذا، ومنذ شـهر فقط حضرت مناقشة رسالة دكتوراه بعنوان: العلاقة بين الحاكم والمحكوم في ضوء السُّـنَّة، ومنذ أيام اطلعت على كتاب لأول مرة بعنوان: أسـس التربية النبويَّـة في ضوء السُّـنَّة، فلا بـدَّ أن نجمع في دراسـة الحديث بين النوعين، الحديث التحليلي الذي لا يقتصر على أحاديث الأحكام فقط، والحديـث الموضوعي الذي يتقصى الأحاديـث التي ترتبط بموضوع واحد كما ذكرنا.

دراسة علم مصطلح الحديث:

وهناك أيضًا دراسـة علوم الحديث، أو ما نسميه مصطلح الحديث، فلا بدَّ أن يدرس الطالب هذا العلم، يدرس الحديث الصحيح، والحديث الحسن، والحديث الضعيف، وما هي أسـباب الضعف، والجهود التي بذلها العلماء في تنقية السُّـنَّة مـن الموضوع، والقواعـد التي وضعها علماؤنا، وقواعد الجرح والتعديـل، ومواطن الجرح والتعديل، ويتعرف على علم الرجال وهكذا.

بل لا يكتفي بهذا، بل ينبغي أن يكون هنـاك مادة أو مقرر لتخريج الحديث، يتعرف على فن التخريج، كيف تُخرِّج الحديث؟ لا بدَّ أن نعلِّم أبناءنا كيف يخرجون الحديث، هذا مهم جدًّا، وأقول لكم بصراحة: أنا

QaradawiBooks.com

لم يعلمني هذا معلم، تعلمته بالتدريب والممارسة، ولو علَّمنيه معلم لوفَّر عليَّ سنوات كثيرة من المعاناة، ولذلك حرصت على تعليم هذا الفن لطلابي وطالباتي، عندنا في جامعة قطر وفي كلية الشريعة طلاب وطالبات، أنتم عندكم طلاب فقط، فممكن أن تكون هناك كلية للطالبات المسلمات أيضًا، كنت آخذهم إلى المكتبة وأختار لهم بعض الأحاديث وأقول لهم: كيف تخرجونها؟ أعطيهم حديثًا مثل: «**إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا**» قالوا: وما رياض الجنة؟ قال: «**حِلَق الذِّكر**» وهكذا[1].

والآن في الحقيقة يوجد كتاب اسمه: «المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي»، وقد رتَّب هذا الكتاب لفيف من المستشرقين، ونشره أ. ي. فنسنك بجامعة ليدين، فهرسوا في هذا الكتاب تسعة من أمهات كتب الحديث؛ وهي: «صحيح البخاري»، و«صحيح مسلم»، و«سنن أبي داود»، و«سنن الترمذي»، و«سنن النسائي»، و«سنن ابن ماجه»، و«سنن الدارمي»، و«موطأ مالك»، و«مسند الإمام أحمد».

والكتاب كما يدل عليه اسمه المعجم المفهرس يقوم على طريقة المعاجم، فقد فهرس واضعوه كلَّ ألفاظ الأحاديث في الكتب التسعة المذكورة، ورتَّبوها على الطريقة المعجمية الألفبائية.

فإذا كنت تحفظ أي لفظ من حديث ما، وأردت أن تبحث عنه في هذا المعجم فارجع إلى مادة تلك الكلمة، وستجد كل الأحاديث التي وردت فيها تلك الكلمة في كتب الحديث التسعة، هذا إذا كان الحديث موجودًا في تلك الكتب، وسيعيِّن لك المعجم مكان الحديث في تلك الكتب.

---

(١) رواه أحمد (١٢٥٢٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والترمذي في الدعوات (٣٥١٠)، وقال: حديث حسن غريب. وحسنه الألباني في الصحيحة (٢٥٦٢)، عن أنس بن مالك.

QaradawiBooks.com

فإذا لم نجد الحديث في الكتب التسعة، نرجع إلى كتب أخرى، مثل «الجامع الصغير» للسيوطي، وشرحه «فيض القدير»، إذا كان من الأحاديث المشتهرة نرجع إلى كتب الأحاديث المشتهرة، مثل «تمييز الطيب من الخبيث»، و«المقاصد الحسنة» للسخاوي، أو «كشف الخفاء والإلباس فيما اشتهر من الحديث على ألسنة الناس» للعجلوني، أو كان حديثًا موضوعًا نبحث عنه في كتب الحديث الموضوعة، المهم أن يعطي المعلم طلابه مفاتيح البحث عن الحديث وتخريجه.

وبعد أن وجدت الحديث، تريد أن تعرف قيمته أو درجته، تريد أن تعرف أحوال الرجال الذين رووه، فإذا كان في البخاري ومسلم فهذا جاز القنطرة، وإذا كان في غير البخاري ومسلم؛ فيجب بيان درجته من الصحة أو الضعف، وهذا معناه أنك ترجع إلى الرجال، وهذا يتطلب معرفة الكيفية للبحث عن الرجال، فلا بدَّ من معرفة «التهذيب» وفروعه المختلفة، و«تهذيب الكمال» الآن يطبع، «تهذيب الكمال» نفسه، طبعًا كان فيه «تهذيب التهذيب» لابن حجر، و«تقريب التهذيب» لابن حجر، و«تذهيب تهذيب الكمال» للذهبي، و«خلاصة تهذيب الكمال» لصفي الدين الخزرجي، والكتب التي من هذا النوع؛ لا بدَّ أن يرجع إليها الطالب، حتى يعرف أحوال هؤلاء الرجال، وماذا قال عنهم العلماء، هل هو موثق من الجميع أم مضعف، وهكذا.

* * *

QaradawiBooks.com

٢٤

ندوة العلماء بالهند ودورها المعاصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الَّذي بنعمته تتمُّ الصالحات، وبفضله تتنزَّل الخيرات والبركات، وبتوفيقه تتحقَّق المقاصد والغايات، وأصلِّي وأسلِّم على البشير النذير، والسِّراج المنير، رحمة الله للعالمين، وحجَّته على النَّاس أجمعين، مُعَلِّم النَّاس الخير، وهادي البشريَّة إلى الرُّشد، وقائد الخلق إلى الحقِّ، ومُخرج النَّاسِ ﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١]، سيِّدِنا وإمامنا، وأسوتنا وحبيبنا مُحَمَّد ﷺ، وعلى آله وصحبه، ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، ورضيَ الله عمَّن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وسار على دربه، وانضمَّ إلى حزبه، وجاهد جهاده إلى يوم الدِّين.

خير ما أُحيِّيكم به أيُّها الإخوة الأعزَّة، والأبناء الأحبَّة، تحيَّة الإسلام، وتحيَّةُ الإسلام السلام، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(وبعد)

فهذا هو اليوم الختامي لهذه الزيارة المباركة إنْ شاء الله، لهذه الندوة المباركة ومؤسَّساتها المباركة، أسأل الله تبارك وتعالى أنْ يجعل هذه

QaradawiBooks.com

الأيَّام في ميزاني وميزانكم حسناتٍ ودرجاتٍ عنده، وأنْ يتقبَّل منَّا أقوالنا وأعمالنا، فليس لأيِّ عملٍ قيمةٌ إذا لم يُقبل عند الله تعالى.

ذهب بعض الطُّلَّاب لشيخٍ لهم، فوجدوه يبكي وهو على فراش الموت، فقالوا: ما يُبكيك وأنت الَّذي فعلتَ وفعلتَ؟! وعدُّوا له حسناته، فقال: وما يُدريني أنَّ شيئًا من هذا قُبِل واللهُ يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]؟

فالله لا يقبل أيَّ عمل، بل يتقبَّل من أهل التقوى، والتقوى ليست كلامًا يُقال، ولا مظهرًا يخدع، فقد قال ﷺ: «**التَّقْوى هاهنا**» وأشار إلى صدره ثلاثًا[1]. ﴿تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]، كما عبَّر القرآن الكريم.

ولذلك فالإنسان لا يطمئنُّ إلى قَبول عمله، وقد قال ابن عطاء الله في حكمه: «ربَّما فتح اللهُ لك بابَ الطاعة، وما فتح لك بابَ القَبول، وربَّما فتح لك باب المعصية فكانت سببًا للوصول، معصية أورثت ذلًّا وانكسارًا، خير من طاعة أورثت عزًّا واستكبارًا»[2].

المهمُّ أنْ يُقبل عمل الإنسان، ولذلك قال هشام بن حسَّان: سيِّئة تسوؤك، خير عند الله من حسنة تُعْجِبُك[3]. فالعُجْب يُفسِد الأعمال، والرياء يُفسِد الأعمال، ولذلك كان الإخلاص مُهِمًّا في كلِّ شيء: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥]، ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۞ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۞ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الزمر: ١١ ـ ١٣].

---

(١) سبق تخريجه صـ ٢٥٣.

(٢) حكم ابن عطاء الله شرح الشيخ زروق صـ ٢٢٤.

(٣) رواه الدينوري في المجالسة (٢١٦٠)، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان، نشر دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٩هـ.

QaradawiBooks.com

أيُّها الإخوة، هذا هو اليوم الختامي لهذه الزيارة المباركة، وكان لا بدَّ أنْ نأتي إلى الختام، فكل ما له بَدْءٌ له ختام، وسبحان الأوَّل الَّذي ليس له ابتداء، والآخر الَّذي ليس له انتهاء، ولا أدري هل يُقدِّر الله لنا اللقاء مرَّة أخرى في هذه الدار المباركة، وفي رحاب شيخها الميمون المبارك الشيخ أبي الحسن النَدْوي، أو لعلِّي لا ألقاكم بعد هذا اللقاء، وإن التقينا فأسأل الله أنْ يتقبَّل منا، وإن لم نلتقِ، فأوصيكم بالدعاء لنا بالمغفرة.

أحببنا أبا الحسن قبل أنْ نراه:

أيُّها الأحبَّة، لكلِّ مؤسَّسة رمزٌ يرمز إليها، ويدلُّ عليها، وكان الرمز الَّذي دلَّ على هذه المؤسَّسة، ورَمَز إليها، وجعلنا نُحِبُّها ونعشقها قبل أن نراها ـ والأُذْن تعشق قبل العين أحيانا. كما قال الشاعر العربي ـ هو الشيخ أبو الحسن.

سعدنا بالشيخ أبي الحسن في مصر خاصَّة، في أوَّل زيارة له هناك، وفي البلاد العربيَّة بصفة عامَّة، بعد زيارة الحجِّ في سنة (١٩٥١م)، سعدنا به في مصر، واستمعنا إليه، والتقينا به، وكنتُ طالبًا حينها في كليَّة أصول الدين.

لقد أحببتُه قبل أنْ أراه من كتابه «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين»، واشتدَّ حُبِّي له بعد أنْ رأيتُه، ورأيتُ فيه العالم الربَّاني الزاهد المجاهد، الَّذي نرى في حياته وسلوكه صورة لعلماء السلف، أقول ذلك ولا أُزَكِّي على الله أحدًا، وما اعتدتُ والله أنْ أمدح أحدًا، لا ملكًا ولا رئيسًا، ولكنِّي أمدح الربَّانيِّين الَّذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، هذا الرجل أحسبه والله حَسِيبُه بقيَّة من علماء السلف.

QaradawiBooks.com

لقد أحببْتُه، وأَحَبَّه كلُّ مَن عرَفه من المصريِّين، وقد عرَفه الكثيرون زائرًا لهم، ومُتحدِّثًا إليهم، ومحاضرًا، أحبُّوا فيه علمه وعمله، أحبُّوا فيه عَقْلَه الذَّكِيَّ، وأحبُّوا فيه قلبه النقيَّ، أحبُّوا فيه المسلم الأصيل، والمسلم المعاصر، الَّذي يخاطب النَّاس على قدر عقولهم، يُكلِّمهم بلسانهم ليُبيِّن لهم، لا يخاطب النَّاس في القرن الرابع عشر بلسان القرن التاسع أو الثامن، وإنَّما يُكلِّمهم بلسان العصر، يراعي الزمان والمكان وحال الإنسان، وهكذا كان الشيخ أبو الحسن حينما لقيناه في مصر.

الشيخُ الندوي حبَّبَ إلينا ندوة العلماء قبل أنْ نراها:

عرَفنا أنَّ أبا الحسن يَنتسب إلى هذه الندوة، فكُنَّا نقرأ على كتابه «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين»: «للشيخ أبو الحسن علي الحسني النَّدْوي»، كُنَّا نقرأها بفتح الدال، نسبة إلى نَدَى، ولكنَّا عرَفنا منه أنَّه نَدْوي بالسكون، نسبة إلى ندوة العلماء.

وعرفنا أنَّ ندوة العلماء تأسَّست في هذه الولاية، وفي هذه الديار الهنديَّة، وتقوم على الجمع بين القديم والحديث، القديم النافع، والجديد الصالح، وتقوم على المنهج الوسطي، وتُدَرِّس اللغة العربيَّة وآدابها، وأنَّه قد أسَّسها علماء ربَّانيُّون كبار، مثل الشيخ: محمد علي المونكيري، والشيخ شِبْلي النعماني، والشيخ السيِّد سليمان النَّدْوي، كل هؤلاء العلماء الأفذاذ، قامت هذه الدار بجهودهم.

وصف الشيخ علي الطنطاوي لندوة العلماء:

حبَّبَ إلينا الشيخ ندوة العلماء، وعشقناها قبل أنْ نراها، وازددنا لها حبًّا عندما قرأنا وصف مَن زاروها، ومن هذه الأوصاف ما كتبه الأديب العربي الإسلامي الكبير العلَّامة الشيخ علي الطنطاوي، الَّذي هو أحد

QaradawiBooks.com

أدباء الأُمَّة، وأحد أقلامها النافعة، المُوَجِّهة الهادية المُؤَثِّرة، كَتب الشيخ علي الطنطاوي عن ندوة العلماء كلماته الرقيقة اللَّبِقة المُعَبِّرة المُؤَثِّرة.

وقال ضمن ما قال: «كنتُ أتمنَّى أنْ يكون للمسلمين معهد لا يجمد جمود الأزهر القديم، ولا ينساب انسياب المعاهد الحديثة، ويكون على المنهج الوسط، يجمع بين أصلح القديم وأنفع الجديد، حتَّى رأيتُ ندوة العلماء، فوجدتُ فيها طِلْبتي»[١].

وكان ممَّا قاله الشيخ: «إذا كان للإنسان أنْ يختصر أمانيه في أُمنية واحدة، فإنِّي أتمنَّى أنْ يعود بي الزمن إلى الوراء، فأرجع تلميذًا صغيرًا، وأتعلَّم وأعيش في رحاب هذه الندوة، أو هذا المعهد، أعيش في رحابه، وأحيا بين طلَّابه، وأتعلَّم على شيوخه، وأتنفَّس عطره، فأحيا حياةً جديدةً بقلبٍ جديد، وأمل جديد... إنَّ في الندوة لذَّات الدُّنيا، وحسن ثواب الآخرة إنْ شاء الله»[٢]. هكذا قال الشيخ علي الطنطاوي رَحِمَهُ اللَّهُ.

زرتُ ندوة العلماء فصدَّق الخُبْر الخَبَر:

تعلَّقتُ بندوة العلماء، وكم هفا إليها قلبي، ورَنَت إليها عيني، وتمنَّيتُ ذلك اليوم الَّذي أزور فيه هذه الدار النافعة الميمونة واستمتع برؤية شيوخها، وطلابها، وساحاتها، وكلَّ شيء فيها، حتَّى هيَّأ الله لي هذه الفرصة، حينما دعاني الشيخ لحضور المهرجان التعليمي لندوة العلماء، وذلك في عام (١٩٧٥م)، وحضرتُ مع مَن حضر من الإخوة العرب، من العلماء والدعاة والشيوخ وأهل الرأي وأهل الفضل،

(١) انظر: مقدمة في مسيرة الحياة ضمن مقدمات الشيخ علي الطنطاوي صـ١٨٠، ١٨١، جمع وترتيب مجد مكي، نشر دار المنارة، جدة، ط٢، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١١م.

(٢) مقدمة المسلمون في الهند صـ١٦٧، ضمن مقدمات الشيخ علي الطنطاوي.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

حضرنا في هذه الـــدار، فصدَّق الخُبْر الخَبَر، وأنشـــدنا ما كان يقوله الشاعر قديمًا:

كانـــت مُحَادَثَةُ الرُّكْـبـــانِ تُخْبِرُنا عن جعفرِ بن فلاحٍ أَطْيَبَ الخَبَرِ
حتَّى التقينا فلا واللهِ ما سَـــمِعَتْ أذني بأحسنَ ممَّا قد رأى بَصَرِي[1]

بل رأينا بأبصارنا أحسنَ ممَّا قد سمعنا بآذاننا، والحمد لله.

مزايا ندوة العلماء:

ولندوة العلماء مزايا تميَّزت بها، منها:

١ ـ نفحات رُوحيَّة في ندوة العلماء لا توجد في غيرها:

رأينا هذه الدار، رأينا فيها نفحات لا توجد في ديارنا، وهذه النَّفحات سرٌّ من أســـرار الله تعالى، ولعلَّه أثر من آثار الإخلاص، إخلاص الَّذين أسَّســـوا هذه الدار وهذه الندوة، قال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [التوبة: ١٠٩].

ونحن نحســـب أنَّ هذه الدار، وهذه الندوة، قد أُسِّست من أوَّل يوم على تقوى من الله ورضوان، لهذا بـــارك الله فيها، ولذلك تجد فيها هذه النفحات الروحيَّة، الَّتي لا نُحِسُّ بها في غيرها.

أذكر أنِّي قلتُ لهم في كلمتي في المهرجان التعليمي: إنَّ في هذه الدار رُوحًا لا توجد فـــي غيرها، هذه الـــروح تظهر بهذه النيَّـــات الصَّادقة، بهذا الاحتساب عند الله، بالزهد في الدنيا، بركل الدنيا بالأقدام الَّذي نراه واضحًا،

(١) البيتان لأبي القاسم محمد بن هانئ الأندلسي. انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (٣٦١/١).

QaradawiBooks.com

عند مؤسِّسي هذه الدار، وتلاميذهم وخِرِّيجيهم الَّذين تخرَّجوا على أيديهم، وتربَّوا في حضانتهم، نرى هذه الرُّوح؛ رُوح الاحتساب والرغبة في الآخرة، والزهد في الدُّنْيا، تؤثِّر في الطلاب أكثر ممَّا يُؤثِّر الآخرون.

٢ ـ مُعَلِّمو هذه الدار أصحاب رسالة:

نحن في قَطَر ألَّفنا كُتبًا في مادة العلوم الشرعيَّة، وقد كانت كُتبا حيَّة، ألَّفها رجال نحسبهم من الصادقين، فضيلة الشيخ عبد المُعِزِّ عبد الستار، ود. أحمد العسَّال، ومنهم الفقير إليه تعالى. وكانت كُتبًا قويَّة، ولكن للأسف، لم تؤدِّ هذه الكتب ما كُتبت له، لم تُحقِّق هدفها، لم تُؤْتِ أُكلها، والسِّر أنَّها لم تجد المعلِّم الَّذي يحيي بها القلوب، ويحرِّك بها النفوس، بل وجدت من المعلِّمين مَن يُلقي على المادَّة الحيَّة من بروده وثلجيَّته ما يطفئ حرارتها ويفقدها هذه الحيويَّة، المعلِّم هو الَّذي يُميت المادَّة الحيَّة، ويطفئ المادَّة الحارَّة، لذلك كان المُعَلِّم أمرًا مهمًّا.

هذه الدار تتميَّز بهؤلاء المُعَلِّمين الَّذين يؤمنون برسالتهم، وفرق بين صاحب الوظيفة وصاحب الرسالة، الَّذي يعمل عمله من أجل الوظيفة، والنقود الَّتي يأخذها في آخر الشهر، فرق بين هذا وبين مَن يؤدِّي عمله على أنَّه رسالة يجب أنْ يؤدِّيها، وأمانة يجب أنْ يُبلِّغهَا، وعبادة لله يتقرَّب بها، وجهاد في سبيل الله، فما أعظم الفرق بينهما.

٣ ـ أبناء هذه الدار ربَّانيُّون:

وأمَّا خِرِّيجوها، فقد وضعت الدار نُصْب عينيها أنْ تُخرِّج الربَّانيِّين، والربَّاني هو مَن يجمع بين العلم والعمل والتعليم. كما قال السلف. وكما قال ربنا: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩].

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٤ ـ الجمع بين العلم والعمل والدعوة:

تحرص هذه الدار على الجمع بين العلم والعمل والدعوة:

أوَّلًا: العلم الصحيح:

فهذه الدار تعمل على أنْ تُعلِّم العلمَ الصحيح والعلم النافع، العلم الَّذي يهتمُّ بالغايات أكثر من الوسائل، وبالأصول أكثر من اهتمامه بالفضول.

فللعلم أقسامٌ:

ممَّا عرفناه عن هذه الدار حينما زرناها، تلك اللوحة الَّتي كتبها العلَّامة أبو الحسن وإخوانه، وكان ممَّا كتبوه في هذه اللوحة: أنَّ العلم لا ينقسم بين جديدٍ وقديم، ولا بين شرقيٍّ ولا غربي، وإنَّما ينقسم إلى: نافعٍ وضارٍّ، وصواب وخطأ، وأصول وفضول، وغايات ووسائل.

- **نافع وضارٌّ:**

وهذا تقسيم صحيح، هناك علمٌ ينفع وعلمٌ يضرُّ، فالعلم النافع هو الَّذي يهتمُّ باللباب قبل القشور، العلم الَّذي ينفع النَّاس في آخرتهم ودنياهم، وقال الله تعالى عن بعض النَّاس: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ [البقرة: ١٠٢]. هناك علوم ضارَّة، وهناك علوم نافعة، ولذلك اهتمَّت هذه الدار بالعلم النافع، بلِبَاب العلم لا بقشوره.

- **صواب وخطأ:**

واهتمَّت كذلك بالعلم الصواب، فللعلم صواب وخطأ، وينبغي أن نتحرَّى الصواب ونجتنب الخطأ، لا ندَّعي العصمة لعلم بشري، مهما كان، فكلُّ بشر يؤخذ من كلامه ويترك إلَّا المعصوم، ولهذا تبنَّت هذه الدار أن تتحرَّى الصواب، فإن لم تستطع الصواب فالأصوب في اجتهادها.

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

• **أصول وفضول:**

والعلم أصولٌ وفضول، فلنهتمَّ بالأصول قبل الفضول، وللإمام الشاطبي في الموافقات، كلام جيد عن العلم وأنواعه، فقال: هناك ما هو من صلب العلم، وهناك ما هو من مُلَح العلم، وهناك ما ليس من صلب العلم ولا من مُلَحِه. فالعالم الحق هو الَّذي يتحرَّى صلب العلم، ويهتمُّ بصلب العلم، ويجعل أكبر همِّه، ومبلغ جهده، في طلب صلب العلم، ولا مانع أنْ يُعرِّج على مُلَح العلم، يطيب القلوب، ويُحلِّي بها الأوقات، ويُسرِّي بها عن النفوس، لكن الأصل هو الصلب وليس المـُلَح، أمَّا الَّذي ينبغي أنْ يترك فهو ما ليس من مُلَح العلم ولا من صلبه[1].

وهذا موجود كثيرًا في الكتب، نجد ما لا يعتبر لا من مُلَح العلم ولا من صلبه، وعدمُه خيرٌ من وجوده يقينًا، ولا ينبغي لطالب العلم أنْ يشغل وقته وجهده في مثل هذا؛ لأنَّه سيكون على حساب غيره. ولذلك فهذه الدار تهتمُّ بالتعليم، والتعليم الأصيل، تعليم الأصول قبل الفضول، أو الصلب قبل المـُلَح.

• **غايات ووسائل:**

وينقسم العلم أيضًا إلى: غايات ووسائل، وواجبنا أن نُقدِّم الغايات قبل الوسائل، فلا مانع من اتخاذ الوسائل للغايات النافعة، فهناك علوم وسائليَّة، أو آليَّة، وإن كنَّا لا نقصدها لنفسها، ولكنَّها آلة لغيرها، كما قال علماؤنا. فالعلوم اللغويَّة هي علوم آليَّة، تُعتبر آلة لفهم القرآن والسُّنَّة.

---

(١) انظر: الموافقات للشاطبي (٧٧/١).

QaradawiBooks.com

فلا نهتم بالوسيلة إلَّا باعتبارها آلة لمقصد مهم، وعلى قدر عظمة المقصد يكون الاهتمام بالوسيلة، فما لا يتمُّ الواجب إلَّا به، فهو واجب، لكن لا ينبغي أنْ تَشْغلنا الوسائل عن المقاصد، فالمقاصد هي الَّتي ينبغي أنْ تُوجَّه إليها الهمم والعزائم.

ثانيًا: إقران العلم بالعمل:

تهتمُّ الدار بتكوين الربَّانيِّين، الَّذين يجمعون بين العلم والعمل والتعلُّم، إذا جمع الإنسان العلم، وحصَّله، وبذل فيه جهده، فواجب عليه أنْ يقرنه بالعمل، والعلم بحرٌ لا ساحل له، ولا قرار له، ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]. ومن الكلمات المأثورة: لا يزال المرء عالمًا ما طلب العلم، فإذا ظنَّ أنَّه عَلم فقد جهل. وقالوا: اطلب العلم من المَهْدِ إلى اللحد.

وكان السلفُ وعلماء الأُمَّة يطلبون العلم وهم على فراش الموت، يطلب أحدهم من تلميذه، أنْ يقرأ عليه شيئًا من الحديث، أو شيئًا من الفقه، أو مسألة من المسائل، فيأتيه الموت وهو يطلب العلم.

فبعد أنْ يطلب الإنسان العلم، يجب أنْ يقرنه بالعمل، وإنَّما يراد بالعلم عندنا نحن المسلمين العمل، فعلم بلا عملٍ كسَحَابٍ بلا مطر، أو شجر بلا ثمر. وكما قال الإمام الغزالي: العلم بدون عمل جنون، والعمل بدون علم لا يكون، وأنشد في ذلك بيتًا بالفارسيَّة ترجمه بالعربيَّة:

لَوْ كِلتَ ألفَيْ رَطْلِ خَمْرٍ لم تكُنْ لتصيرَ نَشْوَانًا إذا لم تَشْرَبِ[1]

(١) أيها الولد صـ٤.

QaradawiBooks.com

لا بدَّ أن تشرب حتَّى تنتشي، لا بدَّ أنْ تتذوَّق العلم بالعمل به، حتَّى يكون العلم نافعًا، وكما روى الحسن: «**العلم عِلْمان: فعلم في القلب، فذلك العلم النافع، وعلم على اللسان، فذلك حُجَّة الله على ابن آدم**»[١].

وكان عمر بن الخطَّاب يقول: اللهمَّ إنِّي أعوذ بك من المنافق العليم. قالوا: وكيف يكون منافقًا وعليمًا؟! قال: عليم اللسان جاهل القلب[٢]. علمه على لسانه.

والعلم النافع هو الَّذي يصدر من القلب فيُؤثِّر في القلوب، وليست النائحة كالثَّكْلى، وكان ﷺ يقول: «**اللهمَّ إنِّي أعوذ بك من علمٍ لا ينفع، ومن قلبٍ لا يخشع، ومن نفْسٍ لا تشبع، ومن دعوةٍ لا يُستجاب لها**»[٣].

والعلم النافع هو الَّذي يصحبه العمل، وخاصَّة إذا كان علمَ الدِّين، فما معنى أنْ تكون عالمًا بعلم الدِّين، ولا تعمل به؟ سيكون علمُك حُجَّة عليك يوم القيامة.

ولذلك ينبغي أنْ تجهد نفسك ليكون العلم حجَّة لك لا عليك، تقول: قال الله وقال رسوله، فلا بدَّ أنْ يكون قول الله ورسوله محركًا لك إلى استباق الخيرات، واغتنام الطاعات واجتناب المحرَّمات، لا بدَّ أنْ تكون صورةً لعلمك.

---

(١) رواه الدارمي في المقدمة (٣٧٦) موقوفًا. ورواه مرفوعًا ابن أبي شيبة في الزهد (٣٥٥٠٢)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (١١٥٠)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (١٣٩): رواه ابن عبد البر النمري في كتاب العلم عن الحسن مرسلًا بإسناد صحيح. وكذا العراقي في تخريج الإحياء صـ٧١.

(٢) سبق تخريجه صـ٨٠.

(٣) سبق تخريجه صـ٨١.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وممَّا ذكره الشيخ أبو الحسن من روائع إقبال: أنَّه قال عن التعليم العصري: إنَّ هذا التعليم قد يعلمك التشدُّق في الحديث، والتأنُّق في الزي، وغير ذلك، ولكنَّه لا يُعلِّم الأعينَ الدموعَ، ولا القلوبَ الخشوعَ[1].

فإذا كان علم الدِّين لا يُعلِّم عينك أنْ تدمع ولا قلبك أنْ يخشع، فما الفرق بينه وبين العلم الحديث المستورَد من أوربا، لهذا كان لا بدَّ لطالب العلم الربَّاني أنْ يجمع إلى علمه العمل.

ثالثًا: الدعوة زكاة العلم:

لا بدَّ أنْ يجمع إلى العلم الدعوةَ والتَّعليم، أنْ يعمل على تعليم غيره، ودعوة الغير إلى ما علم، فلا يحتكر هذا الخير لنفسه، لا يحتكر هذا النور، وهذه الهداية الربَّانيَّة لذاته، ويترك الآخرين محرومين منها، ليس هذا هو شان الإنسان المؤمن.

وصف الله الناجين من خُسْر الدنيا والآخرة، بأربعة أوصاف حينما قال: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣]. فكلمة ﴿وَتَوَاصَوْا۟﴾ تعني: التفاعل من الجانبين، أوصى غيره بالحق، وقَبِلَ الوصية من غيره بالحق.

ليس هناك إنسان أصغر من أنْ يُوصِي، ولا إنسان أكبر من أنْ يُوصَى، بعد أنْ تؤمن وتعمل الصَّالحات، ادعُ غيرك إلى الحقِّ، وجَنِّد النَّاس للحق.

الحقُّ طريقه طويل، وتكاليفه ثقيلة، وهو مُرٌّ لا يتجرَّعه إلا حُرّ، فلا بدَّ أنْ تصبر عليه، وأنْ توصي غيرك بالصبر عليه، وأن تقبل من غيرك الوصيَّة بالصبر، وهذا سر اقتران ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ مع ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾.

(١) روائع إقبال للشيخ أبي الحسن الندوي صـ٥٦.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وكما قال لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ [لقمان: ١٧].

فلا بدَّ لمن تعلَّم وعَلِم، أنْ يدفع زكاة علمه فقد ملك النِّصاب، ولا بدَّ أنْ يؤدِّي زكاته، فكل نعمة فيها زكاة، حتَّى نجد عوام المسلمين، يقولون لبعضهم: زكِّ عن عافيتك، زكِّ عن صحتك، عن أولادك. فكل نعمة ينبغي تزكيتها، والعلم نعمة عظيمة، فيجب على الإنسان أنْ يزكي هذه النعمة وهذه الثروة، وتزكيتها بتعليم الناس.

اهتمَّت ندوة العلماء بتعليم هؤلاء الربَّانيين، ووُفِّقَت والحمد لله، ومن توفيقها: أنَّ الله ﷻ هداها إلى هذا المنهج الوسط: الجمع بين القديم النافع، والجديد الصالح، الثبات على الأهداف والغايات، والتطور في الوسائل والآلات، الجمع بين الإيمان الراسخ، والعلم الواسع، بين الدين الثابت والعلم المتغيِّر، فلهذا جمعت بين الأصالة والمعاصرة، وعاشت عصرها، ولم تكتف بقراءة الكتب القديمة وحدها ـ مع أنَّ فيها خيرًا وبركة ـ ولكن هذه الكتب عندما أُلِّفت، لم تكن قديمة. بل كانت جديدة في عصرها.

وكما خدم العلماء أُمَّتهم وبيئتهم وعصرهم، بلسان قومهم، فعلينا أن نخدم عصرنا بلسان عصرنا، وبيئتنا بلسان بيئتنا.

٥ ـ الندوة ثابتة في الأصول مُتَغَيِّرة في الوسائل:

لقد طوَّرت النَّدوة الوسائل والآلات، تَثْبُت وتجمد أكثر من السلف، على الأصول، والكليَّات، والأهداف، ولكنَّها مرنة وليِّنة، كما قال إقبال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في صلابة الحديد، ونعومة الحرير.

QaradawiBooks.com

تصلب أحيانًا كما يصلب الحديد، وتلين أحيانًا كما يلين الحرير، أو كما نقول: كما يلين العجين.

٦ ـ الندوة تستخدم الكمبيوتر في العلوم الإسلاميَّة:

رأينا اليوم حجرة «الكمبيوتر»، وهذا تطوُّر ينبغي أن نرحِّب به، وننوِّه به، ونحتفي به، ينبغي على طالب دار العلوم في ندوة العلماء، أنْ يتعلم شيئًا عن هذه الآلة العجيبة الَّتي اخترعها غير المسلمين للأسف، ويطوِّرونه أجيالًا، كلما صنعوا جيلًا حسَّنوه وطوَّروه.

فأوَّل ما ظهر «الكمبيوتر» كان شيئًا كبيرًا يملأ حجرة، وكانت خدماته محدودة، وكان غاليًا، أمَّا الآن فقد صغُر حجمه، وقلَّ ثمنه، وكثُرت خدماته، وأصبح مستخدمًا في شتَّى الأمور، ومنها ما يستخدم في العلوم العربية والإسلامية، هناك أناس سعوا أنْ يحصروا اللغة العربية، في برنامج على «الكمبيوتر»، وآخرون حصروا الأحاديث وجميع كتب الحديث وكتب الفقه.

كتب أحد إخواننا، وهو زميل لي في كليَّة الشريعة، وقد زار الندوة هنا، هو أخي الدكتور عبد العظيم الديب، كتب بحثًا عنوانه: «الكمبيوتر» حافظُ عصرنا[1]. طلبة العلم كانوا يجلسون بين يدي شيوخهم، ويلقبون بعضهم بلقب «الحافظ» كالحافظ ابن حجر، والحافظ السيوطي، فصار حافظُ عصرنا هو «الكمبيوتر»، فينبغي أن نهتم بحافظ العصر هذا، لا يمكن أن نستغني عنه، وقد بدأت الآن شركات ومؤسَّسات تخزن على «الكمبيوتر» كتب الحديث، وأخونا د. محمد مصطفى الأعظمي يعمل

(١) نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

في هذا منذ نحو ثلاثين سنة ـ ومنذ سنوات أقمنا مؤتمرًا في قَطَر، بعنوان: نحو موسوعة شاملة للحديث النبوي ـ فقال: إنَّه جمع سبعة عشر كتابًا في السُّنَّة، في نحو ثلث (قرص الكمبيوتر)، وفيه أكثر من ثلاثمائة ألف حديث، وهذا من حوالي سبع سنوات أو أكثر، ولا زال يعمل.

وهناك شركات تعمل، هناك شركة خزَّنت صحيح البخاري، مثل شركة في البلاد العربيَّة تُسمَّى صخر[1].

وتستطيع من خلال «الكمبيوتر» أنْ تأتي بمروياَّت الصحابي الَّتي تريدها، كمرويات جابر بن عبد الله مثلًا، فيأتيك بها كلها. وتستطيع أنْ تطلب منه كلمة من الحديث، فيأتيك بكل الأحاديث الَّتي وردت فيها هذه الكلمة، وهكذا.

وقد سررتُ غاية السرور، حينما رأيتُ «الكمبيوتر» قد دخل إلى هذه الدار، فالدار تُطَوِّر نفسها، إنَّها تتصلب في المبادئ والغايات، ولكنها مرنة مُتَطَوِّرة في الفروع والآلات.

وممَّا أعجبني في اللوحة الَّتي قرأناها أيضًا في دار العلوم، أنَّها قالت: إنَّها تتبع الحكمة الَّتي تقول: الحكمة ضالَّة المؤمن فحيث وجدها فهو أحقُّ بها. فنحن لم نخترع «الكمبيوتر»، بل صنعه الغربيُّون، ولكن الحكمة ضالَّتُنا، فنحن ننتفع بما صنعه الغربيُّون.

فالعلم المادِّي وتطبيقاته الَّتي تسمَّى «التكنولوجيا»، لا دينَ لها ولا وطن، نأخذها من البَرِّ والفاجر، والمسلم والكافر، فهي وسيلة لها حكم مقصدها،

(١) وقد ظهر الآن بعض الموسوعات التي جمعت الكتب الستة، والكتب التسعة، وبعضها جمع الآلاف من كتب متون الحديث، وكتب التخريج، والأجزاء الحديثية، وكتب التاريخ، وغيرها كثير في أسطوانة واحدة.

QaradawiBooks.com

ما دمتَ تستعملها في مقصدٍ شرعي، وفي غايةٍ مشروعة، فحين ذلك، يكون استخدامُها عبادةً من العبادات، ويكون تعلمُها فرض كفاية على الأُمَّة.

بل أصبحوا الآن يقولون: يجب على كلِّ مُتَعَلِّم، أنْ يعرف قدرًا عن «الكمبيوتر»؛ لأنَّه أصبح آلة مستخدمة في شتَّى مجالات الحياة، فالصبي في المرحلة الابتدائيَّة لا بدَّ أنْ يتعلَّم الكمبيوتر، والآن في البلاد العربيَّة، أدخلوا تعليم «الكمبيوتر» في المدارس الابتدائيَّة، وهذا هو معنى المرونة والتطوُّر، الَّتي قامت عليها هذه الدار.

٧ ـ الندوة تتَّبع في أمور الدِّين، وتبتدع في أمور الدُّنْيا:

هذه الدار لا تبتدع في أمور الدِّين، فهي تتَّبع فيما يجب الاتِّباع فيه، فحين ننظر إلى التاريخ الإسلامي، باعتبار أنَّ القرون الأولى هي خير هذه القرون، وهي مصدر الإشعاع، وهي أقرب إلى الهداية النبويَّة، وكلُّ خير في اتباع هذه القرون، كما قال صاحب الجوهرة، الَّتي كُنَّا ندرسها في علم التوحيد:

فكُلُّ خير في اتِّباع من سَلَفْ وكلُّ شرٍّ في ابتداعِ من خَلَف[1]

فهذه القرون مصدر الإشعاع، نتبعها في أمور الدِّين، أمَّا في أمور الدنيا، فنحن نأخذها من أيِّ إنسان، وحسبنا قول النبيِّ ﷺ: «**أنتم أعلمُ بأمر دُنياكم**»[2].

حينما كان المسلمون على الهَدْي القويم، وعلى الصِّراط المستقيم، كانوا يتَّبعون في شؤون الدِّين، ويبتدعون في شؤون الدُّنْيا، ولمَّا انحرفوا ووهنوا، صاروا يبتدعون في أمور الدين، ويجمدون في أمور الدُّنْيا.

(١) شرح الصاوي على جوهرة التوحيد صـ٤٣٦.

(٢) رواه مسلم في الفضائل (٢٣٦٣)، عن أنس وعائشة.

QaradawiBooks.com

فنحن ينبغي أن نعود إلى المنهج الأقوم، أن نتَّبع في شؤون الدين، ونبتدع ونبتكر في شؤون الدنيا، الشؤون الفنيَّة، العلميَّة، التكنولوجيَّة، الإداريَّة، فهذه كلُّها قابلة للتطوير، ولذلك فأنا سعيد بكلِّ التطورات الَّتي تدخل على هذه الدار، ما بين الحين والحين.

وقد زرتُ هذه الدار، بعد المهرجان التعليمي، في زيارة استمرَّت نحو عشرة أيَّام، أو قريبًا من ذلك، بدعوة من سماحة الشيخ أبي الحسن ـ وإن لم أسعد برؤيته في تلك المرَّة، كما أكرمني الله وأسعدني بوجوده هذه المرَّة ـ فكان في تلك المرَّة غائبًا عن الديار، ولم نلتقِ إلَّا في «دلهي» في ذهابنا إلى «ديوبند».

وزرتها أيضًا على عجلٍ في عام (١٩٨٢م)، عندما قدِمتُ من مؤتمر في مدينة «أعظم كَرَا» عن الإسلام والمستشرقين، وأبَى الشيخ أبو الحسن إلَّا أنْ يكرمني ويُشرِّفني بأنْ أرأس هذا المؤتمر.

وعدت إلى هذه الدار لأقيم فيها يومًا ونصف يوم، ثم أكملنا رحلتنا في الهند، مع أخويَّ الكريمين: د. عبد العظيم الديب، ود. علي محمّد يوسف المحمدي، الَّذي هو الآن عميد كلية الشريعة من أبناء قطر.

وفي كل مرة كنت أرى تطورًا في هذه الدار، وهذا ما ينبغي، فالإنسان ينبغي أنْ يُطوِّر نفسه، قال أحد السلف: من كان يومه مثل أمسه فهو مغبون، ومن كان أمسه خيرًا من يومه فهو ملعون.

فينبغي أن نتطوَّر دائمًا، ونصل إلى الأمام، ونتقدَّم في كلِّ يوم، ونطمح إلى الرقيِّ وإلى السبْقِ، ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦]. ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾ [الحديد: ٢١]. ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾ [آل عمران: ١٣٣]. فالله يدعونا إلى المسارعة

QaradawiBooks.com

والمسابقة، وهذا هو شأن الإنسان المسلم، فهذه الدار تتطوَّر وتتغيَّر نحو الأفضل، وتسابق وتسارع إلى أفضل التطوُّرات، والحمد لله.

٨ ـ الندوة تُنصف المرأة وتعليم المرأة:

ومن تطوُّر هـذه الدار وعـدم جمودهـا، أنِّي كنـتُ ـ ونحن في إسطنبول في هذا الصيف ـ قد كتبتُ بحثًا صغيرًا، أرجو أنْ يُوَفِّقني الله لتفصيل ما أجملتُ فيـه، عن فقه الدعوة عند الشـيخ أبي الحسـن، وذكرتُ في هذا البحث عشرين نقطة، أو عشرين ركيزة يرتكز عليها فقه الدعوة عند الشيخ، وكنتُ ألحظ شـيئًا لم أبُح للشيخ به، واستحييتُ ـ حقيقةً ـ أنْ أكلِّمه فيه.

رأيت أنْ فقه الدعوة عند الشيخ ـ كما قرأناه بالعربيَّة ـ ينقصه شيء، هذا الشيء هو موضوع المرأة، وكنتُ أتساءل: لماذا لم يكتب الشيخ عن المرأة؟ لعلَّ الشيخَ متأثِّر بالمجتمع الهندي، الَّذي يأخذ من المرأة موقفًا متشـدِّدًا، ولا أدري سـبب تشـدُّد الإخوة الهنود في موضـوع المرأة، والمذهب الحنفي لم يأخذ من المرأة موقفًا مُتشـدِّدًا، فالإمام أبو حنيفة أجاز للمرأة أن تكون قاضية، في غير الجنايات، وقال: إنَّ المرأة المُرْتَدَّة لا تُقتل. والمذهب الحنفي لا يوجـب تغطية وجه المرأة، ولكن إخواننا الهنود مُتَشَدِّدون كما رأيتُهم في كثير من الأحكام، فقلت: لعلَّ هذا نَضْحٌ من البيئة الهنديَّة على الشيخ.

ولما جئتُ هنا، ذكرتُ لبعض الإخوة والأبناء هذا الأمر، فقلتُ لهم: لاحظتُ أنَّ الشيخ لم يكتب شيئًا عن المرأة ضمن كتاباته، فقالوا لي: لا، بل كتب ولكن باللغـة الأرديَّة! فقلتُ لهم: فالخطـأ عليكم إذنْ، وكان ينبغي أن تترجموا لنا هذه الكتب، حتَّى نفهم الشيخ فَهمًا كليًّا.

QaradawiBooks.com

وعرَفتُ من اهتمام الشيخ أنَّه قال في بعض ما قال: لا يمكن لهذه الأُمَّة أنْ ترقى إذا أهملنا تعليم المرأة، ولا يمكن للمجتمع الهندي المسلم أنْ يرقى، إذا ظلَّت المرأة الهنديَّة لا تقرأ ولا تكتب ولا تتعلَّم.

ومن أجل هذا دعا إلى مدارس المسلمات، وجامعة المؤمنات، وجامعة عائشة. وقد سررتُ واغتبطت بهذا جدًّا، والحمد لله، لأنِّي كنتُ أعتبر هذا قصورًا! كيف لم يهتمَّ الشيخ بهذا الأمر؟ فصحَّحتُ معلوماتي.

اقتراحات لا بدَّ منها:

على أنَّ لي عدَّة اقتراحات أرى أنَّها تساهم في تطوير الندوة، وهي:

١ ـ إقامة دار ندوة العلماء للنساء:

أدعو إلى أنْ تكون هناك دار ندوة العلماء للنساء، كما للرجال، فالمرأة نصفُ المجتمع، وهذا ما قلتُه وأكَّدته، فالمرأة نصف المجتمع من ناحية العدد، وأحيانًا تكون أكثر من النِّصف، ولكن تأثيرها أكثر من النصف؛ لأنَّها تؤثِّر في زوجها، وتؤثِّر في أولادها، وتؤثِّر في أبيها، وتؤثِّر في إخوتها، وتؤثِّر في المجتمع من حولها، فكلمةٌ من المرأة تؤثِّر في زوجها، أكثر من غيرها.

كما قالت المرأة من السلف الصالح لزوجها، وقد خرج للعمل: يا أبا فلان، إيَّاك والكسب الحرام، فإنا نصبر على الجوع والظمأ، ولا نصبر على حرِّ النار وغضب الجبَّار[1]. فكان الرجل إذا وسوست إليه نفسه، وأوشك أنْ تزلَّ قدمه في كسب الحرام، يذكر وصيَّة زوجته: إيَّاك وكسب الحرام. فالمرأة لها تأثيرها في زوجها وأولادها، ولذلك نريد أنْ تصل المرأة إلى جامعة، مثل جامعة الطُّلَّاب، ونُطْلِق المرأة تدعو المسلمات وغير المسلمات.

(١) إحياء علوم الدين (٥٨/٢).

QaradawiBooks.com

ولا شكَّ أنَّ النِّساء أقرب إلى الخرافة من الرجال، ويوجد الملايين في المجتمع الهندي من النساء يجهلن الإسلام، وهؤلاء خيرُ من يدعوهنَّ النساءُ، فلنترك هؤلاء النساء يقمن بالدعوة في المدن والقرى والأرياف، فهذا أمر مهمٌّ.

نحن نريد أن ننهض بهذا المجتمع الهندي، نريد أن نحمي هذا المجتمع من الإبادة الَّتي تُبيَّت له، فالوجود الإسلامي في الهند مهدَّد بالفناء، والقوم قد حدَّدوا الهدف، ورسموا الخطط، وقدَّروا المراحل، وهيَّؤوا الأسباب، وبدؤوا بالتنفيذ، وبدأت تظهر إشارات، وتظهر مقدِّمات، وتظهر نتائج لهذا المخطط. فلا بدَّ أن نقف على أرض صُلبة، ونحن نواجه هذا المُخَطَّط، وهذا الكيد العظيم، لا بدَّ أن نواجه الكيد بأقوى منه، وإنْ شاء الله كيد الله أقوى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ [الطارق: ١٥ ـ ١٧]، ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

ولكن لا بدَّ أن نتَّخذ الوسائل، ومن هذه الوسائل: أن نُعِدَّ المرأة المسلمة، ونخرجها من الأمِّيَّة، ونرتفع بمستواها، ونجعل منها العالمة والداعية. وليس بالضروري أن نأخذ بقول أبي حنيفة ونجعلها قاضية حتَّى لا يغضب أحد، ويكفينا أنْ تكون داعية تدعو إلى الله، وتحمل رسالة الإسلام، كما حملتها نساء الأُمَّة من قبل.

نحن نعلم أنَّ أول مَن أيَّد رسول الله ﷺ لم يكن رجلًا، وإنَّما كانت امرأة، هي خديجة بنت خُوَيْلد رضي الله عنها وأرضاها[1]. وكان أوَّلُ دم أُهَريق في الإسلام هو دم امرأة، دم سميَّة امرأة ياسر وأمِّ عمَّار رضي الله عنهم. فكان لزامًا علينا أن نهتمَّ بأمر المرأة.

(١) سبق تخريجه صـ٦٦.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٢ ـ إنشاء قسم للإنجليزيَّة لتكوين دعاة يتحدَّثون بها:

وهناك أمر آخر مهمٌّ، نبَّه عليه الشيخ النَّدْوي، وهو يتكلَّم عن القرآن الكريم، وبيَّن بأنَّ اللغة الإنجليزيَّة يجب أن نهتمَّ بها، كما نصح الشيخُ الطلَّاب وأبناء هذه الدار أنْ يقووا أنفسهم في اللغة العربيَّة، وأنْ يتضلَّعوا منها، حتَّى يستطيعوا أنْ يواجهوا العلمانيِّين، وخرِّيجي الجماعات المدنيَّة، وهم ذوو قدم راسخة.

وأنا أقول: ينبغي للدار أنْ تهيِّئ هذا، فلا يكفي أن نطلب من الأبناء، أنْ يُقووا أنفسهم فقط، بل لا بدَّ أن نُهَيِّئ الأسباب لهذا، نجعل قسمًا مثلًا للغة الإنجليزيَّة، لتكوين دعاة يتكلَّمون اللغة الإنجليزيَّة بطلاقة، ليكونوا دعاةً في هذه البلاد، أو نبعثهم إلى أوربا، وإلى أمريكا، وإلى أستراليا، وكندا، وغيرها. فهذا أيضًا ممَّا أنبِّه عليه.

٣ ـ زيادة جرعة العلوم العصريَّة:

وممَّا أنبِّه عليه كذلك لتزداد هذه الدار رسوخًا وجلالًا وجمالًا وكمالًا إن شاء الله بقدر المستطاع، فلا يستطيع أحد أنْ يبلغ الكمال كلَّه، أريد لهذه الدار أنْ تزيد الجرعة من العلوم العصريَّة.

نحن في الأزهر تعلَّمنا علوم العصر، وكان الأزهر قديمًا يُدَرِّس علوم الدِّين واللغة العربيَّة، ويدرسها بالمطوَّلات، والموسوعات، والحواشي، لا يكتفي بالشروح وإنَّما على الشروح حواشٍ، وعلى الحواشي تقريرات، ولكن لم يكن خرِّيجو الأزهر يعيشون الحياة، كانوا بمعزل عن عصرهم، ولهذا جاء الشيوخ من عهد الشيخ الإمام محمد عبده ودعَوا إلى تطوير الأزهر وإصلاحه، وإدخال العلوم العصريَّة فيه، وكان الإنجليز الَّذين يحكمون مصر في ذلك الوقت يتمنَّون أنْ يبقى الأزهر على قِدَمه، وعلى جموده، حتَّى إنَّ

QaradawiBooks.com

الدولة نفسها تركت الأزهر، وقالوا: دعُوه يمُتْ في جموده. وأنشؤوا كليَّة جديدة اسمها دار العلوم، أنشأها السيِّد علي مبارك، وتركوا الأزهر.

ولكن الرجال المُصْلحين من أمثال الشيخ محمد عبده، وتلميذه الشيخ محمد مصطفى المراغي، عملوا على تطوير الأزهر، وأدخلوا فيه هذه العلوم الحديثة، وقسَّموه إلى كليَّات، وقد كان الأزهري قديمًا يتخرَّج في كلِّ العلوم، عربيَّة ودينيَّة، حيث قسَّموا الأزهر إلى ثلاث كليات: كليَّة لأصول الدين، وكليَّة للشريعة، وكليَّة للغة العربيَّة. وأدخلوا العلوم الحديثة، في المراحل الابتدائيَّة والثانويَّة في الأزهر، وتخرَّج الجيل الَّذي قبلي على هذا الأساس، وتخرَّج جيلي على هذا الأساس، فدرسنا الفيزياء، والكيمياء، والبيولوجيا ـ أو علم الأحياء ـ وعلم النبات، وعلم الرياضيَّات، ودرسنا الجغرافيا والتاريخ، إلى آخره.

فالذي أراه أنَّ الجرعة الموجودة في هذه الدار، في مجموعها تحتاج إلى زيادة، حتَّى يعيش خِرِّيجو هذه الدار على المستوى المطلوب منهم، ولا يكونوا أقل مستوى من الآخرين، وليس الضروري الكم، إنَّما الضروري هو الحد الأدنى الَّذي يستطيع به الإنسان أنْ يعايش الحياة، وأنْ يعرف ما يقرأ من كُتُب حديثة.

٤ ـ إقامة معهدٍ عالٍ للتربية والتدريس:

ومن الأمور الَّتي أراها مهمَّة لهذه الدار، أنَّ فيها معهدًا عاليًا للدعوة والفكر الإسلامي، ومعهدًا عاليًا للقضاء والإفتاء، وأنا أرى أنَّه ممَّا يكمِّل هذا، أنْ يكون هناك معهدٌ عالٍ للتربية والتدريس.

وهذا ما يفعله الأزهر، فالأزهر كان فيه ثلاث تخصُّصات: تخصُّص للقضاء، ويدخل فيه خِرِّيجو كليَّة الشريعة، وتخصُّص للدعوة

QaradawiBooks.com

والإرشاد، يدخل فيه خِرِّيجو كلية أصول الدِّين، وتخصُّص للتربية والتدريس، يدخل فيه خِرِّيجو الكليات الثلاث، ممَّن يريدون أنْ يعملوا بمهنة التدريس، حتَّى يُطَوِّروا أساليبهم في التدريس، وفي هذا التَّخصص درسنا علم النفس التربوي، وعلم نفس النمو، وأصول التربية، والطرق العامَّة للتدريس، والطرق الخاصَّة للتدريس، والتربية العمليَّة، فلم نكتفِ بالدراسة النظريَّة، وإنَّما درسنا التربية العمليَّة، وكنَّا نذهب إلى المدارس ونُدَرِّس، تحت إشراف أساتذة كبار متخصِّصين في هذه الناحية، فيستطيع الإنسان بذلك، أنْ يصل إلى الدرجة المطلوبة في حسن التدريس.

٥ ـ استخدام طرق التربية الحديثة:

نحن في الغالب نكتفي بالتلقين، وهو الطريقة السائدة في المعاهد الدينيَّة، والجامعات الدينيَّة، يقرأ المدرس وعلى التلاميذ أنْ يسمعوا، ولكن الواجب أنْ نستخدم الطرق الحديثة في التدريس، وهي في الحقيقة ليست حديثة، فقد ذكرتُ في كتابي «الرسول والعلم»: أنَّ ما يخطئ النَّاس في تسميته بالتربية الحديثة، هو في أصله تربية محمديَّة نبويَّة أصيلة.

فالنبي ﷺ كان يُعلِّم أصحابه عن طريق الحوار والأسئلة، وإثارة الانتباه، والشوق، واتِّخاذ وسائل الإيضاح الممكنة، فبدلًا من أنْ يقول: أكبر الكبائر كذا، يقول: «**ألا أُنَبِّئكم بأكبر الكبائر؟**»[1] وهكذا.

من ذلك أنَّ النبي ﷺ سأل أصحابه يومًا: «**أيُّ الخَلْقِ أعجبُ إيمانًا؟**». قالوا: الملائكة. قال: «**الملائكةُ عند ربِّهم كيف لا يؤمنون؟**». قالوا:

(١) سبق تخريجه صـ٥٢١.

QaradawiBooks.com

النبيُّون. قال: «**النبيُّون يُوحى إليهم، فكيف لا يؤمنون؟**». قالوا: الصحابة. قال: «**الصحابةُ يكونون مع الأنبياء، فكيف لا يؤمنون! ولكن أعجب الناسِ إيمانًا قومٌ يجيئون من بعدكم، فيجدون كتابًا من الوحي، فيؤمنون به، ويتَّبعونه، فهم أعجبُ النَّاس** ـ أو الخَلْق ـ **إيمانًا**»[١].

ومثل ما قال: «**إنَّ من الشجر شجرةً لا يسقط ورقها، وإنَّها مَثَل المسلم، فحدِّثوني ما هي؟**». فوقع النَّاس في شجر البوادي، قال عبد الله: ووقع في نفسي أنَّها النخلة، فاستحييتُ. ثم قالوا: حدِّثْنا ما هي يا رسولَ الله؟ قال: فقال: «**هي النخلة**». قال: فذكرتُ ذلك لعمر، قال: لأنْ تكون قلتَ: هي النخلة، أحبُّ إليَّ من كذا وكذا[٢].

ونجده يستخدم الإشارة الحسيَّة، مثل: «**بُعِثْتُ أنا والساعة كهاتَيْن**» وأشار بالسبابة والوسطى[٣].

وقوله: «**أنا وكافلُ اليتيم، في الجنَّة كهاتَيْن**» وأشار بإصبعيه، يعني: السبابة والوسطى[٤].

وقوله: «**التَّقْوى هاهنا**» وأشار إلى صدره[٥].

وقوله لمعاذ بن جبل، وقد أخذ بلسان نفسه: «**كُفَّ عليك هذا**»[٦]. فهناك فرق بين أن تقول كُفَّ عنك لسانك، وأنْ تشير إلى لسانك وتقول:

---

(١) سبق تخريجه صـ٥٢١.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في العلم (٦١)، ومسلم في صفة القيامة (٢٨١١)، عن ابن عمر.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في الرقاق (٦٥٠٤)، ومسلم في الفتن (٢٩٥١)، عن أنس.

(٤) سبق تخريجه صـ٥٢٢.

(٥) سبق تخريجه صـ٢٥٣.

(٦) سبق تخريجه صـ٥٢٢.

QaradawiBooks.com

كفَّ عنك هذا؛ لأنَّه قد يَنسى لو قلت: كُفَّ عنك لسانك. أو التقوى في القلوب. ولكن الإشارة لا تُنسى.

وهكذا استخدم النبيُّ ﷺ في تعليمه الصحابة، وسائل تعينهم على الفَهم، فينبغي علينا أن نتَّخذ الوسائل للتعليم، ولا نتَّخذ وسيلة التلقين فقط، ينبغي أنْ نُشْرك طلابنا معنا، حتَّى يتلقوا العلم بأذهان مفتوحة، وصدور مشروحة، وقلوب مطمئنة.

فأنا أرجو أنْ يكون هذا من التَّطورات المقبلة في هذه الدار المباركة، الَّتي تتحسَّن يومًا بعد يوم، وتتوسَّع يومًا بعد يوم.

٦ ـ إقامة معهد لخريجي الكليات العصرية:

وأقترح أمرًا آخر مهمًّا، هو أنْ يُفتح معهد لعموم الناس، لخريج الجامعات العصرية، لمَن يريد أنْ يتعلَّم الدين في وقت فراغه، وقد وجدتُ الإخوة في «مراد أبَاد» فعلوا ذلك، ففتحوا معهدًا سمَّوه «المعهد الديني العربي» لخريجي الجامعات العصرية.

فنحن ندعم جامعاتنا بعلوم العصر، وندعم خريجي الجامعات العصرية بعلوم الدين، فنحن لا نستطيع أن نَدخُل هذه الجامعات، ولكننا نستطيع أن نُدخل الخريجين من أبناء المسلمين إلى معهدنا، ونعلِّمهم ما تيسَّر من علوم الدين، ونختار الأصول لا الفضول، والمهم لا غير المهم، هذا أيضًا ما أرجوه من هذه الدار.

إنِّي أعتقد أنَّ هذه الدار دار مباركة، وأنَّ هذه المؤسَّسة مؤسَّسة نافعة، وأنَّها تسير من حسن إلى أحسن، ومن أحسن إلى الأحسن، ومن الأحسن إلى الأكثر حسنًا إنْ شاء الله.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

وهذا ما نتمنَّاه لهذه الدار، ما دام على رأسها هذا الشيخ المبارك الشيخ النَّدْوي، الَّذي رزقه الله حبَّ النَّاس أجمعين، ومن أجل هذا يساعده المسلمون، داخل هذه الدار وخارجها، ومن أجل هذا امتدَّت هذه النَّدوة واتَّسعت.

٧ ـ تمديد مؤسسات الندوة إلى الهند والبلاد الإسلامية:

وأنا أريد من الشيخ وإخوانه، أنْ يمدوا مؤسَّسات الندوة إلى الهند كلِّها، ولا يكتفوا بالولاية الشمالية، وإنَّما ينبغي أنْ تكون هذه المدرسة بخصائصها، ومقوِّماتها في كلِّ الهند، بل أقول: ينبغي أن تمتدَّ إلى البلاد الإسلامية، فحبَّذا لو ذهب الشيخ إلى ماليزيا مثلًا، أو إندونيسيا، وأقنعهم بوجود فرع لندوة العلماء. فنحن نريد لهذه الدار أنْ تمتدَّ، وأنْ يُظِلَّ المسلمين بركتُها، ما استطعنا إلى ذلك سبيلًا، وأعتقد أنَّ الشيخ بما هيَّأ الله له من أسباب، وما فتح له من قلوب أعتقد أنَّه سيوفَّق في سعيه هذا.

يا أيها الإخوة: إنَّ ندوة العلماء جديرة، بأنْ يقال فيها أكثر من محاضرة، وهذه ليست محاضرة، بل هي خواطر عن هذه الندوة المباركة، ودار علومها، وكليَّاتها المختلفة، ومؤسَّساتها التابعة لها، وقد زرتُ عددًا منها والحمد لله، وكلها نافعة مباركة، كلها منتج مثمر، ﴿وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦ﴾ [الأعراف: ٥٨].

* * *

وختامًا، لا أملك في ختام كلماتي هذه، وأنا أستودعكم الله الَّذي لا تضيع ودائعه، إلا أنْ أدعو الله تبارك وتعالى، لهذه المؤسَّسة أنْ يبارك فيها، وفي مساعيها، ويحقِّق أهدافها، ويكرم المتخرجين فيها،

QaradawiBooks.com

في الدنيا والآخرة، وينفع بهم، ويجعلهم من العلماء الربَّانيِّين، العالمين العاملين المعلمين، الَّذين يتعلمون فيعملون، ويعملون فيخلصون، ويخلصون فيقبلون.

كما أسأله تعالى أنْ يبارك في حياة شيخنا الإمام العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني النَّدْوي، الَّذي أتقرَّب إلى الله بحبِّه، وأسأل الله أنْ يجعل حبِّي له شفيعًا لي يوم القيامة، وأنْ يحشرني معه في زمرة ﴿ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء: ٦٩].

والحمد لله رب العالمين.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

الفهارس العامة

- فهـــرس الآيات القرآنيـــة الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشـــريفة.
- فهرس الموضوعات.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية



فهرس الآيات القرآنية الكريمة



غير مصرح بطباعة

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الفاتحة		
﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	٢	١٨٣
﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾	٥	١٤٨، ٢٣٠
﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾	٦	١٨، ١٤٨، ١٨٨
﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾	٧	١٨
سورة البقرة		
﴿ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾	٤	٢٣٠
﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾	٢٢ ـ ٢٤	٢٥٨
﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾	٢٩	٥٧٨
﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾	٣٠	٢٤٨
﴿ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾	٣٢	٥٥٧
﴿ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾	٣٤	٢٨٥، ٢٨٧، ٤٣٢
﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	٣٥	٤٣١

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾	٣٦	٤٣١
﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾	٣٧	٢٨٧، ٤٣١
﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾	٤٣	٢٣٧
﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾	٤٤	١٦٣
﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾	٤٥	٤٩٧
﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةًۗ﴾	٧٤	٨٢
﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍۚ﴾	٨٥	٥٥٩
﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾	١٠٢	٥٩٣
﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآۗ﴾	١٠٦	٢١٦
﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾	١١١	١٥٩، ٥٤٨
﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾	١١٥	٤١٤
﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ﴾	١٢٩	٤٠٩، ٤٣٨، ٥٠٧، ٥٣١
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾	١٤٣	١٤، ٥١، ١٤٧، ١٨٨
﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا﴾	١٥١	٤٠٩، ٤٣٨، ٥٠٧، ٥٣١
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ﴾	١٦٥	٢٥٨
﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ﴾	١٧٧	٣٣٦
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾	١٨٣	٢٣٨، ٢٧٣
﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾	١٨٦	٢٣٩

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾	٢٠١	١٢٩
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾	٢٠٧	٤٠
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾	٢٠٨	٥٥٩
﴿قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾	٢١٥	٣٩٥
﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾	٢١٩	٣٣٤
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾	٢٢٢	٤٣١
﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾	٢٣٣	٤٤٥، ٤٦٧، ٥٠٢
﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾	٢٣٥	٢٦٥
﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾	٢٤٥	٣٤٩
﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾	٢٥٥	٢٥٨، ٣١٣
﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾	٢٥٦	٢١٩، ٢٢١
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾	٢٦٤	٢٥٤
﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾	٢٦٥	٤٧
﴿وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾	٢٦٧	٥٧٥
﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾	٢٦٩	٢٠
﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾	٢٨٦	١٦
سورة آل عمران		
﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾	٤	٢٦٤
﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾	٨	٢٢٧

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ ﴾	١٥	٢٦٧
﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾	١٩	٣٠
﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾	٢٨	٣٨٣
﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ ﴾	٣١	٢٥٩
﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾	٣٢	٢٥٩
﴿ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ﴾	٣٤	٤٨٥
﴿ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّى ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾	٣٥	٤٩٤
﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾	٣٦	٤٩٤
﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾	٦٤	١٨٤، ٢٣٠
﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ﴾	٧٩	١٥، ٤٠٤، ٤١٣، ٥٤٣، ٥٩٢
﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾	٩٢	٣٣٦
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم ﴾	١٠٠	٣٨١
﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ ﴾	١٠١	٣٨١
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾	١٠٢	١٧٦، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٨١
﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾	١٠٣	٣٧٦، ٣٨١
﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ ﴾	١٠٤	٦، ١٣، ١٤، ٤٣، ٨٨، ٣٤٨، ٣٨٢
﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ ﴾	١٠٥	٣٨٢
﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾	١٠٦	٣٨٢

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾	١١٠	١٤، ٥١، ١٤٧، ٣٨٢
﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ ﴾	١٣٣	٦٠٢
﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾	١٤٠	١١٤
﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ ﴾	١٥٩	٢٣، ٥٣، ١٠١، ٢٢٤، ٥١١
﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾	١٦٤	٤١٠، ٤٣٨، ٥٠٧، ٥٣١
﴿ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ ﴾	١٦٥	٣٠٩
﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾	١٨٢	٢٩٥
﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ ﴾	١٨٥	٣٠٢، ٣٦٦، ٥١١
﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ﴾	١٨٦	٣٢٩
﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾	١٩١	٢٢٤، ٢٤٠
﴿ رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ۚ ﴾	١٩٣	٢٤٠
﴿ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾	١٩٤	٢٤٠
سورة النساء		
﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾	١	٣٩٣
﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ﴾	١٨	٢٢١
﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾	٣١	٢٩٢
﴿ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ ﴾	٣٢	٢٣٩
﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ ﴾	٣٦	٣٩٤

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾	٤٨	٢٤٦
﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ ﴾	٦٣	٢٧
﴿ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ ﴾	٦٩	٦١٢
﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ ﴾	٧٦	٣٦٤
﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾	٨٠	٢٦٠
﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٍ أَن يَقۡتُلَ مُؤۡمِنًا إِلَّا خَطَـٔٗاۚ ﴾	٩٢	٣١٠
﴿ وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ ﴾	١٠٠	٢٥٢، ٣٦١
﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ ﴾	١١٥	١٨
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ ﴾	١٣٥	٥١٨
﴿ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ ﴾	١٤٢	٢٣٧
﴿ مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ ﴾	١٤٧	٢٦٤
﴿ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ ﴾	١٦٥	٥٢٨
﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴾	١٧٤	٤٦
سورة المائدة		
﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ ﴾	٢	٣٤٧
﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي ﴾	٣	٧١، ٥٦٠
﴿ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ ﴾	٦	١٦٢
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ ﴾	٨	٥١٨
﴿ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗ ﴾	١٣	٨٢

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾	١٥	٥٢٩
﴿قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ﴾	٢٧ ـ ٣٠	٢٥٣، ٢٩٠، ٣٦٠، ٥٨٧
﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾	٤٨	٣١٢، ٣٤٨
﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ﴾	٤٩	٥٥٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ﴾	٥٤	١٤٨، ٢٥٩
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾	٥٨	٧٢
﴿وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾	٦٠	٤٧٩
﴿بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾	٦٧	١٦
﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾	٧٣	٤٧٩
﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾	٧٧	٣٠
﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾	٨٢	١١٧، ١١٩، ٤٧٧
﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	٩٨	١٠٥، ٢٦٥
سورة الأنعام		
﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾	٥٥	١٨
﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾	٦٥	٢٠٠، ٢٩٨
﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾	٨٢	٢٦٧
﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾	٨٩	١١٢
﴿أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾	٩٣	١٠٤
﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾	٩٨	٧٣

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ ﴾	١١٢	٣٢٩
﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾	١١٦	١١٢
﴿ وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ﴾	١٢٠	٢٨٥
﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾	١٢٢	٣٠١
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ ﴾	١٤١	٥٧٥
﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾	١٥١	٢٨٥
﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾	١٥٢	٥١٨
﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ ﴾	١٥٣	١٨، ٥٢٠، ٥٣٢
﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾	١٦١	١٧، ١٩٨
﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	١٦٢	١٧، ٨٥، ١٩٨، ٣٥٤، ٥٦٩
﴿ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾	١٦٢	١٧، ٨٥، ١٩٨، ٣٥٤، ٥٦٩
سورة الأعراف		
﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾	١٢	٢٨٧، ٤٣٢
﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾	١٦	٢٨٨
﴿ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ ﴾	١٧	٢٨٨
﴿ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ﴾	١٨	٢٨٨، ٤٣٢
﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾	٢٣	١٤٤، ٢٨٧، ٤٣١
﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ﴾	٥٨	٤٨٥، ٥٢٨، ٦١١

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾	١٥٦	٢٦٥
﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ﴾	١٥٧	٥٨٦
﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾	١٥٨	١٨٣
﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾	١٥٩	١١٣
﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾	١٦٧	٤٧٧
﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾	١٧٥	٣٢٥، ٤٢٢
﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ﴾	١٧٦	٣٢٥، ٤٢٢
﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِۖ﴾	١٧٩	٧٢، ٢٠٠، ٢٨٢، ٢٨٣، ٤٢٢، ٤٢٣
﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾	١٨١	١١٣
سورة الأنفال		
﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ﴾	١٢	١٦٦، ٣٧٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾	٢٤	٣٠٢
﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةًۖ﴾	٢٥	٢٩٦
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾	٢٩	٢٦٧، ٣٠١
﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾	٣٠	٦٠٥
﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾	٣٨	٤٣٠
﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾	٣٩	٣٢١
﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾	٥١	٢٩٥

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾	٦٠	١٣٥
﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾	٦٢	١٦٦، ٢٠٦، ٢١٠، ٣٧٩، ٣٨٠
﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾	٦٣	١٦٦، ٢٠٦، ٢١٠، ٣٧٩، ٣٨٠
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾	٧٢	٤١٢
﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ﴾	٧٣	١٢٠، ١٧٩، ٢٠٩
﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ﴾	٧٤	٤١٢
سورة التوبة		
﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾	١ ـ ٣	٢٢٠
﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾	١٩	٢٢، ٥٧
﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾	٢٤	٢٦٠
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾	٢٨	٢٧٨
﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ﴾	٣٢	١٦٧، ١٩٨
﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾	٣٣	١٣٨، ١٦٧، ١٩٨
﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾	٤٠	٤١٦
﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾	٥٤	٢٣٧
﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ﴾	٩١	٣٦٣
﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾	٩٢	٣٦٣
﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾	٩٤	١٧٢

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾	١٠٠	٤١٢
﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾	١٠٣	٢٣٨، ٢٧٣
﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾	١٠٧ ـ ١٠٩	٣٧٠، ٥٩١
﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾	١١١	١٧١
﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾	١٢١	١٤١
﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ﴾	١٢٢	٤٣، ٤٤، ٧١ ٧٢، ٧٣، ١٧٦، ٢٠٠
﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾	١٢٨	٥٣، ٥١٢
سورة يونس		
﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾	١٥	٢١٦
﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ﴾	٢٢ ـ ٢٤	٢٦١
﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾	٣٢	٣٣٣
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾	٤٤	٢٩٥
﴿قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾	٩٠	٢٢٠
﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾	٩١	٢٢٠
﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾	٩٩	٢٢١
سورة هود		
﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾	١	١١
﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾	٧	٤٢٨
﴿بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾	٤٤	٣٠٨

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾	٥٠	١٥
﴿أَلَا بُعۡدٗا لِّعَادٖ قَوۡمِ هُودٖ﴾	٦٠	٣٠٨
﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا﴾	٦١	٢٤٩
﴿أَلَا بُعۡدٗا لِّثَمُودَ﴾	٦٨	٣٠٨
﴿أَلَا بُعۡدٗا لِّمَدۡيَنَ كَمَا بَعِدَتۡ ثَمُودُ﴾	٩٥	٣٠٨
﴿وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡۖ فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ﴾	١٠١	٣٠٨
﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ﴾	١٠٢	٣٠٨
﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾	١١٣	٤٧٩
سورة يوسف		
﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾	٨	٤٦٦، ٥١٧
﴿ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ﴾	٩	٤٦٦، ٥١٧
﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ﴾	٥٣	٤٢٤
﴿قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ﴾	٨٩ ـ ٩٢	٣٩٨
﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ﴾	١٠٨	٦، ١٢، ١٧، ٣٢، ٤٣، ٨٨، ١٣٦، ١٤٢، ١٥٩، ١٩٠، ٣٢٧
سورة الرعد		
﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾	٦	٢٦٥
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾	١١	٤٠٩
﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾	١٧	٢٧٥

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴾	٢١	٣٩٦
﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾	٢٨	٢٦٧، ٢٩٨
سورة إبراهيم		
﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾	١	١٥، ٥٨٦
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾	٤	٢٠، ٥٤، ٧٧، ٧٨، ١٣١، ١٥٩، ٥٨١
﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾	٣٢ ـ ٣٤	٢٥٦، ٤٢٠
﴿ وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾	٣٥	٤٦٣
﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ﴾	٣٩	٤٩٢
﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴾	٤٠	٤٦٢
﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴾	٤١	٤٦٢
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾	٤٧	٢٦٣
سورة الحجر		
﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾	٩	١٩٤
﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾	٢٨	٤٢٢
﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾	٢٩	٢٣٣، ٢٨٢، ٤٢٢
﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾	٤٧	٣٨٣
﴿ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾	٤٩، ٥٠	١٠٥، ٢٦٢، ٤٥٣

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾	٩٢	٥٥٦
﴿ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾	٩٣	٥٥٦
﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾	٩٩	٢٣٩
سورة النحل		
﴿ وَٱلْأَنْعَـٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَـٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾	٥ ـ ٧	٢٨٣
﴿ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم ﴾	٢٥	٢٨٩
﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ ﴾	٣٦	١٦، ٣١٥
﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾	٤٣	٥٥١
﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾	٥٣	٢٥٦، ٣٧٥
﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾	٥٨	٤٤٢، ٤٦١
﴿ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ ﴾	٥٩	٤٤٢، ٤٦١
﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾	٦١	٢٩٥
﴿ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّـٰرِبِينَ ﴾	٦٦	٣٥٤
﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾	٧٢	٤٤٠، ٤٩٢
﴿ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ ﴾	٧٦	٣٣٤
﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾	٧٨	٢٥٦
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾	٩٠	٣٩٤
﴿ مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾	٩٧	٢٩٨

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾	١٢٥	١١، ١٣، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٦، ٣٠، ٣٤، ٤٢، ٦٨، ٨٨، ١٥٦، ١٥٧، ١٩٠، ٣٢٧
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾	١٢٨	٢٤٤، ٤١٧
سورة الإسراء		
﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ﴾	٤	٤٧٨
﴿ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ﴾	٨	٤٧٨
﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ﴾	١٨	٢٤٩
﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾	١٩	٢٤٩
﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾	٢٦	٣٩٤
﴿ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾	٤٤	٥٣٧
﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾	٥٧	١٠٤، ٢٦٢
﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾	٨٥	٧٥، ٨٩، ٥٩٥
﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾	١٠٦	٢٤
سورة الكهف		
﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾	١٠	٢٢٧
﴿ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴾	٩٨	١٣٨
﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾	١١٠	٣٧٢

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة مريم		
﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾	٤ ـ ٦	٤٦٢، ٤٩٢
﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾	٧	٤٦٢، ٤٩٢
﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾	١٤	٤٦٢
سورة طه		
﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾	١٤	١٦
﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ۞ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ۞ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾	٢٥ ـ ٢٨	٥٥٧
﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۞ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾	٤٣ ـ ٤٦	١٦٣، ٤١٥
﴿كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ﴾	٥٤	٤٢١
﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾	٧٤ ـ ٧٦	٤٣٣
﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾	١١٤	٧٥، ٨٩، ٥٩٥
﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾	١١٥	٢٨٧
﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۞ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾	١٢١، ١٢٢	٢٨٧، ٤٣١، ٤٣٢
﴿ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾	١٢٣	٢٩٨
﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾	١٢٤	٢٩٨، ٣٠٠
سورة الأنبياء		
﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾	١٨	١٣٧
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾	٢٥	١٥، ٣١٥
﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾	٤٩	٢٢٤

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾	٧٣	٣٤٨
﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾	٨٣	٢٤٠
﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾	٨٧	٢٤٠
﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾	٩٠	٢٦٢، ٣٤٨
﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾	٩٢	٥١، ١٤٧
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾	١٠٧	١٤٣، ١٨٣، ٣٤٣
سورة الحج		
﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾	١٠	٢٩٥
﴿تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾	٣٢	٥٨٧
﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾	٣٧	٢٧٤
﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾	٤٠	٣٥٨
﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾	٤٦	٣٩٧
﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ﴾	٥٨	٣٥٨
﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾	٥٩	٣٥٨
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾	٦٢	٣٣٣
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ﴾	٧٧	٣١٤، ٣١٥، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٤٩
﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾	٧٨	٣١٤، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٣٢، ٣٣٣

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة المؤمنون		
﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۞ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾	١، ٢	٧٩، ٢٠٠، ٢٣٧، ٣٩١
﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾	٨	٤٤٤
﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۞ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾	٩ ـ ١١	٣٩١
﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾	١٤	٢٤
﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾	٦٠	٣٦٠
﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾	١١٥	٢٣١
﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾	١١٦	٢٣١
سورة النور		
﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ﴾	١٥	٢٩٣
﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾	٢٥	٣٣٣
﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾	٣١	٣٠٦، ٤٣٠، ٤٧٨
﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾	٥٥	١٣٨، ١٦٧
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾	٥٨	٤٧٠
سورة الفرقان		
﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾	١	١٤٣، ١٨٣
﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾	٢٧ ـ ٢٩	٣٨٩
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾	٣١	٣٢٩
﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ﴾	٣٢	٢٤

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com



الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾	٣٣	٢٤
﴿أَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾	٤٣	٢٨٢، ٤٢٣
﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَٰمِ ۖ﴾	٤٤	٢٨٢، ٤٢٣
﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾	٦٣	٧٩
﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾	٦٨ ـ ٧٠	٤٣٠
﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾	٧٤	٤٥٩، ٤٦٢، ٤٩٢
سورة الشعراء		
﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾	٦١	٤١٥
﴿كَلَّا ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾	٦٢	٤١٥، ٤١٦
﴿أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾	٦٣	٤١٦
﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ۞ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾	٧٨ ـ ٨٢	٢٥٨
﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۞ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾	٨٨، ٨٩	٢٨٦
﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۞ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾	١٠٠، ١٠١	٣٨٨
﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۞ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾	١٩٣ ـ ١٩٥	١٦
سورة النمل		
﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾	٦	٤١١
﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾	١٩	٤١٧
﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾	٦٤	٢٥
﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾	٨٨	٥٧٩

غير مرخصة للطباعة
نسخة إلكترونية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة القصص		
﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾	٤١	١١٢
سورة العنكبوت		
﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾	٢	٣٣٠
﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾	٣	٣٣٠
﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾	٥	٣٣٠
﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	٦	٣٣٠
﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾	٢٥	٣٨٨
﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾	٤٥	٢٣٧، ٢٣٨، ٢٧٣
﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾	٤٦	٢٨، ٣٠، ٦٩، ١٥٧، ١٥٨
سورة الروم		
﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ﴾	٤ ـ ٦	١٣٨، ٢١٠
﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾	٤١	٢٩٥، ٣٠٨
﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾	٤٧	١٦٧
سورة لقمان		
﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾	٤	٢٣٠
﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾	١٢	١٩
﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾	١٣	١٠١، ٢٧٢
﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ﴾	١٥	١٨

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ ﴾	١٧	٣٣٠، ٥٩٨
﴿ أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾	٢٠	٢٥٦، ٤٢٠
سورة السجدة		
﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾	٦ ـ ٩	٢٥٧
﴿ إِنَّا مِنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾	٢٢	٢٦٢
سورة الأحزاب		
﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ ﴾	٢١	٥٢٤
﴿ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ ﴾	٢٨	٥١٠
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴾	٤١	٢٣٩
﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴾	٤٢	٢٣٩
﴿ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَ ﴾	٥٩	٤٧٨
سورة سبأ		
﴿ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾	٢٤	٢٨
﴿ قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾	٢٥	٢٨
سورة فاطر		
﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾	١٠	٣٠٠
﴿ إِنۡ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٞ ﴾	٢٣	٤٤
﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾	٢٨	٨٠، ٣٢٦
﴿ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾	٣٩	٣٠٥
﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلٗا ﴾	٤٣	٥٣٨

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾	٤٥	٢٩٥
سورة الصافات		
﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۞ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾	١٠٠	٤٩٢
﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۞ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾	١٨٠ ـ ١٨٢	٣٠٧
سورة ص		
﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ﴾	٢٧	٩٨، ٢٣١
﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾	٢٨	٩٨، ٢٣١
﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾	٧٨	٢٨٨
﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾	٨٢	٢٨٨
سورة الزمر		
﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾	٩	١٠٤، ٢٦٢
﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۞ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾	١١ ـ ١٣	٥٨٧
﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ﴾	١٥	٣٠٢
﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ﴾	١٨	١٠٨
﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾	٢٩	٣٧٢
﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾	٣٠	٢٣، ٥١١
﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ﴾	٥٣	٣٠٦، ٤٣٠
سورة غافر		
﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِي ٱلطَّوْلِ﴾	٣	١٠٥، ٢٦٥

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾	٤١	١١٢
﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ﴾	٤٢	١١٢
﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾	٤٥	٤٥٢
﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾	٤٦	١٠٤، ٤٥٢
﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾	٦٠	٢٣٩
﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ﴾	٨٤	٢٢٠
﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ﴾	٨٥	٢٢٠
سورة فصلت		
﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾	٣٣	٦، ١٠، ٣٢، ٦٩، ٨٨، ١١٠، ١٩٣، ٣٢٧، ٥٦٤
سورة الشورى		
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾	١١	٢٥٨
﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ﴾	٢٠	٢٤٩
﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾	٣٠	٢٩٤، ٢٩٥
﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا﴾	٤٩	٤٤٣، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٩٣
﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾	٥٠	٤٤٣، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٩٣
﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾	٥٢	١٧، ٥٢٩
﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾	٥٣	١٧

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الزخرف		
﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾	٢٢	٣٢٤
﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾	٦٧	٣٨٨
سورة الجاثية		
﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾	١٣	٢٣٦، ٤٢٠، ٤٥٣
﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾	١٩	١٢٠
﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾	٢١	٩٨
سورة محمد		
﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾	١٢	٤١٩
﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ﴾	٢٢	٣٩٣، ٣٩٧
﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾	٢٣	٣٩٣، ٣٩٧
سورة الفتح		
﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾	٤	٢٩٨
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾	١٠	٢٦٠
﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ﴾	٢٩	٢٧٠، ٤١٢
سورة الحجرات		
﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ﴾	٧	٣٧٦
﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً﴾	٨	٣٧٦
﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾	١٠	١٤٧، ٣٨٤، ٣٩٧

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾	١٣	٥١، ١٤٧
﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ ﴾	١٧	٣٧٦
سورة ق		
﴿ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴾	٣٣	١٠٥، ٢٦٥، ٢٨٦
﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴾	٣٤	٢٨٦
سورة الذاريات		
﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾	٥٦	٢٣٣، ٢٣٦، ٢٤٩، ٢٨٣، ٣١٥، ٤٢٠، ٤٢٣
﴿ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴾	٥٧	٢٣٦، ٢٨٣، ٤٢٠
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾	٥٨	٢٣٦، ٢٨٣، ٤٢٠
سورة الطور		
﴿ وَٱلطُّورِ ۞ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۞ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴾	١ ـ ٥	٤٧
﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾	٣٢	٤٢٤
﴿ أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۞ أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾	٣٥، ٣٦	٩٨
سورة النجم		
﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۞ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾	١ ـ ٥	٤٧، ٤١١
﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾	٢٩	٢٥١
﴿ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ﴾	٣٠	٢٥١

غير مرخصة للطباعة
نسخة قطرية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾	٤٢	١٧، ٣٥٥، ٤١٩
﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴾	٤٥	٤٤٨
سورة القمر		
﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾	١	٤٧
﴿ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾	٢	٤٧
سورة الرحمن		
﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾	١ ـ ٤	٤٨
سورة الحديد		
﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾	٤	٤١٤
﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾	١١	١٧٢
﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴾	١٣	١٩٦، ٤٣٤
﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾	١٦	٨٢
﴿ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ﴾	٢٠	١٠٥، ٢٦٥
﴿ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾	٢١	٣٤٨، ٦٠٢
﴿ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ ﴾	٢٥	١٢٨
﴿ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ ﴾	٢٨	٢٦٧، ٣٠١
سورة المجادلة		
﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ﴾	١	٣١
﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ﴾	٧	٤١٤
﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾	١١	٤٠٤

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الحشر		
﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ﴾	٨	٣٥٧، ٣٨٧، ٤١٢
﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾	٩	٣٣٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٤١٢
﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾	١٠	٣٨٣، ٣٨٩
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾	١٣	٧٢، ٢٠٠
﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾	١٩	٣٠١، ٣٠٢
سورة الممتحنة		
﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾	٨	٢٤٤، ٣١١، ٣٤٢
سورة الصف		
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾	٤	١٥٠، ١٩٧، ٣٨٠
سورة الجمعة		
﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾	٢	٢٠، ٤١٠، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٢٩، ٥٣١
﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ﴾	٥	٣٢٥، ٥٢٥
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾	٩	١٢٧، ٢٥٠، ٢٧٨
﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾	١٠	١٢٧، ٢٥٠، ٢٧٨
سورة المنافقون		
﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾	٨	٣٠٠

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة التغابن		
﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾	١١	٢٦٧
سورة التحريم		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾	٦	٣٢٨، ٤٠٤، ٤٥٨، ٤٦٤، ٤٩٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾	٨	٤٣١
سورة الملك		
﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾	٢	٢٣١، ٣٦٩
﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾	١٣	٤١٥
سورة القلم		
﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾	٤	٥٢، ١٠١، ١٩٥، ٢٢٤، ٢٤٥، ٥٢٣
﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ۝ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾	٣٥، ٣٦	٩٨
سورة الحاقة		
﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۝ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾	٣٨، ٣٩	٢٣٢
سورة المعارج		
﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾	٤	٣٧٨
سورة نوح		
﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾	١ ـ ٣	١٥
﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا﴾	٢٥	١٠٤

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة المزمل		
﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾	٥	١٧٩، ٣٣٠
﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا﴾	٢٠	١٧٢
سورة القيامة		
﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۞ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾	١، ٢	٤٢٨
سورة الإنسان		
﴿لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾	١	٢٥٦
﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾	٨	٢٤٤، ٣٤٣، ٣٥٦، ٣٨٨
﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾	٩	٢٤٤، ٣٣٦، ٣٥٦، ٣٨٨
﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾	١٠	٢٤٤، ٣٣٦، ٣٥٦، ٣٨٨
﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾	١١	٣٨٨
﴿وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾	١٢	٣٨٨
﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۞ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾	٧، ٨	٥٧٨
سورة النازعات		
﴿هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ۞ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾	١٨، ١٩	١٦٣
﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ ۚ بَنَاهَا ۞ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا﴾	٢٧ ـ ٣٣	٤٢١
﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۞ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۞ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾	٣٧ ـ ٤١	٢٥١

غير مرخص للطباعة
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة التكوير		
﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۞ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾	٨، ٩	٤٤٣، ٥٤٦
سورة المطففين		
﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	٦	٣٧٨
﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾	٢٦	٦٠٢
سورة البروج		
﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۞ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۞ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾	٤ ـ ٧	٣٠٩
﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾	٨	٣٠٩
﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾	٩	٣٠٩
سورة الطارق		
﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۞ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۞ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾	١٥ ـ ١٧	٦٠٥
سورة الأعلى		
﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۞ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۞ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾	١ ـ ٥	٤٢١، ٥٧٨
﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۞ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾	٦، ٧	١٦
﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۞ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾	١٤، ١٥	٤٣٣
سورة الغاشية		
﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾	١٧	٥٧٩
سورة الفجر		
﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ۞ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾	١٧ ـ ٢٠	٣٣٧
﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۞ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾	٢٧ ـ ٣٠	٤٢٨

غير مرخص للطباعة
QaradawiBooks.com

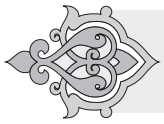
الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الشمس		
﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾	٧ ـ ١٠	٢٨١، ٤٠٩، ٤٣٣، ٥٣٠، ٥٧٨
سورة الضحى		
﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾	٩	٤٦٧
سورة التين		
﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۞ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾	٤ ـ ٦	٢٨٤، ٥٧٨
سورة العلق		
﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾	١	٣٢٤
سورة البينة		
﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾	٥	٢٥٢، ٣٥٧، ٥٨٧
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾	٧	٢٨٢
سورة الزلزلة		
﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾	٧	٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦
﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾	٨	٣٤٦
سورة العصر		
﴿وَٱلْعَصْرِ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾	١ ـ ٣	١٤٨، ٣٣١، ٤٦٩، ٥٩٧
سورة الماعون		
﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۞ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾	١، ٢	٤٦٧
﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۞ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾	٤، ٥	٣٩١

غير مرخصة للطباعة
نسخة إلكترونية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الكافرون		
﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾	١	١٥٨
﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾	٦	٣٠
سورة الإخلاص		
﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾	١ ـ ٤	٢٥٨
سورة الناس		
﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾	١ ـ ٣	١٨٣

❊ ❊ ❊

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com



فهرس الأحاديث النبوية الشريفة



غير مرخصة للطباعة

الحديث	رقم الصفحة
أ	
أبدعوى الجاهليَّة وأنا بين أظهركم؟ اللهَ اللهَ، دعوها فإنها مُنتنة	٣٨١
أتاني جبريلُ فقال: يا مُحَمَّد، إنَّ الله ﷻ لعن الخمرَ، وعاصرَها	٢١٨
أتحبه لأمك؟ قال: لا يا رسول الله. قال: كذلك الناس لا يحبونه لأُمهاتهم	٣٨٦
اتقوا الله في البهائم العجماوات، فاركبوها صالحة، وكلوها صالحة	٣٤٤
أحبُّ الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن، وأصدق الأسماء حارثٌ وهمَّام	٤٩٥
أحبُّوا الله لما يَغْذُوكم به من نعمةٍ، وأحبُّوني لحبِّ الله، وأحبُّوا أهل بيتي لحُبِّي	٢٥٦
أَحَيٌّ والداك؟ قال: نعم. قال: ففيهما فجاهدْ	٥٨
إذا أتاكم مَنْ ترضون دينه وخُلُقه فزوِّجوه؛ إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض	٤٨٨
إذا صَلَحَت صَلَح الجسدُ كلُّه، وإذا فسدت فَسَدَ الجسدُ كلُّه، ألا وهي القلب	٢٨٥
إذا مات الإنسانُ انقطع عنه عملُه إلَّا من ثلاثة: إلَّا من صدقةٍ جارية	٢٩٠، ٤٩٣
إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا: وما رياض الجنة؟ قال: حِلَق الذِّكر	٥٨٤
إذا مضى ثلث الليل الأول ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا	٣٠٦
اذهبْ وانظرْ إليها؛ فإنَّ في أعيُنِ الأنصار شيئًا	٤٩٠
اذهبي حتَّى تلدي. فلمَّا وَلدتْ وجاءت قال: اذهبي حتَّى تفطميه	٤٤٥

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
أرحنا بها يا بلال	٢٣٧، ٢٣٨
ازهَدْ في الدُّنْيا يُحِبَّكَ الله، وازهدْ فيما عند الناس يُحبَّكَ النَّاس	٢٤٨
أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين	١٨٣
أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلى الرجل على حَسَب دينه	٨٧، ٣٠٩
أفضل الصدقةِ على ذي الرَّحِم الكاشح	٣٩٥
أكُلَّ بنيكَ قد نحلتَ مثل ما نحلت النُّعْمان؟ قال: لا، قال: فأشهدْ على هذا غيري	٥٠٢
أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلقًا	٤٨٨
ألا أدلُّكم على ما يمحو اللهُ به الخطايا ويرفعُ به الدرجات؟. قالوا: بلى	٥٢٠
ألا أُنَبِّئكم بأكبر الكبائر؟ ثلاثًا. قالوا: بلى، يا رسول الله. قال: الإشراكُ بالله	٥٢١، ٦٠٨
ألا عسى أحدُكم أنْ يضرب امرأته ضرب الأَمَة، ألا خيرُكم خيرُكم لأهله	٥٥٢
اللهمَّ إنِّي أعوذُ بك من العجز والكسل، والجبنِ والبخلِ والهَرَم	٢٠٢
اللهمَّ إنِّي أعوذ بك من علمٍ لا ينفع، ومن قلبٍ لا يخشع	٨١، ٣٢٥، ٥٢٤، ٥٩٦
اللهمَّ ربَّنا لك الحمدُ أنت قَيِّمُ السماوات والأرض	٢٢٥
اللهمَّ لا تجعل الدُّنْيا أكبرَ هَمِّنا، ولا مبلغ علمنا	٢٥١
أمَّا هؤلاء فيذكرون الله ويدعونه ويسألونه، فإنْ شاء أعطاهم	٥٠٩
إماطةُ الأذى عن الطريقِ صدقةٌ	٣١٦
امرأة كانت تسمى عاصية سمَّاها جميلة	٤٩٥
أُمِرْتُ أن أقاتلَ الناسَ حتَّى يشهدوا أن لا إلٰه إلا الله، وأنَّ مُحَمَّدًا رسول الله	٢١٩
أوَأملكُ لك أن نزع الله الرحمة من قلبك؟ من لا يَرحم لا يُرحم	٥٠١
إنَّ ابني ارتحلني؛ فكرهتُ أن أُعجله	٤٩٦

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
إنَّ أبواب الخير لكثيرةٌ: التسبيح والتحميد، والتكبير والتهليل	٣٤١
إنَّ أحبَّكم إليَّ، وأقربَكم منِّي في الآخِرَة محاسنُكم أخلاقًا	٢٢٥
إنَّ أخوفَ ما أخاف على هذه الأُمَّة كلُّ منافقٍ عليمِ اللسان	٥٢٤
إنَّ الله تعالى وملائكته، وأهل السماوات وأهل الأرض	٥٣٧
إنَّ الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف	٥١١
إنَّ الله يحبُّ الرِّفْقَ في الأمر كُلِّه. فقالت: ألَمْ تسمع ما قالوا يا رسول الله؟	٢٣، ٥٣
إنَّ الله ﷻ يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تعدني	٣٤٨
إنَّ الله قال: من عادى لي وليًّا فقد آذَنْتُه بالحرب	٤٠٥
إنَّ الله لم يبعثني مُعنِّتًا ولا مُتعنِّتًا، ولكنْ بعثني مُعَلِّمًا مُيسِّرًا	٥١٠، ٥٢٨
إنَّ الله ليُملي للظالم حتى إذا أخذه لم يُفلتْه	٣٠٨
إنَّ اللهَ وملائكتَه، وأهلَ السماواتِ والأرضِ، حتَّى النملةَ في جُحرِها	٣٢٩، ٤٠٥
إنَّ الله يحبُّ الرِّفْق في الأمر كُلِّه	٢٣، ١٦٢، ٢٠٩
أنَّ امرأة بغيًّا رأت كلبًا في يوم حارٍّ يُطِيف ببئر، قد أَدْلَع لسانَه من العطش	٢٤٤
أنَّ امرأةً دخلت النَّار في هِرَّة حبستها، فلا هي أطعمتها	٣٤٣
إنَّ الأنبياء لم يُوَرِّثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنَّما ورَّثوا العلم	٥٣٣
إنَّ أوَّل الناس يُقضَى يوم القيامة عليه: رجل استُشهِد فأُتِي به فعرَّفه نعَمَه	٢٥٤، ٣٥٨
إنَّ بالمدينةِ أقوامًا، ما سرتم مسيرًا، ولا قطعتم واديًا إلَّا كانوا معكم	٣٦٢
أن تعبُدَ اللهَ كأنَّكَ تراه، فإن لم تكن تراه فإنَّه يراكَ	٢٦٩، ٤١٤
إنَّ الحلال بيِّن وإنَّ الحرام بيِّن، وبينهما مُشْتبَهات	٢٤٧
إنَّ دماءَكم، وأموالَكم وأعراضَكم حرامٌ عليكم	٢٧٦
إنَّ الرحم معلَّقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله	٣٩٤

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
إنَّ رحمتي سبقت غضبي	٢٦٤
إنَّ الرفقَ لا يكون في شيءٍ إلَّا زانه، ولا يُنْزَع من شيءٍ إلَّا شانه	٥٣
إنَّ العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله، لا يُلقي لها بالًا	٢٩٣
إنْ قامت الساعة وفي يد أحدكم فَسِيلة، فإن استطاع ألَّا تقوم حتَّى يغرِسَها فليغْرسْها	٢٥٠
إن كان يدًا بيدٍ فليس به بأس، وإن كان نسيئةً فلا يصلح	٢١٧
إنَّ لبدنك عليك حقًّا، وإنَّ لربِّك عليك حقًّا	٤٢٢
إنَّ المرء مع مَن أحبَّ	٢٦٠
إنَّ من الشجر شجرةً لا يسقط ورقها، وإنَّها مَثَل المسلم، فحدِّثوني ما هي؟	٦٠٩
إنَّ هذه الصلاة لا يصلح فيها شيءٌ من كلام الناس	٥١٣
إنَّ المؤمن يرى ذنوبه كأنَّه قاعد تحت جبل يخاف أنْ يقع عليه	٢٤٧، ٢٩٣
أنا الرحمن، خلقتُ الرَّحِم، وشققت لها اسمًا من اسمي	٣٩٤
أنا وكافل اليتيم في الجنَّة كهاتين	٥٢٢، ٦٠٩
أنتم أعلمُ بأمر دُنياكم	٦٠١
أنتم الَّذين قُلْتُم كذا وكذا؟ أَمَا والله إنِّي لأخشاكم لله وأتقاكم له	٥١٥
انصرفا، نَفِي لهم بعهدهم، ونستعين الله عليهم	٢٧٧
إنَّكَ تأتي قومًا من أهل الكتاب ـ يعني ليسوا وثنيِّين ـ	٦٧
إنَّكَ ستأتي قومًا أهلَ كتاب، فإذا جئتهم، فادعهم إلى أن يشهدوا أنْ لا إلٰه إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله	١٣١
إنَّكَ لستَ ممَّن يفعله خُيَلاء	٣٥١
إنَّكم تُدعَوْن يومَ القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحْسِنُوا أسماءَكم	٤٤٢
إنَّما الأعمال بالنيَّات، وإنَّما لكلِّ امرئ ما نوى	٢٥٢، ٣٥٧، ٣٦١، ٣٦٩، ٤١٧

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
إنَّما أنا لكم بمنزلة الوالد لولده	٥١٢
إنَّما بُعِثْتُ لأتمِّمَ صالحَ الأخلاق	٢٢٥
إنَّما بُعِثت لأُتمِّمَ مكارمَ الأخلاق	٥٢، ١٠١، ١٩٥، ٢٤٥
إنَّما بُعِثتُم مُيسِّرين ولم تُبعثوا مُعسِّرين	١١
إنَّما يأكلُ الذئبُ من الغنمِ القاصيةَ	٣١٠
إنِّي أعلم أنك حجر، لا تضرُّ ولا تنفع، ولولا أنِّي رأيتُ رسول الله ﷺ	٥٣١
أَهوَ هوَ؟ قالوا: نعم. قال: صدقَ اللهَ فصدقَهُ. ثمَّ كفَّنه النبيُّ في جبَّته	٣٢١
أوَأملكُ لك أن نزع الله من قلبك الرحمة	٤٥٦
أوَلَيْس قد جعل الله لكم ما تَصَدَّقون؟ إنَّ بكلِّ تسبيحةٍ صدقة	٢٤٣
أيُّ الخلْق أعجب إيمانًا؟. قالوا: الملائكة. قال: الملائكة كيف لا يؤمنون؟	٥٢١، ٦٠٨
أيُّ يومٍ هذا؟ فسكت الصحابة حتَّى ظنوا أنَّه سيسميه بغير اسمه	٥٢١
إياكم ومحدثات الأمور فإنَّ كل بدعة ضلالة	٤٢٩
إيَّاكم ومحقَّراتِ الذنوب، فإنَّهن يجتمعن على الرجل حتَّى يهلكنه	٢٤٦
الإيمانُ بالله. قلت: يا نبيَّ الله، مع الإيمان عمل؟	٣٣٨
الإيمان بضعٌ وسبعون شعبةً، أعلاها: لا إلٰه إلا الله، وأدناها	٢٢، ٥٧، ٢٧٢
ب	
بارَك اللهُ لك، وبارَك عليك، وجمع بينكما في خير	٤٤٣
باسم الله، اللهمَّ جَنِّبْنا الشيطان، وجَنِّب الشيطان ما رزقتنا	٢٤٢
بُعِثْتُ أنا والساعة كهاتَيْن	٦٠٩
البيِّنة على من ادَّعى، واليمين على من أنكر	٨٤

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ت	
تَبَسُّمُكَ في وجهِ أخيكَ صدقةٌ	٣٤٥
تخيَّروا لنطفكم، وانكحوا الأكْفاء، وأنكحوا إليهم	٤٤٠، ٤٦٦، ٤٨٥، ٤٨٦
تُطعمُ الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف	٥١٩
تَعِسَ عبدُ الدِّينار، وعبدُ الدرهم، وعبدُ الخَمِيصة، إنْ أُعْطِيَ رَضِيَ	٢٧٨، ٣٦٧
تُفتح أبوابُ الجنَّة يوم الاثنين ويومَ الخميس، فيُغْفَرُ لكلِّ عبدٍ لا يشرك بالله	٤٠٠
التَّقوى هاهنا	٣٦٠، ٥٢٢، ٥٨٧، ٦٠٩
تَناصحوا في العلم؛ فإنَّ خيانةَ أحدِكم في علمه أشدُّ من خيانته في ماله	٥١٦
تُنكح المرأة لأربع: لحَسَبها، ولمالها، ولجمالها، ولدينها؛ فاظفرْ بذات الدين	٤٨٦
ث	
ثلاث مَن كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أنْ يكون اللهُ ورسولُه أحبَّ إليه	٢٦٧
ثلاث مهلكات: شُحٌّ مطاع، وهوًى متبع، وإعجاب المرء بنفسه	٤٣٣
ج	
جعل ممن يؤجرون يوم القيامة رجلًا آتاه الله مالًا، فهو يتَّقي فيه ربه	٣٣٩
جمع النبي ﷺ بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء	٥٥٣
ح	
الحمد لله، سلمت لنا الدار في يسر	٤٩٥
خ	
خمس صلوات في اليومِ والليلةِ. فقال: هل عليَّ غيرها؟ قال: لا	١٣٤
خير أُمَّتي القرن الَّذين يلوني، ثم الَّذين يلونهم، ثم الَّذين يلونهم	٤١١

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي	٤٨٨
خيرُكم من تعلَّم القرآن وعلَّمه	٥٤٣
خير النساء من تَسُرُّ إذا نُظِرَتْ، وتُطيع إذا أُمِرت	٤٨٧
د	
الدَّالُّ على الخير كفاعله	٣١٦
دبَّ إليكم داءُ الأمم من قبلكم: الحسد والبغضاء، والبغضاء هي الحالِقة	٢٨٦، ٣٨٣
دخلت امرأةٌ النار في هرَّة ربطتها، فلم تُطعمها ولم تَدَعْها تأكل من خشاش الأرض	٢٤٤
الدنيا متاعٌ، وخيرُ متاع الدنيا المرأةُ الصالحةُ	٤٤٠، ٤٨٧
ر	
الراحمون يرحمهم الرحمنُ، ارحموا مَنْ في الأرض يرحمكم من في السماء	٤٥٦
رُبَّ صائمٍ حظُّه من صيامه الجوع والعطش، وربَّ قائمٍ حظُّه من قيامه السهر	٢٣٨، ٢٧٤
رجل اسمه حزن سماه سهل	٤٩٥
ز	
زادك الله حرصًا، ولا تعُد	١٦٢، ٢٠٨، ٢٠٩
س	
سأل النبي ﷺ سائل عن القُبلة للصائم فرخَّص له، وسأله آخر فنهاه	٧٥
سبحانَ الله، والحمدُ لله، ولا إلٰه إلا الله، والله أكبر	٢٣٩
سبعة يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله، من هؤلاء السبعة	٣٧٨
سلمان منا أهل البيت	١٩٧
سُهَيْل بن عمرو، سهَّل الله لكم	٤٩٥
السواك مَطْهَرَةٌ للفم مَرْضَاةٌ للربِّ	٥٤٩

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ص	
الصَّدقةُ على المسكينِ صدقةٌ، والصدقةُ على ذي الرَّحم اثنتانِ: صَدَقَةٌ، وَصِلَةٌ	٣٩٥
الصلاةُ لوقتها، ثم برُّ الوالدَيْن	٥١٩
الصلواتُ الخمس، والجمعةُ إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان	٢٩٢
صلُّوا كما رأيتموني أُصَلِّي	١٦١، ٥٧١
ع	
العِلْمُ عِلْمان: علم في القلب، فذاك العلم النافع	٨٠، ٢٠٢، ٣٢٥، ٥٢٣، ٥٩٦
علَّمكم نبيُّكم كل شيء	٢٠٥
على كل مسلم صدقة، ظنَّ الصحابي أنَّ الصدقة صدقة مالية	٣٣٨
عليكَ بذاتِ الدِّين والخُلُق تربت يداك	٤٨٧
العَينان تزنيان وزناهما النظر، واليدان تزنيان وزناهما اللمس	٢٩
ف	
فإنَّه أغضُّ للبصر، وأحصن للفرج	٤٩١
فخلهم	١٠٦
فمن اتَّقى الشبهات فقد استبرأ لدِينِه وعِرْضِه	٣٠٥
في كلِّ كبد رطبة ـ أي فيها حياة ـ أجر	٣٤٣
في كلِّ يومٍ يصبح فيه العباد، ينادي مَلَكان فيقول أحدهما	٣٤٦
فيما سقت السماء العُشر	٥٧٥
في المال حقًّا سوى الزكاة	٣٣٦

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ق	
قال رجلٌ: لأتصدقنَّ بصدقةٍ. فخرج بصدقته، فوضعها في يدِ سارقٍ	٢٥٣، ٣٦٣
قَسمتُه لكَ. قالَ: ما علَى هذا اتَّبعتُكَ، ولكنِّي اتَّبعتُكَ على أن أُرمَى	٣٢٠
ك	
كان خُلُقه القرآن	٧٩، ٢٠٣
كان ﷺ إذا لقي الصبيان يسلِّم عليهم	٤٥٧
كُفَّ عليك هذا	٥٢٢، ٦٠٩
كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون	٤٢٩
كُلُّ ذلك لم يكن، ولكنَّ ابني ارتحلني، فكرهت أنْ أُعْجِلَه حتَّى يقضي حاجته	٤٥٧
كل سُلامى من الناس عليه صدقة	٣٤٠
كلٌّ على خير، أمَّا الَّذين يذكرون الله تعالى ويسألون ربَّهم فإن شاء أعطاهم	٥٢٨
كلُّ المسلم على المسلم حرامٌ: دمُه ومالُه وعرضُه	٢٧٦
كلّ يومٍ تطلعُ فيه الشمس: تعدلُ بين الاثنين صدقة	٣٤٠
كلكم راع فمسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع	٤٠٥، ٤٤٤، ٤٦٣
كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن	٢٣٩
ل	
لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا	٥٢٢
لا تَحْقِرَنَّ من المعروف شيئًا، ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المُسْتَسْقي	٣٤٥
لا تحقرنَّ من المعروف شيئًا، ولو أن تلقى أخاك بوجه طَلْق	٣٤٥

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
لا تحلُّ الصدقةُ لغَنِيٍّ، ولا لذي مِرَّةٍ سَوِيٍّ	١٢٧
لا تردُّوا السائل، ولو ظِلْفًا مُحَرَّقًا، يا نساءَ المسلمات	٣٤٥
لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه	٤٢٥
لا تغضب. فردَّد مرارًا، قال: لا تغضبْ	٢٨٦، ٥١٩
لأنْ يُهْدَى بك رجل واحد خير لك من حُمْر النَّعم	٧
لا يا بنت أبي بكر ـ أوْ لا يا بنت الصِّدِّيق ـ ولكنَّه الرجلُ يصومُ ويُصَلِّي	٣٦٠
لا يبلغ العبد أنْ يكون من المتَّقين، حتَّى يَدَع ما لا بأس به حذرًا ممَّا به بأس	٢٤٨، ٣٠٥
لا يحلُّ لمسلمٍ أنْ يهجر أخاه فوق ثلاث، فيُعْرِضُ هذا ويُعْرِضُ هذا	٤٠٠
لا يدخل الجَنَّةَ من كان في قلبه مثقالُ ذرَّةٍ من كِبْر	٢٨٦، ٢٨٧، ٣٥١
لا يشكر الله من لا يشكر الناس	٣٧٦
لا يؤمن أحدكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه	٣٨٤
لتفتحنَّ القسطنطينيَّة، فلَنِعْم الأميرُ أميرها، ولَنِعْم الجيشُ ذلك الجيشُ	١٦٨
لعن رسول الله ﷺ النائحةَ والمُسْتَمِعَةَ	٢١٨
لَقِّنوا موتاكم لا إلٰه إلَّا الله	٤٤١
لولا القِصَاص يومَ القيامة، لأوجعتُكِ بهذا السواك	٥٠٠، ٥٥٢
ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر	١٣٨
ليس بمؤمنٍ من بات شَبْعَانَ وجارُه إلى جنبه جائعٌ وهو يعلم	٣٩٧
ليس من نَفْسِ ابنِ آدم إلَّا عليها صدقةٌ في كلِّ يومٍ طلعت فيه الشمسُ	٣٤٠
ليس من نفسٍ تُقتل ظلمًا، إلَّا كان على ابن آدم الأول كِفْلٌ منها	٢٩٠
ليس الواصلُ بالمكافئ، ولكنَّ الواصلَ الَّذي إذا قُطعت رَحِمُه وصلها	٣٩٦
ليُمسِكْ عن الشرِّ؛ فإنَّه له صدقة	٣١٦

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
م	
ما أردتِ أنْ تُعْطِيه؟ قالت: أردتُ أنْ أُعْطِيَه تمرة	٤٦٩
ما دخل الرِّفْقُ في شيءٍ إلَّا زَانَه، ولا نُزِعَ من شيءٍ إلَّا شانَه	٢٣، ١٦٢، ٢٠٩، ٥١١
ما زال جبريل يوصيني بالجار حتَّى ظننتُ أنَّه سيورثه	٣٤٢
ما سقت السماء	٥٧٥
ما شأنه؟	٤٥٧
ما منكم من أحدٍ إلَّا وسيُكَلِّمه اللهُ يومَ القيامة، ليس بين الله وبينه تَرْجُمان	٣٤٥
ما من مسلم يغرس غرسًا فيأكل منه طيرٌ أو إنسانٌ أو بهيمةٌ إلَّا كان له به صدقة	٥٤٥
ما نَحَلَ والدٌ ولدَه نُحْلًا أفضلَ من أدبٍ حسنٍ	٤٥٨
مدينة هِرقل تُفتح أولًا	١٣٨، ١٦٧
مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر	٤٣٩، ٤٧٠، ٤٩٧، ٥٠٠، ٥٥١
المسلمُ من سلمَ النَّاسُ من لسانِهِ ويدِهِ	٣٢٦، ٣٣٥
من أتى فراشَه وهو ينوي أنْ يقوم يُصَلِّي من الليل فغلبته عيناه	٣٦١
من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو ردٌّ	٣٦٩، ٤٢٩
من جرَّ إزاره، لا يريد بذلك إلَّا المَخيلة، فإنَّ الله ﷻ لا ينظرُ إليه يوم القيامة	٣٥١
من دعا إلى هدًى، كان له من الأجر مثل أجورِ من تَبِعَه	٧
من دلَّ على خيرٍ فله مثلُ أجرِ فاعلِه	٣٤٧
من رأى منكم منكرًا فلْيُغَيِّره بيده، فإنْ لم يستطعْ فبلسانِه	٤٧٩
مَنْ سأل الله الشَّهادة بصدق بلَّغه الله منازلَ الشهداء، وإنْ مات على فراشه	٣٦٢
مَنْ سرَّه أنْ يُبسط له في رزقه، وأنْ يُنسأ له في أثره	٣٩٤

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
من سرَّه أن ينظر إلى رجلٍ من أهل الجنَّة، فلْيَنْظُرْ إلى هذا	١٣٤
من سَنَّ سنَّة حسنة؛ فله أجرُها وأجرُ من عمل بها إلى يوم القيامة	٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١
من عمل عملًا ليس عليه أمرُنا فهو ردٌّ	٣٦٩، ٤٢٩
مَنْ قاتل لتكونَ كلمةُ اللهِ هي العُلْيَا فهو في سبيل الله	٣٢٠، ٣٥٦، ٣٥٧
من قام ليلةَ القدر إيمانًا واحتسابًا، غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه	٤٣٧
من قطع شجرةَ سِدْرٍ صوَّب الله رأسه في النَّار	٥٤٦
من كان يؤمنُ بالله واليومِ الآخِرِ فلا يُؤْذِ جارَه	٢٧٢
من كان يؤمنُ بالله واليوم الآخر فليُحْسِن إلى جاره	٢٧٣
مَن لا يَرْحم لا يُرحم	٤٥٦
مَن لم يَدَعْ قولَ الزُّور والعملَ به والجهلَ، فليس للهِ حاجةٌ أن يَدَعَ طعامَه وشرابَه	٢٣٧، ٢٧٤
من لم يصبح ناصحًا لله ولرسوله ولأئمَّة المسلمين وعامَّتهم، فليس منهم	٨١
من يرد الله به خيرًا يُفَقِّهْه في الدِّين	١٩، ٧٣، ٢٠٠
مهْ مهْ ـ أي دعوه ـ لا تقطعوا عليه بولته، وصبُّوا على بوله ذنوبًا من ماء	٥١٤
مهلًا يا عائشة، إنَّ الله يحب الرفق في الأمر كلِّه. فقلت: يا رسول الله	٥١١
المؤمنُ للمؤمنِ كالبنيانِ يشدُّ بعضُه بعضًا	٣٣٧
هـ	
هذا صراط الله، ثم خطَّ عن يمينه وعن شماله خطوطًا مُتَعَرِّجة ملتوية، وقال: هذه سُبلٌ، على رأس كلٍّ منها شيطانٌ يدعو إليه	١٨، ٥٢٠، ٥٣٢
هل نظرتَ إليها؟ قال: لا. قال: اذهبْ فانظرْ إليها؛ فإنَّه أحرى أن يُؤدَم بينكما	٤٩٠
هم دُعاة على أبواب جهنَّم، من أجابهم إليها قذفوه فيها	١١١

غير مرخصة للطباعة
نسخة علمية
QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
هم سواءٌ	٢١٨
هما ريحانتاي من الدُّنْيا	١٣٣
و	
واضربوهم عليها وهم أبناءُ عشر	٥٠٠
والراحمون يَرْحَمُهم الرحمنُ، ارحموا مَنْ في الأرض يَرْحَمكم مَنْ في السماء	٣١٧
والله ما يخزيك الله أبدًا	٦٦، ٦٠٥
وإنَّكَ مهما أنفقت من نفقةٍ، فإنَّها صدقة، حتَّى اللقمةُ الَّتي ترفعها إلى في امرأتِكَ	٣٧١
وجُعِلَ قُرَّةُ عَيْني في الصلاة	٢٣٧
ورُبَّ قتيلٍ بين الصفَّيْنِ اللهُ أعلمُ بنيَّته	٣٦٢
ورجلٌ تصدَّق بصدقةٍ فأخفاها حتَّى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه	٣٦٤
وفي بُضْعِ أحْدِكم صدقة. قالوا: يا رسول الله	٣٧١
ولا يزالُ عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتَّى أُحِبَّه	٢٣٦
ولن يضرب خياركم	٥٥٢
وليقذفنَّ في قلوبكم الوَهْنَ. قالوا: وما الوهن، يا رسول الله؟	٢٧٠
وماذا أعددتَ لها؟. قال: لا شيء، إلَّا أنِّي أحبُّ الله ورسوله	٢٦٠
ومن قام رمضانَ إيمانًا واحتسابًا غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه	٤٣٧
ونِعْمَ الفارسان هما	٤٥٦، ٤٩٧
وهل تُرزقون وتُنصرون إلا بضعفائكم؟	٣٦٨
ي	
يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما، لا تحزن إنَّ الله معنا	٤١٦
يا أبا عُمَيْر ما فعل النُّغير؟	٤٥٧، ٤٩٦

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللهِ فَإِنِّي أَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ	٤٣٠، ٤٣١
يا عائشة، لقد قلتِ كلمة لو مُزجت بماء البحر لمزجتْه	٢٩٤، ٥١٥
يا غلامُ، سمِّ الله، وكُلْ بيمينك، وكُلْ ممَّا يليكَ	٤٩٧، ٤٩٨
يا معاذ، إنَّكَ تأتي قومًا أهل كتاب	٢١
يا معشرَ المهاجرين، خمسٌ إذا ابتليتم بهنَّ، وأعوذ بالله أن تُدْركوهنَّ	٢٩٦
يُبعثون على نيَّاتهم	٢٩٦
يَسِّرا ولا تعسِّرا، وبشِّرا ولا تنفِّرا، وتطاوعا ولا تختلفا	١٦١، ٥١٠، ٥٢٩
يَسِّروا ولا تُعسِّروا، وبَشِّروا ولا تُنفِّروا	٥١٠، ٥٢٩
يسعى بذمَّتهم أدناهم وهم يدٌ على من سواهم	٣٩٧
اليسيرُ من الرِّياءِ شركٌ، ومن عادَى أولياءَ اللهِ فقد بارز اللهَ بالمحاربةِ	٣٦٨
يقتلون أهلَ الإسلام، ويدَعون أهل الأوثان	٣٢٧
يُنسأ له في أثره	٣٩٤
يومٌ من إمامٍ عادلٍ أفضلُ من عبادةِ ستِّين سنة	٢٨٨

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

فهرس الموضوعات

• **الدعوة إلى الله** ٥

❖ **من الدستور الإلهي للبشرية** ٦

❖ **من مشكاة النبوة الخاتمة** ٧

❖ **١ ـ منهج الدعوة إلى الله كما رسمه القرآن الكريم** ٩

فما هو المنهج الَّذي رسمه القرآن الكريم للدعوة؟ ١٠

إجابة الدكتور القرضاوي على أسئلة المحاضرة ٣٣

سؤال حمزة ميغا ٣٣

سؤال الأستاذ الأمين خليفة كانون ٣٥

طلب توضيح الدكتور الزيادي ٣٧

❖ **٢ ـ معالم وضوابط في الدعوة إلى الله** ٤٢

من مجالات الدعوة ٤٣

داعية عام وداعية مُتَخَصِّص ٤٣

الداعية غير المفتي ٤٤

الداعية غير الخطيب ٤٥

أهميَّة إعداد الداعية ٤٥

إعداد الداعية ثقافيًّا وعلميًّا ٤٥

أولًا: هذه الثقافة الدينيَّة ٤٦

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

ثانيًا: ثمَّ هناك الثقافة اللغويَّة والأدبيَّة ٤٦
ثالثا: وهناك ثقافة أخرى هي الثقافة التاريخيَّة ٤٨
رابعًا: وكذلك الثقافة الإنسانية ٤٩
خامسًا: هناك أيضًا الثقافة العلمية ٤٩
سادسًا: هناك بعد ذلك الثقافة الواقعيَّة ٥٠
أهميَّة إعداد الداعية إيمانيًّا وروحيًّا ٥١
أهميَّة إعداد الداعية خُلُقيًّا ٥٢
الدعاة والنظرة المستقبليَّة ٥٦
الداعية وتحديات العصر ٥٦
رعاية فقه الأولويَّات ٥٧
محاربة البدع ٦٠
الالتزام العملي بالإسلام ٦١
محاربة الدعوات الهدَّامة ٦١
العلمانيَّة مشكلة المسلمين في هذا العصر ٦٢
تبليغ الدعوة لكل الفئات ٦٦
التدرج في تبليغ الدعوة ٦٧

❖ ٣ ـ التفقه في الدين والدعوة إليه ٧٠

التفقُّه في الدِّين ٧١
معنى التفقُّه في الدِّين ٧٢
مراتب الأمور الدينيَّة ٧٣
مصادر التفقُّه في الدين ٧٤
معرفة زماننا والانفتاح على العصر ٧٥
مشروعيَّة تغيُّر الفتوى ٧٦
الإلمام بالثقافة المعاصرة وعلوم العصر ٧٧

QaradawiBooks.com

لا بدَّ أن يتبع العلمَ العملُ ٧٩
لا خير في علم لا يورث الخشية ٨١
انتشر الإسلام بالأخلاق الفاضلة ٨٢
❖ ٤ ـ الثقافة المنشودة للداعية المعاصر ٨٦
ما يجب أن يتسلح به الداعية المسلم ٨٦
المراد بالثقافة الإسلاميَّة ٨٧
مستويات الدعاة ٨٨
الثقافة الدينيَّة ٩١
الاستفادة من المدارس العلميَّة كلِّها ٩٢
بين مدرسة الحديث ومدرسة الرأي ٩٣
قنطرة بين الفقه والحديث ٩٤
عدم الانحصار في جانب معين ٩٥
علم الكلام وأثره ٩٦
أدلَّة القرآن عقليَّة ونقليَّة ٩٨
العلوم الكونيَّة وأثرها ٩٩
الاستفادة من التصوف العملي الأخلاقي ١٠٠
إحياء علوم الدين للغزالي ١٠١
التساهل في رواية الحديث الضعيف ١٠٢
البعد عن المبالغات ١٠٣
مزج الخوف بالرجاء ١٠٤
الحذر من مبالغات الصوفية وبدعهم ١٠٥
ميزان الكتاب والسُّنَّة ١٠٦
عدم حجر النفس في مدرسة واحدة ١٠٧

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

❖ **٥ ـ الداعية المسلم وتحديات العصر** **١٠٩**
اختلاط مفهوم الفقيه والداعية ١١٠
الداعية غير الخطيب ١١٠
الداعية إلى الإسلام ١١١
لا تخلو الأرض من الدعاة إلى الحقِّ ١١٢
وتلك الأيام نداولها بين الناس ١١٤
بروز الصحوة الإسلاميَّة ١١٥
آثار الصحوة الإسلاميَّة ١١٥
اليهوديَّة الماكرة ١١٧
الصليبيَّة الاستعماريَّة ١١٧
التأليب على الإسلام ١١٨
الشيوعيَّة الماركسيَّة ١١٩
الوثنية المتوحشة ١١٩
قوى داخليَّة تعمل ضدَّ الإسلام ١٢٠
لماذا يعادون الإسلام؟ ١٢٠
الغزو الثقافي، والاستعمار الفكري ١٢١
القصور في دراسة التاريخ الإسلامي ١٢٢
مشكلة النخبة أو الصفوة ١٢٣
التدين المنحرف ١٢٣
الدعاة الذين لا يعيشون واقعهم ١٢٤
الاهتمام بمشكلات العصر ١٢٥
ضعف العقل وسوء الفهم ١٢٦
أُمَّة سورة الحديد لم تتعلم صناعات الحديد ١٢٨
الداعية الحقيقي ١٢٩

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الانبهار بالحضارة الغربية وتبرير مساوئها ١٣٠
الداعية الموفق المتوازن ١٣٠
مخاطبة الناس بلسان عصرهم ١٣١
عدم إثارة المعارك على الأمور الخلافية ١٣٢
معرفة أحوال المخاطبين بالدعوة ١٣٣
فقه الأولويات ١٣٤
معرفة جوهر الإسلام وفقه الموازنات ١٣٥
معرفة خصوم الإسلام والقدرة على مواجهتهم ١٣٥
التعبير عن محاسن الإسلام ١٣٦
سلاح الإيمان واليقين ١٣٧

❖ ٦ ـ الدعوة الإسلاميَّة في الغرب ١٤٠
سعي مشكور وجهد مأجور ١٤١
واجب الدعوة ١٤١
الدعوة في الغرب ١٤٣
أولًا: أهداف الدعوة بين المسلمين ١٤٣
(١) دعوة العصاة ليتوبوا ١٤٣
(٢) تصحيح الفهم للإسلام ١٤٦
(٣) القضاء على التديُّن السلبي ١٤٧
(٤) توحيد العاملين للإسلام ١٤٩
ثانيًا: أهداف الدعوة بين غير المسلمين ١٥٠
(١) الدخول في الإسلام ١٥١
عوائق عن الدخول في الإسلام ١٥٢
أ ـ رواسب القرون الماضية ١٥٢
ب ـ صراع العصور الحالية ١٥٣

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ج ـ المستشرقون ١٥٣
د ـ سوء حال المسلمين ١٥٣
(٢) تصحيح صورة الإسلام ١٥٤
(٣) كسب غير المسلمين المنصفين ١٥٥
ثالثًا: وسائل الدعوة ١٥٥
رابعًا: أساليب الدعوة ١٥٦
(١) مع المسلمين ١٥٧
(٢) مع غير المسلمين ١٥٧
أسلوب الحوار ١٥٨
خامسًا: لوازم نجاح الدعوة ١٥٩
(١) الدعوة على بصيرة ١٥٩
(٢) مراعاة الزمان والمكان والحال ١٦٠
(٣) مراعاة منهج التيسير والتبشير ١٦١
(٤) استعمال الرفق ١٦٢
(٥) مطابقة العمل للقول ١٦٣
قوَّة الإسلام الذاتيَّة ١٦٥
حاجة الإسلام إلى رجاله ١٦٥
المستقبل للإسلام ١٦٧
التداول الحضاري ١٦٩
دعم وجود الإسلام في الغرب ١٧٠

❖ **٧ ـ طالب المعهد الديني والدعوة إلى الله ١٧٣**
المعهد الديني ليس مجرد مدرسة ١٧٤
الغاية من التعليم وسر الحياة ١٧٤
مهمة طالب العلم ١٧٥

QaradawiBooks.com

دور طالب المعهد الديني ١٧٦
مهمة الداعية المسلم ١٧٦
معرفة الإسلام الصحيح ١٧٧
البعد عن التيارات الدخيلة على الفكر الإسلامي ١٧٨
مهمة الداعي إلى الإسلام ثقيلة ١٧٩
أهمية الدعوة بين المسلمين في أنحاء العالم ١٨٠
دور الدعاة في حماية المسلمين من هذه الغزوات ١٨٢
دعوة غير المسلمين إلى الإسلام ١٨٢
مسؤوليتنا عن أمم الأرض ١٨٣
حاجة الإنسانية إلى دين الإسلام ١٨٤
الحياة بلا إيمان حياة تعيسة بائسة ١٨٥
ليست هذه هي حضارة الإنسان ١٨٦
لا ينقذ هؤلاء إلا الإسلام ١٨٧
ضعف الجهود الدعوية للمسلمين ١٨٨
مهمة المؤسسات الدينية ١٨٩
الدعوة طبيعة المسلم ١٩٠
مسؤولية طالب المعهد الديني ١٩٠
الدراسة الرسمية ليست كل شيء ١٩١
أُمَّة اقرأ لا تقرأ ١٩٢
لا بدَّ من العلم والإيمان للداعية ١٩٢
الاعتزاز بالإسلام ١٩٣
الأُمَّة الإسلامية تملك الرسالة الروحية ١٩٤
أخلاق الداعية المسلم ١٩٥
نماذج إسلامية رائدة ١٩٥

QaradawiBooks.com

الأخوة بين الدعاة ١٩٦
خطورة الغزو الفكري وأهمية مواجهته ١٩٧
تصحيح نيَّة طالب العلم ١٩٨
❖ ٨ ـ وصايا للدعاة ١٩٩
(١) فقه الإسلام ١٩٩
بين العلم والفقه ٢٠٠
الإسلام الأول ٢٠١
فقه الأولويَّات ٢٠١
(٢) العمل بالإسلام ٢٠٢
المسلم الصادق قرآن متحرك ٢٠٣
حُسن تمثيل الإسلام ٢٠٣
الإسلام ضبط مسيرة الحياة ٢٠٥
(٣) الدعوة إلى الإسلام ٢٠٥
من يعمل للإسلام؟ ٢٠٦
دعوة المسلمين المنحرفين ٢٠٨
الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ٢٠٨
(٤) التعاون والتآلف ٢٠٩
إجاباتي عن أسئلة المحاضرة ٢١١
قضية فلسطين ٢١١
الإسلام محور هذه القضية ٢١١
أثر الانتفاضة الفلسطينية ٢١٢
الانتفاضة تُمثِّل الصحوة الإسلامية ٢١٣
ضوابط اتباع الرخص ٢١٤
البحث عن الأرجح، لا الأسهل ٢١٥

QaradawiBooks.com

نسخ القرآن بالسُّنَّة ٢١٦
العمل في البنوك الربويَّة ٢١٧

• التزكية والأخلاق ٢٢٣

❖ من الدستور الإلهي للبشرية ٢٢٤

❖ من مشكاة النبوة الخاتمة ٢٢٥

❖ ٩ ـ الحياة الرُّوحية في الإسلام مفهومها وأسسها في الكتاب والسُّنَّة ٢٢٧
ما معنى الحياة الرُّوحيَّة؟ ٢٢٨
أسس الحياة الرُّوحيَّة في الإسلام ٢٢٩
الأسس الاعتقاديَّة للحياة الرُّوحيَّة ٢٢٩
الأساس الأول: التوحيد (الإيمان بالله) ٢٢٩
الأساس الثاني: الإيمان بالآخرة ٢٣٠
الأساس الثالث: الإيمان بالغيب ٢٣١
المادِّيُّون أصحاب طفولة إنسانية ٢٣٢
الإيمان بحقيقة الرُّوح الإنساني ٢٣٢
الأساس العلمي للحياة الرُّوحيَّة ٢٣٣
أهميَّة العلم ٢٣٤
الأُسُس العَمَلية للحياة الرُّوحيَّة ٢٣٦
الأساس الأول: التعبُّد ٢٣٦
استمرار التعبُّد وشموله ٢٣٨
الذكر والدعاء ٢٣٩
النية الصالحة تجعل العادة عبادة ٢٤٢
الأساس الثاني: الإحسان إلى الخلق ٢٤٣

نسخة إلكترونية
QaradawiBooks.com

علاقة التصوف بالخُلُق ٢٤٥
الأساس الثالث: الوَرَع ٢٤٥
مراتب الورع ٢٤٦
الأساس الرابع: الزُّهد ٢٤٨
حقيقة الزهد ٢٤٨
الأُسُس الوِجْدانية للحياة الرُّوحيَّة ٢٥١
الأساس الأول: الإخلاص ٢٥٢
الأساس الثاني: حب الله ٢٥٥
حبُّ الله لإحسانه ٢٥٥
حب الله لجماله وجلاله وكماله ٢٥٨
الأساس الثالث: الجمع بين الخوف والرجاء ٢٦١
الختام ٢٦٦
خصائص الحياة الرُّوحيَّة ٢٦٦
ثمرات الحياة الرُّوحيَّة ٢٦٧
حاجتنا للحياة الرُّوحيَّة ٢٦٨
ضرورة الحياة الرُّوحيَّة ٢٧٠

❖ ١٠ ـ الأخلاق في الإسلام ٢٧١
الأخلاق والعقائد ٢٧٢
الأخلاق والعبادات ٢٧٣
الأخلاق والاقتصاد ٢٧٤
شمول الأخلاق الإسلامية ٢٧٥
الأخلاق والتشريع ٢٧٧
كتابي عن الأخلاق في الإسلام ٢٧٩

غير مرخصة للطباعة
نسخة ميزانية
QaradawiBooks.com

❖ ١١ ـ فألهمها فجورها وتقواها ٢٨١
قبضة الطين ونفخة الرُّوح ٢٨٢
تعطيل منافذ إدراك الخير ٢٨٢
مهمَّة الإنسان في الكون ٢٨٣
داء الغفلة ٢٨٣
التحذير من المعاصي والذنوب ٢٨٤
ترك المأمور أشدُّ من فعل المحظور ٢٨٤
المعاصي الظاهرة والباطنة ٢٨٥
التحذير من معاصي القلوب ٢٨٦
معصية آدم ومعصية إبليس ٢٨٧
المعاصي القاصرة والمُتَعَدِّية ٢٨٨
التعدي في المكان والزمان ٢٨٩
خطورة المعاصي ٢٩١
الصغيرة تجر إلى الكبيرة ٢٩٢
خشية المؤمن من ذنوبه ٢٩٣
شؤم المعصية ٢٩٤
سبب الهزائم والانتكاسات ٢٩٥
خطر المعاصي على الفرد والمجتمع ٢٩٦
حقيقة السعادة ٢٩٨
شقاء الروح ٢٩٩
المعاصي تنسي الإنسان نفسه ٣٠١
أثر المعاصي يوم القيامة ٣٠٢
لابد من وقفة للمحاسبة ٣٠٣
المسلم يرتقي في الدرجات ٣٠٤

QaradawiBooks.com

التدرُّج في اجتناب المحرمات ٣٠٥
التوبة الصادقة تمحو الذنوب ٣٠٥
إجابة أسئلة المحاضرة **٣٠٨**
الجواب ٣٠٨
ترك الصلاة لمدة طويلة ٣١١
❖ **١٢ ـ مراتب جهاد النفس (١)** **٣١٤**
ثلاث شُعَبٍ لرسالة المسلم ٣١٤
الشعبة الأولى عبادة الله ٣١٥
الشعبة الثانية فعل الخير ٣١٥
المسلم منتج معطاء ٣١٦
الإخلاص في فعل الخير ٣١٦
نظام الوقف الخيري ٣١٧
نظام الوصايا ٣١٨
تراجع العمل الخيري ٣١٨
إيثار القُرُبات الاجتماعيَّة على القُرُبات الفرديَّة ٣١٨
الشُّعْبة الثالثة الجهاد ٣١٩
الجهاد في سبيل الله ٣١٩
صدق الله فصدقه الله ٣٢٠
بذل الوُسْع في الجهاد ٣٢١
دعوى النسخ ٣٢٢
جهاد النفس ٣٢٣
مراتب جهاد النفس ٣٢٣
(١) جهاد النفس على التفكُّر والتعلُّم ٣٢٣
الفقه في الدين ٣٢٤

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

(٢) العمل بالعلم ٣٢٥
(٣) تعليم الآخرين ودعوتهم ٣٢٦
الدعوة على بصيرة ٣٢٧
طرائق الدعوة ٣٢٨
الدعوة الفرديَّة ٣٢٨
(٤) الصبر والثبات ٣٢٩

❖ ١٣ ـ من مراتب جهاد النفس (٢) فعل الخيرات ٣٣٢
رسالة المسلم في الحياة ذات شعب ثلاث ٣٣٢
الحقُّ والخير من القِيَم العليا في كل الأديان ٣٣٣
الله تعالى مصدر الحقِّ كله ٣٣٣
ما هو الخير؟ ٣٣٤
فعل الخير ٣٣٤
مراتب فعل الخير ٣٣٥
الإنسان المثالي في نظر الإسلام ٣٣٥
منع الخير من طبيعة المجتمع الجاهلي ٣٣٧
عمل الخير من عبادة الله ٣٣٧
الصدقة الاجتماعية اليومية ٣٣٨
نيَّة عمل خير ٣٣٩
الإسلام يفتح أبواب الخير أمام المسلم ٣٤٠
فعل الخير يشمل الجميع ٣٤٢
الإسلام رسالة الرحمة ٣٤٣
حقوق الحيوان في الإسلام ٣٤٤
المسلم يفعل الخير ولو كان صغيرًا ٣٤٤
التعاون على فعل الخير ٣٤٧

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الدلالة على الخير ٣٤٧
المسارعة إلى الخير ٣٤٨
الإجابة عن الأسئلة ٣٥٠
السؤال: ما حكم العمل في المؤسسات التجارية، التي تتعامل مع البنوك الربوية، والراتب يكون غالبا مشوبًا بهذا التعامل الربوي؟ ٣٥٠
الجواب ٣٥٠
السؤال: ما حكم تقصير الثوب وإطالته؟ ٣٥٠
الجواب ٣٥٠
❖ ١٤ ـ فضيلة الإخلاص ٣٥٣
ضرورة الإخلاص ٣٥٣
معنى الإخلاص ٣٥٤
الإخلاص غاية المسلم ٣٥٤
غاية الغايات ٣٥٥
قيمة الإخلاص ٣٥٦
الإخلاص أول الواجبات ٣٥٦
الهجرة الدِّينيَّة والدُّنْيويَّة ٣٥٧
تُسعَّر النارُ بالمرائين ٣٥٨
أهميَّة الإخلاص ٣٥٩
النيَّة الصالحة تُكمل العمل الناقص ٣٦١
النيَّة الصالحة تُصحِّح الخطأ ٣٦٣
الإخلاص قوَّة ٣٦٤
الإخلاص بين القيادة والجنديَّة ٣٦٦
أمران أساسيَّان لقبول العمل ٣٦٩
النِّيَّة الصالحة تقلب العادات إلى عبادات ٣٧٠
رقابة المسلم نفسه ٣٧١

QaradawiBooks.com

❖ **١٥ ـ من أعظم النعم (الأخوة في الله)** **٣٧٥**
نعمة الإيمان ٣٧٦
نعمة الأخوة في الله ٣٧٦
النصر يتنزل على المؤمنين المترابطين ٣٧٩
محاولة إثارة النعرات في مجتمع المدينة ٣٨٠
المجتمع المدني قائم على الأخوة ٣٨٢
من مراتب الأخوة سلامة الصدر ٣٨٣
المرتبة الثانية أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك ٣٨٤
موقف مصعب بن عمير الخالد ٣٨٥
المرتبة الثالثة الإيثار ٣٨٧
الأخوة التي تبقى ٣٨٨
الإجابة عن أسئلة المحاضرة **٣٩٠**
سؤال عن عدد ركعات الوتر ٣٩٠
سؤال عن قضاء الفوائت ٣٩٠
❖ **١٦ ـ صلة الرَّحم** **٣٩٣**
الترغيب في صلة الأرحام ٣٩٣
الأقربون أولى بالمعروف ٣٩٥
من الواصل الحقيقي لرحمه؟ ٣٩٦
الأسرة في نظر الإسلام ٣٩٦
التحذير من قطع الأرحام ٣٩٧
علامَ يتقاطع الأقارب؟ ٣٩٨
مقابلة الإساءة بالإحسان ٣٩٨
خيركما الَّذي يبدأ بالسلام ٤٠٠
الحد الأدنى في العلاقة بين الأقارب ٤٠١

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

• **التربية الإسلامية والتعليم** **٤٠٣**

❖ **من الدستور الإلٰهي للبشريَّة** **٤٠٤**

❖ **من مشكاة النبوة الخاتمة** **٤٠٥**

❖ **١٧ ـ الربَّانيَّة أبرز خصائص التربية الإسلاميَّة** **٤٠٧**

زياراتي لندوة العلماء بالهند ٤٠٨

الفرق بين التربية والتعليم ٤٠٨

صلاح الأفراد والمجتمعات بتغيير النفس ٤٠٩

التعليم والتزكية من مُهمَّة النبيِّ ﷺ ٤٠٩

معنى التزكية ٤١٠

التربية ضروريَّة لتنهض الأُمَّة ٤١١

تلاميذ المدرسة المحمديَّة ٤١١

خصائص التربية الإسلاميَّة ٤١٣

الربَّانيَّة أبرز خصائص التربية الإسلاميَّة ٤١٣

ماذا تعني الربَّانيَّة؟ ٤١٤

استشعار رقابة الله ﷻ ٤١٤

الشعور بمعيَّة الله يجعل المسلم يقظ الحس ٤١٥

مصدر القوة في مواجهة الأعداء ٤١٥

ثقة في وعد الله ٤١٦

الصدق مع الحق والخُلُق مع الخَلق ٤١٧

المؤمن دائم الرقابة على نفسه ٤١٧

رضا الله غاية الغايات ٤١٨

خلق الكون للإنسان وخلق الإنسان للرحمن ٤٢٠

العبودية لله غاية الحرية ٤٢٠

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

الأدنى يخدم الأعلى ٤٢١
الربَّانيَّة ارتقاء بالإنسان ٤٢١
ما الَّذي يهبط بالإنسان إلى حضيض البهائم؟ ٤٢٢
الغافلون أضل سبيلًا من الأنعام ٤٢٣
الغفلة عدو الإنسان **٤٢٤**
النفس الإنسانية في القرآن الكريم **٤٢٤**
المؤمن يخاف الله ويحذر ذنوبه ٤٢٥
أشد أنواع الجهاد جهاد النفس ٤٢٧
استصحاب النية شرط لقبول العمل ٤٢٨
هل تعني الربَّانيَّة عصمة الإنسان؟ ٤٢٩
التوبة مطلوبة من الجميع ٤٣٠
الفرق بين معصية آدم ومعصية إبليس ٤٣١
معاصي الجوارح ومعاصي القلوب ٤٣٢
وفي الختام أقول **٤٣٣**
جناية المصطلحات على الحقائق ٤٣٣

❖ ١٨ ـ كيف نُربِّي أولادَنا تربية إسلاميَّة؟ **٤٣٦**
رمضان مدرسة تربويَّة ٤٣٦
مَنْ يُربِّي؟ ٤٣٧
معنى التربية ٤٣٨
اتِّساع مفهوم التربية الإسلاميَّة ٤٣٩
متى تبدأ تربية الأولاد؟ ٤٣٩
التربية قبل الزواج والإنجاب ٤٤٠
التربية منذ الولادة ٤٤١
حسن تسمية المولود ٤٤٢

QaradawiBooks.com

الاحتفال بالمولود ٤٤٢
المولود نعمة وأمانة ٤٤٤
حقوق الطفل ٤٤٤
حياة الطفل ٤٤٤
إرضاع الطفل ٤٤٥
لباس الطفل ٤٤٥
دواء الطفل ٤٤٦
من عناصر التربية الإسلامية ٤٤٧
(١) التربية البدنيَّة ٤٤٧
(٢) التربية العقليَّة ٤٤٨
(٣) التربية اللغوية ٤٤٩
(٤) التربية الدينيَّة ٤٥١
التفهيم لا التلقين ٤٥٢
التحبيب لا التخويف ٤٥٢
(٥) التربية الجنسيَّة ٤٥٤
منهج التربية الإسلامية ٤٥٥
بين التدليل والقسوة ٤٥٥
اليتيم في حياة أبويه ٤٥٨

❖ ١٩ ـ أضواء على تربية الأولاد في الإسلام ٤٦٠
الأولاد نعمة تستوجب الشكر ٤٦١
نظرة الجاهلية للمرأة ٤٦١
البنات نعمةٌ وهِبةٌ ٤٦٢
الذُّريَّة الصالحة قرَّة عين الأنبياء والصالحين ٤٦٢
مسؤوليَّة الآباء تجاه أولادهم ٤٦٣

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

رعاية الأولاد ماديًّا ومعنويًّا ٤٦٣
وعي الطفولة ٤٦٥
عبرة من قصة يعقوب عليه السلام ٤٦٥
التربية قبل الزواج ٤٦٦
من أحكام المولود ٤٦٦
عناية الإسلام باليتامى ٤٦٧
اليتيم في حياة أبيه ٤٦٧
معنى التربية وغايتها في الإسلام ٤٦٨
التربية بالقدوة ٤٦٩
التربية المبكرة ٤٧٠
الأسرة حارس لتعاليم الإسلام ٤٧١
أثر الأسرة في تركيا العِلْمانيَّة ٤٧٢
مسؤوليَّة الأسرة في التربية ٤٧٤
مسؤوليَّة المدرسة في التربية ٤٧٤
تكامل التربية المدرسيَّة ٤٧٥
عناصر التربية المدرسيَّة ٤٧٦
تضارب المحتوى التربوي ٤٧٧
تجفيف المنابع ٤٧٨
مسؤوليَّة الإعلام في التربية ٤٨٠
مسؤوليَّة النوادي في التربية ٤٨١
تكامل مؤسسات التربية ٤٨١
مسؤوليَّة التربية ٤٨٢

❖ ٢٠ ـ المنهج النبوي في رعاية الطفولة ٤٨٤
أهميَّة الثروة البشريَّة ٤٨٤

غير مرخصة للطباعة
نسخة إلكترونية
QaradawiBooks.com

رعاية الطفل المسلم ٤٨٥
حسن اختيار الزوج والزوجة ٤٨٥
اظفَرْ بذاتِ الدِّين ٤٨٦
من ترضون دينه وخُلُقه ٤٨٨
مراعاة مواصفات أخرى ٤٨٩
زواج الكومبيوتر ٤٨٩
ما لا يكتشفه الكومبيوتر ٤٩٠
تمهيدات قبل الزواج ٤٩١
الإنجاب من أهم أهداف الزواج ٤٩١
طلب الذرية أمر فطري ٤٩٢
يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور ٤٩٣
حسن التسمية وذبح العقيقة ٤٩٤
حسن رعاية الأولاد ٤٩٥
المرحلة الأولى ملاعبة الأبناء ٤٩٦
المرحلة الثانية للتأديب ٤٩٧
التأديب المتوازن ٤٩٩
المساواة بين الأبناء ٥٠١
المرحلة الثالثة التآخي ٥٠٢

❖ ٢١ ـ التعليم وأخلاقيَّات مِهْنة التعليم ٥٠٤

التعليم هو صانع الأمم ٥٠٥
فريق ياباني يرصد سلبيات التعليم في أمريكا ٥٠٥
مشكلة التعليم في بلادنا العربيَّة والإسلامية ٥٠٥
مقومات التعليم ٥٠٦
التزكية إحدى المهام النبويَّة ٥٠٧

QaradawiBooks.com

معنى التزكية ٥٠٧
بتزكية وتربية النبي ﷺ انتصر الصحابة على الفرس والروم ٥٠٨
ما أحوجنا إلى أن نتعلم من نبيِّنا ٥٠٩
المنهج النبوي في التعليم قائم على التيسير ٥١٠
١ ـ الرفق بالمتعلمين ٥١١
٢ ـ المعلم لتلاميذه كالوالد لأبنائه ٥١٢
٣ ـ الرفق بالمخطئ ٥١٣
٤ ـ الرفق بالمخطئ لا يعني تركه على الخطأ ٥١٤
٥ ـ الأمانة في العلم ٥١٦
٦ ـ العدل بين المُتَعَلِّمين ٥١٦
حب يعقوب ليوسف حب فطري جبلي ٥١٧
العدل مع العدو ومع الصديق ٥١٨
٧ ـ مراعاة الفروق الفرديَّة بين المتعلمين ٥١٩
مراعاة النبي أحوال السائلين ٥١٩
٨ ـ استعمال الوسائل المُعِينة على الفهم ٥٢٠
٩ ـ استعمال النبيِّ ﷺ الحوار ٥٢٠
١٠ ـ استخدام الإشارة لترسيخ المعنى ٥٢٢
أثر العلم في السلوك ٥٢٣
المُعَلِّم الأسوة ٥٢٣
العلم الَّذي لا ينفع ٥٢٤

❖ ٢٢ ـ مكانة المعلم في الإسلام ٥٢٧

أهميَّة لقاء المؤمنين ٥٢٨
المُعَلِّم خليفة الرسول ﷺ ٥٢٨
التزكية والتعليم لا يفترقان ٥٢٩

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

بين التزكية والتربية ٥٣٠
معنى التزكية ٥٣٠
القرآن حدد مهمة النبي بتلاوة الكتاب والتزكية والتعليم ٥٣٠
أثر تعليم النبي وتزكيته ﷺ ٥٣١
من أساليب النبي ﷺ في التعليم ٥٣٢
خير مُعَلِّم وخير تلاميذ ٥٣٢
المُعلِّم الناجح من يتأسَّى برسول الله ٥٣٣
العلم ميراث الرسول ٥٣٣
حاجة الأمة إلى المعلِّم الصادق ٥٣٤
أثر الاستعمار في مناهج التعليم ٥٣٥
المُعلِّم أهم عنصر في التعليم ٥٣٥
روح المُعلِّم حياةٌ للمنهج التعليمي ٥٣٦
فضل مُعلِّم الناس الخير ٥٣٧
مُعلِّم الدين ليس مُعلِّم التربية الشرعيَّة ٥٣٧
سُنن الله في الكائنات ٥٣٨
تعاون المعلمين في مُختلف تخصُّصاتهم ٥٣٨
إجابات الشيخ القرضاوي عن أسئلة المحاضرة ٥٤١
احترام المُعلِّم واجبٌ شرعيّ ٥٤١
القرآن يحثُّ على احترام المعلم ٥٤٢
باب الاجتهاد مفتوحٌ لا يُغلق ٥٤٣
زواج الفتاة أم تعليمها؟ ٥٤٤
قطع الأشجار بدلًا من غرسها ٥٤٥
عملياتٌ استشهاديَّةٌ أم انتحاريَّةٌ؟ ٥٤٧

غير مصرح للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

العلم في الإسلام دين والدين علم ٥٤٨
هل التسوك يستلزم الأراك؟ ٥٤٩
واجب طالب العلم نحو العلم ٥٥٠
استغلال الوقت في طاعة الله ٥٥٠
العمل في البنوك الربويَّة ٥٥١
الضرب ليس سياسةً إسلاميةً ٥٥١
الجمع بين الصلوات للمقيم ٥٥٣
الصور المُجسَّمة مُحرَّمةٌ ٥٥٣
أطع أباك، ولا تعص أمك ٥٥٤
وضوء الفتيات في الجامعة ٥٥٤
أمر الفتاة لمنْ؟ ٥٥٥
تلاوة القرآن بدون وضوء ٥٥٥
حديث النفس هل يحاسب عليه؟ ٥٥٦

❖ ٢٣ ـ دور المدرسين والدعاة في التعليم والتوجيه ٥٥٧

مقومات الجامعة الإسلاميَّة ٥٥٨
المُقَوِّم الأوَّل: المنهج الإسلامي الصحيح ٥٥٨
الإسلام كلٌّ لا يتجزأ ٥٥٩
دراسة الإسلام بصورة متكاملة ٥٦٠
فهم الإسلام بلغة العصر ٥٦٠
المقوم الثاني: الطالب والإدارة المسلمة ٥٦٠
المقوم الثالث: المعلم المسلم ٥٦١
المعلم لا بدَّ أن يكون صاحب رسالة ٥٦١
حاجة الإسلام إلى دُعاة ربَّانيِّين ٥٦٢

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

المعلم القدوة صاحب الحيوية ٥٦٣
لكل دين دعاته ورجاله ٥٦٤
الاهتمام باللغة العربيَّة ٥٦٥
علاقة المعلم بالطالب ٥٦٥
وسائل لتعميق العلاقة بين الأستاذ والطالب ٥٦٦
المقوم الرابع: المناخ الإسلامي ٥٦٧
كيف نبرز الروح والمناخ الإسلامي ٥٦٧
إجابة أسئلة المحاضرة ٥٧٠
الجواب ٥٧٠
الدراسة المذهبية ٥٧٠
البعد عن التعصب في الدراسة المذهبية ٥٧٠
أخذ الفقه من منابع المذهب ٥٧١
الدراسة المقارنة ٥٧٢
ينتقل الصواب بين المذاهب ٥٧٣
زكاة الزروع بين الشافعية والأحناف ٥٧٤
شيخ المالكية يرجِّح رأي أبي حنيفة ٥٧٥
السؤال الثاني ٥٧٧
الجواب ٥٧٧
أنواع التفسير ٥٨٠
السؤال الثالث ٥٨١
الحديث التحليلي ٥٨١
الحديث الموضوعي ٥٨٢
دراسة علم مصطلح الحديث ٥٨٣

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

❖ **٢٤ ـ ندوة العلماء بالهند ودورها المعاصر** **٥٨٦**
أحببنا أبا الحسن قبل أنْ نراه ٥٨٨
الشيخُ الندوي حبَّبَ إلينا ندوة العلماء قبل أنْ نراها ٥٨٩
وصف الشيخ علي الطنطاوي لندوة العلماء ٥٨٩
زرتُ ندوة العلماء فصدَّق الخُبْر الخَبَر ٥٩٠
مزايا ندوة العلماء ٥٩١
١ ـ نفحات رُوحيَّة في ندوة العلماء لا توجد في غيرها ٥٩١
٢ ـ مُعَلِّمو هذه الدار أصحاب رسالة ٥٩٢
٣ ـ أبناء هذه الدار ربَّانيُّون ٥٩٢
٤ ـ الجمع بين العلم والعمل والدعوة ٥٩٣
أوَّلًا: العلم الصحيح ٥٩٣
فللعلم أقسامٌ ٥٩٣
• نافع وضارٌّ ٥٩٣
• صواب وخطأ ٥٩٣
• أصول وفضول ٥٩٤
• غايات ووسائل ٥٩٤
ثانيًا: إقران العلم بالعمل ٥٩٥
ثالثًا: الدعوة زكاة العلم ٥٩٧
٥ ـ الندوة ثابتة في الأصول مُتَغَيِّرة في الوسائل ٥٩٨
٦ ـ الندوة تستخدم الكمبيوتر في العلوم الإسلاميَّة ٥٩٩
٧ ـ الندوة تتَّبع في أمور الدِّين، وتبتدع في أمور الدُّنْيا ٦٠١
٨ ـ الندوة تُنصف المرأة وتعليم المرأة ٦٠٣
اقتراحات لا بدَّ منها ٦٠٤

QaradawiBooks.com

١ ـ إقامة دار ندوة العلماء للنساء ٦٠٤
٢ ـ إنشاء قسم للإنجليزيَّة لتكوين دعاة يتحدَّثون بها ٦٠٦
٣ ـ زيادة جرعة العلوم العصريَّة ٦٠٦
٤ ـ إقامة معهدٍ عالٍ للتربية والتدريس ٦٠٧
٥ ـ استخدام طرق التربية الحديثة ٦٠٨
٦ ـ إقامة معهد لخريجي الكليات العصرية ٦١٠
٧ ـ تمديد مؤسسات الندوة إلى الهند والبلاد الإسلامية ٦١١

- **فهرس الآيات القرآنية الكريمة ٦١٥**
- **فهرس الأحاديث النبوية الشريفة ٦٤٧**
- **فهرس الموضوعات ٦٦١**

* * *

نسخة مجانية
غير مرخص للطباعة